الفيصل

مجلة ثقافية شهرية ـ العدد (٢٠٦) شعبان ١٤١٤هـ (يناير ـ فبراير) ١٩٩٤م
AL FAISAL MAGAZINE ISSUE (206) JAN./FIB. 1994



متحف البرادو
وقراءة لبعض مقتنياته



البليدة:
تذكرها التاريخ
وتنسيها المؤرخون

مأساة انقراض الأنواع الحية

الألغاز في التراث: تسلية أم معرفة؟





كتاب الحماسة

تأليف أبي تمام حبيب بن أوس الطائي

رحمه الله

قرأ عليّ هذا الكتاب الموسوم بالحماسة من أوله إلى آخره قراءة متقنة صحيحة

مرضية قراءة فهم ومعرفة الشيخ الأديب العالم الأوحد مهذب الدين أبو محمد

الحسن بن أبي الفتح بن أبي النجم بن وزير [illegible] حفظه [illegible]

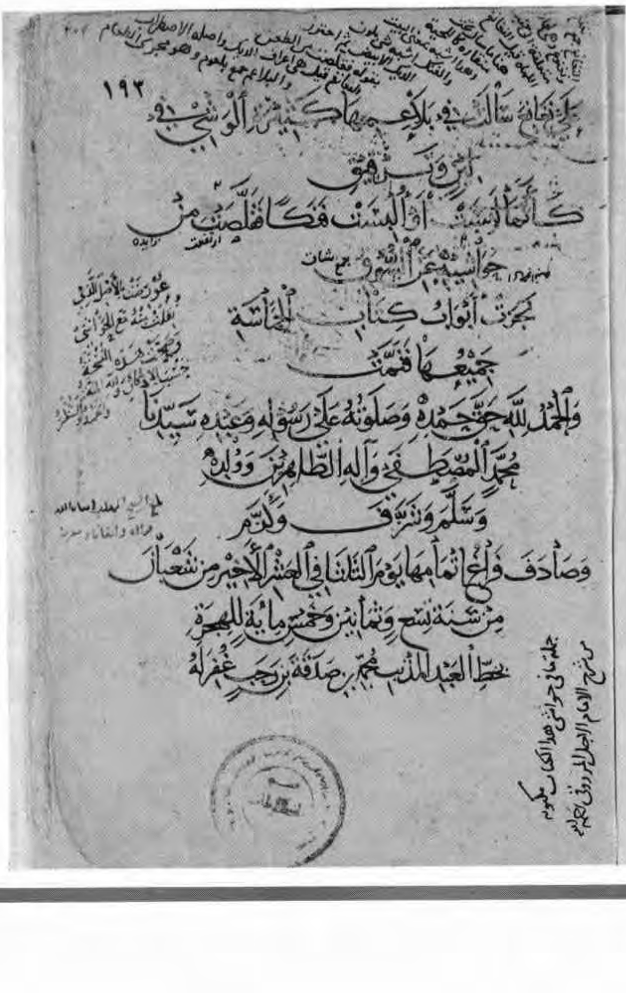
عن شيخي السعيد زين الدين حجة الإسلام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب [illegible]

[illegible] عن السعيد حجة الدين أبي منصور موهوب بن الخضر الجواليقي رحمه الله

ابن أبي الصقر عن الخشني عن النمري عن أبي رياش عن مؤلفها أبي تمام رحمهم الله [illegible]

في شهور سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وكتب الفقير إلى عفو الله تعالى علي بن المبارك

ابن عبد الباقي [illegible] حامداً الله عز وجل ومصلياً على رسوله سيدنا محمد النبي [illegible]



١٩٣

[illegible] في بلاغتها كثير الوشي في

[illegible]

كأنما [illegible] أو لبست فكأنما قلبت من

جواشيه [illegible]

تجزت أبواب كتاب الحماسة

جميعها فتمت

والحمد لله حق حمده وصلواته على رسوله وعبده سيدنا

محمد المصطفى وآله الطاهرين وولده

وسلم وشرف وكرم

وصادف الفراغ من إتمامها يوم الثلاثاء في العشر الأخير من شعبان

من سنة تسع وثمانين وخمسمائة للهجرة

بخط العبد المذنب محمد بن صدقة بن رجب غفر له

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

مجلة الفيصل العدد (٢٠٦) - شعبان ١٤١٤ هـ - السنة (١٨) - يناير (كانون الثاني) - فبراير (شباط) ١٩٩٤ م

في هذا العدد

ملاحظات عامة

□ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والأصالة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

□ ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

□ حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

□ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري ـ إن وجد ـ وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

□ الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

ص. ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

الأسعار: السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلسا ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلسًا ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٢٥ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٣ جنيهات ـ المغرب ٦ دراهم ـ تونس ٦٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٢٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنكًا ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية.

الاشتراكات السنوية: للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا، للمؤسسات ٢٥٠ ريالاً سعوديًا.

الاعلانات: يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

إطلالة

وأمرهم شورى بينهم

الشورى مبدأ شرعي، نص عليه القرآن الكريم، وأكده المنهج النبوي، وفسره واقع التطبيق العملي له في عهدي النبوة والخلافة الراشدة.

وقد رسمت الشريعة الإسلامية إطارًا للشورى، يميزها عن المفاهيم والمصطلحات العصرية التي جدت فيما بعد كالديمقراطية وغيرها. فالشورى في الإسلام أساسها واقع التكريم الالهي للإنسان بتمييزه عن بقية خلقه بالعقل والمنطق، إذ إن طلب الرأي والمشورة لا يكون إلا ممن لديه ملكة إعمال العقل فيما يُعرض عليه من أمور، يقلبها على أوجهها المختلفة، معتمدًا في ذلك على مقوماته العقدية والثقافية وتجربته الذاتية، حتى يصل إلى رأي يتوافق مع كل ذلك.

والله سبحانه وتعالى حين ميز الإنسان بالعقل، أطلق له الحرية في أن يوظفه فيما فيه نفعه وفائدته، على أن يلتزم في ذلك بالحدود التي ترسمها له شريعة الخالق، ومن ثم فإن الشورى مبدأ إنساني يكتسب بعدًا أخلاقيًا بارتباطه وتلازمه مع الشريعة بما تحمل من قيم نبيلة.

هذا البعد الأخلاقي الذي يحكم الشورى في الإسلام، واسترشادها بهدي الشريعة وقيمها، يجعل من مقارنتها بالديمقراطية الغربية ظلمًا لها، إذ لا تتوافر عناصر تلك المقارنة ومقوماتها؛ فالديمقراطية في الغرب اعتمادها الأساسي على رأي الأغلبية التي تحدد نتائج انتخاباتها ـ ذات المظهر الاحتفالي ـ أهواء جماعات المصالح وتكتلات أصحاب النفوذ المادي والاجتماعي، الذين يمارسون الاستقطاب على الفئات غير الواعية في المجتمع، مستغلين أساليب إقناع، قد لا تستند إلى الحقائق، بقدر ما ترفع شعارات لها بريقها عند تلك الفئات المطحونة اجتماعيا واقتصاديا، مما يعني في النهاية تغييب مصالح الأغلبية، وتكريس السيطرة الاجتماعية والسياسية للفئات الأكثر نفوذًا، وعلى ذلك فإن القول بأن تلك الانتخابات تعبير عن الأغلبية فيه تزييف للحقيقة، وتجنٍ على تلك الأغلبية، وحتى بغرض نزاهتها وتعبيرها عنها، فإن عدم وجود الضوابط الأخلاقية والاجتماعية لها، يجعلها تهوي بالمجتمع في مهاوي الفساد والرذيلة، فالنفس الأمارة بالسوء قد تزين لتلك الأغلبية أمورًا لا تتفق والفطرة الإنسانية السليمة، وهذا ما نجد له آثاراً في قوانين تُسن في الغرب بمباركة الأغلبية وممثليها في السلطة التشريعية، كإباحة الرذيلة والشذوذ، والتزاوج بين الجنس الواحد، وغير ذلك من القوانين التي تجافي هذه الفطرة، بل إن الأغلبية في إحدى دول الغرب اختارت امرأة تمارس العرى في الملاهي الليلية لكي تمثلها في البرلمان، وقد أصرت ممثلة الأغلبية هذه على حضور أول اجتماعاته عارية، فأي توجيه وإرشاد يُرتجى من مثل هذا التمثيل للمجتمع؟!

هذا الغياب للبعد الأخلاقي والعقدي عن ديمقراطية الغرب أدى إلى التفسخ الاجتماعي، والانحلال الأخلاقي، مما يهدد حضارة الإنسان بالفناء.

إن الله تعالى العالم بنوازع النفس البشرية وما تتسم به من ضعف، قد حدد في كتابه الكريم سمات الجماعة المؤهلة الراشدة وصفاتها، المؤهلة خلقيًا وتربويًا لتطبيق الشورى وجني ثمارها، حيث يقول سبحانه: ﴿فما أوتيتم من شيءٍ فمتاعُ الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون. والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ الشورى ٣٦ ـ ٣٨.

وتتركز هذه السمات والصفات كما بينتها الآيات في الإيمان بالله والتوكل عليه والرغبة فيما عنده، والتزام أوامره، واجتناب نواهيه، وابتغاء مرضاته، والعفو والسماحة، والتكافل الاجتماعي فيما بين المؤمنين، وهي لاشك صفات لازمة لضمان شورى إيجابية تبني ولا تهدم، فيها التواصي بالخير وإخلاص النية. فالقرارات الصالحة الراشدة يكفلها مجتمع صالح، يستقيم أفراده على الجادة، ويلتزمون بالنهج الأخلاقي القويم الذي لا يقيم وزنًا لمصالح الذات وأنانيتها.

وقد كان للشورى في العهد النبوي مكانة سامقة، يفصح عنها قول أبي هريرة رضي الله عنه: «ما رأيت أحدًا أكثر مشورة لأصحابه من الرسول ﷺ». كما تبين لنا السيرة النبوية العطرة أن النبي ﷺ كان يستشير أصحابه في كل الأمور التي لم ينزل بشأنها وحي من السماء؛ ابتداء بقضايا الحرب والسياسة، وانتهاءً بالمسائل الشخصية الخاصة، فقد كانت حركة الحياة المتجددة تفرض على الرسول الكريم استشارة أصحابه، والاسترشاد برأيهم، وكان تطبيقه لمبدأ الشورى متسمًا بالمرونة والتوافق مع ظروف الواقع، واقتفى الخلفاء الراشدون أثره الكريم واجتهدوا في إبداء الرأي والمشورة في القضايا التي استجدت في عصرهم، والتي لم يرد فيها نص قطعي في الكتاب والسنة.

إن هذه السنة العملية التي سنّها رسول الله ﷺ في تطبيق مبدأ الشورى وسار عليها خلفاؤه الراشدون، توجب علينا الاقتداء بها إنفاذا للقاعدة الإسلامية التي يوجبها قوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ الحشر ٧، مستفيدين في ذلك من التراث الثَّر، الذي خلفته هذه الممارسة العملية لمبدأ الشورى في عهدي النبوة والخلافة الراشدة، في أسلوب الحوار الموضوعي بين أفراد المجتمع على أساس من العدل والمساواة من أجل صالح الجماعة المسلمة عقيدة وحياة، وهذه المرونة التي يتسم بها تطبيق الشورى في الإسلام تُنمي فيها قدرات التجاوب مع مقتضيات كل عصر. ففي عصرنا هذا ـ مثلا ـ الذي تتزايد فيه أهمية التخصص الدقيق في العلوم والمعارف، يقتضي تطبيق مبدأ الشورى أن يكون الاجتهاد وإبداء الرأي والمشورة لمن له علم ودراية بالأمر المطروح، إذ ليس في مقدور الفرد الواحد أن يحيط علمًا بكل المسائل والقضايا، وفي ذلك توافق تام مع روح المرونة التي قصدها الإسلام في تطبيق هذا المبدأ المهم. ورغم هذه المرونة وقدرات التجاوب مع ظروف الزمان والمكان التي تميز الشورى في الإسلام، تعرض هذا المبدأ الإسلامي، في ظل الهجوم العام على قيم الإسلام ومبادئه، للتشويه والتحريف، مما كان له أكبر الأثر في إعراض كثير من أبناء الإسلام عن الأخذ به، فوُجد منهم من انبهر بديمقراطية الغرب، ومنهم من راقت له (دكتاتورية البروليتاريا) للشرق الماركسي فطبقوهما بحماسة، فكانت النتيجة الحتمية فشلاً ذريعًا، تداعت على إثره البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لكثير من هذه البلدان، واستشرى فيها الفساد وقُضي على الدوافع الذاتية للإبداع، وسادت آفات اجتماعية عديدة هددت كيانها ووجودها.

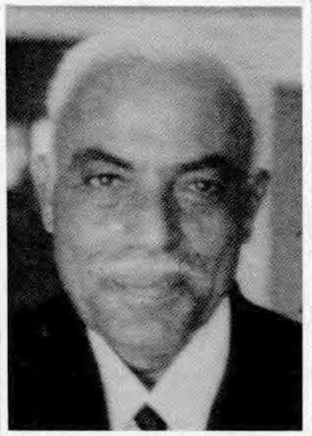
في مقابل ذلك أقام الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ بناء دولته، على أساس التوحيد الخالص، يدفعه لذلك إيمانه بعقيدته وصلاحها لكل زمان ومكان، غير مكترث بالمناخ السياسي المكرس للتبعية، والاستلاب الفكري الذي كان يمارسه الغرب الاستعماري المسمى (بالديمقراطي) على البلدان المحتلة، وغير آبه، كذلك، بشعارات الخلاص التي كانت ترفعها الشيوعية.

وقد كانت الشورى في موقع القلب من هذه البنية الفكرية للملك عبد العزيز، فأكد عليها، وَرَسَّخَ تقاليد ومبادىء للتواصل الإيجابي بين الراعي والرعية، تتفق ومرامي الشرع الحنيف، من ذلك مبدأ الباب المفتوح الذي يتيح للمواطنين اللقاء المباشر بحكامهم دون حاجب أو وسيط. واتساقًا مع مرونة تطبيق مبدأ الشورى في الإسلام، وما تتسم به قضايا العصر من تشعب وتعقيد، فقد أنشأ الملك عبد العزيز مؤسسات للشورى تستجيب لحاجات الواقع المعاصر، حيث أنشأ أول مجلس للشورى في منتصف عام ١٣٤٣ هـ باسم المجلس الأهلي، ثم تلا ذلك أربع مراحل، كانت كلها تطويرًا لقنوات الشورى، وتجديدًا لأساليب التواصل بين المواطنين حكامًا ومحكومين من أجل صالح الوطن، واتفقت جميعها في التركيز على الصيغة الإسلامية، وتوكيد الهوية الفكرية والعقدية والثقافية مع مراعاة خصوصية المجتمع السعودي. والمتأمل لكلمة الملك عبد العزيز في دورة المجلس المنعقدة في ٧ ربيع الأول ١٣٤٩ هـ، يجد فيها عمق الوفاء للإسلام ـ عقيدة وشريعة ـ: «وإنكم تعلمون أن أساس أحكامنا ونظمنا هو الشرع الإسلامي، وأنتم في تلك الدائرة أحرار في سَنِّ كل نظام وإقرار العمل الذي ترونه موافقا لصالح البلاد على شرط ألا يكون مخالفا للشريعة الإسلامية». ومن فضل الله علينا أن يستمر هذا المبدأ الإسلامي توجهًا وممارسة في التأصل والتجذر مع توالي الأيام والسنين، وذلك بتجديد قنواته وتعزيز أساليبه ووسائله ليأتي افتتاح خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ـ حفظه الله ـ لمجلس الشورى في اليوم السادس عشر من الشهر الماضي مؤكدًا هذا المنحى، ومبشرًا بمرحلة جديدة في تاريخ بلادنا توثق ما هو قائم أساسًا وترسّخه في أطر تنظيمية حديثة.

إن مجلس الشورى الحالي بأسسه الفكرية، وأطره التنظيمية وأعضائه الممثلين للتخصصات كافة، يستلهم الماضي بكل تجاربه ودروسه، ويستقرىء الحاضر وما في ساحته من وقائع وأحداث وإنجازات حضارية تفتح لها بلادنا أبوابها، كما يؤكد ذلك قول خادم الحرمين الشريفين ـ حفظه الله ـ: «إننا لا نغلق بابنا دون المنجزات الحضارية النافعة، لكي نستفيد منها بما لا يؤثر على قوانيننا وهويتنا».

وهذا الانفتاح الحضاري لبلادنا على تجارب الآخرين والتطلع الواعي للمستقبل، يلقي على أعضاء هذا المجلس عبئًا كبيرًا، يستوجب البحث وعمق الدراسة في القضايا التي تعج بها ساحة العمل الوطني والدولي. وإنها ـ حقا ـ لمسؤوليات جسيمة وأمانة عظيمة هم ـ إن شاء الله ـ أهلٌ لها.

د. زيد بن عبد المحسن الحسين



الدراويش مهّدوا للصهيونيّة

بقلم: د. حسن ظاظا

من مفاخر «العبقرية» الصهيونية أنها أقنعت العالم كلّه ـ على طول هذا القرن العشرين ـ بأنها دعوة إنسانية، حضارية، تقدّمية، وأن استقرارها في فلسطين سوف يحمل إلى سكان البلاد الأصليين (الفلسطينيين) وإلى من حولهم من الشعوب العربية في آسيا وإفريقية، وربما العالم كله، النور، والقوة الإبداعية، والخصب، والعدالة، والتحرير، والتنوير. هكذا كانوا يقولون، كأنهم سرقوا هذه الوعود الخلاّبة البرّاقة من الشيوعيّة! ثم انهارت الشيوعية بين عشية وضحاها. وبعد أجيال متعاقبة في عشرات من أمم العالم، قامت فيها قيادات عفنة عميلة، تفتحت العيون فجأة على الخداع والسراب! وبقيت الصهيونية مع ذلك في داخل فلسطين وخارجها، مستفيدة، في دعايتها السياسية، من ماضيها الأليم مع اللاسامية الغربية، وبخاصة في الحقبة الألمانية الهتلرية، التي لولاها لكانت الصهيونية قد أفلست، أو انكمشت ـ على أكثر تقدير ـ في داخل بعض ممتلكات قليلة في فلسطين. لكن الحرب العالمية الثانية التي اضطرت اليهود إلى إعلان انفسهم «أمة شهيدة» متحالفة مع الغرب، مستظلة بحمايته السياسية والعسكرية والاقتصادية، أدّت إلى قيام الدولة الصهيونية في قلب العالم العربي، بعد نهاية هذه الحرب بثلاثين شهرا.

ولو أن هيئة من الباحثين بدأت عملا جدّيا تتوافر فيه الأناة والتجرد والقدرة على الخوض في خضمّ الوثائق المختلفة، لوصلت إلى ربطٍ أصحّ للنتائج بأسبابها، ولتبيّن لها أن الاكتفاء بإلصاق بطاقة «اللاسامية» على ظاهرة تاريخية معيّنة، لا يمكن أن يكون إلاّ هروبا من عناء التحقيق والتدقيق، ففي الدنيا مسلمون وهندوس وبوذيون وكونفوشيون، وما لا ينتهي إليه حصر من المذاهب والعقائد والأديان والأنساب والأصول، وكثير منها يتعرّض لموجات من الكراهية والعداوة والصراع، ومع ذلك ليست منهم «أمة شهيدة» بالصورة التي تصف الصهيونية اليهود بها. حتى هذه الحرب العالمية الثانية، وحتى لو سلّمنا بالأرقام التي تقدّمها الصهيونية للعالم: ثلاثة ملايين.. أربعة.. خمسة، ثم ماذا؟ لقد مات للصين في وجه الغزو الياباني أضعاف ذلك، حتى إن أول فكرة خطرت للإمبراطور الياباني الجديد، عند زيارته الرسمية للصين، كانت التعبير عن الأسف والندم لكل ما حدث. والروس في قتال الهتلرية فقدوا أكثر من عشرة ملايين من زهرة شبابهم، ولا أتحدث عن قديم الزمان، وسالف العصر والأوان، حيث بادت أمم بأسرها، بكل حضاراتها، الشامخة، مثل السومريين في العراق، والآزتيك والمايا في أمريكا الوسطى ـ وهم بناة أهرام كالفراعنة ـ والأتروسك في ايطاليا، والأورارتو في أعالي الدجلة والفرات، وغيرهم كثير. فلماذا يحتكر الصهاينة فكرة «الأمة الشهيدة» لأنفسهم، ولماذا يزعمون أن أمتهم ـ التي اختارها الله ـ تعيش منذ الأزل في الخوف والبكاء والاحتقار والازدراء؟ إن أنبياءهم قد وصفوهم بأنهم «قوم صلاب الرؤوس، غلاظ الرقاب». وإذا كان الله تعالى قد اختارهم حقا، فإن الدلائل كلها تقوم على أنهم هم لم يختاروه، حتى وموسى وهارون معهم، وبين ظهرانيهم.

فمنذ شاهدناهم على مسرح التاريخ وهم «الأمة المشاغبة» الباحثة عن المشكلات، والمستفيدة منها، واللاسامية الحديثة لم تظهر في الغرب من لا شيء. امتلأت أوربا باللاجئين اليهود من القمع العسكري الروماني في مصر، والشام، والعراق، وآسيا الصغرى، وشمال إفريقية، منذ انتشار النفوذ اليوناني في تلك الأقاليم، مع فتوح الإسكندر المقدوني، أولاً، ثم الروماني من بعده. ففي ذلك العصر البعيد كان اليهود في تلك المستعمرات يستولون على الإنتاج

الدراويش مهّدوا للصهيونية

الضروري لحياة الأمة التي يعيشون في كنفها، ويقومون بدور الوسيط بينها وبين الجيش المحتلّ، حتى كرههم الطرفان. والذي يقرأ كتابات لوقيانوس السميساطي (سوري من العصر اليوناني) يجد السخرية اللاذعة يصبّها هذا الأديب الضاحك على معاصريه اليهود، والذي يقرأ كتابات المؤرخ اليهودي يوسيفوس (من العصر الروماني) يجد أنه خصص كتابا كاملا للرد على كتاب مفكر يوناني اسمه آبيون نشر فيه مثالب اليهود، وحذّر من خطرهم على الأفكار والحرّيات. ولن يدهش القارئ إذا علم أن كتاب آبيون اختفى، وبقي كتاب يوسيفوس للردّ عليه! وتكرر ذلك في كتاب آخر ظهر في الإسكندرية، لمؤلف روماني اسمه كِلْسُوس، يبين فيه خطر اليهود على العلم والحضارة. وضاع الكتاب، ولم تبق منه إلا مقتطفات ندّد بها الكُتّاب المسيحيون القدماء، للدفاع عن قدسية اليهود، لأنهم حافظوا على توراة موسى وكتب الأنبياء وأسفار الحكمة، وهي الجزء الأكبر الذي تقوم عليه النصرانية. بل إن التبرم بمضايقات اليهود أشعل ثورة من الشعب في الإسكندرية، في أيام البطالسة اليونانيين. وأراد الحاكم أن يعرف كتاب اليهود الذي تُنسب إليه هذه التُّهم، فأمر الحاخام الأكبر بالإسكندرية بترجمة كتاب اليهود ذاك من العبرية إلى اليونانية. واهتم الحاخام بالأمر، وجمع له سبعين عالما يهوديا ممن يتقنون العبرية واليونانية، وتعمد أن يكون عددهم سبعين كعدد الصحابة الذين اختارهم موسى عليه السلام، وتمّت هذه الترجمة، وبقيت بلغتها اليونانية إلى يومنا هذا، على مستوى عالٍ من الجودة والدقة، وأصبحت تسمى عند الباحثين باسم «الترجمة السبعينية». وصدرت فتوى من رئاسة الدين اليهودي بالإسكندرية باعتبار هذه الترجمة صحيحة، وجواز التعبّد بها. وأبى الشعب المشاغب إلاّ أن يثير حول هذا مشاغبات أيضا. فالحاخام الأكبر ليهود القدس يكتب إلى الإسكندرية بإبطال تلك الفتوى، والعودة إلى النسخة العبرية، وسؤال المجلس اليهودي في القدس (أورشليم) عن تفسير ما أشكل منها. واتهمت الإسكندرية القدس بالجهل والجمود والتعصب، فردّت القدس بتهمة «تكفير» يهود الإسكندرية!

ظهور اللاسامية

كل هذا حتى أضع القارئ الكريم في جوّ الشعب اليهودي، الذي أدّى إلى ظهور «اللاسامية»، أي عداوة اليهود، والدعوة إلى التخلص منهم على أي وجه من الوجوه. والبحث الآن يكاد يشبه البحث عن أيها أسبق في الظهور: البيضة أم الدجاجة؟

وهنا أيها أسبق: اللاسامية أم الصهيونية؟

أول حركة من اللاسامية جاءت من فرعون مصر. لكن كانت قد سبقتها حركة تقدير ومحبة وإعجاب وترحيب باليهود، في أيام يوسف ويعقوب عليهما السلام. ففرعون سلّم مقاليد السياسة والاقتصاد ليوسف، وسمح له بأن يبيع من مخزون الغذاء الموجود بمصر لبني إسرائيل القادمين من فلسطين. وعندما فُتحت أبواب مصر لإخوة يوسف، اشتاق إلى أبيه وأمّه، فاستأذن فرعون في إحضارهما من فلسطين. فأذن له فرعون على الفور، كما أذن بأن يقيم أهل يوسف في مصر، وفي أنسب بقاعها لهم، بشرق الدلتا، في إقليم من أخصب أراضي مصر، وأكثرها اعتدالا في المناخ، وأقربها من بلاد الشام. لكن اليهود - أو بني إسرائيل — كانوا قد كثر عددهم جدا في مصر، في وقت كانت الإمبراطورية الفرعونية قد ضعفت، وباتت تخشى غزوًا عسكريا من الشرق. وأحسّ فرعون باحتمال خيانة إسرائيلية له، بالانضمام إلى أعدائه الغزاة. فاندلعت حملة رعب — سياسي وعسكري - من هؤلاء الأجانب، ووصلت إلى الاضطهاد، أي اللاسامية. وكل هذا مشار إليه تفصيلا في التوراة (سفر الخروج). وكان الظرف السياسي والاجتماعي مناسبا لبعثة موسى عليه السلام

○ أول حركة من اللاسامية جاءت من فِرْعَوْن مِصْر لإحساسه باحتمال خيانة إسرائيلية. ○

لإنقاذ اليهود من بطش فرعون، وتبليغ شريعة إلْهية وحدانية، في غضون رحلتهم مع موسى إلى أرض كنعان (فلسطين)، وسط مشاغبات وثورات ضد موسى نفسه.

فالتسامح والترحيب أولا، والقهر والبطش ثانيا، كانا لأسباب سياسية واجتماعية وأمنية، لا علاقة لها بالعصبية الدينية أو العنصرية. وعلى هذا الضوء يمكن أن نبحث كل حركات اللاسامية فيما بعد، على منهج باحث يهودي من القرن الماضي هو الفرنسي برنار لازار الذي نشر كتابا من جزأين بعنوان «اللاسامية»، أغضب الصهيونية الناشئة في زمانه لأنه تجرأ وبدأ يبحث في أسباب العداوة لليهود «اللاسامية» من سلوك اليهود أنفسهم.

وقد تتعقد الأمور أمام الباحث، وتتشعب عليه المسالك فيقف حائرًا، أو يصدر حكما جائرًا. من ذلك حركات اللاسامية في أوروبا في العصور الوسطى. لماذا؟

إذا كان الدين اليهودي - في صورته اللاهوتية التي يعتقدها اليهود - قد فقد صورة الدعوة الرسولية، أي التبشيرية العالمية، وانكمش داخل القوقعة اليهودية الصغيرة جدا، فإن الدين المسيحي قائم بخلاف ذلك على التبشير، ودعوة الناس كافة إلى الدخول فيه، وكذلك الإسلام. ووجود اليهود بأعداد كبيرة جدا

في أوربا بعـد الشتات الـروماني سنـة ٧٠ م ثم بعد مـوقعة «مَسَـادَة» على طريق البحـر الميت، عام ١٣٥ م. هـذه التجمعات اليهـوديـة في أوربا بـاتت تخاف التبشير المسيحي، فاعتزلت ـ كدأبها دائما ـ في أحياء وقرى ومستوطنات خاصة بها، تسمى «جيتو»، أي حارة اليهـود. واشتعلت الحروب الصليبية بين الشرق الإسـلامي والغـرب المسيحي، وكـان المسيحيـون يطلقـون على أنفسهم اسم الصليبيين، وسمّاهم جيرانهم اليهود «غزاة الصليب». أما المسلمون فرفضوا لهم هـذه التسمية، واكتفـوا بتسميتهم «الفرنجـة» أو «الإفرنج» حتى يبرزوا للعـالم صفتهم السيـاسية والعسكريـة، لا الدينيـة، كما لاحظ ذلك البـاحـث الأستاذ أمين المعلوف في كتاب نشره باللغة الفرنسية عنوانه «الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين المسلمين».

اليهود والتبشير المسيحي

كـان خطـر التبشير المسيحي على المسلمين ضعيفـا جـدا، يكـاد يكـون معدومًا، وكان بعكس ذلك عنـد يهود أوربا. فكتاب اليهود كله مشترك بينهم

○ خشيت اليهودية على أبنائها الانتقال إلى المسيحية فألف حاخاموها تاريخًا مكذوبًا لمولد المسيح. ○

وبين المسيحيين، والمسيحيـون هم أهل أوربـا الأصليون، على حين أن اليهـود دخلاء. واليهود في العصور الوسطى متخلفون حضاريا عن المسيحيين، بسبب التزمّت القـاسي الذي فـرضه عليهم أحبـارهم، الذي كـان يصل كثيرا إلى حدّ الإرهاب. مع فخامـة الأعياد المسيحية، وطقوسها الجذّابـة، وأساطيرها الكثيرة عن القديسين والشهـداء والحواريين والرهبان، حتى باتت اليهـودية تخشى على أبنائهـا الانتقال إلى المسيحية بما تمنحه مـن مزايا وتسهيلات، ومـا ينشره دعاتها ومبشروها عن يهود أوربا من صفات القذارة والبخل وعبادة المال.

ولم تُفِدْ تحذيرات الحاخامين من الشِرْك المسيحي (الثـالوث) والوثنية (عبادة الصليب) ومخالفة الإنجيل وفتاوى البابوات لنصوص التوراة. فانتقلوا إلى دعاية إيجابية في قصـة كتبوها وروجـوها بعنـوان «سيرة يسوع»، وهو تـاريخ مكذوب لمولد المسيح عليه السلام من أمه السيدة مريم العذراء. وانتشرت القصة انتشارا واسعا في أعالي العصور الوسطى، وكثرت مخطـوطاتها، حتى قام بنشرها باللغة الألمانية عـام ١٩٨٧ غونثر شليشتنغ في تـوبنغن. ثم لخصها البـاحـث الفرنسي مـوريس رأوبيني حَيُّون في بـداية كتـابـه «الفكر اليهـودي الحديث» ـ بـاريس ١٩٨٩ م ـ وعنه أترجمها هنا، مع التذكير بأن ناقل الكُفْر ليس بكافر:

أشخاص هذه القصة (الملكة هيـلانة) يهودية، مريم أم المسيح (من أقارب هيلانة)، يوسف (النجّار) عشيق مريم الوَلهان. ينجح يوسف في إغراء العذراء مريم، إذ بدأ بتفحّص شخصية خطيبها (يوحنا) بعد أن ارتبط معه بصداقة لهذا الهدف. ووقع اتصال يوسف بمريم في أيام حيضها، ثم فشل في إخفاء جريمته وألصقها بيوحنّا الذي كان معروفا بالورع والتدين والتزام أحكام التوراة، فأقسم أنـه لم يرتكـب هذا الجرم المنصـوص على تحريمـه في التـوراة، خصوصـا في فترة الطمث. وبعد ثبوت براءة يوحنا غضبت عليه مريم، لأنه وضع ثقته في صديق غير أمين. وعلى أثر هذا الخلاف ذهب يوحنـا إلى أستاذه «شمعون بن شِيطَحْ» يسألـه النصيحة، فأوصـاه بأن يُحكم إغـلاق الأبواب والنـوافذ في بيت مـريـم، وأدرك يوسف النجار خطورة الإقدام على العودة إلى مريم، فقطع زيارته. وأمام القيل والقال أحسّ يوحنا بأن سمعته في خطـر، فهرب إلى أرض بابل بالعراق، وتفرغ لـدراسة الشريعة. أمـا مريم فأحست باليأس وعـادت تنصت إلى إغراء يـوسـف النجـار، ثم انحـرفت نهائيـا، واحترفت الـدعـارة، وصـارت من الومسات!.

هكذا أحاط الغموض بأصل يسوع ومولـده. ثم شبّ الولد، وصار تلميذا في المدرسـة الدينيـة، فأبدى من الـذكـاء والفطنة مـا جذب إليـه أنظار زمـلائه وشيخـه، فأصابـه الغرور لـدرجة أنـه تجرأ في غياب الشيخ على تفسير إحـدى الشرائع المقـدسـة، على الـرغم من تنبيـه الـزمـلاء وتحذيـرهم، وتهديـدهم لـه بالعقـاب. وتدخّل الأستاذ عنـد عودتـه لتهدئة الأمر، لكن سـوء أدب يسوع لم يقف عند حدّ، إذ قارن نفسه بموسى الذي بدأ تعليمه عند كاهن مدين (هكذا اسم شعيب عندهم) ثم صـار بعد ذلك «رسول الله». واتضح لشيخـه أن هذا الشاب جـاوز بوقـاحته الحدّ، ولابُدّ أنه «ابن حـرام»! وأمام هـذه الشبهة التي أثـارها الشيـخ، هرب يسـوع من البلـد، وأرغم أمّـه على الاعتراف بالحقيقـة. فأخبرته أنها حملت بـه من خطيبها المختفي يوحنا. ثم مضت مـدة من الزمان، وعـاد أستـاذه فسمح لـه بمتـابعة القـراءة عليـه. لكن عـاوده غـروره فـادعى الألوهيـة، وراح يبيح ما حـرّمته التـوراة ـ بصفته الـربّ! ـ خصـوصا في شرائع السبت، ثم مارس ضغطا على مجلس القضاء الأعلى (السِنْهَدْرِين) لِكَيْ يُحضر أمه للتحقيق، فاعترفت بأنها ولـدته من زنا، أثناء إقامتهـا مع عشيقها (يوسف النجار). لكن المحكمـة أخلت سبيلها! أمّا يسوع فاستمـرّ في مغامـراته حتى قبض عليه وحـوكم وسجن. لكنه فرّ مـن السجن. ودخل بعد هذا في ممارسة السحر، فكان يمشي على الماء، ويدعو السمك فيأتي إليه، ويطعم منه أتباعه، ويضاعف لهم الخبز على المائدة حتى لا ينفد، ويكسوهم بالجديد من الثياب. وفي النهاية تم القبض عليه ورجمه بالحجارة وتعليقه ودفنه!

هـذه هي الأكاذيب التي كـان يهرف بها أحبار اليهـود، وهي لا تخرج عن تحدّيهم لكل نبي جاءهم. فهم يطـالبونـه أولا بمعجزة، فإن عجز عنهـا، فهو أفّاق وكذّاب ومحتال، وجزاؤه القتل، وإن عملهـا فهو مشعوذ وساحر، وجزاؤه القتل أيضا! أما العقيدة المسيحية فهي عنـدهم دين فاسد، لأن دعوة المسيح لم تبق خاصة بالشعب المختار، بـل كانت للبشر جميعا، وكسرت بذلك الاحتكار الكهنوتي اليهـودي، بل إن الدعاة مـن شيوخ المسيحية الأوائل ـ وفي مقدمتهم

الدراويش مَهّدُوا للصّهيُونيّة

القديس بولس الذي كان يهوديًا من علماء بني إسرائيل ـ قد نصحوا بترك اليهود وعدم إضاعة الوقت معهم، والانصراف إلى نشر الدعوة بين غيرهم من البشر، لا سيما الفقراء والعبيد والمستضعفين في الأرض. وكان اليهود يعتبرون المسيحيين من أخطر أعدائهم، فاتهموهم بالارتداد عن التوحيد، وألحقوهم بالكفّار. أما المسيحيون فكانوا ينظرون إلى اليهود على أنهم قتلة المسيح والمنافقون في الدين (رسالة مارتن لوثر مؤسس البروتستانية بعنوان: نفاق اليهود، ترجمها المرحوم عجاج نويهض إلى العربية ونشرها في بيروت).

فاللاسامية لم تنشأ ـ كما قلنا ــ من فراغ، بل إن شعوب أوربا قد عانت من استغلال اليهود لهم، خصوصا في فترات الحروب، وهي كثيرة في العصور الوسطى، مما زاد من هذه الكراهية. ولم يكن اليهود بعيدي النظر في موقفهم من المسيحيين في أوربا، لأنهم الأغلبية الساحقة، ومنهم البابوات والملوك والكرادلة والأساقفة والأمراء، وتحت إمرتهم الجيوش، ولهم أعوانهم في كل مكان. فمساكنة اليهود لهم مع إصرارهم على تصنيفهم في الكفّار كانت مصدر إثارة لمزيد من الحقد والضغينة، إلى أن جاء الحاخام المجتهد مناحم بن سالومون هامثيري (من جنوب شرقي فرنسا) فصحح هذا الموقف، وأعلن أن المسيحية ـ كاليهودية ـ ديانة سماوية تؤمن بالوحدانية، وكان هذا في أواخر القرن الثالث عشر أو أوائل الرابع عشر، لأن هذا الحاخام ولد عام ١٢٤٩ ومات عام ١٣١٦ م. واستدل الباحثون على أن قصة اليهود عن المسيح وأمه كانت منتشرة قبل هذه الفترة.

ظهور التصوف اليهودي

في هذه العواصف من الكراهية ظهر التصوف اليهودي، وبطبيعة الحال حظيت فيه (أرض الميعاد) ومدينة القدس (أورشليم) بنصيب الأسد، حتى تقاطر الحجاج اليهود إليها من جميع الأرجاء، واستوطن عدد كبير من العلماء والصوفية اليهود فلسطين، وقامت لهم (أكاديمية) في مدينة صفد بشمال فلسطين، لأن أورشليم ـ القدس كانت مملوءة بجماعات يهودية أخرى تعيش من صدقات الحجاج، ولا تكاد تعرف شيئا من الدين، إلاّ بعض الشخصيات الصابرة المغامرة. ومن أجدر علماء صفد بالذكر هنا الفقيه اليهودي المتصوف يوسف بن إفرايم كارو، وهو من مواليد البرتغال عام ١٤٨٨ م. رحل في شبابه من بلده إلى تركيا هربا من التعصب البرتغالي ضد اليهود، وكان رحيله مع كل أسرته، وسكنوا في أدرنة، واشتغلوا بالتجارة. أما يوسف كارو فسافر إلى صفد حيث قرأ على الحاخام المتصوف يعقوب براب، وانتهت إليه رئاسة القضاة في المحكمة الملّية اليهودية، ثم رئاسة الأكاديمية الدينية (اليشيفا) وهي معهد عالٍ للاّهوت والشريعة اليهودية حسب تعاليم التوراة والتلمرد، يمنح شهادة اسمها «الإجازة» ـ (سِمِيخَة) باللغة العبرية. وكان الطالب يؤدي اختبارا أمام شيخ من المشاهير أو جمع من الشيوخ، ويصدر الحكم بإجازته في نهاية الامتحان بصوت جهوريّ يقول: يُعَلِّم ويُعَلِّم. . يَقْضِي ويَقْضِي! مع التكرار للتأكيد. ومن أشهر كتب يوسف كارو: «شُلحَانْ عَارُوخْ» أي المائدة المرتبة، وهي مجموعة الشرائع والقوانين والأوامر والنواهي والطقوس والعبادات المنصوص عليها في جميع كتب الفقه اليهودي، وهو عمل ضخم جدا تُرجم إلى كل لغات العالم الذي تقيم فيه جالية يهودية، ولا تخلو منه مكتبة ولا محكمة يهودية.

وقد تصوف الرجل، وتدروش، في آخر حياته، وقال بأن أصل التصوّف يتسلسل من الله إلى موسى ثم يوشع بن نون ثم الجماعة الكبرى إلى ملك داود وسليمان في أورشليم.

كانت الأكاديمية اليهودية في صفد قد جنحت إلى لون من التصوف أصبحت به (حركة) ملحوظة تقوم تأملاتها على قرب ظهور (المسيح المخلّص)

> ○ ادّعى بعض اليهود أن أصل التصوّف يتسلسل من الله إلى بعض أنبيائه. ○

لليهود. واشتهرت فيها كتيبة من الدراويش، أذكر منهم في القرن السادس عشر الميلادي: إسحق لُوريا، موشيه كُورْدُوفِيرُو، سالومون آلْقَابِصْ، موشيه الشيخ، وغيرهم ممن يكثر النقل عنهم في كتب (القبالة) أي الطريقة الصوفية، وكلهم ألهب عواطف القوم نحو (أرض الميعاد) ومدينة (أورشليم). وصادف انبثاق هذه الحركة اضطهاد اليهود في الأندلس (إسبانيا والبرتغال). وفي ظل هذا الاضطهاد الكاثوليكي، بعد طرد المسلمين من البلاد، ظهرت مذاهب (التقية) في اليهود ـ خصوصا في البرتغال ــ بظهور اليهود (المارانوس) أي المرتدّين، لأنهم أوصوا بأن تكون معابدهم في الظاهر مثل كنائس النصارى، وفي داخلها يتعبّدون كما رسم لهم شيوخهم، لأن المعبد ليس إلا وعاء مثل جسم الإنسان، على حين أن العبادة والإيمان مثل القلب والروح، هما الجوهر الأبدي.

في هذا الجو ظهرت وجوه يهودية سياسية، وصهيونية بحتة، أشهرها رجل من رجال المال هو دون يوسف ناسيء، من أغنى الأغنياء في البندقية. هال هذا البطل أن يرى اليهود هاربين من التنكيل الكاثوليكي في إسبانيا، وراح يفكر في حلّ يجمع بين الشطارة والتجارة. وعلم أن السلطان التركي العثماني سليمان القانوني، أو الأفخم كما كانوا يلقبونه في أوروبا، يجتاز أزمة مالية شديدة، ربما عجز معها عن الاستمرار في صرف رواتب جيشه الضخم الذي كان الغرب يحسب له ألف حساب. فقرر أن يزوره بهدية تنقذه من تلك الضائقة، وأن يسأله في الوقت نفسه أن يسمح بإقامة أعداد من اليهود الإسبان في فلسطين،

على أن يختار هـو لهم أرضا في إقليم طبرية ـ بـالقرب من صفد ـ يعملـون به في تربيـة دودة القز وإنتاج الحريـر. واتصل بقريبة لـه في هولندة، كـانت مثله في الثراء وازدهار التجارة، وكـانت على جانب كبير من الثقافة والجمال، فحضرت ومعها أموال كثيرة أيضا. فقدّما المال إلى السلطـان الذي اعتبر زيارتها إنقاذا له من الضيق. وتكريما ليوسف ناسيء أعطـاه رتبة أمير بحر (أميرال) في الأسطول التركي، وجعلـه حاكما لجزيـرة نكسـوس في بحـر إيجه. أما قـريبتـه الهولندية (السيـدة غراسيـا) فقـد عينها السلطـان كبيرة لـوصيفات القصر. واستجـاب كـذلك إلى مشروع إنتـاج الحرير، وقـامت في طبريـة مستـوطنة يهوديـة زراعيـة صناعية منتجة، لكن وباء الطاعون فتك بمن فيها.

ولولا ذلك لازدهـرت التجارة والصناعة والاستيطـان اليهودي في فلسطين، ولكن لله جنودًا منها الطاعون!

دراويش اليهود في فلسطين

كل هـذا والتصـوّف اليهـودي نشيط جـدا. وما كـاد القـرن السـابع عشر

○ «يهود الدّوْنمة» فرقة يهودية ادّعت الإسلام وكان منهم مسؤولون في حزب «أتاتورك». ○

الميلادي يستهل حتى كان تسرُّب الدراويش اليهـود إلى فلسطين أمرا ملحوظا، ومعهم من الخرافات الدينية ما شاء لهم خيالهم الحالم بأرض الميعاد. وفي أواسط هـذا القرن نسمع عن يهودي من شمال أوروبـا هاجـر إلى غزّة حيث عـرف بين اليهود باسم ناتان الغَزّاوي، واسمه الكـامل هو أبراهام ناتان بن إليشَعْ حاييم الإشكنازي (١٦٤٣ ـ ١٦٨٠ م). وكان عمله الظاهـر في غزّة هو التجارة، أما البـاطن فكان التصـوف (القبـالة) وحسـاب ما بقـي من الزمن لظهـور المسيح اليهـودي المنتظر. وشـاءت الظروف أن يلتقي بـآخـر من أولئك الدراويش هـو شَبتَـاي صِبي، وهـو يهودي تـركي من مـواليـد أزمير عـام ١٦٢٦ وتـوفي عـام ١٦٧٦. وكانت أسرة شَبتَـاي تشتغل بالتجـارة في أزمير، وكان مولـده في اليوم التاسع من آب (أغسطس) بـالتقويم اليهـودي، وهو يوم حـداد وصوم تـذكارا لخراب هيكل سليمان أمام جيش بختنصر الكلداني، وخراب الهيكل الثاني الذي شيده نبيّهم نحميا وافتتحه عـزرا (العُزَير)، على يد الرومان، فيوم مـولده يذكر بمصيبة مزدوجة. بدأ الفتى الدراسة الدينيـة ليقوم بوظيفة حاخام. وقرأ ضمن ما قرأ كتب التصوف (القبالة) لا سيما كتـاب الإشراق (زُوهَرْ) للحاخام لُورْيا. وتركز تفكيره على ما يقول له لوريا من أن الله تعالى «لا نهائي» لكنه (يتجلّى) لمن يشاء من عباده فيما يسميه صاحب الكتـاب «التجليّات السبعة»! وبدأ شبتاي يتساءل: مَاكُنْـهُ إلّه إسرائيل؟ ذلك الإلّه الذي نقيم له صلـواتنا؟ وظل حائرا، فقرر أن يسافر إلى القدس للحج، عام ١٦٦٢ م. وكـانت له مناقشات حامية

مع دراويش المدينة المقدسة، اتهمهم فيها بإحداث بِدع غريبة على الدين. وقرر أن يقتفي أثر إبراهيم ويعقـوب ويوسف وموسى بزيـارة مصر. وفي أثناء مروره بمدينـة غزة تعـرف على ناتـان الغزاوي، وأنَـسَ فيه صفـات تجذبه إليـه، منها اهتمامه بحساب الرموز الصوفيـة التي تبشر بالمسيح المنتظر، ففاتحه في أن يأخذ صفـة هـذا المسيح المنتظـر، ويستمـر في رحلته إلى مصر، في حين يقـوم نـاتـان الغـزاوي بتحضير الناس لقبـول هـذه الحركة. ونجح نـاتـان في هذه المهمـة، وادعى النبـوّة وأنـه (وكيل) المسيح المنتظـر في الأرض، والمكلّف بـاستقبـالـه. وتهافت جمهـور اليهود على فكـرة هـذا المسيح المخلّص، وكثـر أعوانـه في مصر والشام وتـركيا، لدرجة أن رئيس دار سكّ العملـة بالقاهرة، وهـو يهودي تركي اسمـه يوسف أفنـدي شلبي، وضع خـزانـة المال تحت تصرف شبتاي، فكـان يغترف منها ويعطي «الشعب» من غير حسـاب. وطار ذكر هـذا الدرويش في أوروبا. فكتبت إليه يهوديـة ثرية من مومسات إيطاليـا، اسمها سارة، تعرض عليه الـزواج، والحضور إلى القـاهرة ومعهـا كل أموالها، فقبل. وراجعـه بعض المقربين إليه في هذا الزواج، وفي سوء سيرة سـارة، فأخذته نشوة التجلّي وأجاب بأنه يشبه نبي اليهود (هوشع) الذي أمره الله أن يتزوج امرأة زانية (سفرهوشع ـ ١) فهو في مقـام الأنبياء. وعند مغادرة مصر التقى بصـاحبه ناتـان في غزة، وأعلن يوم ٣٠ مايو سنة ١٦٦٥ م أنه المسيح المنتظر، الأمر الذي ألهب حماسة اليهود في مدن الإمبراطورية العثمانية، وبخاصة في غزة وصفد ودمشق وحلب.

وكان في طريقـه إلى تركيا وسط حفاوة أتباعـه، إلى أن ألقت الشرطة التركية القبض عليـه في أوائل فبرايـر عام ١٦٦٦ م. وفي ١٩ أبـريل من السنـة نفسهـا حُبس في سجن غـاليبولي، وتحددت جلسة لمحـاكمته، ففـاجأ القضاة عنـدما دخل عليهم بالثياب الإسلامية، والمصحف تحت إبطه، وقال إنه دخل الإسلام على يد النبي ﷺ، وأنه سمّاه عزيز محمد أفندي، فاستراح السلطان التركي محمد الـرابع إلى هـذا الادعـاء، وأنعم عليـه بلقب «كـابـوتشي»، أي حـارس بـاب السلطان! أمّا رئيس الوزراء محمد بـاشا الصقلي فلم يطمئن إلى هذه الخرافات، وكان يرى الحكم بقتله لولا أنه نطق بالشـهادتين أمام المحكمة، فاكتفى بنفيه إلى «دُلْسِيلْيُو» وهي بلدة وعرة المسالك في ألبـانيا، حيث مات يوم ١٧ سبتمبر عام ١٦٧٦ م، ودفن هناك.

أما نـاتان الغزاوي فإنـه عندما سمـع بالقبض على مسيحه المنتظـر، فرّ من غزة، بل من فلسطين كلهـا، وراح يضرب في الأرض شريدا، وعندمـا بلغه أن شبتاي قد ارتدّ عن اليهودية إلى الإسلام، قال إن كل مسيح يظهر في اليهود لابد أن يرتدّ!

أما أتباع شبتاي فزعمـوا أنه كان يكتب إليهم سرّا من منفاه، ويشير عليهم بأن يظهروا الإسلام، ويبطنوا اليهودية، فصار بذلك مؤسس فرقة يهودية منشقة هي «يهود الـدونمـة» المنافقـون، واستمـر نشـاطهم في تـركيا حتى هـذا القـرن العشرين، وكان منهـم مسؤولون في حـزب تركيـا الفتاة بـرئاسة مصطفى كمال «أتاتورك» يؤيدون الصهيونية.

الطبيعة وتشكيل الإحساس الرومانسي في شعر الأمير عبدالله الفيصل



د. صابر عبدالدايم

تعد الطبيعة رافدا عميقا من روافد التجربة الشعرية، وموقف الشعراء منها له عدة اتجاهات، فهناك من يقنع بالوصف الخارجي للطبيعة، وهناك من يشرك الطبيعة معه في إحساسه، وهناك من يندمج فيها اندماجا كليا، وهذا الاندماج يسمى: الغناء الوجداني في مشاهد الطبيعة.

والرومانسيون يندمجون في الطبيعة، ويتخذون من مشاهدها أدوات فنية لصياغة مشاعرهم، وتبيان مكنونات أنفسهم، وهذا الاندماج كان وراءه هذا الإحساس الدامي بالاغتراب الزماني والمكاني، لذلك ينتاب الرومانسيين حنين جامح إلى الماضي، وإلى الحياة الفطرية النقية بعيدا عن حياة المدنية الزائفة، وقد عبر عن ذلك أحد رواد الرومانسيين وهو شاتوبريان قائلا: «كانت عزلتي التامة بين مشاهد الطبيعة سبب استغراقي في حالة تستعصي على الوصف، فكنت أحس كأنما يسيل في قلبي ما يشبه جداول من سيول بركانية متأججة، وكان يعوزني شيء أملأ به هوة الفراغ في وجودي»(١)

والشاعر «عبد الله الفيصل» في موقفه من الطبيعة لا يكتفي بالوصف الخارجي، ولا يندمج فيها اندماجا كليا، لكن يظل في تعامله معها في مرحلة وسطى، هي استخدام الطبيعة وتوظيفها للإفصاح عن مشاعره. وهو لا يترك الرمز ملغزا، بل يضيئه بالموازنة بينه وبين ما في الطبيعة من حالات مماثلة. **وهو يخالف الرومانسيين في أنه يتمتع بسكينة وجدانية يمليها عليه إيمانه بعقيدته التي تحرص على التوازن النفسي للمسلم.** فهو «لا يشغلك بفلسفة، ولا يجهدك باستقراء لتفسير معالم الكون، وأحداث الحياة وأسرارها. **فهو مطمئن إلى عقيدة راسخة، مرتاح إلى إيمان عميق، لا يرقى إليه شك، ولا تضطرب معه النفس.**

لا ثورة على قدر، ولا تجديف ولا غضب، إذا حل المقدور وناء بكلكله استجار منه به بالرضا مستعينا بالذكرى مما أضاع من أمل، وفقد من حب ورغد وهناء»(٢).

وقصيدة «البلبل الصامت» تجربة رمزية كان بإمكان الشاعر أن يكثفها ويعطيها أبعادًا أكثر عمقا، لكنه، كما قلت، يقف عند مرحلة بث الطبيعة مشاعره وآلامه، ولا يصل إلى مرحلة الغناء الوجداني، فالبلبل كان من الممكن أن يكون معادلا موضوعيا لذات الشاعر المثخنة بآلام الحرمان، والتصادم مع واقع الحياة المتجهم، لكن الشاعر جعل الحزن قرينا له، وحالةً مماثلة لحالته الشعورية والنفسية، إنه في مفتتح القصيدة يصور حالة البلبل الشعورية وفي الوقت نفسه يرسم مشهدا كونيا لحالته النفسية، يقول:

آثر الصمتَ بلبلُ الأدواح ... وتولّى عن روضه الممراح
وغناءُ الهزار عاد بكاءً ... وجفا حبه لكيد اللاحي

وحين نفكر من خلال الألفاظ، ونحدق في المفردة الشعرية التي استخدمها الشاعر في بناء صورته الشعرية، **نتساءل عن حقيقة هذا الصمت، ولماذا فضله البلبل؟ ولماذا تولى عن روضه؟ وما مسببات تحول الغناء إلى بكاء؟ ولماذا البكاء؟ ومن هو ذلك اللاحي؟**

إن كل هذه التساؤلات توحي بالكثافة الشعرية في هذين البيتين. فهما مفتاح القصيدة، وإن شئت فقل هما القصيدة كلها، وبعد ذلك يبتعد الشاعر عن دائرة الرمز الشعري إلى دائرة الوضوح. فيخاطب البلبل الصامت مصورا لنا بعض ما تساءلنا عنه، إنه يفك رموزه السابقة. فالبلبل أليف الشباب والأفراح، والشريك الصدوق في الأتراح، وكلمة «الصدوق» توحي بالصدمة العنيفة التي كانت ثمرة تعامل الشاعر مع الآخرين، فما أبعدهم عن دائرة الصدق والتعاطف الإنساني.

ويفصح الشاعر عن مسببات هذه المعاناة في ثلاثة أبيات يتصدرها الاستفهام الدال على فداحة الصدمة والإحساس بالإحباط، وقد تشابهت عليه الأشياء، وتداخلت الأزمنة، وغامت أمامه الرؤى، وقد صور ذلك في كثافة تعبيرية بتوظيفه للطبيعة الزمنية متمثلة في آيتي الليل والنهار. فقال متحدثا عن نفسه بأسلوب الغائب:

كيف يهوى الغناء من قد تحسّى ... من أسى الدهر مُترَعَ الأقداح

ودهتْــه بما يــروعُ العَـــوادي	فإذا الليـل عنــده كــالصبـاح
مِن أســاه ولــوعــةٍ تتلظى	تــركتــه في عــالم الأشبــاح

وكأن الشاعر بهذه الوسيلة اللغوية «صيغة الغائب» أدخل في تجربته كل حالة مماثلة. وما أكثر هذه الحالات. إنها قصة متكررة في كل زمان وفي كل مكان.

ولا يغفل الشاعر عن قرينه الحبيب «البلبل الصامت»، بل يعود إليه مرة أخرى بعد سفر في زمن الغياب وتنامي التجربة. ونبصر البلبل أمام الشاعر وجها لوجه. كأنه يستحثه على معاودة الغناء، ويمكن أن يكون البلبل صوت الشاعر الداخلي وحلمه الطامح إلى آفاق أعذب وأندى. إن الشاعر يبرر موقفه الأسيان مخاطبا البلبل مرة ثانية:

فاعذر اليوم ما ترى من ذهولي	وَدَعِ القلب مغـرقـا في النـواح
فالحيـاة التي أحب وأهـوى	أصبحت كالجحيم ملء جـراحي

إن الشاعر هنا يتوق إلى حياة من طراز خاص، ربما تكون الحياة المثالية التي ينشدها الرومانسيون، إنه يتصور أنه في عالم الأشباح، والحياة أصبحت في رؤيته كالجحيم ملء جراحه. وهذا التصور نفسه هو تصور الرومانسيين لعالمهم الذي يعيشونه ورغبتهم في عالم مثالي خالٍ من الشوائب.

فالذهول والنواح، والجحيم والجراح، والأسى، واللوعة، والبكاء، والتشوق إلى بناء عالم جديد، كلها آفاق رومانسية. بل نعثر على هذا المعجم صراحة في قول **شاتوبريان**: «كان خيالي المتوقد، وحياتي وانفرادي عن الناس سببا في أني انطويت على نفسي، ولم انطلق فيها حولي، وحين أعوزني الحبيب الحقيقي آثرت بقوى رغباتي الغامضة شَبَحًا لازمني، وتتضاعف لدي قيود تربطني بالشبح الذي صوره لي خيالي. على أني لا أستطيع أن أتمتع بما لا وجود له. فكنت كمن يحلم بضروب من السعادة لن تتاح له بحال، فيخلق لنفسه حلما تعادل ملذاته نكال الجحيم». (٣)

ويتكرر الإحساس نفسه والتصوير ذاته في **قصيدة «أين مني؟»**، حيث يتخذ الشاعر من الطائر تجسيدا لغربته فيقول:

يـا طيرُ هيّجتَ آلامي وأشجاني	بما تغنّيـــه من ألحان وَلْهانِ
بي مثلُ مابِكَ من أحزان مُغتربٍ	فالكلُّ منا وحيد ماله ثاني
بعثت شكواي ألحانا مرتّلَةً	وأنتَ شكواك ترجيعٌ لألحاني
تشكو فراق رفيقٍ كنت تألفه	أما أنا فَشَكاتي بُعْدُ أوطاني

وهذه القصيدة احتذاء شعوري وفني لقصيدة **شوقي** حيث يقول مطلعها:

يـا نائح الطلح أشباه عوادينا	نأسى لواديك أم تأسى لوادينا؟

ومن قبل شوقي يتحدر إلينا صوت مطيع بن إياس مخاطبا نخلتي «حلوان» وهو مغترب:

أَسعِداني يـا نخلتي حلوان	وابكيـاني من رَيْبِ هذا الزمان
ولعمري لو ذُقتما ألم الفُر	قة أبكاكما الذي أبكاني

والحلم لدى الشاعر هو الملاذ إذا ما تجهم الواقع وعَزَّت الأماني على التحقق. وهذا ديدن الرومانسيين في الاتكاء على الحلم وتوظيفه أحيانا في صياغة التجارب. والشاعر هنا يسوق استفهامات عديدة، مركزا على الأماكن التي يشتاق إليها في وطنه وهي مسارح ذكرياته، ومغاني آماله وأفراحه، وقد وظف أداة الاستفهام «أين» وكررها ست مرات، مما يفسر لهفته وتحسره، وشعوره الحاد بالغربة المكانية والزمانية، وبعد هذه اللوحات الفنية لمشاهد الحنين يقول الشاعر مخاطبا الطائر في نداء رفيق حان:

إن عـزَّ يوما على الأيام عَودَتُها	فالحلمُ يا طيرُ أدناها وأدناني

> „رومانسيته يميّزها توازنه النفسي وسكينته الوجدانية"

وحين يخاطب الشاعر البلبل أو الطير فإنه لا يبتعد كثيرا عن مخاطبة **إيليا أبي ماضي** لبلبله «الفيلسوف المجنح»، ولا يبتعد عن صوت **عمر أبي ريشة** في قصيدته «إلى بلبل». ولا غرابة، فدائرة الوجدان مستقرهم، والطبيعة كتابهم المفتوح يقرؤون فيه جمال الكون ويستشفون منه أسرار الحياة.

ويوظف الشاعر مشاهد الطبيعة وكائناتها في تصويره لمشاعره من خلال الصور الشعرية الجزئية، وليس من خلال الصور الكلية الممتدة، حيث تصبح القصيدة كلها صورة شعرية واحدة.

ومن الصور الجزئية ما نبصره في **قصيدة «توأم الروح»**(٤)، حيث يصور أمنياته في النظر إلى هذا الحبيب وسعادة أيامه ولياليه بمن يسعد النظر إلى الأنجم في الليالي الوضاء، والصورة هنا مستمدة من الخيال الرومانسي المحلق في الفضاء الطلق بعيدا عن قيود العالم الأرضي.

وفي قصيدة «منى غدي»(٥) يلجأ الشاعر إلى التصوير الحسي موظفا التشبيه في توصيل مشاعره. ويصف من يهواه وصفا حسيا مركزا على صفات الحس الظاهرة، فيقول:

عينـاك عينـا مهـاة	والشَّعر كالليل أسودُ
والثغـر عِقـد لآلٍ	يـا ليتني فيه أُنضَدُ

وهذه التجربة مفعمة بعبق الأمل، وطيوب الإصرار، والحبيب هنا يتجاوز الواقع المحسوس ليصبح رغبة في الحياة.



الطبيعة وتشكيل الإحساس الرومانسي
في شعر الأمير عبدالله الفيصل

ويتنامى هذا الشعور نفسه في قصيدة **«حلم الهوى العذري»** فيصور حبيبته بأنها ابنة البدر، وأنها ينبوع الشذا، وأن روحها كالسنا، وبعد أوصاف متعددة يجمع هذه الصور الجزئية في لوحة متكاملة قائلا :

فتحسب أنها شفق ... تلفع هالة البدر

والطبيعة النباتية يوظفها الشاعر في تجسيم شعوره تجاه من يحب، وهو في الوقت نفسه يرسم صورة جمالية لهذا المحبوب مازجًا بينه وما في الطبيعة من جمال ساحر باهر، يقول :

إن رأيتُ الغصنَ من شو ... قي حسبت الغصن قدّك
أو رأيتُ الوردَ صبحا ... خلت ذاك الوردَ خدّك

> **«الحُلُم ملاذه إذا ما تجهم الواقع وعزّت الأماني على التحقق»**

وتوظيف الطبيعة بالأسلوب نفسه يتكرر في قصيدة **«أمل المحروم»**[٦]، حيث يصف المحبوب وصفا حسيا منطويا على عاطفة مشبوبة، وحرمان ممتزج بالأمل، يقول :

وقوام يتهادى في الربى ... فيقول البانُ ما أهيفهُ
وفم لو قال من ينعته ... هو كالعُنّاب ما عرّفهُ
وثنايا لؤلؤ مختلف ... ألق سبحان من ألّفهُ

ولم يجعل الشاعر الكائنات الطبيعية هنا مثالا نحاول الاقتراب من نموذجه مستخدمين التشبيه وسيلة للوصول، بل جعل المحبوب في صورة يعز على الطبيعة أن تصل إليها.

ألم يجعل غصن البان في دهشة وعجب من قوام الحبيب؟ والعهد بالشعراء أن يجعل البان نموذجا أعلى يشبهون به قوام المحبوب!

ألم يتهكم الشاعر على من يشبّه فم الحبيب بالعناب؟ وذلك لأنه في منظور الشاعر أجمل وأروع من ذلك.

ولعمري إن هذا ضرب من التجديد في التصوير الشعري مع احتفاظه بوهج القديم. وبذلك نجا الشاعر من الوقوع في دائرة التقليد.

وأحيانا تتوقف أحاسيس الشاعر وذكرياته عند ظاهرة طبيعية واقعية كما في قصيدتيه **«وحي الكرنك» و«على ضفاف النيل»**، ولا يصف الشاعر هذه المشاهد والمرائي وصفا خارجيا تقليديا، وإنما يوحد بينها وبين مشاعره، فهي مغاني الذكريات، وهي ممتزجة بأحاسيسه تخالط منه اللحم والدم.

يقول الشاعر من قصيدته «وحي الكرنك» :

هل تذكرت الذي كان لنا في الكرنك
حين أشهدنا على الحب نجوم الفلك
فكأني لم أمتع بشذى من حسنك
وكأني لم ألج يوما مغاني عدنك

وفي قصيدة «على ضفاف النيل» يتوارى المكان. وكان بإمكان الشاعر أن يربط بين سحر المكان وسحر المحبوب، بين ظمأ القلب وظمأ الأرض، ويربط بين المشاهد الطبيعية والمكابدات النفسية، لكن الشاعر لاستغراقه في تجربته الذاتية لم تثره المشاهد الخارجية بقدر ما أقضّتْ مضجعه الذكرى. فرجع بذاكرته إلى الماضي البعيد، وأخذت الذاكرة تحدق في أطلال الماضي وأصداء الذكريات ترددها الآفاق.

يقول مصورا محبوبه بالنجم، وبينه وبين هذا النجم كانت المحاورات الدافئة على ضفاف النيل :

يا حبيبي هل نسيت الأمس لما ... كنت نجمي بين سُمّار الليالي
وضفاف النيل مهوى حبنا ... وعلى شطيه ساعات الوصال
حين ترنو لي بطرف ساحرٍ ... ورنت عيني بقلبٍ غيرِ خال

وبعد، فقد كان تعاملي النقدي مع النصوص الشعرية محاولا استنطاقها مهتديا بثراء لغتنا وقيمتها الجمالية، ودلالات تراكيبها، وإيحاءات أزمنتها مع عدم الانفصال عن عالم الشاعر وتعامله مع اللغة وخصائصها.

وتبقى معالم فنية كثيرة يمكن أن تستقل بها دراسات فنية أخرى، تحاول سبر أغوار التجربة الشعرية الشاملة لدى الشاعر، وهي «البنية الإيقاعية» و«الصور الشعرية» و«المفارقات اللغوية والشعورية» و«الظواهر الأسلوبية».

وأعتقد أن الشاعر الأمير ما زال يمور وجدانه بالعديد من التجارب الشعرية الندية. **فهو نغم عذب في قيثارة الشعر العربي، له صوته الشعري النافذ إلى أعماق الوجدان الإنساني، في صدق وصفاء، وحب ووفاء، وعمق ونقاء.**

الهوامش :

١ - الرومانتيكية، محمد غنيمي هلال. دار العودة بيروت. ط ٦، ١٩٨١، ص ٧٧.
٢ - مقدمة صلاح لبكي لديوان «وحي الحرمان». ص ٩، ١٠.
٣ - الرومانتيكية، محمد غنيمي هلال.
٤ - وحي الحرمان ص ٣٦.
٥ - المصدر نفسه ص ٤٠.
٦ - المصدر نفسه ص ١٢٨.

البطل صلاح الدين الأيوبي

القيادة والقدوة

حميد الأزمي



يحتل صلاح الدين الأيـوبي موقعًا متميزًا في سجل الخالدين من الأبطال والقـادة المسلمين الذين خدموا الإسلام، ورفعوا رايـاته، وقدموا في سبيله من التضحيات ما يستحق التدوين والتقدير والاقتداء. وتميز هـذا القائد في أنه استطاع أن يستقرئ دروس التاريخ وعظاته، وأن يدرك ظروف عصره وأبعاد مـا يدور في ساحته من صراع وتـآمر، وأن يعرف موقع أمتـه من كل تلك الظروف والصراع والتآمر، وقـد استند على ذلك الاستقراء والإدراك في رسم وتحديد الطريق الذي يحقق لـه النجاح في قيادة الأمـة وتحقيق مراميها في صون هويتها والحفاظ على أصالتها وقيمها و إحباط المؤامرات التي تستهدف تلك الهوية والأصالـة. وقد وجد صـلاح الدين أن الطريق يبدأ بلم شعث الأمة وتوحيـد كلمتها، فبذل جهودًا عظيمة في هـذا السبيل حتى تحقق لـه النجاح، ثم بدأ بعد ذلك في التخطيط لإحباط مؤامرات الصليبيين الذين أغـراهم ضعف المسلمين وهوانهم للغزو وشن الحملات التي تريد نهب خيراتهم ومسخ هويتهم. وقد حقق في هذا السبيل أيضا انتصارات عظيمة، كان فتح القدس واستعادتها من براثن الصليبيين تتويجًا لها. إن مرور ثمانمائة عـام على وفاة هـذا البطل فرصة منـاسبة لإلقـاء بعض الأضواء على مسيرته المظفـرة، وذلك استلهامًـا لما فيها من دروس وعبـر.

القيادة والقدوة

صلاح الدين : أصلهُ وعصره

اسمـه الكامل : صـلاح الـدين يـوسف بن نجم الـدين الأيوبي . ولـد في تكريـت ـ شمالي العراق ـ حوالى عـام ١١٣٨م من أصل كردي سنـي ، عاش عشر سنـوات في دمشق في بـلاط نـور الدين سلطـان السـلاجقـة ، حيث عني بدراسة المذهب السني . ثم رافق عمه الأمير شيركوه في حملات أرسلها نور الدين ضـد الفـاطميين بمصر (١١٦٤ و ١١٦٧ و ١١٦٨م) وجعـل شيركـوه نفسـه وزيـرًا في عهد الخليفـة الفـاطمي (العـاضد) ، وعنـد موتـه ١١٦٩م خلـفــه صلاح الـدين وهو في الحادية والثلاثين مـن عمره ، ثم حكـم مصـر بوصفـه تابــعا لنور الـدين ، وليس للخليفـة الفـاطمي ، واستطاع في أول سنـي توليـه منصب الوزارة الانتصـار على الحملة الصليبيـة البيزنطية عنـد دمياط ، مما عزَّز حكمـه ، وأنهى حكم الفـاطميين عام ١١٧١م . وقضى بـذلك على الخلافـة الفاطمية بمصر ، وعلى المذهب الشيعي بها ، ليبدأ عهد جـديد هو عهد الدولـة الأيوبية التي تعتنق المذهب السني ، وتدين بالولاء للخليفة العباسي في بغداد .

ورث صلاح الدين تركة مثقلة ، ولقي صعابًا جمة في أثناء عملية التوحيد ، فقد ظهر صلاح الدين ، والمستعمر الصليبي الغربي يحتل قلب الشرق الإسلامي وهو فلسطين وبلاد الساحل الشامي ، والعالم العربي مقسم إلى دويلات .

الدور التاريخي لصلاح الدين

وجد الشرق الإسلامـي ضالته في هذا القائد الـذي نهض بعبء لَمِّ شعث المسلمين وإنشاء دولـة موحدة في المشرق ، سـاهمت بدور فعال في كسر شوكة الصليبيين ، ولـم يكـن ذلك بالأمر الهين ، فقـد تطلب منه العمل في أكثـر من جبهة واستغرق ذلك أكثر من خمسة عشر عامًا .

كان على صلاح الدين أن يعمل في جبهتين في وقت واحـد : البناء وتركيز أوضاع الدولـة ، وقتال الصليبيين في الـداخل ، وإبقاء التماس مفتوحًا معهم في الخارج وهكذا . وفي العام نفسه الذي تولى السلطـة فيه قام صلاح الدين بهدم سجن في مصر ، وبنى مكانه مدرسة للشافعية ، وعزل القضاة الفاطميين ، وعين مكانهم قضاة شافعيين في جميع البلاد .

ولكي يصل النـاصر صـلاح الديـن إلى هدفـه الأسمى وهـو القضـاء على الصليبيين وتحرير بيت المقدس كـان عليه أن يوحد جبهـة المسلمين ضد العدو المغتصب ، وأن يؤمن ظهـره في الداخل ومن جميع الجهـات قبل أن يبدأ حـركته العسكرية الكبرى ضد الصليبيين ، ولـم يخف عليه أن أوربـا تساعد الصليبيين وتساندهم وتمدهم بالرجال والمـال والسلاح عن طريق البحر ، إذ كانت موانىء البحر المتـوسط الشرقي في أيدي الصليبيين ، فضلاً عن مملكة أرمينيـة الصغرى المسيحية الـواقعة في الجنـوب الشرقي من آسيـا الصغرى ، فقد كـانت تسـاعد الصليبيين من ناحية البر ، وكذلك دولــة الروم في أول حركة الاستعمار الصليبي الغربي . ورغـم هذا كلـه فقد دلَّ النـاصر صلاح الدين بأعماله وخططه على أنه كان كفئًا لمقابلـة جميع الاحتمالات ، كما كـان يقظًا فعـالاً في مواجهـة الأخطار والتحديات في وقت واحد وفي جهات متباعدة وذلك بفضل ما أوتيه من صدق وإخـلاص وإيمان وثبات وإصرار ، وبفضل أعـوانـه وأنصاره الـذين خلـدهم التاريخ . كما لـم يصرفه هذا عن أعمال العمران الداخلية ، وعرف كيف يستفيد من العداء الحاد بين الإمارات الصليبية بالشام ودولـة الروم .

وفي نطـاق استراتيجيته الكبرى ، القضـاء على الفتن والمؤامـرات الداخليـة سـواء في مصر أو في بلاد الشـام بعد وفـاة نور الـدين زنكي ، حيث لـم يتـورع المتآمـرون عن الاستعانة بالعـدو الأجنبي المغتصب ، وهكذا نجد صـلاح الدين يقوم بثلاث رحلات إلى الشام :

● الـرحلة الأولى استغـرقت سنتين من صفر ٥٧٠ هـــ ـ أيلـول (سبتمبر) ١١٧٤م إلى ربيـع الأول ٥٧٢ هــ ـ آب (أغسطــس) ١١٧٦م . وترك أخـاه العادل أبا بكر نائبًا عنه في مصر . وقد استخدم السيف لإجبار المنشقين واستولى على حمص وحماة وحاصر حلب . وفي هـذه الأثناء بعث صلاح الـدين برسالـة إلى الخليفـة العباسي المعاصر وهو المستضيء بنور الله ليحصل منه على تفويض يصبح لـه سنـدًا شرعيًـا في الـذب عن أمــلاكـه التي آلت إليـه بمقتضى هـذا التفويض وأنَّ حكمـه الفعلي لـم ينفـذ على جميع هذه الأمـلاك . وكذلك شمل التفويض جميـع البـلاد التي يستردهـا من الصليبيين والبلاد التي كـان يحكمها نور الدين زنكي ، وصارت من بعده متنافـرة متصارعة . ثم طلب تقليدًا جامعًا بأمور مصر والمغرب واليمن . وقد حاول خصـوم صلاح الدين قتله أكثر من مرة : أولهـا في مؤامرة عمارة (٥٦٩ هـ) والثانية عند مصياف (٥٧٠ هـ) والثالثة عند عزاز وكانت أشد عنفا من سابقتيها حيث كاد أحد الباطنية المندس في جند صلاح الديـن أن يقتله بسكين معه حينما وثب على صلاح الديـن في خيمته لولا المغفر الزرد الذي كان تحت قلنسوة النـاصر . ومع ذلك تابع حصار مدينة عزاز حتى سلمت لــه في أوائل ذي الحجــة ٥٧١ هـ ، وبعـد ذلك عـاد إلى دمشق فدخلها في صفر ٥٧٢ هــ ـ آب (أغسطس) ١١٧٦م . واطمأن صلاح الدين إلى نتائج رحلته الأولى فعاد إلى مصر .

● الرحلة الثانية إلى الشام ٥٧٣ ـ ٥٧٦ هـ :

لـم تطل إقـامته طويـلاً في مصر حتى عاد إلى الشام بـدافع الجهاد ، حيث مكث ببـلاد الشـام هـذه المرة ثلاث سنـوات : (٥٧٣ ــ ٥٧٦ هــ) (١١٧٨ ـ ١١٨١م) ولـم يفته خلال الأعمال الحربية المتصلة ضد الصليبيين أن يدعم جبهة المسلمين ولا سيما في الجوانب التي لـم يكن ليطمئن إليها دائمًا وهي إمارة حلب وبلاد الموصل وديـار بكر والجزيرة .

● الرحلة الثالثة : عاد صلاح الدين إلى القاهرة في شعبان ٥٧٦ هــ ـ كانون الثاني (ينايـر) ١١٨١م وبينما هو يعد العدة للـزحف الأكبر جاءته أنبـاء بوقوع فوضى في الشـام بعد وفـاة الصالح إسماعيل بن نور الـدين في حلب وذلك في رجب ٥٧٧ هــ ـ تشرين الثـاني (نوفمبر) ١١٨١م فـدخل عـز الدين مسعـود صاحب الموصل حلب وتسلمها ، ثم بدأ يفكـر في السيطرة على المناطق الأخرى مثل منبج وحماة ودمشق . جرت هـذه الأحداث وصلاح الدين يستعـد لحملتـه الكبرى ضد الصليبيين ، فساءه تفكك الجبهة الإسـلامية التي تعب في تكوينها خلال رحلتيه السـابقتين وخشي أن تمتد الفتنـة إلى دمشق قاعدتـه في بلاد الشام



ومن هناك بعث برسائل تهديد وإنذار إلى الأطراف الإسلامية المتنازعة، فأذعن أغلبهم لصوت الحق والعدل، وأخضع الباقي منهم بالقوة، وأعطوه عهدا بإمداده بالمال والرجال في جهاده ضد الصليبيين. وفي أوائل سنة ٥٨١ هـ ـ ١١٨٦م كان صلاح الدين قد أكمل توحيد الجبهة الإسلامية التي عمل لها فقرر السفر؛ فخرج من القاهرة أوائل المحرم ٥٧٨ هـ ـ أيار (مايو) ١١٨٢م، ودخل دمشق أوائل صفر وحاصر حلب ثم قطع الفرات وأقام بمدينة البيرة، نحو سبعة عشر عامًا، منذ بداية عهده الرسمي وزيرًا للخليفة العاضد الفاطمي، ونائبًا لنور الدين في مصر (٥٦٤ ـ ٥٦٩ هـ/ ١١٦٩ ـ ١١٧٤م) ثم خلال انفراده بالحكم والسلطنة منذ وفاة نور الدين (٥٦٩ هـ ـ ١١٧٤م).

مواجهة الأطماع الصليبية بالمشرق

خاض صلاح الدين الأيوبي صراعًا ضد الصليبيين دام زهاء ثلاثين عامًا يمكن التمييز فيها بين عدة مراحل:

● المرحلة الأولى دار الصراع فيها أساسًا على أرض مصر، وقد دخل صلاح الدين في هذا الصراع أثناء مشاركته في الحملات التي وجهها نور الدين زنكي لصد الهجمات الصليبية عن مصر والتي هددت القاهرة والإسكندرية ما بين ١١٦٤ و ١١٦٩م، وستستمر المواجهة معهم على أرض مصر إلى غاية سنة ١١٧٤م، اضطرهم خلالها إلى التراجع عن حصار دمياط والإسكندرية، وأفشل بالتالي محاولاتهم التوسعية بمصر.

● المرحلة الثانية: كانت فيها بلاد الشام المسرح الرئيس للصراع بين صلاح الدين والصليبيين، وقد استمرت هذه المرحلة من سنة ١١٧٤م حتى وفاته سنة ١١٩٣م:

ـ مناوشة صلاح الدين للصليبيين مدة طويلة إلى غاية سنة ١١٨٦م حيث أفشل محاولاتهم الرامية إلى مزيد من التوسع في الأراضي الإسلامية وصد غاراتهم. وقد كان صلاح الدين طوال هذه المدة يعد العدة للمعركة الحاسمة مع الصليبيين، فقد أخضع كما سبق القول بلاد الشام والعراق، وضمن ولاء سكّانها وأمرائها، وقام بتنظيم صفوف جيشه الذي أصبح يضم عساكر من بلاد الشام والفرات والسودان ومن الأقباط المسيحيين، كما اهتم بالأسطول في البحر وجعل الخدمة فيه إجبارية، وأنشأ له ديوانا خاصا يقوم بالإشراف على بناء المراكب وتجهيزها، وأقام القلاع وحصّن القاهرة التي بني بها القلعة المعروفة باسمه، كما اهتم بتحصين ثغري دمياط والإسكندرية استعدادًا لكل هجوم صليبي على مصر.

ـ انتصار صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين سنة ١١٨٧م التي تعد معركة حاسمة في الصراع بين المسلمين والصليبيين، فقد حقق فيها نصرًا ساحقًا وقضى فيها على جزء كبير من الجيوش الصليبية التي خرجت لملاقاته في سهل حطين بعيدًا عن قلاعها. وفقد فيها الصليبيون خيرة قادتهم الذين قتلوا أو وقعوا في الأسر مثل ملك القدس.

وستكون هذه المعركة مقدمة لسلسلة من الانتصارات التي ستسفر عن تحرير مناطق متعددة من الاحتلال الصليبي، فقد توجه صلاح الدين بعدها لاحتلال سواحل الشام لينتزع من الصليبيين قواعدهم الحربية التي تقع على الساحل وتربطهم بالغرب الأوربي، وهكذا سيستولي على كل من عكا وقيسارية وحيفا وبيروت وصيدا والرملة وطبرية وغيرها من المدن الساحلية والداخلية قبل أن يحاصر مدينة القدس التي استسلمت له دون قتال سنة ١١٨٧م بعد أن خضعت للصليبيين زهاء قرن من الزمن.

وبعد سقوط بيت المقدس دانت لصلاح الدين الأيوبي أكثر المدن التي كانت بيد الصليبيين بحيث لم يبق في حوزتهم سوى أنطاكية وطرابلس وصور وبعض المدن والقلاع الصغيرة.

وفي الوقت الذي كان صلاح الدين يواصل فيه هجماته وغاراته على حصون الصليبيين وقلاعهم قام بإرسال حملات أخرى لفتح طرابلس الغرب، وأخرى لفتح اليمن وثالثة لفتح السودان وذلك ضمن سياسة تمتين الصف الداخلي وتوسيع قاعدته الدفاعية والاستراتيجية في العمق.

ـ مواجهة صلاح الدين للحملة الصليبية الثالثة التي نظمها المسيحيون سنة ١١٩٠م نتيجة لسقوط بيت المقدس في يد المسلمين، وقد قادها ثلاثة من أعظم ملوك أوربا، وأشهرهم: رتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا.

ورغم الجهود التي بذلتها أوربا بأسرها فإنها لم تفلح في استعادة بيت المقدس واسترجاع الأراضي التي حررها صلاح الدين باستثناء مدينة عكا التي سقطت في يدهم بعد استماتة أهلها في الحصار وكذا شريط في المدن الساحلية يمتد من عكا إلى يافا. بعد ذلك دخل الأوربيون في مفاوضات مع صلاح الدين الأيوبي انتهت بعقد صلح الرملة سنة ١١٩٢م، نص على أن يترك

للصليبيين شريطًا من الساحل يمتد من صور إلى يافا، وأن يسمح لهم بالحج إلى بيت المقدس.

ولم يعمر صلاح الدين الأيوبي بعد هذا الصلح طويلاً فقد وافته المنية بعد بضعة أشهر حين قصد دمشق ينشد الراحة. وفي ليلة الأربعاء ٢٧ صفر سنة ٥٨٩ هـ - ٤ آذار (مارس) ١١٩٣م وهي الليلة الثانية عشرة من مرضه انتقلت روحه إلى رضوان الله وهو في السابعة والخمسين من عمره ودفن بقلعة دمشق، وبعد ثلاث سنوات أعدَّ له ولده الأفضل قبرًا شمال الجامع الأموي في مكان كان دارا لرجل صالح اشتراها منه ونقل رفاته إليه في حفل مهيب.

استنجاد صلاح الدين الأيوبي بالسلطان يعقوب المنصور الموحدي ورفض هذا الأخير إمداده

ونحن نتكلم عن سيرة صلاح الدين لا تفوتنا الإشارة إلى مسألة كثيرا ما أثيرت بين المؤرخين، وهو أنه في الوقت الذي كان صلاح الدين يجاهد بالمشرق الإسلامي، كان يعقوب المنصور سلطان الموحدين بالمغرب الأقصى يجاهد الصليبيين بالمغرب الإسلامي وفي الأندلس على الخصوص.

بعد فتح بيت المقدس قرر صلاح الدين الأيوبي متابعة الحرب ضد الصليبيين حتى يطردهم من سواحل الشام، وكان أسطوله أضعف من أن يجابه قوات الصليبيين الذين كانوا يستعينون بأساطيل جنوة والبندقية، فأرسل مبعوثًا إلى المنصور الموحدي يستنجد بأسطوله، وكان المبعوث عبد الرحمن بن منقذ الذي كان من البيوتات الكبرى بالشام، وأحد الذين أبلوا في حروب الصليبيين بلاءً حسنًا. وقد حمله صلاح الدين رسالة إلى المنصور من إنشاء القاضي الفاضل مع هدايا قيمة أهمها مصحفان كريمان. وقد أورد المقدسي الرسالة في كتاب (الروضتين) كما ذكر تفاصيل وافية عن رحلة ابن منقذ إلى المنصور.

ومما جاء في تلك الرسالة: (.. ولم نر لمكاثرة البحر إلا بحرًا من أساطيله المنصورة، فإن عددها واف، وشطرها كاف، ويمكنه - أدام الله تمكينه - أن يمد الشام بعدٍّ كثيف وحدّ رهيف، ويعهد إلى واليه أن يقيم، إلى أن يُربع ويُصيّف، ويمكنه أن يكفَّ شطرًا لأسطول طاغية صقلية ليقص جناح قلوعه أن تطير، ويعقل عباب بحره أن يغير، ويعتقله في جزيرته، ويجري إليه قبل جريرته، فيذهب سيدنا وعقبه بشرف ذكر لا ترد به المحامد على عقبها، ويقيم على الكفر تِرامة يطلع بها شمس النَّصْر من مغربها ...).

وألقى ابن منقذ قصيدة بين يدي المنصور الموحدي، فيها أربعون بيتا، كافأه عليها بأربعين ألف دينار. ومما جاء في تلك القصيدة قول ابن منقذ:

سأشكر بحرًا ذا عباب قطعته ... إلى بحر جود ما لأخراه ساحل
إلى معدن التقوى إلى كعبة الندى ... إلى من سمت بالذكر منه الأوائل
إليك أمير المؤمنين ولم تزل ... إلى بابك المأمول ترجى الرواحل
قطعت إليك البر والبحر موقنا ... بأن نداك الغمر بالنجح كافل
وحزت بقصديك العلى فبلغتها ... وأدنى عطاياك العلا والفواضل
فلا زلت للعلياء والجود بانيا ... تبلغك الآمال ما أنت آمل

ولم يكن لتلك السفارة أي أثر للمصلحة العامة التي وجهت من أجلها، فقد اكتفى المنصور الموحدي بإكرام السفير ابن منقذ ومنحه الهبات والعطايا لشخصه هو، ولم يستجب المنصور لنداء صلاح الدين الأيوبي. كما يشير إلى ذلك ابن خلدون ولم يذكر تحليلا لذلك مكتفيا بقوله: (فاعتذر له عن الأسطول وانصرف). بينما يذكر صاحب الروضتين أن السبب في ذلك هو أن صلاح الدين الأيوبي لم يخاطب المنصور الموحدي بلقب (أمير المؤمنين) على جاري عادتهم واكتفى في مخاطبته بقوله له: (أمير المسلمين) لأن الكتاب الذي أرسله صلاح الدين كان بعنوان: (إلى أمير المسلمين) فلم يوفه حقه في الخطاب.

وقد حاول بعض المؤرخين إيجاد مبرر لموقف المنصور السلبي هذا تجاه صلاح الدين معللاً ذلك بالموقف الحرج الذي كانت عليه سلطنة الموحدين من انشغال المنصور بالغزوات والحروب في الأندلس، ومن انشغاله بثورة ابن غانية في أفريقية.

وقد يكون سبب الرفض وجيها وهو عدم مخاطبته بأمير المؤمنين؛ لأن اللياقة الدبلوماسية كانت ولا تزال ذات أثر بالغ في سير العلاقات بين الدول والرؤساء .. هذا إذا ثبت أن صلاح الدين الأيوبي أهمل خطاب المنصور بأمير المؤمنين.

ولكن يظهر لي أن رفض المنصور نجدة صلاح الدين راجع إلى انشغاله بحروب الصليبيين في الأندلس من جهة، ولا ننسى التحالف الذي حصل بين ابن غانية وقراقوش الذي كان مملوكًا لتقي الدين ابن أخي صلاح الدين سنة ٥٨٠ هـ دفعًا للتوسع الموحدي شرقًا.

وهكذا نجد أن رفض المنصور يرجع إلى الأسباب التالية:

١) توسع صلاح الدين في فتوحه غرب مصر، فبعث بأخيه تقي الدين ثم بمولاه قراقوش التقوي (مع العلم أن هناك قراقوشًا آخر هو وزير صلاح الدين) فأغار على برقة وطرابلس.

٢) اتحاد قراقوش مع عرب بني هلال وابن غانية ضد الموحدين. وإفلاتهما كليهما من بطش المنصور سنة ٥٨٣هـ.

٣) في الوقت الذي وفد فيه ابن منقذ إلى المغرب كان المنصور يخوضُ حربًا ضد النصارى بالأندلس، ومن البدهي أن يكون أسطول المنصور موزعًا في هذه الظروف بين عدة ثغور دفعًا لكل هجوم محتمل.

غير أن ابن خلدون يروي من غير إسناد، أن المنصور ربما كان قد بعث فيما بعد بمائة وثمانين قطعة من أسطوله الذي منع النصارى من سواحل الشام.

ويبدو من جهة أخرى أن الدعاية الموحدية في المشرق العربي بلغت الحد الذي أعلن فيه المنصور الموحدي عزمه على التوجه إلى مصر واحتلالها، فقد ذكر عبد الواحد المراكشي في كتابه [المعجب] أنه بلغه عن غير واحد أن الخليفة المنصور صرح للموحدين بالرحلة إلى المشرق. وجعل يذكر البلاد



المصرية وما فيها من المناكر والبدع . ويقول : (نحن إن شاء الله مطهروها) ولم يزل هذا عزمه إلى أن مات .

وهكذا ضاعت فرصة التضامن والتساند بين المشرق والمغرب ضد التكتل الصليبي ، فتعذر على صلاح الدين تطهير البلاد المشرقية نهائيًا من الصليبيين ، وأدركه الموت (٥٨٩ هـ ـ ١١٩٣م) وهو في شبه تعادل بين القوى ؛ فلا هو استطاع زحزحتهم نهائيًا من السواحل الشامية ، ولا الصليبيون استطاعوا التوغل في البلاد واسترجاع بيت المقدس .

وكذلك الحال بالنسبة للموحدين في الغرب الإسلامي فلم يستطيعوا التغلب على الإسبان في الأندلس ؛ إذْ بوفاة المنصور وانهزام الموحدين في معركة العقاب (٦٠٩هـ ـ ١٢١٢م) آلت دولة الموحدين إلى الأفول مما مكن المسيحيين في الأندلس من التوغل إلى أن أخرجوا المسلمين نهائيًا سنة ١٤٩٢م .

جوانب من شخصية صلاح الدين الأيوبي

إذا كان الصراع بين صلاح الدين والصليبيين قد أبان عن حنكة هذا القائد المسلم وعن براعته في وضع الخطط العسكرية ، فإن الخصال التي تميز بها كان لها أعمق الأثر في نفوس معاصريه ، ولم يستطع حتى أعداؤه أنفسهم إلاَّ الإقرار له بها ، حتى قيل : (كسب صلاح الدين للعرب والإسلام بقلبه أكثر ممّا كسب بسيفه) .

إن شخصية صلاح الدين تبدو عملاقة من خلال ما حققه ومن خلال نصوص الوثائق التي بين أيدينا ، فهو بطل الوحدة ، وعسكري وقائد من الطراز الممتاز ، وقائد غزا القلوب قبل القلاع ، و داهية وسياسي من الطراز الرفيع جدًّا .

وقد كان صلاح الدين مثلا للآداب العالية والصفات الحميدة ، وكان ، كما وصفه ابن خلكان ، كثير التواضع واللطف ، قريبا من الناس ، رحيم القلب كثير الاحتمال والمداراة ، يحب العلماء وأهل الخير ، ويقربهم ويحسن إليهم ، ويستحسن الأشعار الجيدة ويرددها في مجالسه .

وكان محبًا لمجالس العلم ميالاً لمناقشة رجال الفقه وأصول الدين ، ويكفي صلاح الدين فخرًا أنه أدخل نظام المساجد المدرسية في القاهرة .

وكان صلاح الدين رجل سلم لا رجل حرب . وكان بعد كل معركة يخوضها يعيب وحشية الحرب ، ولكن الأحداث التي عاصرها والظروف التي لابسها كانت تدفعه مضطرًا إلى القتال دفاعًا عن أرض الإسلام .

اشتهر صلاح الدين بكونه أمينًا على العهود حافظًا للمواثيق حريصًا على تطبيق مبادئ التسامح الإسلامي في معاملته لأعدائه وأسراه ، كريمًا معهم ، فكثيرًا ما أطلق سراح الفقراء منهم دون فدية ، لهذا ما زال يعد في أوربا مثالاً للشهامة والمروءة .

تقول الدكتورة كارول هيلنيراند الأستاذة بجامعة أدنبرة في بحثها الذي قدمته في الندوة الدولية عن مرور ٨٠٠ سنة على معركة حطين بالقاهرة في ٢٠ حزيران (يونية) ١٩٨٧م : (إن صلاح الدين كان أهم شخصية مسلمة في نظر الغرب الأوربي ؛ ولأنه هزمهم فقد حاولوا تصويره في صورة شخص غير عادي و إنسان متفوق ليبرروا هزيمتهم) .

كما عرف صلاح الدين بترفعه عن المكاسب الشخصية ، فلم يبق لنفسه شيئًا مما كان في خزائن الفاطميين ، كذلك عفَّ عن أملاك نور الدين زنكي فسلمها لابنه .

كذلك كان صلاح الدين أميرًا عادلاً يحارب المظَالم ويرد الحقوق إلى أصحابها ويجمع أهل الرأي والعلم لكل أمر ، ويلتزم مشورتهم .

ولعل هذه الخصال هي التي جعلت (تشرشل) يقول عن صلاح الدين : « إنه كان من أعظم ملوك الدنيا » .

وهكذا وحّد صلاح الدين الأيوبي بلاد العرب والمسلمين في وقت كانت فيه بأمس الحاجة إلى هذه الوحدة ، وتم ذلك في ظل مبادئ إنسانية . وزاد من أهمية هذه الوحدة أنها اتجهت منذ البداية إلى تحرير دار الإسلام من الغزو الصليبي . و إذا كان صلاح الدين قد نجح في زعزعة الوجود الصليبي بالمشرق ، فإن تصفية هذا الوجود بشكل نهائي سيتم على يد المماليك في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي .

القيادة والقدوة

وهذا سرد موجز لمعارك صلاح الدين الأيوبي الظافرة :

١ ـ استيلاؤه على ثغر أيلـة المسيطرة على خليج العقبـة : ٥٦٦ هـ ـ ١١٧٠م .

٢ ـ استيلاؤه على حمص : ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ ـ ١١٧٥م .

٣ ـ استيلاؤه على حلب ٥٧٠ هـ ـ ١١٧٥م .

٤ ـ استيلاؤه على حصن بزاغـة في شهر شوال : ٥٧١ هـ ـ ١١٧٦م .

٥ ـ استيلاؤه على منبج في شهر شوال : ٥٧١ هـ ـ ١١٧٦م .

٦ ـ استيلاؤه على عـزاز في ذي الحجـة : ٥٧١ هـ ـ تمـوز (يوليـو) ١١٧٦م .

٧ ـ معركة تل السلطان : ٥٧٢هـ ـ نيسان (أبريل) ١١٧٧م .

٨ ـ معركـة الرملـة بفلسطين : ٥٧٣ هـ ـ ١١٧٧م .

٩ ـ معركة مرج عيون بفلسطين : في محرم ٥٧٥ هـ ـ ١١٧٩م .

١٠ ـ معـارك بحريـة لحسام الـدين لؤلـؤ في البحر الأحمر، وهـزيمة الأمير الصليبي أرنـاط بـرًا وبحـرًا : ٥٧٨ هـ ـ ١١٨٢م .

١١ ـ صلاح الدين في حران : ٥٧٨ هـ ـ آذار (مـارس) ١١٨٣م .

١٢ ـ استيلاؤه على تل خالد وعين ناب : ٥٧٩ هـ ـ ١١٨٣م .

١٣ ـ خضوع الموصل نهائيا لصلاح الدين : ٥٨١ هـ ـ ١١٨٦م .

١٤ ـ استيلاؤه على حصن تبنيـن : ٥٨٣هـ ـ ١١٨٧م .

١٥ ـ معركـة حطيـن الحاسمة : ٢٥ ربيع الآخر ٥٨٣ هـ ـ تمـوز (يوليو) ١١٨٧م .

١٦ ـ الاستيـلاء على طبريـة : ٢٥ ربيع الآخـر ٥٨٣ هـ ـ تموز (يـوليـو) ١١٨٧م والاستيلاء على عكـة في ٩ تموز (يوليو) ١١٨٧م .

١٧ ـ معـركة تحريـر بيت المقدس وسقـوط عدة مـوانئ : ٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١١٨٧م .

١٨ ـ حصـار انطرسوس على البحـر المتوسط ٥٨٤ هـ ـ ١١٨٨م وحصار جبلـة على البحر المتوسط في العام نفسه .

١٩ ـ حصار الـلاذقيـة على البحر المتـوسط ٥٨٤ هـ ـ ٢٣ تموز (يوليـو) ١١٨٨م .

٢٠ ـ حصار حصن صهيون ٥٨٤ هـ ـ ٢٣ تموز (يوليو) ١١٨٨م .

٢١ ـ قلعتـا الشغر وبكاس بالقرب من أنطاكية ٥٨٤ هـ ـ آب (أغسطس) ١١٨٨م .

٢٢ ـ بفراس وحصن درباك ٥٨٤ هـ ـ آب (أغسطس) ١١٨٨م .

٢٣ ـ حصار حصن الأكراد ٥٨٤ هـ ـ آب ـ (أغسطس) ١١٨٨م .

٢٤ ـ حصار حصـن الشوبك شرقي الأردن ٥٨٤ هـ ـ آب (أغسطس) ١١٨٨م .

٢٥ ـ حصار قلعة صفد بفلسطين ٥٨٤ هـ ـ ١١٨٨م .

٢٦ ـ قلعة كوكب : ٥٨٤هـ ـ ١١٨٩م .

٢٧ ـ يافـا تموز (يوليو) ١١٩٢م : ظلت ثغـور غـزة ودير البلح (الداروم) في قبضة الصليبيين ثم استعادهـا المماليك، وقـد تـم في ٢ أيلول (سبتمبر) عقد صلح الرملـة بعد معارك شتى بين السلطان صلاح الدين والملك ريتشارد (قلب الأسد) الإنجليزي .

وهكـذا بدأ الصرح الكبير الـذي شيـده الصليبيـون ينهـار تحت مطـارق صلاح الدين الثقيلـة وكان على خلفائـه أن يتمموا ما بدأه هذا البطل المغـوار .

المراجع

(١) نشرة خاصة عن وزارة التعليم بمناسبة مرور ٨٠٠ سنة على وفاة صلاح الدين الأيوبي .

(٢) الناصر صلاح الدين وتحرير القدس : تأليف : د. إبراهيم على طرخان، ضمن سلسلة (المكتبة الثقافية) رقـم ١٨٩ ـ يناير ١٩٦٨م .

(٣) مجلة الباحث العربي العدد ١٣ والعدد ١٤ .

(٤) مجلة الهلال عـدد خاص لسنـة ١٩٧٤م عن حروب القادة الغـرب والمسلمين (بحث تحت عنوان قـاهرو الصليبيين للدكتور عبد الرحمن زكي) .

(٥) مجلة الحرس الوطني السعودية . عدد ٩ ـ أبريل ١٩٨٢م .

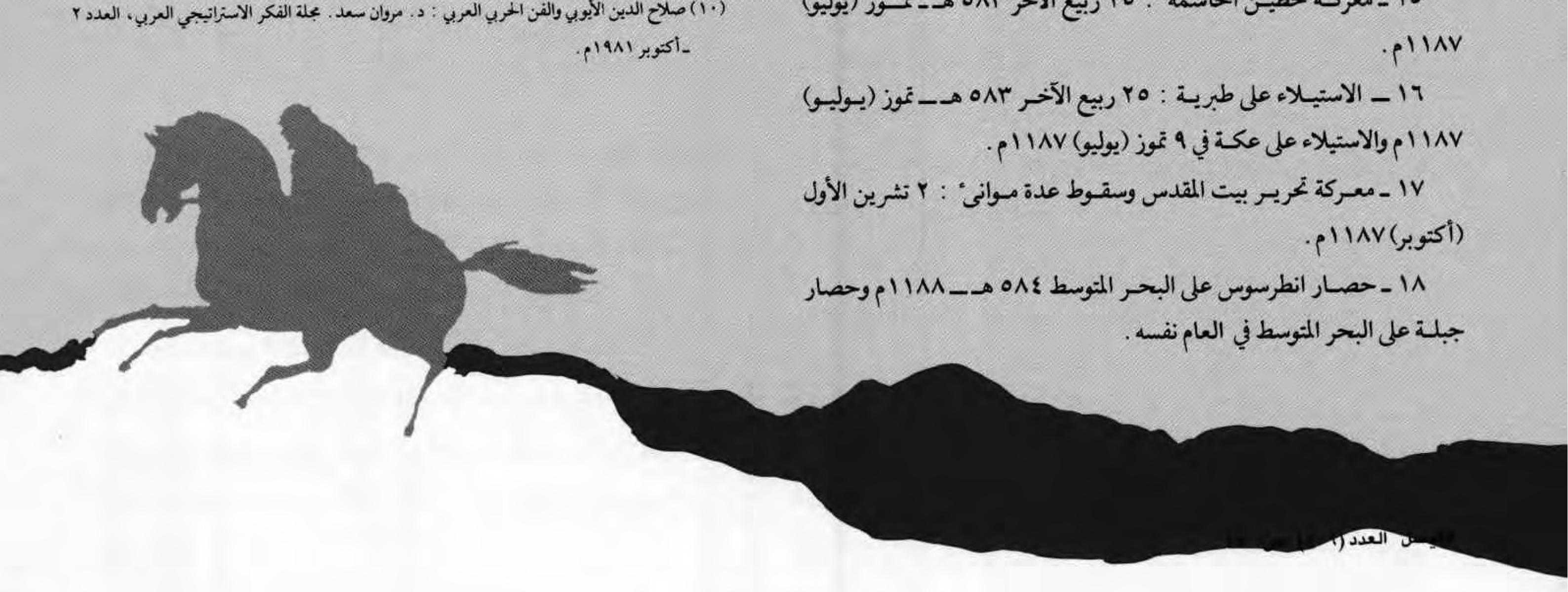
(٦) مجلة الدفاع السعودية . عـدد : ٦٩ ـ فبراير ١٩٨٨م .

(٧) وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي . الجزء ٥ للدكتور محمد ماهر حمـادة .

(٨) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي . للدكتور حسن إبراهيم حسن . الجزء الرابع .

(٩) المغرب عبر التاريخ : إبراهيم حركات . الجزء الأول .

(١٠) صلاح الدين الأيوبي والفن الحربي العربي : د. مروان سعد. مجلة الفكر الاستراتيجي العربي، العدد ٢ ـ أكتوبر ١٩٨١م .





المسيحية والحضارة العربية

للأب جورج شحاتة قنواتي

د. حسن كامل إبراهيم

يحاول المؤلف في هذا الكتاب أن يوضح مدى إسهامات النصارى في تكوين العقل المسلم، سواء بالنقل والترجمة أم بالإبداع العلمي والفكري.

وينقسم الكتاب قسمين، الأول: يشتمل على خمسة أبواب: الأول يأتي في فصلين وهما يبحثان في نشأة النصرانية وتحديد المبادئ المشتركة بين النصرانية والإسلام. والباب الثاني يشير المؤلِّفُ فيه إلى الطوائف النصرانية فيعددها ويذكر بعض سماتها الفكرية. وفي الباب الثالث ينوه بانتشار النصرانية قبل الإسلام في جزيرة العرب. وعندما ينتقل إلى الباب الرابع يشير إلى مراكز إشعاع التراث الوافد إلى المسلمين مثل الإسكندرية وأنطاكية والرها ونصيبين وجند يسابور، تلك المراكز التي عاش فيها التراث الفارسي والهندي واليوناني ردحًا من الزمن قبل فتح المسلمين هذه البلاد، ولقد نقل رهبان الأديرة الموجودة في تلك المدن هذا التراث إلى المسلمين، فهم قد نقلوا هذا التراث اليوناني مثلا إلى لغتهم السريانية ثم نُقل بعد ذلك إلى اللغة العربية. وفي الباب الخامس والأخير نرى المؤلف يبدي لنا كيف أن نفرًا من النصارى ــ متطببين ومنجمين ــ انتشروا في بغداد عاصمة الدولة العباسية وقاموا بنقل مؤلفات طبية إلى لغة الضاد.

والقسم الثاني من هذا الكتاب جاء في ثلاثة أبواب: الأول يحتوي على نماذج من شعراء النصارى الذين نشؤوا وترعرعوا في البيئة الإسلامية قبل ظهور الإسلام وبعده، ويشير إلى نماذج من الأطباء والصيادلة في الباب الثاني. وأخيرًا ينتهي في الباب الثالث والأخير إلى توضيح ملامح النصارى المنتشرين في مصر والعراق.

إن هذا المؤلَّف الذي بين أيدينا ذو لغة سهلة

> لماذا أبدع النصارى في ظل الإسلام ولم يبدعوا قبله؟

والمؤلِّفُ يعرض لأفكاره بأسلوب سلس، ورغم ذلك يعتري بعض أفكاره أحيانًا الغموض وأحيانًا أخرى الاقتضاب، ونجد كذلك بعض الأحكام السريعة دون تحديد جذورها وخلفيتها التاريخية.

ومن الملاحظ أن المؤلِّفَ في هذا العمل يبين الدور الذي لعبه النصارى في البيئة الإسلامية ـ إبان الدولة الأموية والعباسية ـ ونجده كذلك ينوه بعلاقة المحبة والإخاء بين المسلمين والنصارى، ويشير إلى التبادل الثقافي والفكري بين أبناء الخلافة الإسلامية ـ المسلمين والنصارى ـ علاوة على التبادل الاقتصادي والتجاري.

ويؤكد المؤلِّفُ أن الإسلام والنصرانية يتفقان في عديد من أمور العقيدة وإن كان يوجد بعض الخلاف بينهما والذي لا نريد أن نشير إليه هنا، وكذلك نترك تلك الخلافات العقدية إلى المتخصصين في مقارنة الأديان.

وما يشغلنا هنا هو بعض الأفكار التي طرحها الأب «قنواتي» فيما يخص الفكر الإسلامي، فإن «الأب» أشار إلى التبادل الفكري بين مفكري

المسيحية والحضارة العربية

للأب جورج شحاتة قنواتي

المسلمين والنصارى لدرجة أن القارئ الذي يأخذ بظاهر النص القنواتي يعتقد أن الحضارة الإسلامية قامت على أكتاف نصارى السريان.

بادئ ذي بدء نتناول عنوان هذا المؤلَّف الذي جاء «المسيحية والحضارة العربية» فنشير إلى أن «المسيحية» لفظة ليست دقيقة والأدق هو «النصرانية» فالنص القرآني لم يرد فيه إلا لفظة «النصارى» كقوله تعالى على سبيل المثال ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين﴾ البقرة ٦٢. وبالنسبة لمصطلح «الحضارة العربية» فهو أيضا غير دقيق فإن الحضارة التي ظهرت على أيدي المسلمين حضارة «إسلامية» وليست «عربية»؛ لأنها لو كانت عربية لطرد أبو حنيفة النعمان، والفارابي، وابن سينا . . . إلخ، لطردوا جميعا من بوتقة الحضارة الإسلامية الهوية؛ لأنه ليس لهم أصول عربية، وكذلك هؤلاء القوم الذين قامت على أكتافهم الحضارة الإسلامية ما كانوا ليصنعوا ذلك لولا ظهور الإسلام وإن كان الأمر غير ذلك فلماذا لم يصنعوا تلك الحضارة قبل ظهور الإسلام وكانت النصرانية موجودة؟!

ويمكن القول إن مفكري الحضارة الإسلامية عامة استفادوا من احتكاكهم بالنص المنزل - قرآنا وسنة - مناهج علمية في مقابل المناهج الوافدة - كالقياس الأرسطوطاليسي العقيم - وبفضل هذه المناهج العلمية الدقيقة استطاع هؤلاء النفر - من أبناء الحضارة الإسلامية - أن ينتجوا ما أنتجوا من نتاج علمي وفكري. وبناءً على ما تقدم نعتقد أن التسمية الدقيقة لهذا المؤلَّف «النصرانية والحضارة الإسلامية» وليس «المسيحية والحضارة العربية».

وقبل أن نشير إلى بعض الأفكار التي وردت في هذا المؤلَّف نود أن ننوه بأن «الأب» أخذ على عاتقه أن لا يذكر آية قرآنية واحدة - رغم أن الموضوع شديد الارتباط بالإسلام - وإن أراد أن يعبر عن أحد المفاهيم الإسلامية فإنه يكتفي بأن يشير إلى ذلك بواسطة بعض الألفاظ الواردة في القرآن الكريم دون أن يذكر الآيات التي تدلل على ذلك، وإن حدث وأورد نصًا - وذلك في القليل النادر - فإنه لا يذكر السورة التي ورد فيها النص ولا يذكر كذلك رقم الآية ولا يتتبع استعمال القرآن الكريم لها، على حين نجده عندما يريد أن يشير إلى أحد المفاهيم التوراتية أو النصرانية يعرض لآيات العهد القديم أو العهد الجديد التي تبين ذلك.

وإذا ما انتقلنا إلى الأفكار الغامضة والأحكام السريعة نجد مثلاً «الأب» يشير إلى أسباب دخول أهل البلاد المفتوحة بعامة ومصر بخاصة في الإسلام، وأنها تتمثل في الأسباب الآتية:

١ - المنافع المادية والاجتماعية، فالذي يعتنق الإسلام يعفى من الجزية ويصبح أهلاً لكي يصل إلى أعلى الوظائف الحكومية.

٢ - نظام الزواج الإسلامي الذي يسمح للمسلم أن يتزوج مسيحية حتى لو بقيت هي على دينها. وهذا ما يبيحه الشرع، إلا أن الذرية حتما مسلمة فلا فرار من التأسلم الحتمي.

٣ «بساطة العقيدة الإسلامية والمبادئ المشتركة التي تُقرُّ بها المسيحية». (ص ٥١ - ٥٢).

ليت شعري! هل دخل أهل مصر دين الله أفواجًا لمكاسبَ مادية - أعني رفع الجزية عنهم - ولكي يتولوا مناصب قيادية مرموقة كانت حِكرًا على

> لولا الحضارة الإسلامية ما كان للعرب شأن بين الأمم

المسلمين وحدهم؟ نقول إن الجزية كانت تفرض على أهل الذمة حتى لا يكون لهم دور في الدفاع عن ديار الإسلام، وليس من المعقول أن يدفع الذميُّ عن نفسه مبلغ الجزية الزهيد ويدخل في الإسلام ويعرض نفسه لضرب عنقه أثناء اشتباك الجيوش الإسلامية في الحروب مع الأعداء. ومن جهة أخرى فإن مقدار الجزية كان قليلاً جدًا إذا ما قورن بمقدار الزكاة والصدقة التي يدفعها المسلم، ومن هذا المنطلق فإنه يمتنع دخول أهل مصر في الإسلام بهدف الهروب من الجزية. وأما كون النصارى لا يشغلون مراكز قيادية فذلك ليس له نصيب من الصحة فإن المستشرق «هيتز» أكد توليهم مناصب رفيعة المستوى وهو يعبر عن عظمة التسامح الإسلامي في مُؤلَّفه «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري» بقوله «إن من أعظم بواعث الاستغراب كثرة عدد غير المسلمين من رجال الأسر في الدول الإسلامية، وقد شوهد المسلم في بلاده يحكم عليه النصارى، وحدث مرتين في القرن الثالث الهجري أن كان من النصارى وزراء حرب، وكان على القواد حماة الدين أن ينفذوا أوامره، وكانت الدواوين غاصة بالكتّاب من النصارى». ومما يدل كذلك على توليهم مراكز قيادية حسّاسة في الدول الإسلامية - على نحو ما يذكر «هيتز» - أن أكثر الفتن التي وقعت بين النصارى والمسلمين بمصر - يعني في العصور الأولى - نشأت عن تجبر المتطرفين من الأقباط.

وبالنسبة للسبب الثاني الذي يعني أن هناك من دخل في الإسلام بهدف الزواج من نصرانية حتى لو بقيت على دينها فإنه يعد من المنافقين. وفي الوقت ذاته لم نسمع أو نقرأ عن امرئ دخل الإسلام الحنيف وصحَّ إسلامه وكان ذلك هدفه من الدخول في الإسلام، وكذلك من دخل في الإسلام فإنه يدخله من دون أي غرض دنيوي أي لا يبغي أي عرض زائل، بل إنه يعتنق الدين الحنيف لما ينطوي عليه من فضائل لا توجد في غيره

« مناهج النص المنزّل أتاحت للمسلمين والنصارى مفاتيح الإبداع الفكري والعلمي »

من المعتقدات التي لا مجال لتعدادها هنا .

وبالنسبة للسبب الثالث والأخير فإنه - بالطبع - لمن الواضح للجميع أن الدين الإسلامي يسر لا عسر فيه، وقد جاء متممًا للتوراة والإنجيل وأنهم جميعًا يشتركون في المبادئ الأساسية للتوحيد وإن كان يوجد عديد من الخلافات العقدية التي يطول شرحها وليس لها مجال هنا . ومن الثابت أنها من صنع القسس والحاخامات وليست من أصل الدين المنزل .

وهناك قضية أخرى يعتريها الغموض والاقتضاب وهي إشارة المؤلف إلى مدى التداخل بين الفكر الإسلامي والفكر النصراني - إن جاز التقسيم - فإن هذا التداخل أدّى - على نحو ما يزعم المؤلف إلى - « الاقتباسات الأدبية في العقديات والزهديات . وإلى المقايسات المعنوية في البنى الفكرية من تأملات في الجحيم والجنة والطرق في محاسبة النفس . . . » (ص ١٢٥) .

إن « الأب » قنواتي يردّ - من خلال هذا النص - أعمال مفكري المسلمين في مجال العقائد وحياة الزهد إلى الفكر النصراني، وهذا - بالطبع - رأي غير معقول؛ لأن الأمور العقدية التي تخص الإسلام إنما تنبع من النص - قرآنًا وسنة - وكذلك حياة الزهد . وأما وصف الجنة والنار فإننا لم نقرأ عن أحد مفكري المسلمين - الذين يعبرون عن روح الحضارة الإسلامية - أنه اقتبس ذلك من فكر النصارى، وإن كان ذلك قد وقع بالفعل فلِمَ لم يذكر « الأب » مثالاً على ذلك ؟!

ويستفيض « الأب » في رد الزهد والحياة الروحية في الإسلام إلى أصول نصرانية بقوله : «إن عددًا لا بأس به من المقالات الأولى التي وضعت في الزهد الإسلامي تبدو نقلا لموضوعات مسيحية بشيء من التوسع والتصرف » (ص ١٢٥) . ليت شعري ! هل حياة الزهد والتعبد التي نجدها عند الزهاد - الذين يعبرون عن روح الحياة الروحية في الإسلام - الأوائل ليست إلا صورة من حياة الرهبنة النصرانية التي ما فرضها الله عليهم . بالطبع لا ! فإنَّ العُبَّاد والزهّاد الأوائل أمثال رابعة العدوية والحسن البصري والحارث المحاسبي إنما انطلقوا في حياتهم الروحية من الاقتداء بسيرة الرسول ﷺ، فلقد تأثروا بزهده وتحنثه ﷺ في غار حراء، لقد كانت حياة الرسول الكريم المنهل العذب والمورد النقي الذي نهل منه هؤلاء الزهاد . إن حياة الزهد والتعبّد الأولى أعنى الحياة الروحية في الإسلام، لبريئة براءة الذئب من دم ابن يعقوب عليهما السلام، بريئة من تلك الأحكام الجائرة التي يزعمها المستشرقون وذيولهم الذين يعيشون بيننا .

ولقد أشار « الأب » كذلك إلى قضية أخرى وهي أن المسلمين إنما أقبلوا على دراسة التراث اليوناني؛ لأنه كان يقابل حاجة عندهم فيقول :

« غير أنه، لأسباب عدة درسها مؤرخو الحضارة العربية، لم يوجه رجال العلم والسلطة العرب اهتمامهم إلا لما كان يلائم حاجاتهم الاجتماعية، ومميزاتهم القومية والدينية فأهملوا مثلا التاريخ، والآداب، ووجهوا كل عنايتهم نحو التراث الفلسفي والعلمي » ص ١٢٩ . يزعم « الأب » هنا أن الخلفاء أمثال هارون الرشيد والمأمون وبعض الأغنياء ورجال العلم أمثال « آل نوبخت » إنما اتجهوا إلى دراسة التراث اليوناني للغايات التي ذكرها « الأب » تلك الغايات التي ليس لها نصيب من الصحة . فإن المسلمين أهل علم ومعرفة، ودينهم الحنيف يدعوهم لطلب العلم فدرسوا هذا التراث من هذا المنطلق متسلحين بعقيدتهم الإسلامية فأخذوا منه ما يوافق عقيدتهم ولفظوا منه ما يخالفها .

وبالنسبة للأدب والتاريخ الوثنيين فلقد لفظهما المسلمون بسبب الوثنية فيهما . وعمومًا فلقد أكد المفكر المسلم ضرورة بناء العقيدة في نفوس المسلمين بناءً قويًا قبل الإقبال على تعلم علوم الفلسفة والمنطق نظرًا لما تشتمل عليه هذه العلوم من آفات إن أصابت العقل أفسدته، أعني تؤدي إلى الانزلاق إلى هاوية الكفر والإلحاد .

وأخيرًا وليس آخرًا، يجب أن نشير إلى أن عديدًا من الأخطاء التي انتشرت في الفكر الإسلامي ترجع إلى أخطاء في ترجمات نصارى السريان، وما إن فطن المسلمون إلى ذلك حتى سارعوا إلى تصحيح هذه الأخطاء، والأمثلة على ذلك عديدة، كنقل ابن ناعمة الحمصي تاسوعات « أفلوطين » ونسبتها لأرسطوطاليس تحت اسم « أثولوجيا أرسطوطاليس » فنسبها الفارابي لذلك لأرسطوطاليس، ولكن ابن سينا لم ينسبها له عندما عرف بأنها من أعمال « أفلوطين » .

ويمكن القول إن نصارى السريان إنما مدوا يد العون للمسلمين في نهضتهم في عهد دولة بني أمية ودولة بني العباس، ولا أحد يستطيع أن ينكر ذلك، ولكن المنصف والمدقق عليه أن يبرز حجم هذا الدور وفاعليته على مسرح الحياة الفكرية والعلمية . وعموما؛ فإنه لولا الحضارة الإسلامية التي جاءت مع ظهور الإسلام ما كان للعرب شأنٌ يذكر بين الأمم الأخرى .

من كتاب العدد

● د . حسن كامل إبراهيم .

- يعمل مدرسًا في قسم الدراسات الفلسفية، جامعة عين شمس بالقاهرة .

- تخصصه الدقيق : دراسة فلسفية مقارنة بين الفلسفة اليونانية والإسلامية .

- حاصل على درجة الماجستير، وكان موضوع الرسالة : «أرسطوطاليس بين الفكر الشرقي والفكر الغربي في العصر الحديث » .

- حصل على درجة الدكتوراه، وكان عنوان الرسالة : « الآثار العلوية بين أرسطوطاليس ومفكري المسلمين » .

تكريس الأمية اللغوية



علي محمد العمير

قرأت ــ باهتمام خاص ــ ما كتبه الأستاذ حسن أبو علة، ونقده للاهتمام الواسع باللغة الدارجة رغم كونها غير عربية . . . الخ . (١)

ولا شك عندي أن مثل هذه الاهتمامات تؤدي ـ في النهاية ـ إلى تكريس الأمية اللغوية من حيث الخلط اللغوي، أو المزيد من العجمة!

وفي ذلك الكثير من الخطورة على اللغة الفصحى!

وهو الاهتمام الذي يسير جنبا إلى جنب ـ بغير قصد طبعا ـ مع دعاة التحول من اللغة الفصحى إلى اللغة «المحكية» أو الدارجة بكل ما فيها من مفردات لا تمت إلى اللغة الفصحى بأدنى صلة.

من هؤلاء الدعاة ـ على سبيل المثال ــ سعيد عقل الذي كانت تحوم حوله الشبهات التي تأكدت بعد ذلك بأحاديثه في إذاعة اسرائيل التي شتم فيها العرب، وإسلامهم، ولغتهم، ثم تجديده للدعوة إلى استخدام اللغة العامية في الشعر أو غيره. فاتضح بذلك أنه لم يكن غير مجرد عميل استخدمت شهرته السابقة في الشعر العربي الفصيح لمحاربة اللغة الفصحى، والدعوة إلى إحلال العامية في محلها، ومن ثم هدم التراث الإسلامي، أو العربي على كل صعيد. وذلك هو شأن يوسف الخال، حذوك النعل بالنعل، وغيرهما.

وكان عقل قد قام ـ منذ البداية ـ بإصدار ثلاثة دواوين من شعره بما يسميه «اللغة المحكية»(٢).

وكان كل ذلك أو بعضه يتطلب تمويلا ضخما، لصناعة مطبعة خاصة لا مثيل لها في العالم من أجل طبع الكلمات «المحكية» بطريقة خاصة، فضلا عن غير ذلك!

وأذكر هنا ـ بكل تواضع ـ أنني شاركت الكثير من الأدباء، والنقاد ــ منذ ٢٢ عاما ـ (٣) في التصدي لسعيد عقل وفضح غايته، بل اشتركت مع الأستاذ رجاء النقاش في **التساؤل عن مصدر تمويل مطبعة ضخمة فريدة من نوعها، مما يجعل تكلفتها ــ دون شك ـ مرتفعة جدا إلى حد لا يستطيع تمويلها سعيد عقل، ولا غيره، لكونها غير ذات مردود تجاري على الإطلاق.**

ومن ثم، كان ذلك علنية واضحة لعمالة سعيد عقل إلى أن كشفت الحرب اللبنانية كل شيء، حيث احتاجت إسرائيل ـ كما يبدو ـ إلى علنية العمالة الأدبية الثقافية لاستخدامها في الإعلام الإسرائيلي ضد لغة القرآن، وتراث العروبة، والإسلام.

وبذلك افتضح سعيد عقل فضيحة كبرى، لكنه كان قد هان على نفسه منذ زمن بعيد، فلا غضاضة عنده في احتمال أقصى هوان:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

ولكن ذلك كله لا علاقة له ــ من قريب أو بعيد ـ باهتمامات بعض أدبائنا باللغة العامية أو (الشعر العامي) أو (الشعر النبطي)، حيث هم بالطبع فوق كل شبهة من هذا القبيل، وإنما تنطلق اهتمامات بعض أدبائنا من وجهات نظر لا شك في إخلاصها حتى ولو اتفقت ـ بالصدفة ــ مع الدعوات المشبوهة حيث تختلف الأهداف، وإخلاص النوايا.

وإنما أشرت إلى سعيد عقل وأمثاله للتأكيد على وجهة نظري بشأن خطورة التكريس للعامية مهما كان الهدف.

وقد ضربنا المثل بسعيد عقل للتأكيد على أن محاربة لغتنا الفصحى؛ إنما يتمثل في الدعوى إلى الاهتمام بالعامية حيث ذلك أسهل وسيلة عند أعداء العروبة، والإسلام، كما أسلفنا.

أما دعوة الأستاذ حسن أبو علة إلى تسجيل كلمات التخاطب في المنطقة الجنوبية، أي الكلمات المتداولة ذات الأساس اللغوي الفصيح، فإنني أشير هنا ـ من حيث لا أقصد

الحديث عن نفسي ــ إلى أنني لاحظت في بدايات إيغالي في قراءات أمهات كتب الأدب واللغة، وجود الكثير من المفردات الفصيحة جدا في لغة التخاطب العادي في منطقة (جيزان)، حيث كنت ــ حينذاك ــ في الرياض، ولكني قريب العهد بالمنطقة، وكان ذلك في عام ١٣٧٩ هـ.

وكنت كلما زدت إيغالا في القراءة يتسع نطاق ملاحظتي تلك، الأمر الذي دفعني إلى تسجيل تلك الكلمات ذات الأساس الفصيح ـ خلال قراءتي ـ مع شرحها، وإيراد شواهدها في القرآن أو الحديث أو الشعر القديم.

وقد سجلت الكثير من ذلك، لكنني كنت في عمل كثير التنقل بين الرياض وجدة، كما كنت كثير التنقل بين منزل وآخر في المدينة التي أقيم فيها نفسها.

ورغم حرصي الشديد الذي كان يجعلني أشرف شخصيا على نقل مكتبتي عند كل انتقال، إلا أنني فوجئت ـ ذات مرة ـ بفقد الأوراق الكثيرة التي سجلت عليها تلك الكلمات وشواهدها، فأسفت كثيرا على الجهد الذي بذلته على مدى العديد من السنوات، ثم ذهب هباء!

ومن ثم أشارك الأستاذ حسن أبو علة رأيه حول **أهمية تسجيل المفردات اللغوية الفصيحة التي حافظت عليها اللغة العامية**، وبخاصة ذات الأصول القديمة حيث يتحقق بذلك الكثير مما أشار إليه. بل أزيد على ذلك تأكيدا من حيث أشير إلى وجود عدد من المعاجم الخاصة بالمفردات العامية ذات الأصول الفصيحة. وأذكر هنا بعضها للدلالة:

١ ــ «القول المقتضب فيما وافق لغة أهل مصر من لغات العرب»، من تأليف محمد بن أبي السرور الصديق الشافعي، طبعة دار الفكر العربي ١٩٦٢ م.

٢ ـ «المحكم في أصول الكلمات العامية»، تأليف د. أحمد عيسى ونشر مطبعة الحلبي ١٩٣٩ م.

٣ ـ «فصيح العامي في شمال نجد»، تأليف عبد الرحمن بن زيد السويداء ونشر المؤلف نفسه. وهو أيضا «الأنموذج» الأمثل.

وبمناسبة ذكرنا للمعاجم لابد من الإشارة إلى أننا في العالم العربي والإسلامي من أفقر الأمم في الناحية المعجمية الحديثة، ليس في مجال اللغات فحسب، بل في مختلف المجالات الأخرى وبخاصة معاجم «المصطلحات» في العلوم، والآداب، وغيرها، حيث معظم ما لدينا من ذلك **هو عبارة عن ترجمات غير قويمة، لا تفي بالغرض منها**.

والشأن نفسه في مجال الموسوعات حيث نعيش عالة على ما يترجم، وهو القليل الهزيل! ومن المصادفات العجيبة أنني ـ قبيل الشروع في كتابة هذا الموضوع ـ كنت قد قرأت ما نصه:

«صدر مؤخرا في باريس معجم «المعتقدات والأمثال». . . **يضم المعجم مجموعة ضخمة من المعتقدات، والأمثال المتداولة في مناطق شتى من العالم، والتي تتوارثها الأجيال**»(٤)

ولكم أن تعجبوا ـ بعد المقارنة ـ ما شئتم! فلقد وصل اهتمام الغرب ليس إلى أبعد ما يخصه من هذه الناحية، بل وصل اهتمامه المعجمي إلى شعوب العالم في أهم وأخص ثقافاتها: المعتقدات، والأمثال.

وقرأت أيضا ــ بعد ذلك ــ نص تصريح صحفي بديع للدكتور محمد مريسي الحارثي عميد كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، نقتطف منه ما يلي:

«العامية هي لغة السواد الأعظم، وهذا لا يعني أنها تتطور، وإنما ينحدر الغالبية من المتكلمين إلى التعامل معها مشافهة لا كتابة، **وعامية القراءة التي يتصف بها من نطلق عليهم «عامة الناس» أو «العامة» تتجاوز هذه الشريحة من العامة إلى كثير ممن يمتهنون الكتابة، ويقدمون ما يكتبونه للقراء على أنه يمثل بنية من بنيات الثقافة العربية. . . . إن الكتاب العاميين هم أخطر على اللغة من العامة**»(٥).

وهذا يعني مدى خطر الاهتمام بتكريس المفردات العامية على شكل معاجم أو نحو ذلك من أنواع التدوين، بل يعني أيضا أن التدني الثقافي اللغوي ـ لغة الصحافة مثلا ــ يمثل الخطر الأكبر كما يؤكد الدكتور الحارثي. فما بالك بالأدنى من ذلك؟!

ومما أحتفظ به ضمن جذاذاتي، مقولة صائبة لأخي الشاعر الساحر الأستاذ محمد المشعان: «الخوف على اللغة العربية له ما

تكريس الأمية اللغوية

يسوغه؛ لأنه إذا ماتت اللغة الأم القادرة بذاتها، وسعتها، وتاريخها، وشرعها، وموسوعاتها وقواميسها **القادرة على جمع المسلمين تحت لواء مفهوم واحد**، إذا ماتت هذه اللغة، فأصحابها في أثرها إلى المصير نفسه، **وليس هناك لهجة عامية تقدر على أن تنهض بالعبء**»(٦).

ولابد من الإشارة إلى أننا هنا ـ في بلادنا المترامية الأطراف ـ أصحاب لهجات كثيرة ومتعددة، قد بدأنا في تهذيب هذه اللهجات إلى الحد الذي ارتفع فيه مستوى التخاطب إلى الأفضل.

ولا شك أن ذلك نتيجة حتمية لمسيرة التعليم في بلادنا منذ حوالي أربعين عاما، وهي مدة قصيرة جدا بالقياس إلى أعمار الشعوب، أي أن ارتفاع مستوى لغة التخاطب يتزامن مع ارتفاع مستوى التعليم أكثر فأكثر. إذن يجب علينا تشجيع هذه الظاهرة، حيث حققنا في هذا المجال ما لم تحققه الكثير من الشعوب بسبب اندفاع التعليم في خضم الجهل، والأمية الكاملة تقريبا، فكان لا بد له ـ أي التعليم ـ أن يؤثر في مجالات عديدة، منها لغة التخاطب التي كانت متفشية إلى الحد الذي لم يكن يستطيع فيه إنسان من منطقة ما فهم إنسان آخر من منطقة أخرى وهما ـ كما يفترض ـ أصحاب لغة واحدة، ولكن الجهل ما زال، غير أن القضاء عليه مسألة زمن ليس إلا!

وأعود ـ بعد هذه الشطحة ـ إلى دعاة استبدال العامية المفرطة العجمة باللغة الفصحى، سواء من كان منهم صاحب هدف سافل، أو من كان منهم على حسن نية حيث كلاهما في خندق واحد!

ومن ذلك ما أثار دهشتي حقا أن أجد شبابنا يلتقي علنا مع سعيد عقل وأمثاله ـ دون قصد طبعا ـ(٧) في دعوتهم الفاضحة المفضوحة إلى أن نجعل لغتنا الفصحى خلف ظهورنا، وهي لغة الكتاب، والسنة، والعلوم، والآداب، وسائر فنوننا، وننحدر إلى «اللغة المحكية»، ليس في مشافهاتنا فحسب، بل في صميم هويتنا من كل ناحية!

ولا شك أن هدم اللغة العربية هو أحد الأهداف الاستعمارية الأساسية، لذلك تتنوع وسائلهم نحو تحقيقه، ابتداء من استخدام القوة المباشرة وانتهاءً إلى استخدام أمثال سعيد عقل(٨)!

فأما استخدام السلطة لطمس اللغة العربية، فإننا ـ على سبيل المثال ـ لم ننس بعد ما فعلته فرنسا في الجزائر أو في المغرب عامة، من بطش كانت أولى نتائجه ضياع الكثير من لغة تلك الشعوب التي جاهدت ودافعت كثيرا عن إسلامها، وعروبتها. والجزائر وحدها فقدت أكثر من مليون شهيد!

وحتى بعد زوال الاستعمار المباشر نشأت معاناة جديدة مع جهود «التعريب» التي لا تزال مستمرة، فضلا عن معاناتهم القاصمة من أجل استعادة دينهم الإسلامي الصحيح! ثم يأتي ـ بحسن نية أو بسوئها ـ من يؤكد الدعوة للعامية!(٩).

الهوامش:

(١) جريدة الندوة، ١٢/ ٣/ ١٤١٤هـ.

(٢) و(٣) كتابي «مناوشات أدبية» ص ١٠٧ إلى ص ١١١.

(٤) جريدة عكاظ، ١٤/ ٣/ ١٤١٤هـ.

(٥) جريدة البلاد، ١٤/ ٣/ ١٤١٤هـ.

(٦) نقلا عن مجلة اليمامة، ٢٤/ ١/ ١٤١٤هـ.

(٧) مجلة اليمامة، ١٢/ ٥/ ١٤١٤ هـ.

(٨) أشارت الدكتورة بنت الشاطئ ـ عائشة عبد الرحمن ـ في كتابها «لغتنا والحياة» إلى هذا الموضوع بالذات حيث تقول: «لكن الاستعمار استغل هذه الظاهرة ـ تقصد ظاهرة ازدواج الفصحى، والعامية ـ ليحارب الفصحى بلهجاتها الشعبية تمزيقا لوحدتنا اللغوية والفكرية والمزاجية، فراجت دعاوى تتهم الفصحى بالعقم والبداوة وتلقي عليها مسؤولية تخلفنا، وتدعو للعامية فتزعم لها القدرة على الوفاء بحاجات وجودنا اللغوي الحديث، وترى فيها المفتاح السحري لتقدمنا العلمي والحضاري». نقلا عن استعراض للدكتور حمدي حمودة لكتاب «لغتنا والحياة» في مجلة «الكويت»، تاريخ ٢٩/ ٤/ ١٤١٤ هـ.

(٩) لا أماري طبعا في أن الشعر الشعبي أو العامي أو النبطي قد حفظ الكثير من الوقائع التاريخية، والملامح الاجتماعية في عصور التخلف أو الانحطاط. ومن هنا بالذات يستحق الدراسة له، والعناية به، على أن لا يكون ذلك بمثابة حجة على استمراره في عصرنا المستنير هذا حيث انتهت حاجتنا له، بل أصبح وجوده معول هدم، وليس شاهد تاريخ!

الخاصُّ والعامُّ وبناءُ الحضارات

ياسـر الفهـد

إذا رجعنا إلى التاريخ ننقب بين ثناياه لنتقصى أخباره، ونستكشف أحداثه، نجد أن الحضارات لا تصنعها إلا سواعد العمل الجماعي المتضامن، وأن التقدم لا يشيده إلا تضافر الجهود وتكافلها.

وكما قال الرسول العظيم في حديثه الشريف عن أبي موسى: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».

وعندما يتم البناء، وتكتمل الإنجازات، تنعكس النتيجة على جميع أبناء المجتمع فردًا فردًا. وبتعبير آخر، فإن تحقيق مصلحة المجموع يفضي في نهاية المطاف إلى تحقيق مصلحة كل عضو من أعضاء المجتمع. وهذه حقيقة واضحة وبديهية، ولا تخفى على إنسان مهما كان بسيطًا. ومع ذلك، فإن من المؤسف حقا أن أناسًا كثيرين ما زالوا عاجزين عن إدراك هذه الحقيقة البسيطة إدراكًا حسيا واعيًا وعمليًا، وإن كانوا يقبلونها من الوجهة النظرية. يقول جاك بيرك: «نظرية العرب متقدمة على ممارستهم». وهذا القول يوحي بأن العرب (ونقصد العرب في الزمن الحديث) يفكرون أكثر مما يفعلون، أو يضعون الأسس والمبادئ النظرية وينادون بالمثل العليا أكثر مما يطبقون ذلك على أرض الواقع. وهذا صحيح إلى حد ما. فالعرب يرفعون شعارات جميلة ويؤمنون بمثل نبيلة وينافحون عن مبادئ سامية؛ ولكنهم عندما يحتكون بالواقع، نجدهم لا يتصرفون، في كثير من الأحيان، على الصعيد العملي، وفقًا لما ينادون به على الصعيد النظري.

وهذه الهوة بين النظرية والممارسة، تظهر ـ في رأينا ـ أكثر ما تظهر، وهو بيت القصيد ولب موضوعنا الحالي، في الفرق بين الإيمان بالمصلحة العامة ومصلحة الوطن من جهة، والتصرف وفق المصلحة الخاصة وحدها من جهة ثانية. الجميع في المجتمعات العربية يقدسون المثل والمبادئ العليا، ولكنّ هناك على صعيد التطبيق العملي فريقين: الأول يعمل من أجل المجموع، وفي سبيل الصالح العام، وبعض أفراده يتفانون إلى أبعد الحدود ويقدمون أكبر التضحيات وفريق آخر لا يعمل أفراده إلا وفق مصالحهم الشخصية، حتى لو أضر ذلك بمصلحة الوطن. وهؤلاء، وإن كانت لا تنقصهم الثقافة، فإنهم يفتقرون إلى الوعي. وهذا الفريق الثاني بالذات هو الذي يعوق تقدمنا الآن. وهو المسؤول، أكثر من أي عامل آخر، عما آلت إليه أحوال العرب اليوم. والرسالة المهمة التي نريد أن نوجهها إلى هذا النفر من الناس هي: إذا كانت أنانيات هؤلاء شديدة ونزعاتهم الفردية متضخمة إلى الحد الذي يجعلهم لا يسعون، في أعمالهم وتصرفاتهم، إلاّ إلى تحقيق مصالحهم الخاصة، ولو تم ذلك على حساب الوطن بأكمله، فإن بإمكانهم تحقيق هذه المصالح بالذات وبقدر أكبر، عن طريق سلوك الطريق الإيجابي المتمثل بالعمل من أجل الصالح العام. فعندما يعمّ الخير ويسود الرخاء في الوطن بأكمله، فإن هذا الخير سيصيب كل فرد من أفراد المجتمع. ومن جهة ثانية، فإن البلاء عندما يحلّ، بسبب النزعات الفردية الأنانية، فإنه سيصل إلى كل فرد من أفراد الأمة، بمن فيهم أصحاب هذه النزعات بالذات.

وهذه الرسالة التي تبدو بسيطة في الظاهر، هي في الحقيقة غاية في الأهمية. ولو أمكن استيعابها وإدراكها بصورة عملية واعية، وبالتالي تطبيقها على أرض الممارسة، لانقلبت كثير من الأمور رأسًا على عقب، ، ولاستراح الوطن من مشكلات عديدة لا حصر لها، ولصلح حال الناس إلى حد كبير. إننا هنا لسنا بصدد توجيه دعوة عاطفية، وإنما نرمي بطريقة منطقية وهادئة إلى إيضاح حقيقة بالغة الأهمية يبدو لكثير من الناس أنهم يدركونها، وهم في الواقع لا يدركونها إلا إدراكًا سطحيا ونظريًا. إن الأمة العربية تواجه اليوم وضعًا خطيرًا يهدد مستقبلها بأوخم العواقب، ولا سبيل لتجاوز هذا الوضع إلا بتجاوز النزعة الفردية إلى النزعة الغيرية، وبتخطي المصلحة الخاصة باتجاه المصلحة العامة. ولا شك أن الجميع يوافقون على ذلك من الوجهة النظرية. ولكن من منهم يطبق ذلك تطبيقًا عمليًا؟!

القرآن الكريم وتنمية القوى العقلية

بقلم: فؤاد هيبة عيد

لو تأملنا ما خلق الله من كائنات وموجودات لرأيناها تتكون من عوالم ثلاثة. عالم الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان . وعالم الحيوان أرقى وأشرف في مراتب الوجود من عالم النبات، وعالم النبات بدوره أرقى وأشرف في مراتب الوجود من عالم الجماد. وبين أفراد كل عالم من هذه العوالم الثلاثة مراتب ودرجات في شرف الوجود؛ فأعلى أنواع الجمادات يسلم إلى أدنى أنواع النباتات، وأعلى أنواع النباتات يسلم إلى أدنى أنواع الحيوانات، وأعلى أنواع الحيوانات ؛ أي الذروة والقمة في عالم الموجودات الثلاثة؛ هو الإنسان الذي عرّفه علماء المنطق بأنه حيوان ناطق، بمعنى أنه مفكر ذو عقل وتدبير وحيلة. فليس الإنسان إنسانا يتبوأ أعلى قمة في شرف الوجود إلا بما أودع الله فيه وخصه به من العقل والقوة المفكرة، التي، وإن كانت ميزة تميز بها على سائر الكائنات وجعلته سيدا لها، فقد كانت في الوقت نفسه السبب والسر في أنه كان الكائن الذي خصه الله بالتكليف والشرائع، وحمّله أمانة الدين والهداية، تحديدًا لمجال سيادته، وتخطيطا وتنسيقا لأداء دوره ومزاولة فاعليته في مضمار هذه الحياة على هدى وبصيرة. وفي هذا المعنى يقول الله في محكم كتابه :

﴿ إنّـا عرضنـا الأمانـة على السمـوات والأرضِ والجبـالِ فأَبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسانُ إنَّـه كان ظَلُـوما جهولا ﴾ الأحزاب ـ آية ٧٢ .

ويقول : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطَّيِّبـاتِ وفَضَّلناهم على كثيرٍ ممَّن خلقنا تفضيلا ﴾ الإسراء ـ آية ٧٠ .

نعم . . إن التأمل والتفكير مكرمة كرم الله بها الإنسان وضريبة فرضها عليه، لما خصه به من العقل والإدراك والتمييز، وهي الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان فكانت مناط مجده وشرفه :

لولا العقول لكان أدنى ضَيْغَمٍ أدنى إلى شرفٍ من الإنسـان

والعقل يعرفه العلماء أخذا من مدلول لفظه بأنه ملكة يناط بها الفهم والتصور والإدراك، للامتناع عن المحظور وتقييد السلوك بالوازع الأخلاقي فهو من مادة «عقل» المشتق منها عقال البعير الذي يُعقَل به ويقيد عن أن يند أو يهرب. يقول الأستاذ العقاد : إنه يكاد يكون بهذا المعنى في جميع اللغات التي يتكلم بها ملايين البشر « فإن كلمة MIND وما خرج من مادتها في اللغات الجرمانية تفيد معنى الاحتراس والمبالاة، وينادَى بها على الغافل الذي يحتاج إلى التنبيه، واللغات في فروعها الأخرى لا تخلو من كلمة في معنى العقل لها دلالة على الوازع، أو على التنبه والاحتراس » .

وإذا كان من خصائص العقل، التأمل في الأمور، وتقليبها على جميع الوجوه، واستخراج الأسرار واستكناه البواطن، وربط النتائج بالمقدمات، وإدراك الحكم، وإصدار الأحكام في نضج ووعي حتى يؤول الأمر إلى ما يسمى بالحكمة، فإن مادة الحكم والحكمة ترجع كذلك في أصل اشتقاقها اللغوي إلى « الحكمة » التي توضع في فم الدابة، لكبح جماحها، وتنظيم سيرها وإسلاس قيادها . . وهي أشبه باللجام . . وواضح أن معنى اللجام للدابة، قريب من معنى العقال للبعير.

وإذا كانت العقول تتفاوت في الإدراك والتأمل والتأني لبلوغ درجة الحكمة والنضج والرشاد، فمنها المقصّر عن بلوغ هذه الدرجة ومنها الموافي لها والموفي عليها، فقد أشار القرآن الكريم إلى الحكمة وذكرها في أكثر من آية، وبيّن نزول الديانات السماوية بها، وأشار إلى تفاوت الناس في الوصول إليها والحصول عليها، وأشار إلى أنها مناط الإنسانية الناضجة، وأنّ مَنْ أُوتيها فقد أوتي خيرا كثيرا، وذلك في مثل قوله تعالى : ﴿يُؤتِي الحكمة مَنْ يشاء ومنْ يُـؤْتَ الحِكمَةَ فقد أوتي خيرًا كثيرًا، ومـا يَذَّكَّـرُ إلاّ أُولُوا الألباب﴾ البقرة ـ آية ٢٦٩، وقوله تعالى : ﴿ هو الـذي بعث في الأُمّيينَ رسولاً منهم يتلـو عليهم آيـاته ويُـزكيهم ويُعلمهـم الكتـاب والحكمَة وإنْ كـانُوا من قَبْلُ لفي ضلاَلٍ مبينٍ﴾ الجمعة ـ آية ٢ .

من جانب آخر نجد، بقليل من التأمل، أن عوالمنا هذه التي نعايشها ونمارس حياتنا متفاعلين معها، تشتمل على ضدين واضحين هما القوة والضعف، ففي جميع الكائنات، جمادا ونباتا وحيوانا، القويّ والضعيف . . وفي الإنسان من بين الكائنات القويُّ والضعيف، والإنسان الواحد في أحوال وأطوار وملابسات، يكون تارة قويا وتارة ضعيفا . . والإنسانية باعتبارها شعوبا وأمما ودولا، منها القويّ ومنها الضعيف. والإنسان بطبعه، غريزةً وفطرةً، مجبول على احترام القوة وتمجيدها والإعجاب بها ومحاولة الظهور

بمظهرها . والضعيف دائما وأبدا مولع بتقليد القوي لإعجابه سلفا بالقوة وتمجيدها أينما كانت ، بصرف النظر عن كونها في صالحه أو في غير صالحه .

نعم إن القوة ، في أعلى صورها وأسمى كمالاتها ، تكون في خدمة الحق والخير والعدل والفضيلة .. وتكون ضالة ومنحرفة ، إذا كانت في خدمة الشر والضلال والعدوان ، لكن هذا من عوارضها لا من ذاتياتها . والقوة في الإنسان قد تكون بدنية وقد تكون عقلية وقد تكون نفسية وقد تكون مالية وقد تكون غير ذلك . وربما تكون الإشارة إلى ذلك كله واضحة في مثل قوله ـ ﷺ ـ « ليس الشديد بالصُّرَعَة ـ الذي يصرع الرجال بقوته ـ إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » .

والله تعالى وصف نفسه بالقوة وتمدّح بها وزكّاها في أكثر من موضع في القرآن الكريم في مثل قوله تعالى :

﴿ إنَّ الله هو الرَّزَّاق ذُو القُوَّة المَتِينُ ﴾ الذاريات ـ آية ٥٨ . وحكى سبحانه عن ابنة شعيب قولها لأبيها عن موسى عليه السلام : ﴿ يا أَبَتِ استأجرهُ إنَّ خيرَ من استأجرتَ القويُّ الأمينُ ﴾ القصص ـ آية ٢٦ .

وحكى عن عفريت من الجن قوله لسليمان عن عرش بلقيس : ﴿أنا آتيك به قبل أن تقومَ من مقامِكَ ، وإني عليه لقويٌّ أمين ﴾ النمل ـ آية ٣٩ .

وحكى عن حاشية بلقيس ومَلَئها قولهم لها : ﴿نحنُ أُولوا قوّةٍ وأُولوا بأسٍ شديدٍ والأمر إليك فانظري ماذا تأمرينَ ﴾ النمل ـ آية ٣٣ .. ومدح طالوت بقوله : ﴿ وزاده بَسْطَةً في العلم والجسم ﴾ البقرة ـ آية ٢٤٧ .. وحكى عن هود قوله لقومه ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم تُوبوا إليه يُرسلِ السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوةً إلى قوتكم ، ولا تتولَّوا مجرمين﴾ هود ـ آية ٥٢ .. ووصف أتباع خاتم النبيين بأنهم : ﴿أشدّاءُ على الكفار رُحماء بينهم﴾ الفتح ـ آية ٢٩ .. وأنّ الله قادر على أن يأتي بقوم ﴿ أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين ﴾ المائدة ـ آية ٥٤ .. وأنهم ﴿إذا أصابهم البغيُ هُمْ ينتصرون﴾ الشورى ـ آية ٣٩ .. ونهى سبحانه عن الركون إلى الوهن والضعف ، والرضا بالاستضعاف ، في مثل قوله تعالى : ﴿ولا تَهِنُوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلوْنَ إن كنتم مؤمنين﴾ آل عمران ـ آية ١٣٩ . وقوله : ﴿وكأَيِّنْ مِنْ نَبيّ قاتل معه ربيون كثير، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وما ضَعُفُوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾ آل عمران ـ آية ١٤٦ . وقوله : ﴿إن الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ، قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعفين في الأرض ، قالوا ألمْ تكنْ أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنمُ وساءت مصيرا . إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدانِ لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلا . فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوًّا غفورا﴾ . النساء ـ الآيات ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ .

فإذا كان ذلك كذلك ، وكان الله تعالى فوق كل ذلك يقول : ﴿وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومِنْ رباطِ الخيل ترهبون به عدو الله وعدوّكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوَفَّ إليكم ، وأنتم لا تظلمون﴾ الأنفال ـ الآية ٦٠ .

فإن إعداد القوة المادية وحشدها وتكتيلها وتنويعها ، ومتابعة آخر ما وصل إليه الأعداء من أنواع القوة والأسلحة التي أعدوها ورصدوها لحربنا ، لا يكون إلا بواسطة إعداد القوة العقلية ووجودها قبل ذلك ، لتعمل في هذا المضمار خلاّقة مبدعة مكتشفة . بالقرآن إذن يأمر الله المسلمين بإعداد القوة المادية عن طريق القوة العلمية والعقلية الابتكارية المتجددة ، التي تجدد دائما أبدا ـ مجاراة لتطور الحياة ـ شبابها وفاعليتها ، وتتابع آخر ما وصلت إليه العقول البشرية في عالم الكشف والاختراع . « المؤمن القويّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف » ، كما جاء في صحاح الأحاديث . والقوة المادية لا غنى عنها ، لحماية الحق ونصرته . فالضعيف مغلوب مأكول ولو كان معه حقّ الأولين والآخرين . وأقوى القوى المادية ما كان مرتكزا على أساس من القوة العقلية العلمية . وإن المسلمين لا تنقصهم القوة الروحية والدينية ، بل إنهم يمتازون بها . فإذا حصلوا معها على هذه القوى الفكرية العلمية المنتجة للقوى المادية التي يدافعون بها عن أنفسهم ، ويخوضون بها معاركهم ، فقد تكامل وجودهم فلا أعز منهم على وجه هذه الأرض :

فاليوم ألسنة المدافع وحدها مسموعة الدَّعَواتِ طاهرةُ الفَمِ

وإذا كان العلم خاصة العقل ومظهره ، فإن القرآن قد أشاد بالعلم وشرّفه وبيّن أن الله بسببه أسجد ملائكته لآدم وقال : ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ الزمر ـ آية ٩ . وقال : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجاتٍ﴾ المجادلة ـ آية ١١ . وقال : ﴿علّم الإنسان ما لم يعلم﴾ العلق ـ آية ٥ . وجعل أهل معرفته وخشيته العلماء الذين يغوصون في أسرار مخلوقاته ، لاكتشاف ما أودع الله فيها من قوى يستخرجها الإنسان لاستغلالها وتسخيرها لإرادته ، واستعمالها في جلب النفع ، ودفع الضر ، وحماية الحق ونصرته وإعزاز كلمته ، فقال تعالى : ﴿ألَمْ تَرَ أنَّ الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانُها ومن الجبال جددٌ بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ ألوانها ، وغرابيب سودٌ . ومن الناس والدَّوابِّ والأنعام مختلفٌ ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله عزيزٌ غفورٌ﴾ فاطر ـ الآيتان ٢٧ ، ٢٨ .

ففي هذا الحشد الحاشد من عالَم النبات وثمراته ، وعالم الجماد وجباله ، وعالم الحيوان : إنسانه ودوابه وأنعامه ، وتوقف حياة كل ذلك وصلاح أمره على الماء الذي أنزله الله من السماء ، وإذْعان ذلك كله لظاهرة اختلاف الألوان في جميع هذه العوالم ، من أخضر إلى أحمر إلى أبيض إلى أسود ، إلى غير ذلك ، يذكر الله خشية العلماء الدارسين لهذه الظواهر المتفاعلين مع ما خلق الله من مخلوقات ونعَم ، يعتبر الإقبال على مزاولة البحث فيها والدراسة لها ، أعلى أنواع العبادات ، لا يقل الواقف في محراب البحث والدرس والتحليل ثوابا ورضاء من الله ، عن الواقف في محراب الصلاة راكعا ساجدا لله . وفي حديث رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام « تَفَكُّر ساعةٍ خيرٌ من عبادةِ ستّين سنة » .

من جانب آخر نجد أن القرآن ، لأنه كتاب الإسلام ـ والإسلام خاتم

القرآن الكريم وتنمية القوى العقلية

الأديان عامٌّ خـالد لا دِينَ بعده إلى أن يرث اللهُ الأرض ومن عليها ــ أنزله الله إلى الإنسـانية بعـد أن بلغت سنَّ رُشدهـا ، وقطعت أشـواطا كبيرة من الحضـارة في سبيل تقدمهـا ونضجها ، فكـان هذا القـرآن معجزة هـذا الدين ومعجـزة هذا الرسـول ، فتحا جـديدا ونوعـا جديدا في عـالم المعجزات . . كـانت معجزات الرسل السابقين أمورا خارقة للعادة تُرى وتُسمع وتنتهي بانتهاء وجودها ـ خوارق كونية وغرائب طبيعية ـ لا مجال للعقـل والتفكير فيها ، تدعو إلى الإذعان قهرا ، والتسليم قسرا ، من قَلبِ العصا حيّة إلى تحويل الطين طيرا ، إلى نـاقة صالح ، ونار إبراهيم ومـا شاكل ذلك . . فلما كان الإسلام جاءت معجزتـه قرآنا يُتلى ، معجزة كلامية للعقـل والتفكير والتدبر في بلاغتها وإعجازهـا وآياتها وأحكامها وآدابها ومحتـوياتها الفكـرية ، مجال كبير تتبـارى فيه العقـول والأفهام على طـول العصـور والـدهـور ، فكـان ذلك خطوة تقـدميـة كبرى في مجال تنميـة القـوى العقلية ، وإعمال الفكـر والنظر لبني الإنسان مـن يوم أن نزل القـرآن إلى أن تقوم السـاعـة ، ستة آلاف ومائتا آيـة ، ما مِن آيةٍ منها إلا وفيهـا مجالٌ للنظر والتأمل ، منها سبعمئة وخمسون آية كونية يوجه الله فيها النظر إلى عظمة مخلوقاته وعجائب كـائنـاتـه في الأرض والسماء والماء والهواء والشمس والقمـر والليل والنهـار والكـواكب والنجـوم والبحـار والأنهار والموت والحيـاة والنبـات والجماد والطير والحيوان والإنسان ، وسائر آياته الكونية والآفاقية والأنفسية يحث القرآن ويحرض النـاس فيهـا على التأمل والتـدبـر في كلماتـه ، فيقـول الله لنبيـه في محكـم هـذا الكتـاب :

﴿كِتابٌ أنزلناه إليك مبارك ليدبَّرُوا آيـاته وليتذكَّر أُولـوا الأَلْباب﴾ ص ـ آية ٢٩ ، ويقول : ﴿أفلا يتـدبرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالها﴾ محمـد ـ آية ٢٤ ، ويقول : ﴿أفلا يتـدبرون القرآن ولَو كـان من عندِ غيرِ اللهِ لوجدُوا فيـه اختلافًا كثيرا﴾ النساء ـ آية ٨٢ .

ثم يحث القرآن الناس على التأمل فيما أوجد الله من كائنات فيقول الله ـ جل شأنه ـ فيه :

﴿أفلم ينظـروا إلى السماء فوقهم كيف بنينـاهـا وزيناهـا ومالها من فـروج . والأرض مـددنـاها وألقينـا فيهـا رواسي وأنبتنـا فيهـا من كل زوج بهيج . تبصرةً وذكرى لكل عبـدٍ منيبٍ . ونزلنـا من السماء ماءً مباركًـا فأنبتنا بـه جنَّات وحب الحصيد . والنخل بـاسقات لها طلْعٌ نضيـد . رزقا للعباد وأحيينـا به بلـدةً مَيْتًا كذلك الخروج﴾ ق ـ الآيـات ٦ ـ ١١ .

ويقول في موضع آخر : ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت . وإلى السماء كيف رُفِعت . وإلى الجبــال كيـف نُصبت ، وإلى الأرض كيـف سطحت﴾ الغاشية ـ الآيـات ١٧ ـ ٢٠ .

ويقول في موضع آخر : ﴿قُلِ انظروا ماذا في السمواتِ والأرضِ ، وما تُغني الآيات والنُّذرُ عن قومٍ لا يؤمنون﴾ يونس ـ آية ١٠١ .

ويقول في موضع آخر : ﴿أَوَ لـم ينظروا في ملكوت السموات والأرضِ وما خلق اللهُ من شيءٍ﴾ الأعراف ـ آيـة ١٨٥ .

ويقول في مـوضع آخر : ﴿إنَّ في خلق السمـوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفُلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل اللهُ من السماء من مـاءٍ فأحيـا بـه الأرضَ بعـد مـوتها وبثَّ فيهـا من كل دابَّـة وتصريف الـريـاح والسَّحاب المسخَّر بين السماء والأرض لآياتٍ لقومٍ يعقلون﴾ البقرة ـ آية ١٦٤ .

يشد القرآن الكريم انتباه الناس وتفكيرهم إلى العوالم العلوية ليوجه أنظارهم إلى دراسة ما فيها من ظواهر : السحـاب وتكوينه طبقات بعضها فوق بعض ، ونزول المطر منه ، وجبـال الثلج والبرد وحدوث البرق وشدة ضوئه وتقليب الليل والنهار فيقول سبحانه :

﴿ألـم تَر أنَّ الله يُـزْجي سحابًا ثم يُؤلِّفُ بينه ثم يجعلـه ركـامًا فترى الودق يخرج من خلالـه وينزل من السماء من جبال فيها من بردٍ ، فيصيب به من يشاء ويصرفـه عن من يشاء ، يكـاد سنا برقـه يـذهب بالأبصـار . يقلِّب الله الليل والنهار ، إنَّ في ذلك لعبرةً لأُولي الأبصار﴾ النور ـ الآيتان ٤٣ ـ ٤٤ .

ثم يشد انتباههم مـرة أخرى إلى العوالم الأرضية لدراسـة ما فيها من مختلف الـدواب ، وأنواعهـا ، وطرق سعيهـا ودبيبهـا على وجه الأرض ، وأصل خلقهـا ونشأة تكوينها فيقول سبحـانه : ﴿والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ، ومنهم من يمشي على رجلين ، ومنهم من يمشي على أربع ، يخلق الله ما يشاء ، إن الله على كل شيء قديرٌ﴾ النور ـ آية ٤٥ .

ثم لا يهمل أن يشد انتباههم مرة ثالثة إلى دراسة أنفسهم بالذات ، والتأمل في أسرارها وعجـائب خلقها وتكـوينها وطبـاعها وغـرائزها وأطـوارها وأحـوالها وخصائصها فيقول سبحانـه : ﴿وفي الأرض آيات للموقنين . وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ الذاريات ـ الآيتان ٢٠ ، ٢١ .

لقد كشـف القرآن عن العقل غطـاءه ، ورفع عنه كـابوسه ، وحطـم قيوده وأغلالـه ، وأطلقه من عقاله ليـأخذ سبيله إلى العمل والنشاط ، وبعـد أن كان الناس يقولون في كتبهم المقـدسة « أطفئ مصباح عقلك واعتقد وأنت أعمى ، ولا تستـدل » وبعد أن كـانت معجزات الأديـان السابقـة إدهاشـا بالغـرائب ، واستفزازا بالعجائب ، لا تقدّم للعقل والتفكير مـادة أو غذاء ، وبعد أن كانت السلطة الزمنية والروحية تغلق مجالات التعقل والتفكير ، رأى الناس لأول مرة في القرآن الكـريم كتابـا سماويا يصـالح بين العقل والدين ، ويجعل الأول أسـاسًا للثاني ، فمن لا عقل لـه لا دينَ لـه ، ويحتكم في كثير من القضايا والمنـاقشات إلى العقل ولا ينسى تمجيده وتشريفه والحث على استعماله وجعلـه ميزانا وفيصلا بين الصواب والخطأ ، وذلك كما في قوله تعـالى : ﴿وهو الذي يحيي ويُميت وله اختلاف الليل والنهارِ ، أفلا تعقلـون﴾ المؤمنون ـ آية ٨٠ .

وقـوله تعـالى : ﴿وتلك الأمثـال نضربها للناس ومـا يعقلها إلاّ العـالمون﴾ العنكبوت ــ آية ٤٣، وقوله تعالى : ﴿وقالـوا لو كنا نسمع أو نعقل مـا كنا في أصحاب السَّعير﴾ الملك ــ آية ١٠ . وقوله تعالى : ﴿تحسبهُم جميعـا وقلوبهم شتَّى، ذلك بأنهم قومٌ لا يعقلـون﴾ الحشر ـ آية ١٤، وقوله تعـالى : ﴿أتأمرون الناسَ بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتـاب، أفلا تعقلـون﴾ البقرة ـ آية ٤٤، وفي قولـه تعالى من قـول إبراهيم لقومـه عبدة الأصنـام : ﴿أفٍّ لكم ولِمَا تعبدون من دون الله، أفلا تعقلـون﴾ الأنبياء ـ آية ٦٧ .

وإذا كان العقل يَـردُ أحيانا بمعنى القلـب وبمعنى اللب وبمعنى الفؤاد، فقـد ورد ذلك كلـه في القـرآن الكـريم في أكثر من مـوضع وذلك في مثل قولــه تـعالى : ﴿ومـا يذَّكَّـرُ إلاّ أولُوا الألبـاب﴾ البقـرة ــ آية ٢٦٩، وقـوله تعـالى : ﴿ولكم في القصـاص حياةٌ يـا أولي الألباب لعلكم تتقـون﴾ البقرة ــ آية ١٧٩ وقوله تعالى : ﴿إن السمع والبصر والفُؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾ الإسراء ـ آية ٣٦، وقولــه تعالى في ذم الذين لـم يستعملـوا قواهم العقلية وعطلوهـا ولـم ينتفعوا بها : ﴿ولقـد ذرأنـا لجهنَّم كثيرًا من الجنِّ والإنس لهم قلـوب لا يفقهون بها، ولهم أعينٌ لا يبصرون بها ولهم آذانٌ لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلــون﴾ الأعراف ــ آية ١٧٩، ﴿ولقد مكنـاهم فيما إن مكناكـم فيه، وجعلنا لهم سمعـا وأبصارًا وأفئـدةً، فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيءٍ، إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزئـون﴾ الأحقاف ـ آية ٢٦ .

"عماد الإسلام في بناء العقائد وتأسيس الإيمان هو العقل والحجة والبرهان"

وإذا كان من خواص العقل ومظاهـره التذكر والاعتبار والتفقه والتفكير، فما أكثر ما ذكر ذلك كلـه في القرآن الكـريم في مثل قوله تعالى : ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ الحشر ــ آية ٢، وقولــه تعالى : ﴿قل هل يستـوي الأعمى والبصير، أفلا تتفكـرون﴾ الأنعام ــ آية ٥٠، وقـوله تعـالى : ﴿الذين يـذكرون الله قيـامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض، ربَّنَا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذابَ النار﴾ آل عمران ـ آية ١٩١، وقوله تعالى : ﴿انظر كيف نُصرِّف الآيات لعلهم يفقهُون﴾ الأنعام ـ آية ٦٥، وقوله تعالى : ﴿وما ذرأ لكم في الأرض مختلفًا ألوانه إنَّ في ذلك لآيـةً لقوم يذَّكرون﴾ النحل ـ آية ١٣ .

إن القرآن قد أراد للعقل البشري أن يعمل وأن ينمي قوته، ثم فتح لـه ميدان عملـه، وأرشده إلى هـذه الكائنـات ليعمل في درسها وتحليلهـا وتسخير قواهـا لإرادته، ثم كفل لـه حـرية التفكير، وأعطاه الضمانات الكافيـة باحترام كل ما كان وليد التفكير الصحيح والمنطق السليم، وكثيرا ما يفيض القرآن الكريم في ذم أهل التقليد الأعمى والاتباع من غير حجة ولا برهان، على نحو ما قال تعالى في مناقشة الخصوم : ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ الأنبياء ـ آية ٢٤، ﴿قل فلله الحجَّةُ البالغة﴾ الأنعام ـ آية ١٤٩، ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل اللهُ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آبـاءنا، أو لو كان آبـاؤهم لا يعقلون شيئًا ولا يهتدون﴾ البقـرة ـ آية ١٧٠، ﴿قل هل عنـدكم من علم فتخرجــوه لنا، إن تتبعـون إلاّ الظن، وإن أنتم إلا تخرصون﴾ الأنعـام ـ آيـة ١٤٨، ﴿وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا﴾ النجم ـ آيـة ٢٨، ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هـدًى ولا كتابٍ منير﴾ الحج ـ آيـة ٨ . ويقول ابن حزم المفكـر الإسلامي الكبير : إننـا مأمورون باتباع ملَّة إبراهيم لقوله تعالى ﴿فـاتبعوا ملَّة إبراهيم حنيفًا﴾ آل عمران ـ آية ٩٥ وفي ملته المنـاظرة والحجـاج والمناقشة، لقـوله تعـالى : ﴿وتلك حجتنا آتينـاها إبراهيم على قـومه﴾ الأنعـام ـ آيـة ٨٣، وقوله تعـالى : ﴿ألم تَرَ إلى الـذي حاجَّ إبراهيم في ربِّـهِ، أن أتاه الله الملك، إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويُميت، قال أنـا أحيي وأميت، قـال إبـراهيم فإنَّ الله يأتي بـالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبهت الذي كفر، والله لا يهدي القومَ الظالمين﴾ البقرة ـ آية ٢٥٨ .

لقد كان عماد الإسـلام ـ قرآنا وسنـة ـ في بنـاء العقائد وتأسيس الإيمان هو العقل والحجة والبرهان، فالتقليد الأعمى والظنون الخاوية والتلقين من غير فهم وإدراك شيء لا يـؤبه لــه ولا يحفل بـه، وشعـار الإسلام والمسلمين على طـول العصـور والدهـور، إعمال العقل وبـذل الجهـد والوسـع والاجتهاد الـدائب في استنبـاط الأحكـام الشرعية من أدلتهـا التفصيليـة، وتطـويع أعمال البشر، كل صغيرة وكبيرة منها لأحكام الإسـلام والفقـه الإسلامي، ومـا زال الرأي والقياس والاجتهاد في بيان الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية في بيان الأحكام والتعليل لها والكشف عن مداركها وعللها وأسبابها، مفتوحة الأبواب إلى يوم الدين، وفي ضـوء ذلك كلــه ذهب الإمام أبـو حنيفـة إلى القول بـالاستحسـان في تشريع الأحكام أي ما يستحسنه العقل، وذهب الإمـام مالك إلى القول بالاستصلاح، أي مـا يتفق مع المصلحـة العـامـة للنـاس، وذهب فقهـاء الإسـلام إلى القـول بالمصالح المرسلـة، وقالوا : إذا وجدت المصلحة فهي شرع الله؛ لأن الشريعة ما نزلت إلا لمصالح العباد. وفي مقـام إثبات وجود الله والاعتراف بـه، لـم يكتف القرآن بالتلقين وإصدار الأحكام غير معللـة ولكنه وجه الأنظار إلى الاستدلال بالمخلوقات على خالقها، بالأثر على المؤثر، بالصنعة على الصانع، حتى تكون العقيدة مبنية على أسس قـوية من الأدلـة والبراهين، والآيات الكـريمـة الناطقة بـذلك أكثر من أن تحصى وأظهـر من أن تخفى وأشهر من أن تـذكر، وفي مقـام إثبات وحدانية الله وأنه لا شريك له في ملكه، ساق القرآن الكريم أدلـة عقلية، للعقل والتفكير والتأمل فيهـا مجال كبير، وذلك في مثل قولـه تعـالى : ﴿ما اتَّخذ الله من ولد، وما كان معه من إلـهٍ، إذًا لذهب كلُّ إلهٍ بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض، سبحـان الله عما يصفـون﴾ المؤمنـون ــ آيــة ٩١، وقولـه تعـالى : ﴿لـو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتَا﴾ الأنبيـاء ـ ٢٢، وأبطل ألوهية عيسى بلفتة

القرآن الكريم وتنمية القوى العقلية

عقلية بارعة، هي أنه كان يأكل الطعام، يجوع ويحتاج ويتركب جسمه ويتحلل، وما كان كذلك لا يكون إلها فقال: ﴿ما المسيحُ ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرُّسل، وأمه صِدِّيقةٌ كانا يأكلان الطعام﴾ المائدة - آية ٧٥، وفي مقام إثبات اليوم الآخر والحشر والنشر للحساب والثواب والعقاب يذكر أدلة عقلية منطقية فيما يسمونه بقياس الأولوية في قوله تعالى: ﴿وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده، وهو أهونُ عليه﴾ الروم - ٢٧، وفيما يسمونه بقياس المساواة في قوله تعالى ﴿كما بدأكم تعودون﴾ الأعراف - آية ٢٩، وقوله تعالى: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه، قال من يُحيي العظام وهي رميم؟ قُل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ يس - الآيتان ٧٨، ٧٩.

وبالجملة فقد وجد العقل البشري منذ فجر الإسلام زاده وغذاءه ومادة نمائه وانطلاقه، فيما تحتوي عليه آيات القرآن الكريم من حقائق كانت مجالا للدرس والبحث، وكانت في الوقت نفسه تحريرا للعقل ودفعا له نحو العمل والحركة والنشاط والازدهار.

من جانب آخر وأخير نريد أن نقول: إنَّ الشيء الذي نحاول الانتهاء إليه والتركيز عليه هو بيان أن القرآن كتاب العقل، وأن الإسلام دين التفكير، وأن تنشئة العقول وتربيتها على قوة المدارك من تعاليم القرآن والإسلام، وأن العقول المفكرة الناضجة الجبارة التي تكتشف وتستنتج وتخترع، هي عماد نهضة الأمم ومحور عزّها ومجدها وكرامتها، يجب العمل على الإكثار منها، وفتح الطريق أمامها، وتوفير ما يجب أن يتوافر لها من إمكانات البحث والدرس، في شتى مجالات العلم والمعرفة الإنسانية نظرية وعملية، وفلسفية وأدبية، وفلكية وهندسية، وطبيعية، وكيماوية، وحربية وغير ذلك، فما ذكر الله في محكم كتابه هذه الكائنات والمخلوقات علويها وسفليها في السماء والأرض من شمس وقمر ونجوم ورياح وبحار وأنهار ونبات وشجر وطير وإنسان وجماد وحيوان وغير ذلك، إلا وهو يريد منا أن نتخذها حقلا خصيبا لهذه الدراسات العلمية، ندرس ونحلل، ونكتشف ونخترع، ونذلل قوى الطبيعة وخواص العناصر لإرادتنا وقدرتنا، ونخوض معارك وجودنا ومصيرنا مع أعدائنا على طريقة علمية واعية شعارها القوة العقلية والتخطيط العلمي المدروس المحكم.

إن شيئًا من الاختراع تتوصل إليه العقول الجبارة، وتتخذه الدولة عدة لها في صراعها مع أعدائها، قد يكتب لها النصر، ويكسوها المهابة والعزة والكرامة، بما لا تفعله الجيوش الجرارة الكبيرة العَدَد والعُدَد البدائية، وما سباق الكشف والاختراع في عالم الطيران والذرة والصواريخ والأقمار الالكترونية إلا شعور نفسي عميق بين بني الإنسان بأن الأمر أمر القوى العقلية، وأن من ملك القوى العقلية، فقد ملك القوة المادية وملك كل شيء.

إن الإنسان خليفة الله في أرضه كما قال سبحانه لملائكته: ﴿إني جاعل في الأرض خليفةً﴾ البقرة - آية ٣٠، وتحقيق معنى هذه الخلافة واستحقاق الإنسان لها قائم على عقله وعلمه وامتيازه من سائر المخلوقات بهذا العلم وفاعليته وإيجابيته في عالم الكشف والاختراع والتطور فيه طورا بعد طور وعصرا بعد عصر، حتى يصير إلى حالة قصوى من الاقتدار على تذليل الكائنات وتطويعها، وتلك قمته التي يسعى إليها وهي في الوقت نفسه غايته ونهايته، إذ يكون قد أدّى الرسالة وبلّغ الأمانة ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نُفصِّل الآيات لقوم يتفكرون﴾ يونس - آية ٢٤.

إن مبادئ ديننا وتعاليم قرآننا في الحضّ على العلم واستعمال الفكر وتنمية القوى العقلية والحفاوة بها والإشادة بأصحابها واضحة تماما تشبه في وضوحها البديهيات، ما من كشف علمي، أو نهضة صناعية، أو يقظة عقلية، وما من نظرية أو قاعدة وليدة العقل الصحيح والدراسة السليمة، تضيف إلى صرح القوى العقلية لبنة في بنائه إلا والقرآن يرضاها والإسلام يحبها ويتبناها ويمت إليها بصلة الأصل والقرابة، وفي هذا المعنى يقول العلامة محمد فريد وجدي: (لا ترى قاعدة دلت عليها التجارب، ولا نظرية تأسست بشهادة المشاعر، يكون لها أثر في رقيّ الإنسان وتحسين بناء العمران إلا وهي صدى صوت آية قرآنية، أو حديث من الأحاديث النبوية، حتى يخيل للرائي أن كل جد ونشاط يحصل من علماء الكرة الأرضية في سبيل رفعة شأن الإنسانية لا يقصد به إلا إقامة الحجج التجريبية على صحة قواعد الديانة الإسلامية (سَنُريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أوَ لم يكفِ بربك أنه على كل شيء شهيدٌ﴾ فصلت - آية ٥٣.

> كانت السلطة الزمنية والروحية تغلق مجالات التفكير ففتحها القرآن بمصالحته بين العقل والدين

إن العرب والمسلمين في صدر الإسلام تحت تأثير هذه الروح التي تقمصتهم وسيطرت عليهم؛ لأن دينهم وقرآنهم يفيض بها؛ فتحوا صدورهم للبحث والمعرفة، وأرهفوا إحساسهم وتفكيرهم لكل ما قابلهم من علم وحكمة، فترجموا في صدر الإسلام علوم الفلسفة والأدب والطب والطبيعة والكيمياء والفلك والموسيقى وغيرها من اللغات اليونانية والفارسية والهندية والتركية، وأظهرت القرائح العربية قدرة عجيبة على تناول الحقائق وهضمها والإضافة إليها والتعديل فيها، وأدّى العرب والمسلمون دورًا كبيرًا في حفظ تراث الإنسانية وخدمة الحقائق العلمية، حتى تسنى لأوربا أن تقتبس من هذا العمل



بروكلمان



طه حسين

الإسـلامي وهذه الـروح الإسلاميـة عن طريق الأنـدلس والحروب الصليبية مـا تؤسس عليـه نهضتها العلمية والحضـارية ، لتعود بعـد قليل إلى الشرق والغرب والمسلمين ، لتُدِل عليهم بهذه النهضة وهي منهم مأخوذة وثمن اليوم وقد كانت لهم تلميذة ، قال العلامـة سديو في كتـابه (تاريخ العرب) : «كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفـة والفنون والصنائع وقد نشروها أينما مشت أقدامهم ونقلت عنهم . إلا أوربا فكانت سببـا لنهضتها وارتقائها» وقال العلامـة درابر في كتـابه (المنازعة بين العلم والديـن) : «كان اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الإسكنـدرية بعد موت محمد [ﷺ] بست سنـوات ، ولـم يمض عليهم بعـد ذلك قـرنان حتـى كانـوا مستأنسين بجميع الكتب العلمية اليونانيـة» ، وقال الدكتور بروكلمـان في مقال لـه بعنوان «مآثر العـرب في العلوم المدنيـة» : «بفضل الإسلام تفـوقت الأمـة العربيـة على جميع الأمـم وكتب لها بلوغ أقصى الغايـات من النظام والتوسع واحتمال التبعـات بما لا يوجـد لـه نظير في الأرض» . وقـال الفيلسـوف غـوستاف لـوبون في كتـابه (حضـارة العــرب) : «إن العـرب هم الــذين يـرجع إليهم الفضـل كلـه في الاستعاضـة عن ولايـة الأستاذ ، بالتجربـة والملاحظة اللتين هما أسـاس الطرق العلمية الحديثـة لا إلى الفيلسوف بيكـون الذي ينسب إليـه ذلك خطأ» . وقال الدكتور طه حسين في إحدى محاضراته التي ألقاها في هيئة اليونسكـو الدولية : « لسنا ندري ماذا كان سيؤول إليه أمـر أوربـا والحضارة الأوربية لـو لـم تكن الحضارة العربية فعلت فعلها » . ويقـول بعض المؤرخيـن الغربيين المنصفين : « في الزمن الذي كان فيه العرب يدرسون العلوم المختلفـة وينشرونها في بلادهم ، كـان أهل أوربـا في جهل مطبق ونـوم عميق ، ولـم يستفيقـوا إلا بعـد الحروب الصليبية ، فإنهم اختلطوا بالمسلمين فوجدوا علـوما لا يعرفونها ومدنية وحضارة اقتبسوها وشرعوا ينقلونها إلى بلادهم » .

لـم نكن إذن في يوم من الأيام أعداءَ العلم وحلفاء الجهل ، كما يفتري علينا المفترون ، بل كنـا نعشق العلم والمعرفـة ونعمل دائما أبـدا على أن تكون القـوى العقلية في حالة تمدد ونماء مطرد .

سلوا التـاريخ ينبئكم عما ترك العـرب والمسلمون الأولــون من تراث علمي وزاد عقلي استمتع وما زال يستمتع به الجنس البشري كلـه .

سلوا التاريخ ينبئكم عن أول من أسس المكتبات وفتح المدارس والجامعات وأجزل العطاء للمفكرين والباحثين و إن كانوا مخالفين لـه في الملـة والدين .

سلوا التاريخ ينبئكم عما كان في حلب ودمشق وبغداد وقرطبة والإسكندرية والقاهرة والبصرة وفـاس وغرناطة من مكتبات وجامعات تبحث في سائر العلوم والمعارف الإنسانية .

سلوا التاريخ ينبئكم عن أعلام العـرب والمسلمين كالرازي وابن سينـا وابن الهيثم والخوارزمـي وجابر بن حيان والإدريسي الجغرافي وغيرهم ممن برع في الطب والكيمياء والفلك والرياضيات والموسيقى ولا تزال أسماؤهـم ومؤلفاتهم وآثارهم العلميـة كـالنجـوم الـلامعـة يُهدَى بها الغـرب في نهضتـه العلميـة ودراسـاتـه الأكاديميـة .

سلوا التـاريخ ينبئكم أن أول مدرسة طبية أنشئت في أوربـا على نظام محكم هي التي أسسها العرب في (سالبرن) بإيطاليا .

سلوا التاريخ ينبئكم أن أول مرصد أقيم في أوربا هو الذي أسسه العرب في (أشبيليـة) من بلاد الأندلس .

سلوا التاريخ ينبئكم عن الساعة الدقاقة التي أهداها أحد خلفاء المسلمين إلى أحد ملوك أوربا فانزعج من صوتها وضجت حاشيته ، وزعم له رجال الدين أنها مسكونة بالشياطين .

سلوا التاريخ ينبئكم أن التتار لما هاجموا بغداد وجدوا بها من الكتب العلمية ما سدوا به نهر دجلـة .

بل ، سلوا العالم اليوم أين توجد أقدمُ جامعة يعرفها إلى اليوم وجه الأرض ؟ يجبْكـم ـ إن كـان صـادقـا ـ أنها في القاهرة وليست في لنـدن أو باريس أو واشنطن .

هذا هو واقعنا التاريخي : تنمية للقوى العقلية والفكرية والعلمية على جميع مستوياتها استجابة لنداء ديننا ودعوة كتابنا وقولة رسولنا : « مداد العلماء كدماء الشهداء » .

فلنأخذ من مـاضينا مـددًا لحاضرنا ، ولنأخذ من حـاضرنا عمـلا لمستقبلنا ولنرفض في عزم وتصميم الانقطاع والفراغ بين أدوار مسيرة شعب واحد ، شعب العروبة والإسلام .

من كتاب العدد

● فـؤاد هيبة عيد .

ـ من مواليد القاهرة ١٩٣٥م .

ـ حـاصل على ليسانـس دار العلوم عام ١٩٦١م .

ـ تـدرج في المنـاصب الإعلاميـة بـوزارة الأوقـاف (المجلس الأعلى للشـؤون الإسـلاميـة) حتى أصبح مديرا لتحريـر مجلة « منبر الإسلام » طوال ما يقرب من ٢٥ سنة .

ـ مـديــر للمطبوعات التي كان ينشرهـا المجلس الأعلى للشـؤون الإسلاميـة لمدة ٢٥ سنـة ، ومنهـا موسوعة الفقه الإسلامي .

ـ كاتب صحفي ومؤلف وله العديد من الدراسات والبحوث .

صداع العقول

الاعتبارُ الشرعيُّ مع المعنى اللغويِّ



أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري

من الكتب النفيسة في منهجها كتاب «طريقة الخلاف في الفقه» للفقيه الأصولي الجدلي العلاء محمد بن عبد الحميد الأسمندي الحنفي المتوفى سنة ٥٥٢ هـ، وقد ألّفه على سبيل المناظرة بين مذهبي أبي حنيفة والشافعي.

من مسائل هذا الكتاب انتصاره لجواز الصلاة بوضوء دون نية ولا ترتيب بأدلة مغلطائية. وسبب المغالطة في دليله الأول أنه فصل بين الاعتبار الشرعي والمعنى اللغوي، فجعل حصول معنى الطهارة لغةً كافيًا في جواز الصلاة، فالطهارة تحصل باستعمال الماء، والماء طهور. فالخلاصة أن الطهارة تحصل باستعمال الماء الطهور لا بالنية ولا بالترتيب.

قال أبو عبد الرحمن: الشرع قد يرتب الحكم على وجود الطهارة دون شرط، كالنجاسة العينية تحصل الطهارة منها بزوالها دون اشتراط نية أو ترتيب في تطهير المحل. وقد يرتب الشرع الحكم على المعنى اللغوي ويشترط مع ذلك اعتبارات أخرى، فلا يعتبر الطهارة إلا بنيّة وبهيئة مخصوصة كطهارة الوضوء.

وحينئذ لا يجوز الشغب على الشرع في الأخذ بالمعنى اللغوي والصدِّ عن الاعتبار الشرعي، بل المعنى اللغوي والاعتبار الشرعي مطلبان شرعيان. بل قد يكون الاصطلاح الشرعي مكونًا من المعنى اللغوي، والاعتبار الشرعي، كالعمل، جزء من معنى الإيمان في الاصطلاح الشرعي، لأنه اعتبار شرعي. ومعنى الاعتبار أن الشرع حكم بالعمل، فصار جزءًا من معنى الإيمان باعتبار الشرع لا بمدلول اللغة.

قال أبو عبد الرحمن: وحينما يصر الأسمندي - رحمه الله تعالى - على المعنى اللغوي للطهارة نرى إصراره على إلغاء الاعتبار الشرعي.

فالطهارة من نجاسة عينية تكون بزوالها، ولم نجد في الشرع اعتبار النية والترتيب. والطهارة من نجاسة حكمية كالوضوء تكون باستعمال الماء الطهور، ولكن بإضافة اعتبارات شرعية كالنية والترتيب.

إلا أن الأسمندي سوّى بين الطهارتين تسوية تتمسك بالمعنى اللغوي وتلغي الحكم الشرعي، فزعم أن الاختلاف بين الطهارتين اختلاف في النوع لا يمنع من دخولهما في مطلق اسم الطهارة!

وجعل الاختلاف بين الطهارتين كالاختلاف بين الرقبة التركية والهندية لا يمتنع دخولهما في مطلق اسم الرقبة في قوله تعالى: ﴿ومن قتل مؤمنًا خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودِيَةٌ مُسلَّمةٌ إلى أهله إلاّ أن يصَّدَّقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فَدِيَةٌ مسلَّمةٌ إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ النساء ٩٢.

قال أبو عبد الرحمن: هذه تسوية مع الفارق، لأن الله لم يعلق الحكم في عتق الرقبة بغير وصف الإيمان، فإذا وجد الوصف صح عتق الرقبة المسترقَّة من كل بلد وجنس، فالاختلاف بالنوع هاهنا غير معتبر.

وهذا بخلاف الوضوء، فلم يعلق الله الحكم فيه بحصول استعمال الماء الطهور في غسيل الأعضاء فتحصل الطهارة الشرعية، بل شرع لهذا الاستعمال أحكاما من النية والترتيب، فلا يكون الوضوء معتبرًا شرعا إلا بها.

فالمناظرة العادلة تنصب على الأحكام المتعلقة بالوضوء ليعلم هل هي مشروعة، وما درجة مشروعيتها من الوجوب أو الندب أو الإباحة، وما مدى صحة الوضوء من دونها.

والمناظرة الظالمة هي التي تتمسك بالمدلول اللغوي وتتجاهل ما ورد شرعا متعلقًا بالوضوء، واعتبره العلماء مقيدًا للمدلول اللغوي، إذ أسلفت أن الاعتبار الشرعي يكون جزءًا من المدلول باصطلاح شرعي.

ولا يقولنَّ قائل: إن الأسمندي ناقش أدلة من اشترط الترتيب والنية، فهذا لا يكفي، لأن الأسمندي أصَّل أولاً بإلغاء الوارد شرعًا متعلقا بالوضوء، ألغى دلالته الزائدة على المدلول اللغوي.

والمناظرة منهج، فالصواب جعل هذا الإلغاء آخر المسألة ليقول في النهاية: لم يصح عندي بما أوردته من استدلال اشتراط الترتيب والنية، فأنا أتمسك بالمفهوم اللغوي أن الطهارة تحصل باستعمال الطهور دون ترتيب ولا نية.

والفرق بين المنهجين: أن التقديم بالتمسك بمدلول اللغة يعني أن الوارد شرعًا غير معتبر. أما تأخير التمسك بمدلول اللغة فيعني أنه الأصل إذا عدم الوارد شرعا.

وارتكب الأسمندي - رحمه الله - مغالطة ثانية عندما جعل حصول الطهارة حسيًا مجوِّزًا للصلاة، واعتبر هذا قياسا على مواضع الإجماع.

والواقع أن العلماء أجمعوا على أن استعمال الطهور مما تحصل به الطهارة شرعًا. ولم يجمعوا على أنه كل ما تحصل به الطهارة.

وافترض الأسمندي أن الشافعية ستقول: ليس الطهور اسما لما يُطَهِّر غيره، بل هو اسم للطاهر على سبيل المبالغة مثل الأكول فهو اسم للآكل على سبيل المبالغة.

واكتفى في رد ذلك بقوله: بل الطهور اسم للمطهر في اللغة والتفسير.

قال أبو عبد الرحمن: هذا أردأ منهج في المناظرة، لأنه واجه المثال بصيغة

فعول دالة على الآكل دون المؤكل بمجرد الاستمساك بدعواه.

ومجرد الإصرار على الدعوى لا يكون برهانًا على ما يستجد من إيراد.

قال أبو عبد الرحمن: والصواب في ذلك الإقرار بأن طهورا وما جاء على وزن فعول أبلغ مما جاء على وزن فاعل.

فإن كـان الأبلغ حقيقيًا فقـد اقترحت في كتيبي عن قيِّ المغتـاب أن تُسمَّى الصيغة صيغة بلوغ الغاية.

وإن كان البلوغ ادعائيا سميت الصيغة صيغة مبالغة.

وقد يقول قائل: إن بالغًا لا تعني الادعاء.

قال أبو عبـد الرحمن: فاعل تقتضي المتابعة من طرف واحـد مثل سافر، أو من طرفين مثل ساير.

وعلى هذا يبلغ المبالغ غايته حقيقة لا ادعاء بجهد.

قال أبو عبد الرحمن: وإنما اخترت بلوغ الغاية للحقيقي لأمرين:

أولهما: أنه استجد عرف لغوي بأن المبالغة تكون للادعاء، وللبلوغ بجهد.

أما البلوغ فلا يعني الادعاء.

وثانيهما: أن العبرة في الحقيقة بالوصول لا بـالتوصيل، فاختير لذلك البلوغ الذي يشمل البلوغ التلقائي والبلوغ عن مبالغة: أي جهد.

كما أن العبرة في الادعـاء المفـاعلـة ـــ أي محاولـة التـوصيل ـــ وليست العبرة بالوصول (وهو البلوغ)، لأن المدعي لا يصل، فاختير للادعاء المبالغة.

قال أبو عبد الرحمن: وأعـود إلى دفع الأسمندي، فأقول: لا معنى لإنكاره أن طهورًا تأتي للمبالغة والبلوغ. وإنما ننظر مـدلول المبالغة والبلوغ فنرى أن الماء طهور لأنه مطهر لغيره.

ولنا أن نصف شخصا بأنه طهور لا بمعنى أنه يطهر غيره، ولكن بمعنى أنه كثير الطهارة بلوغا أو مبالغة، كالأكول كثير الأكل.

فالمبـالغة أو البلوغ موجـودان في الطهور الذي هو الماء، وفي الطهـور الذي هو الرجل.

وإنما الخلاف في مدلـول المبالغـة أو البلوغ، فالماء بلغ الغـاية في مفعـوله، والرجل بلغ الغاية في فعله.

والوصف بـالفاعل (الطـاهر) مشترك بين صيغتي طهـورية الماء وطهـورية الرجل، إلا أن في الطهور زيادة في الفعل أو المفعول.

والماء لا يحصِّل الطهر لنفسـه، بل خلقه الله طهـورًا، فمعنى ذلك أن بلوغ الغاية في مفعوله (أو فعله في غيره)، وليس في فعله في نفسه.

وموجز القول أن مجيَّ طهور للمبالغـة أو البلوغ لا ينفي كونه مطهرًا لغيره، لأن كونه مطهرًا لغيره مع طهره في نفسه اقتضى صيغة الطهور.

ومن الخلل في منـاظرة الأسمندي أنـه رد المثال الـواقعي بأكول بـدعوى أن الطهور اسم للمطهر في اللغة والتفسير.

والموجود في هذين الحقلين الاختلاف لا الاتفاق، فـلا منفعة له بالإحالة إلى مصادر الاختلاف، وإنما عليه أن يحقق.

ووجه التحقيق أمران:

أولهما: مـا ذكرتـه من أن الماء لا فعل لـه في نفسـه حتى يكون كثير الطهـر كالأكول كثير الأكل، وإنما يعود إلى أصل خلقه فيكون طهورًا.

فالطهورية صفة خلق عليها.

وثانيهما: دلالة الشرع المبينة لدلالة اللغة.

فنجد قول الله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء طهورًا﴾ الفرقان ٤٨.

فلم يـذكر الله تطهيره لغيره اكتفـاء بصيغـة طهور، وذكـر منـافعه الأخـرى فقـــال: ﴿لنحيي بـه بلدة ميتًـا ونسقيـــه ممـا خلقنـا أنعـامًا وأنـاسيّ كثيرًا﴾ الفـرقان ٤٩.

ولما لم يذكر الله صيغة الفعول، ذكـر وظيفة التطهير فقال تعـالى: ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به﴾ الأنفال ١١.

ودعـوى الأسمندي أن الماء الطهـور مطهـر لغيره دعوى صحيحـة، وإنما الخلاف في طريقة الاستدلال على أن هذه الـدعوى الصحيحة بخلاف ما روي عن إمـامـه، فقـد روي عن أبي حنيفـة ـــ رحمه الله تعـالى ـــ أن الطهـور بمعنى الطاهر، واستدل بقوله تعالى: ﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورًا﴾ الإنسان ٢١.

قال أبو عبد الرحمن: لا يَرِدُ في كتـاب الله العدول من طاهر إلى طهور دون زيادة مدلول يحقق مقتضى الصيغة.

فإن كان المراد بالشراب في الآيـة الكريمة الماء، فهو طـاهر مطهر بمقتضى الصيغة ومقتضى المعهود عن حال الماء في الشرع.

وإن كـان المراد بالشراب شراب أهل الجنـة غير الماء من اللبن والخمـر. . . إلخ، فالمراد أنه شديد الطهر في ذاته لم يعلقه دنس عيني أو حكمي.

وإذا قام دليـل على أن هذا النص لا يـراد به ظاهـر معناه، فـلا يعني ذلك صرف ظاهر نص آخر عن معناه بلا دليل.

وما أحسن كلمة ثعلب التي أسندها ابن فارس إذ قال: «سمعت محمد بن هـارون الثقفي يقول: سمعت أحمد بـن يحيى ثعلبًا يقـول: الطهـور الطاهـر في نفسه المطهر لغيره».

ومن المغالطة في المناظرة قول الأسمندي عن تحقيق معنى الطهارة شرعا دون ترتيب ولا نية: «لأن الطهارة إذا حصلت وجب القول بجواز الصلاة لقوله عليه السلام: لا صلاة إلا بطهارة. . نفى واستثنى والاستثناء من النفي إثبات».

قال أبو عبد الرحمن: الطهارة طهارتان:

حسيّة مشاهدة كزوال النجاسة العينية بالماء.

ولم يضف الشرع إلى هذه الطهارة اعتبارًا آخر.

وطهارة حكمية كالوضوء، وقد قيدها الشرع بالنية والترتيب.

وإذن فلا تجوز الصلاة إلا بحصول الطهارة الشرعية.

وقوله ﷺ: لا صلاة إلا بطهارة، لا يسقـط حكمه ﷺ أنه لا طهارة إلا بنية وترتيب إذا كانت الطهارة وضوءًا.

وقوله: لا صلاة إلا بطهارة = الصلاة بطهارة.

هذا هـو معنى إثبات الاستثنـاء الذي ذكـره، إلا أن نهاية القضيـة هكذا: الصلاة بطهارة شرعية.

وحينئذ نبحث عن الاعتبار الشرعي بعد تحقق المفهوم اللغوي للطهارة. والله المستعان.

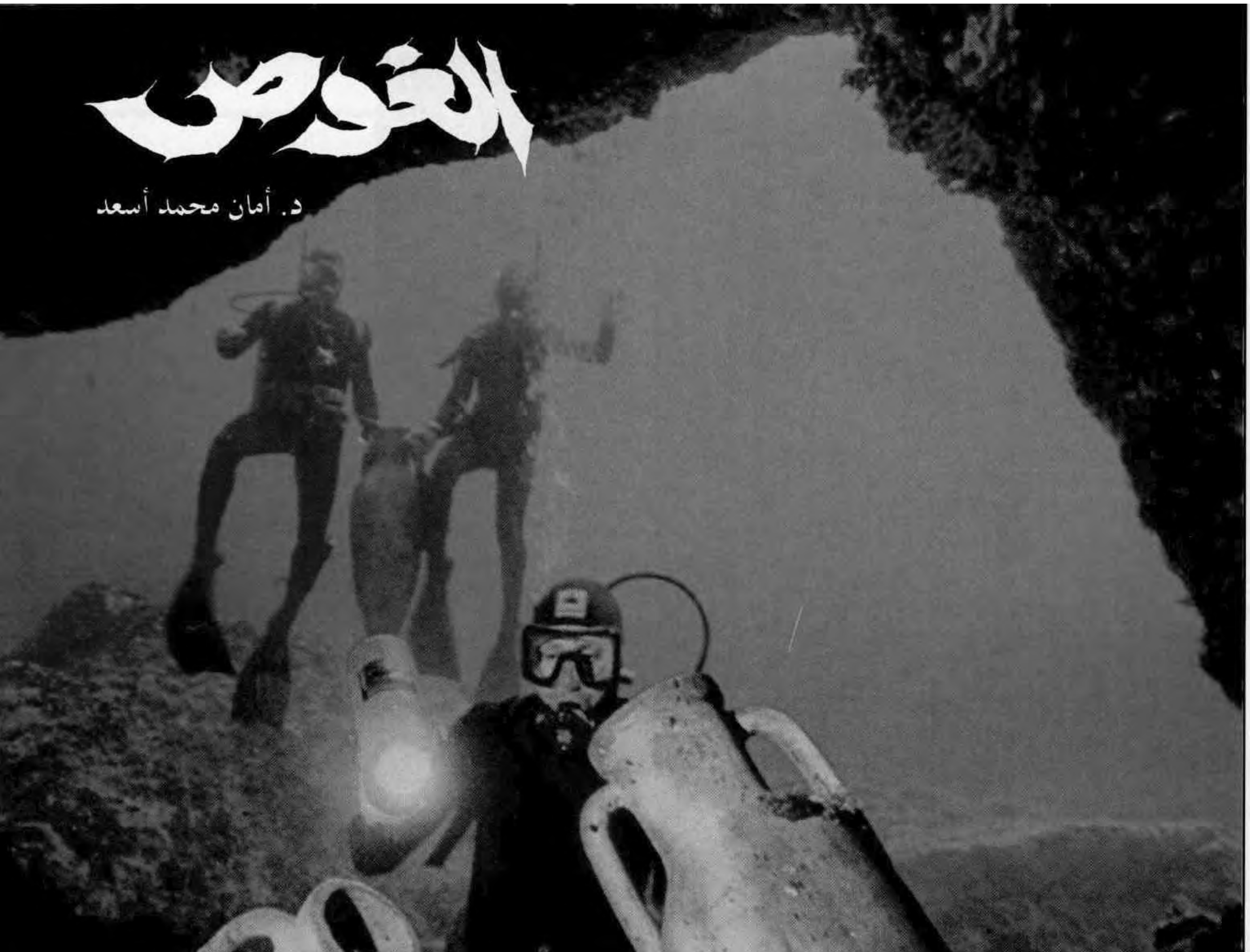
العـــودة

شعر: د. يوسف نوفل

عـــــد أيّها الفــــ
وانثـــــر رس الجمـــــوحْ
وامـــــ صهيلك في السفـــوحْ
وازرع ضيـــ لأ صحـــــارى النفس همسًـــــا، أو نـــــداءً، أو صـــــلاهْ
فصـــــ اءً في الجبــــــاه
واقـــــ دى صـــــلاتِك قـــد أعـــاد لنـــا الحيـــاهْ
في دفترٍ من ذكـــ رأ سطـــورًا بـــاقيـــاتْ
عـــــ ريـــاتْ
أحيـت مـن العمـــ اشت بـــه قصصٌ وجـــاءت مـن شتـــاتْ
وجـــ ـرت على أقـــ ر المواتْ
هـــو كـــوثـــر الـ ـدامنـــا نهرًا فـــراتْ
وظلـل الطـــ ـدنيـا، سقى أشجـارنـا، روّى الشقـــوق،
عـــ رقـــات، واللفتـــات، وافترش الطــــريـق
وبيـاض غـــ ـد أيها الفـــرس الجمُـــوحْ
مـن قبـل في حبـ ـرتك الـــذي شهـــد انبثـــاقـــات السنينْ
يغـدو على خطـواتنـا في وقع ميـلادٍ جـديـدْ ـو السنينْ
هـذا الـزَّمـان، كعهـده، صـدرٌ يضـم بـدفترٍ من ذكـريـاتْ
صُـ ـورَ العهــ ـودِ الماضيـــاتْ
لعهـ ـودنـــا المتحفـــزاتْ
الشـ ـاكيـاتِ الآسيـــاتِ الـــلاهثـــاتِ الضـــارعـــاتْ

الغوص

د. أمان محمد أسعد



لم يستطع الإنسان أن يغوص لفترة طويلة تحت سطح الماء إلا بعد نجاحه في ابتكار جهاز الغوص الذي يسمح له بالتنفس فيه . والدوافع التي أغرت الإنسان بغزو العالم الرائع تحت الماء، هي المعرفة العلمية واستغلال مصادر الثروة الموجودة فيه، ومن أجل الأغراض العسكرية، بالإضافة إلى المتعة والتسلية والرياضة.

ونستعرض هنا كيف استطاع الإنسان أن يغزو هذا العالم وتعرض للأخطار التي قد تعترضه أثناء ذلك، كما سنتطرق للفوائد التي يجنيها الإنسان من الغوص.

«سكوبا»

بدأت أولى الخطوات لفهم عالم «تحت الماء» في الثلاثينيات الميلادية، عندما بدأ الإنسان في صناعة «قناع الغوص» الذي يتكون من إطار من المطاط، يحيط بنافذة زجاجية يستطيع الغواص من خلالها الرؤية

الجيـدة في الماء، وهو يحيـط بوجـه الغواص بإحكام حتى لا يتسرب الماء إليـه. ويتنفس بواسطة أنبـوبة مطاطيـة مقوسة على شكل حرف «J» مقلوبة، تُسَمَّى «سنوركل». وباستخدام «قناع الغـــوص» و «السنـوركل» تـدرب الغواصون على التحكم في تنفسهم، واستطاعوا أن يصلوا إلى عمق أحد عشر مترا والبقاء هناك حوالي دقيقة.

بعد الحرب العالميـة الثانيـة، مباشرة، تطور جهازالغوص ـ الذي يُعرف الآن باسـم «سكوبا» ـ بـحـيـث يســمـح للإنسان بالتنـفس تحت الماء من خلال أنبـوبة مطاطيـة، يضع الغـواص أحـد طرفيها في فمه في حين يصل الطرف الآخـربأسطوانـة تحـتـوي عـلى هـواء مضغوط تُحْمَلُ على ظهر الـغواص. وقـد فـتـح ابتكار جـهـاز «سكوبا» الطريق لعـالم جـديد ومثـير، حيث استطاع الغواصون أن يسبحوا في الماء لمدة طويلة كـالأسمـاك، ويشـاهدوا العالم الرائع في قاع البحار.

تطور جهـاز «سكوبا» بعد ذلك تطوراً بالغًا حين اختُرِع «منظم الهواء» الذي يسـمـح بمرور الهـواء المضـغـوط من الأسطوانة بضغط يعادل ضغط الهواء الجـوي الطبـيـعي، مما جـعـل معظم أجـهـزة «سكوبا» تُمكِّن الغـواص من البقاء في الماء لمدة تبلغ الساعتين.

وحتى يستطيع الغواص الحركة بمرونة في الماء فـإنه يضع ثقـلاً من الرصـاص في الحـزام الذي يلتـف حـول بطنه مما يعطيـه «طفـوًا» طبيعيًـا كـالأسمـاك، ويسـاعــده على الغــوص بـحــرية للأعمـاق التي يريد الوصـول إليـهـا. وبدفـعـة واحدة فـقط للمـاء يستطيع الغواص الصعود إلى السطـح. كـمـا تزيد الزعانـف التي يضعهـا في قدميه من سرعتـه ورشاقة حركـته. أما الزي العــازل المصنـوع مـن (النايـلون) أو المطاط الذي يرتديه الغواص، فيـحميه من برودة الماء، وهو فعـال جدا لدرجة أنه يمكِّن الغواصين من السبـاحـة في المياه الثلجية في المناطق القطبية.

مخاطر الغوص

من أخطر مـا يـواجـه الغــواص أثناء وجـوده في الماء، تأثيـر الضـغط على جسـمـه كلمـا زاد عـمق الماء؛ فـمن المعـروف أن الضـغط يـزيد كلمـا زاد العـمق. لذلك يتـعرض الغـواص لآلام حادة في صـدره بسبب تأثيـر الضغط على عظام الـقـفص الصـدري عندمـا يغوص لمدة طويلة فـي عمق يصل إلى خـمسـة وسبـعين متـرا. أما إذا حـاول الغـواص الصـعـود بسرعـة إلى سطح الماء، فـإنه يتـعرض لأخطار «التـسمم بالنيــتـروجين»؛ فـالنيــتـروجين الذي يمتـصه الدم تحت الضـغط العالي يبـدأ في تكوين فـقـاعـات في الدم. لذلك فالصـعود الآمن إلى سطح الماء يجب أن يتم على مـراحل، بـحيث ينتظر الغـواص فـترة مـحـددة كلمـا صعد



مشاهدة الطبيعة الساحرة واكتشاف الأحياء البحرية الرائعة من الأسباب التي تجذب الإنسان للغوص تحت الماء



ليسمح لجسمه أن يتلاءم مع الضغط المتناقص، وحتى يتغلب جسمه على الأعراض الضارة المعروفة بـ «مرض إزالة الضغط».

كما أن الغوص لعمق أكثر من خمسة وأربعين مترا يُعرِّض الغواص لحالة من الخدر يطلق عليها «نشوة العمق»، والمسؤول عن هذه الحالة هو النيتروجين، لهذا يسمى أيضًا بـ «خدر النيتروجين». تتمثل أعراض هذه الحالة في شعور الغواص بأوهام متسلطة بقدرته الفائقة وشعوره بأنه يمكن أن يغوص أعمق وأعمق، كما يسيطر عليه وهم بأنه يمكنه تنفس الماء مباشرة، وأنه يستطيع الاستغناء عن جهاز «سكوبا». وعلاج هذه الحالة يكمن في الصعود الآمن لسطح الماء. لذلك يفضل أن يعوم الغواص مع زميل له أو ضمن مجموعة من الغواصين حتى يمكن إنقاذ أي فرد من المجموعة إذا استدعى الأمر.

وتعتبر درجة حرارة الماء من المشكلات التي يواجهها الغواص. فدرجة حرارة جسم الإنسان ٣٧ ْم، بينما درجة حرارة الماء يمكن أن تقل عن ٣٧ ْم بكثير، حيث يمكن أن تصل إلى ٢٠ ْم أو أقل. فإذا نقصت درجة حرارة جسم الغواص إلى ٢٨ ْم يصاب بحالة فقدان الوعي. ومن المعتقد أن الغرق الذي يتلو فقدان الوعي، بسبب برودة الماء، أهم أسباب الموت في البحر.

رياضة الغوص

أضاف جهاز التنفس تحت الماء «سكوبا» إلى عالم الرياضة رياضةً جميلة وممتعة، انجذب إليها الشباب والكبار، حيث أتاحت لهم مشاهدة الشعاب المرجانية عن قرب، كذلك الأنواع العديدة من الأسماك الجميلة المتعددة الألوان والأشكال، كما سمحت برؤية الأصداف والنباتات المائية المتنوعة وغيرها من الكائنات التي توجد في البيئة المائية الساحرة. وقد شجع ذلك بعض البلاد على إنشاء حدائق تحت الماء ليتمكن السائحون من خلالها مشاهدة الأسماك النادرة والشعاب المرجانية والكائنات المائية الفريدة، يساعدهم في ذلك ارتداء جهاز «سكوبا» الذي يمكنهم من البقاء في الماء والتنقل فيه بسهولة.

وتعطي رياضة الغوص لممارسيها مجالاً أوسع وأكثر إثارة للصيد تحت الماء، حيث يتمكنون من مشاهدة الفريسة وتتبعها وصيدها؛ إما بالرمح وإما باستخدام الأسلحة المهيئة للصيد تحت الماء.

البحث عن الكنوز الغارقة

لم يكشف الغوص دنيا جديدة من البهجة والسرور لعاشقي الطبيعة الساحرة وصائدي الأسماك النادرة فحسب، لكنه قدم أيضا مجالات أوسع للفرص التجارية والاكتشافات الأثرية. فقد قام الغواصون بالبحث عن الكنوز الغارقة، سواء من أجل المكاسب التجارية أو من أجل البحوث العلمية. واكتشف غواصون حطام السفن الحربية التي دمرتها الغواصات الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية، كما استطاع آخرون إيجاد السفن الشراعية الإسبانية التي غرقت أثناء إبحارها من المكسيك إلى إسبانيا وبيرو منذ قرون مضت، حيث قاموا بالبحث عن الحلي والذهب والكنوز القيمة التي غرقت مع هذه السفن.



جهاز التنفس تحت الماء يساعد الغواص في الحصول على الأكسجين اللازم للحياة، وتساعده الزعانف التي يرتديها في رجليه على العوم، وتقيه بدلة الغوص من برودة الماء.

وقد استطاع فريق الغوص التابع لجاك كوستو - عالم الغوص المشهور - إنقاذ السفن التي غرقت في البحر المتوسط وبحر إيجه. وجاك كوستو - الضابط البحري الفرنسي - أحد رواد «علم الغوص»، قام بتطوير جهاز «سكوبا»، وساعد على نشر «عالم تحت الماء» المثير من خلال الأفلام السينمائية والتلفزيونية والنشرات والكتب، كما قام بدور رئيسي في عمل الإجراءات الوقائية لحماية النباتات والحيوانات البحرية من التلوث والصيد العشوائي. كما طاف كوستو بحار العالم بسفينته الخاصة المجهزة للأبحاث، حيث أجرى العديد من الأبحاث المهمة، في مجالات علم الأحياء البحرية وعلم الآثار.

مراكز أبحاث

تجرى الآن معظم الأبحاث التي تسمى «أبحاث تحت الماء»، تحت رعاية «مجموعة أبحاث تحت الماء» في طولون، كذلك المركز المتقدم للدراسات المائية في مرسيليا، اللذين أنشأهما جاك كوستو في فرنسا. وتقوم هذه المراكز العلمية بإجراء تجارب لدراسة الحياة البحرية، والعوامل التي تؤثر فيها وطرق المحافظة عليها، كذلك دراسة درجة تأثر الإنسان بالحياة والعمل تحت سطح البحر.

المراجع

1 - The Physiology of Diving in Man and Other Animals. By H.Hempleman and A. Lock wood (1978). Edward Arnolds

2 - Science and Technology Illustrated , Scuba Diving Gruppo Editoreal Fabbri , S.P.A , Milania (1983).

3 - Encyclopedia Britanica , (1984). Diving.







البليدة.. مدينة الورود

إعداد: عدنان عضيمة و محمد يحياوي

وأنت تحدث الباحثين والمؤرخين عن تاريخ مدينة البليدة، وتنقّب وتقلب في مراجعك ومصادرك للوقوف على الأحداث التاريخية التي شهدتها، فإنك - دون شك - ستخرج بانطباع مفاده أنها مدينة تَذكُّرها التاريخ ونسيها المؤرخون. فعلى قلّة ما تعثر عليه من مصادر ومراجع حول تاريخها، قد يتراءى لك أنها مدينة حديثة لم تشهد من الأحداث الجسام ما يستدعي البحث والتنقيب وإسالة مداد المؤرخين، لكنك سرعان ما تكتشف خطأ هذا التصور عندما تسعى متجولاً في قصبتها القديمة وشوارعها العتيقة ومساجدها التاريخية.

الموقع

تقع مدينة البليدة على بعد ٤٥ كيلاً باتجاه الجنوب الغربي لمدينة الجزائر، وإلى الشمال من خط العرض ٣٦ درجة شمال خط الاستواء، وعلى خط الطول ٥ درجات شرق خط جرينيتش. ولعل أهم ما يميّز موقعها كونها تتربع على سهل المتيجة الخصيب تحت سفح جبل الشريعة الذي يعد مهوى أفئدة السيّاح وعشّاق الطبيعة وهواة التزحلق على الثلوج. وجبل الشريعة هذا يمثل واحدة من أعلى قمم سلسلة جبال الأطلس التلّي التي تمتد من المحيط الأطلسي غربا حتى خليج قابس في تونس شرقا، ويطلق على سلسلة الجبال المجاورة تماما لمدينة البليدة اسم «الأطلس البليدي» نسبة لمدينة البليدة. على أن سهل المتيجة الذي تشرف عليه قمة الشريعة يعدّ واحدا من أغنى سهول العالم وأكثرها خصوبة، ولا يحتاج الأمر من الزائر لهذا السهل عناءً كبيرًا كي يكتشف غناه بالمزارع والبساتين التي تضفي عليه منظرا خلّابا، بالإضافة إلى كونه مصدرا مهما لإنتاج الخضار والفواكه والحبوب والعديد من المواد الغذائية.

ولعل في كل ذلك تفسيرا للسبب الذي جعل البليدة تشتهر باسمها الآخر «مدينة الورود»، ويقال إنها اكتسبت هذا الاسم، في عهد الاستعمار الفرنسي، عندما راح المعمرون يزرعون أراضيها الخصيبة بأنواع النباتات المزهرة، لسد حاجات مصانع العطور والأدوية الفرنسية من المواد العطرية الطبيعية.

تمتاز مدينة البليدة أيضا بموقعها الاستراتيجي المهم من حيث كونها منطقة عبور بين الشرق والغرب. وهذه المميزات مجتمعة هي التي جعلت البليدة من أكثر المدن الجزائرية أهمية من النواحي الاقتصادية بالرغم من تواضع مساحتها وعدد سكانها. ويغلب الظّن أن الجيوش الرومانية كانت تستغل ثروات المنطقة وتستخدم معابرها الطبيعية، بالرغم من عدم وجود آثار رومانية واضحة في مدينة البليدة وضواحيها، ودليل ذلك القرب الشديد لأهم حواضر



البليدة : منظر عام



الساحة المركزية
«ساحة التوت»

الرومـان ومـدنهم من المدينة، كمدينتي شرشال وتيبازة الساحليتين الواقعتين على بعد أربعين كيلا تقريبا منها. يضاف إلى ذلك افتراض آخر يقضي بأن الفينيقيين والرومان القدماء لابد أن يكونوا قد فكّروا في استغلال الثروات الخشبية والنباتية التي يزخر بها جبل الشريعة. وإذا صحّ هذا الافتراض فإن البليدة ستكون أقدم من تصوّرات المؤرخين والرواة بكثير. وإذا كانت كل هذه مجردّ افتراضات تستند إلى منطق الأمور دون أن تجد الدلائل المؤيدة، فإن من المؤكد أن جيوش الموحدين مرّت بها أثناء زحفها من الغرب نحو تونس مرورا بمدينة بجاية الناصرية.

صفحة من التاريخ

تنطوي الروايات والتقديرات حول تاريخ تأسيس مدينة البليدة على الكثير من التناقض والاختلاف في وجهات النظر، لدرجة تخلق الانطباع بأن الحقيقة التاريخية الوحيدة التي لايمكن أن يرقى إليها الشكّ هي أن المدينة موجودة الآن في مكانها، وفيما عدا ذلك فإن الأمور تصبح مجرد افتراضات وتخمينات. فلقد ورد في دائرة المعارف الإسلامية أن مدينة البليدة حديثة العهد، يرجع تاريخ بنائها إلى القرن العاشر الهجري، وأن مؤسسها هو سيدي أحمد الكبير أحد مشاهير المرابطين في ذلك العصر(١).

ويذهب المؤرخ الجزائري الشيخ عبد الرحمن الجيلالي في كتابه «تاريخ الجزائر العام» إلى أن مؤسسها هو خير الدين «بربروسا»(٢). فبعد أن تمكن من امتلاك ناصية القيادة العليالأسطول التركي عزم على الاتجاه نحو المغرب ليستكمل فتوحاته في شمال أفريقيا. واستطاع أن يطرد الجيوش الإسبانية من سواحل المغرب بعد أن مكثوا فيها نحو خمس سنوات (٩٤٢ ـ ٩٤٧هـ)/(١٥٣٥ ـ ١٥٤٠م). وفي هذه الآونة شرع خير الدين في تأسيس مدينة البليدة قرب عاصمة سهل المتيجة، وتم له ذلك بمعونة الجالية الأندلسية المهاجرة إليها(٣). وكان الشيخ الصالح سيدي أحمد الكبير من أعيان هذه الجالية التي نزحت إلى سهل المتيجة إثر سقوط غرناطة سنة ١٤٩٢م. ويكون الأمر المثيرللتساؤل في هذا الطرح هو الإشارة إلى وجود مدينة مجاورة للبليدة تعد عاصمة للمتيجة، ولقد ورد اسم عاصمة المتيجة في العديد من المراجع، علما أنه لاتوجد أية مدينة ذات أهمية تاريخية في تلك المنطقة سوى مدينة البليدة نفسها. وإذا سلمنا بأن سيدي أحمد الكبير هو مؤسس المدينة، فإن ذلك يعني أن المدينة لم تكن موجودة قبل عصره، إلا أن منطق الأمور وبعض الشواهد التاريخية تنفي هذا الافتراض. من ذلك أن سهل المتيجة كانت له شهرة كبيرة، وورد ذكره في مؤلفات الكثير من الرحّالة والمؤرخين قبل زمن الشيخ أحمد الكبير. وعندما تحدثنا إلى بعض أعيان المدينة وشيوخها رووا لنا بعض القصص والروايات التاريخية التي تبدو أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقائق، لكنها تتفق جميعا على أن تاريخ تأسيس المدينة يعود إلى ما قبل الفتح الإسلامي.

من هذه الروايات تلك التي تشير إلى أن اسم المدينة هو في الواقع اسم إحدى بنات قائد روماني تُدعى (BLIDA). وفيما كانت راحلة مع أحد جيوش الرومان عبر سهل المتيجة أمرت بإنشاء إقامة خاصة تستريح فيها، ولشدة إعجابها بالطبيعة الخلاّبة لتلك المنطقة بادرت إلى توسيع الإقامة وأطلقت عليها اسمها، ويستند الرواة في ذلك إلى أن أهل المدينة مازالوا ينطقون اسمها الصحيح بتسكين الباء وكسر اللام (بْليدا) رغم أن اسمها الرسمي (البُلَيْدة) بضم الباء وفتح اللام وتسكين الياء.

ومن المفيد الإشارة إلى أن معظم المؤرخين كانوا ـ لسبب غير معروف ـ يتجنبون ذكر مدينة البليدة كمدينة



أرز وثلوج قريبا من قمة جبل الشريعة



منظر عام للساحة المركزية «ساحة التوت»

أو تجمع حضري، وبدلا من ذلك يشيرون إلى (مدينة متيجة) التي قيل إنها كانت تسمى أيضا (قزرونة)، وهي اليوم إحدى ضواحي مدينة البليدة، وحرّف اسمها إلى (خزرونة). فهذا الشيخ المؤرخ مبارك الميلي يقول في كتابه «تاريخ الجزائر»: «متيجة سهل فسيح قرب مدينة الجزائر، قال فيه اليعقوبي: إنه بلد زرع وعمارة واسع، فيه عدة مدن وحصون ...». وفي حديثه عن قبيلة صنهاجة (٤) يقول: فأما صنهاجة الجزائر فهم أهل مدن، ومن مدنهم آشير والمديّة ومليانة ومتيجة والجزائر. وقد أسلموا في أول الفتح»

ويذكر العلاّمة عبد الرحمن بن خلدون في هذا الصدد ما يلي: «ومن بطون معقل الثعالبة من ولد ثعلب بن علي بن بكر بن صغير، موطنهم لهذا العهد متيجة من بسيط سهل الجزائر»(٥).

على ضوء هذه العلامات يمكن الافتراض أن تأسيس مدينة البليدة لم يكن على يدي الشيخ سيدي أحمد الكبير، وإنما كانت المدينة موجودة قبل ذلك. ولعل صواب الأمر أن للشيخ سيدي أحمد الكبير فضلا في توسيع المدينة وتطوير نسيجها العمراني.

السكان والحياة العمرانية

يقسم سكان البليدة إلى فئتين رئيسيتين: قبائل بني صالح وبني ميصرة، وهم سكان جبل الشريعة الذين اتخذوا منه حصنا منيعا يلجؤون إليه كلما تعرضت مدينتهم للغزو الأجنبي. والفئة الثانية تمثل الحضر من الجالية الأندلسية التي استوطنت المدينة وجلبت معها عادات أهل الأندلس وتقاليدهم، بالإضافة لبعض الفنون الحرفية والصناعية والزراعية الحديثة التي طورّت أحوال السكان، وفتحت آفاقا جديدة في تحسين الصناعات اليدوية كصناعة الجلود والأواني والنسيج التي مازالت مآثرها معروفة إلى يومنا هذا.

ويقال إنهم نشروا وسائل زراعة النباتات وأساليبها التي لم تكن معروفة لدى السكان من قبل، كزراعة البرتقال وباقي الحمضيات التي أصبحت تشتهر على نطاق واسع في سهل المتيجة، كما استخدموا الأساليب الحديثة في الفلاحة والري.

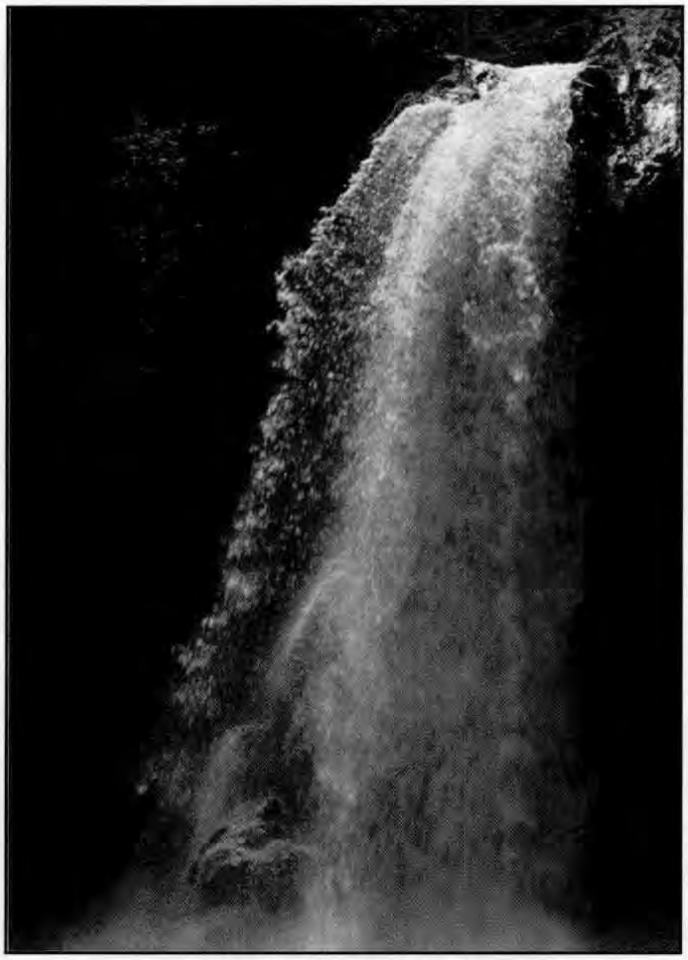
وبهــذا التــزاوج بين النمطين الحضــاريين الأندلسي والمحلي، توسعت الحياة العمرانية، وازدهرت قطاعات الزراعة والتجارة والصناعة، حتى أصبحت البليدة مقصدا للتجّار والسياح. وبقيت المدينة على هذه الحال، ولم تكن لتغيّر منها وتؤثر فيها إلا الأحداث الطبيعية الجسام التي كان من أهمهــاالزلزال الذي دمّـر المدينة عن آخرها عام ١٨٢٧م. بعد ذلك بسنوات قلائل حلّت بالبليدة الكارثة الكبرى، التي حلت أيضا بباقي أنحاء الدولة الجزائرية، حين شرعت فرنسا بغزوها الاستعماري المقيت الرامي إلى سرقة خيرات البلاد وذل أهلها بقوّة الحديد والنار. ويُذكر أن الجيش الاستعماري حاول الاستيلاء على البليدة في العام نفسه الذي استولى فيه على مدينة الجزائر (١٨٣٠م)، إلا أن مناعة جبالها وبسالة أهلها حالت دونه وتحقيق غرضه. وفي عام ١٨٣٤م أعاد الغزاة الكرّة وفقا لخطة حرب «الأرض المحروقة» حتى تمكنوا من المدينة بعد معارك دامية دمرت خلالها معظم أحيائها، ولم يجد باقي سكانها بُدّاً من اللجوء إلى جبل الشريعة المنيع. وفي سنة ١٨٣٦م أنشأ الجيش الفرنسي معسكرين لمراقبة المدينة، تحوّلا فيما بعد إلى ضاحيتي جوانفيل، وهو اليوم حي يحمل اسم الشهيد أحمد زعبانة، ومعسكر مونباسيه الذي يحمل اليوم اسم الشهيد أحمد بن بولعيد.

وفي مرحلة الثورة المسلحة، كانت البليدة مركزاً مهما لالتقاء الثوّار واجتماعهم. ففي عام ١٩٥٤م انطلقت الشرارة الأولى لحرب الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي في الدولة الجزائرية كلها، فكانت جبال البليدة حصنا منيعا للثوّار، كانوا ينقضّون منه على الأعداء ويباغتونهم ويصيبونهم بأفدح الأضرار. وشهدت ضواحي البليدة سلسلة من أشهر المعارك التحريرية، حتى تحقق استقلال الجزائر عام ١٩٦٢م.

البليدة اليوم

تبلغ مساحة مدينة البليدة، نحو ٧٢ كيلاً مربعًا، ينيف عدد سكانها على ١٣٠ ألف نسمة (وفقا لإحصاءات عام ١٩٨٧م الصادرة عن الديوان الوطني للإحصاء). وبناء على المعدل العالمي للنمو السكاني وتفاقم ظاهرة الهجرة من الأرياف إلى المدينة، فإن عدد سكان المدينة اليوم قد يفوق الربع مليون نسمة، كما أن هذا العدد يزداد باضطراد. ولقد ترك هذا النمو السكّاني المرتفع أبلغ الأثر على المدينة نفسها وعلى سهل المتيجة المنبسط على أطرافها. وخلال السنوات العشرين الماضية انتشرت الأحياء الحديثة حول أطراف المدينة بشكل مذهل، فتضاعفت مساحتها عدة مرات،


خانق وادي الشفّة أحد الممرات الطبيعية بين البليدة والمديّة


أحد الشلالات الرائعة في وادي الشفّة



ويمكن لزائرها اليوم أن يتبيّن بسهولة مرافقها العمرانية التي تنقسم إلى ثلاثة أنواع: أولها يتمثل بالمدينة القديمة أو القصبة التي تشبه إلى حد ما قصبة مدينة الجزائر، ويعود عهد بنائها إلى بداية الفتح الإسلامي، وتتألف من أبنية ذات طراز معماري إسلامي عريق، تتخللها بعض الأزقة والشوارع الضيقة المتعرجة، وتقع وسط المدينة. وثانيها يتمثل بالأبنية التي أنشئت خلال العهد الاستعماري وتتميز بنسقها العمراني الغربي وتنتشر حول القصبة. وثالثها يتمثل بالأحياء الحديثة التي التهمت مساحات واسعة من سهل المتيجة على حساب الأراضي الخصبة القابلة للزراعة.

تتضمن قصبة البليدة أهم المعالم الأثرية والتاريخية، وورشات الصناعات التقليدية بالإضافة للأسواق الشعبية التي تمثل في مجموعها صفحة مقروءة من التاريخ القديم للمدينة. ولعل من أبرز المآثر المعمارية الإسلامية في المدينة، مسجد الكوثر الذي يعد من أروع مساجد أفريقيا. ولهذا المسجد قصة جديرة بأن تروى. ففي عام ١٥٥٣م أسس الشيخ سيدي أحمد الكبير مسجدا سمي باسمه، بقي قبلة للمصلين وطالبي العلم إلى أن حلّ الاستعمار بالبلاد فحولته الإدارة الاستعمارية إلى كنيسة في عام ١٨٤٠م بناء على قرار من الحاكم العام للجزائر. وبقيت هذه الكنيسة قائمة حتى عام ١٩٧٣م حيث تكفلت لجنة من أهل البر والإحسان من أعيان المدينة بهدم الكنيسة وبناء مسجد مكانها، اكتمل بناؤه في شهر رمضان المبارك لعام ١٩٨٣م (٦). وتبلغ مساحة المسجد عشرة آلاف متر مربع ويتسع لنحو ١٦ ألف مصلّ، ويحتوي على قاعة للمحاضرات وإلقاء الدروس ومكتبة. يتميز المسجد بمآذنه الأربع التي يبلغ ارتفاع كل منها ٦٣ مترا، وبقبته الضخمة التي يبلغ قطرها ٢٢ مترا، تتدلى منها ثريّا ضخمة فائقة الروعة والإتقان يبلغ وزنها ٧٠٠ كيلو جرام وبها ٢٢٠ مصباحا.

والحقيقة الأساسية التي يعرفها كل من زار المدينة هي أن الحديث عنها - دون الحديث عن الجنان الطبيعية الرائعة التي تحيط بها من كل جانب - لابد أن يكون ناقصا مبتورا. ولا غرو إذن أن يرتبط اسم البليدة باسم جبلها «الشريعة». ويقع هذا الجبل جنوبي المدينة ويبلغ ارتفاعه في أعلى قممه ١٥٢٠ مترًا مشرفا بذلك على المدينة. وهو متميز بغاباته الكثيفة من أشجار الأرز والسنديان والعرعر والبلوط التي تكسوها الثلوج معظم أيام فصل الشتاء، فتجتذب بذلك السياح ومحبي الطبيعة.

ولقد بادرت المصالح السياحية الجزائرية إلى استغلال الطبيعة الرائعة لهذا الجبل، فبنت محطة سياحية، تتضمن عددا كبيرا من الأكواخ الخشبية الرائعة (شاليهات) التي تنتشر بين أشجار الأرز، وأقامت خطًا للناقل الهوائي (التلفريك) ينقل السيّاح بين البليدة والمحطة السياحية للجبل.

وإذا غادرت المدينة باتجاه الغرب على الطريق المؤدية إلى مدينة المديّة التاريخية، فسوف تقع على جنّة طبيعية أخرى على بعد نحو عشرة كيلو مترات من البليدة، تتجلّى في خانق طبيعي يدعى وادي الشفّة، يتميز بروعة غاباته ووعورة ممراته. ويعدّ هذا الوادي من أهم المعالم السياحية للمدينة، حيث يقصده السياح للاستمتاع بهوائه النقي وغاباته الكثيفة ومياهه وشلالاته الرائعة، بالإضافة إلى كونه يحتوي على قطيع كبير من القرود البرية التي اعتادت استعراض حركاتها أمام السيّاح للفوز بما يقدمونه لها من مآكلها المحببة.



مسجد البدر

الهوامش

(١) دائرة المعارف الإسلامية، الجزء الأول ١٧٣.
(٢) تاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن الجيلالي، الجزء الثالث ص ٦١. وخير الدين «برباروسا» هو أحد (بيلربايات) - أو أمير الأمراء باللغة التركية - الجزائر. قدم إليها مع أخيه عرّوج عندما استنجد بهما أهالي السواحل الجزائرية من شرور الغزاة الإسبان.
(٣) المرجع السابق، ص ٦٢.
(٤) صنهاجة قبيلة ذائعة الصيت انتشرت في المغرب العربي كافة.
(٥) كتاب العبَر لعبد الرحمن بن خلدون، المجلد السادس، ص ١٢٦.
(٦) مرآة المتيجة: مجلة إعلامية فصلية تصدرها ولاية البليدة. العدد الثاني لعام ١٩٨٧م.



الاكتساب في تلخيص الأنساب

حلقات يكتبها: حمد الجاسر

علم الأنساب عرفه العرب منذ أقدم عصورهم، إذ كان أساس علم التاريخ عندهم، فهم لا يعنون به مجرد سرد الآباء والأجداد حتى ينتهي إلى أبي القبيلة أو من تُنْسَب اليه فحسب، وإنما يريدون من وراء ذالك إبراز المشاهير منهم والنابهين بأفعالهم، من الشجعان والكرماء والحكماء والشعراء ونحوهم، مِمَّنْ حفلت بذكره مؤلفات المتقدمين في هذا العلم، كابن الكلبي وأبي عُبَيد القاسم بن سلاَّم، ومصعب الزبيري، والزبير بن بكَّار، وابن حزم، ومن حَذَا حذوهم من المتأخرين.

وهناك طائفة من العلماء نَحَوْا في التأليف في الأنساب مَنْحًى آخر، مِمَّن عُنِيَ بعلوم الشريعة، التي مدارها على كتاب الله سبحانه وتعالى وعلى سنة رسوله عليه الصلاة والسلام، قولاً وعملاً، ممن ينظر إلى بقية العلوم الإنسانية إمَّا آلات لفهم علوم الشريعة أو أجنبية عنها، وهاؤلاء العلماء عُنُوا بالتأليف في هذا الجانب من علم الأنساب؛ لأن من فروع علم الحديث النبوي مَعْرِفَةَ أحوال الرواة من حيث الجرح والتعديل، ثم امتدَّ هذا إلى معرفة أحوال نَقَلَةِ العلوم الشرعية، بصفة عامة، سيرًا على النهج (إنَّ هذا العلم دينٌ فانظروا عمن تأخذون دينكم) وهذا النوع من علم الأنساب أعم وأشمل وأجزل فائدة لصلته بالعلوم الشرعية، ولاشتماله على علم النسب القديم، ثم التوسع في ذلك في معرفة النسبة، لبلد أو حرفة أو صفة من الصفات.

ولعل من أَوَّلِ من أَلَّف في هذا الرُّشَاطِي: عبد الله بن علي بن عبد الله الأندلسي (٤٦٦/ ٥٤٢ هـ) في كتابه «اقتباس الأنوار»[1]. ولا يزال الكتاب مفقودًا باستثناء قطع يسيرة منه، ولعناية العلماء بهذا الكتاب بقيتْ له مختصرات، منها: مختصر عبد الحق الإشبيلي، ومختصر لأحد علماء فاس في القرن الثاني عشر الهجري، وعُنِيَ عالمان آخران، سيأتي ذكرهما، بكتاب الرُّشَاطِي بمؤلفين لهما لا يزالان مخطوطين.

ولعل أشهر كتاب عُرِف في هذا الموضوع هو كتاب «الأنساب» للسمعاني عبد الكريم بن محمد بن منصور (٥٠٦/ ٥٦٢ هـ) فهو معاصر للرُّشَاطِي، إلاَّ أن كتابه حظي بشهرة واسعة لدى علماء المشرق، بينما لم يُعْرَفِ كتاب الرُّشَاطِي لديهم إلاَّ في عصور متأخرة.

وَقَد حَذَا حَذْوَ السمعاني في كتابه علماءُ جاؤوا بعده، منهم ابن الأثير: علي ابن محمد بن محمد (٥٥٥/ ٦٣٠ هـ) فألف كتاب «اللُّباب» اختصر فيه كتاب

الاكتساب في تلخيص الأنساب

السمعاني، وَنَبَّهَ على بعض أوهامه، وزاد عليه زيادات يسيرة.

وقد طبع الكتابان، أولهما مصوَّرًا من قبل أحد المستشرقين، عن نسخة كثيرة التحريف، إلاَّ أن «دائرة المعارف العثمانية» في الهند أسندت إلى العلاّمة المحقق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المُعَلِّمي اليماني، تصحيح الكتاب والتعليق عليه، فخدمه أجلَّ خدمة، وَصَدَّره بمقدمة موسعة تحدث فيها عَمَّا عرف مِمَّا أُلِّف في هذا الموضوع، وقد فاته ما لو اطلع عليه لاستفاد منه فائدة جُلَّى، ومن ذلك كتاب «الاكتساب» الذي خصصت هذه الكلمة للحديث عنه ـ وقد أشار إليه ـ وصَدَرَت بعض أجزاء كتاب «الأنساب» للسمعاني، قبل وفاة المحقق المعلمي ـ رحمه الله ـ على خير ما يتطلع اليه المعنيون بالدراسات التاريخية، جودة تحقيق، وصحة ضبط، وبعد ذلك طُبع طبعات لا تختلف عَمَّا هو معروف فيما يصدر هذه الأيَّام من المؤلفات القديمة، من حيث عدم العناية بالضبط والتحقيق.

أما الكتاب الثاني وهو «اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير، فقد طُبع أيضًا في القاهرة سنة ١٣٥٧ هـ بتحقيق حسام الدين القدسي، ويبدو أنه لم يطلع على بعض مخطوطاته التي عُنِي بها بعض المتقدمين من العلماء، ومنها الجزء الأول في مكتبة الحرم المكي، ففيه استدراكات وإلحاقات كثيرة، تفيد المعنيين بهذا الشأن.

ومن العلماء الذين عُنوا بالكتابين:

البلبيسي: إسماعيل بن إبراهيم الحنفي (٧٢٨/ ٨٠٢ هـ)، وله كتابان أحدهما جمع فيه بين كتابي ابن الأثير، والرُّشَاطِي، صاحب كتاب «اقتباس الأنوار»، فألف البلبيسي كتابًا، ويبدو أنه هو الذي سماه صاحب «تاج العروس» في مقدمته: «مجمع الأنساب»، ويقع في ثلاث مجلدات يتخلل صفحاته عدم اتصال وبياض في بعضها، وهي مسودة الكتاب بخط مؤلفه، وجاء في مقدمته: «وبعد، فإني لما اختصرت كتاب أبي محمد الرُّشَاطِي، واستعنت على بعض الأسماء وأكثر الأنساب بكتاب «اللباب» لأبي الحسن بن الأثير الجزري ـ رحمهما الله ـ وجدتها قد اجتمعا على تراجم، وانفرد كل منها بِأُخَرَ، وإذَا اجتمعا على ترجمة تارة يتفقان على من سُمِّي فيها، وتارة يختلفان، فيذكر هذا واحدًا فأكثر، ويذكر هذا رجالاً آخرين، ويزيد هذا، وينقص هذا، وكل من الكتابين مُحْتاجٌ إليه، وَمُعَوَّلٌ في هذا الفن عليه، فأحببت أن أجمع بينهما ليستغني الناظر في هذا الكتاب عن النظر في كتابين كبيرين». ثم كلمات لم تتضح في المصورة ولكن الغاية قد اتضحت.

وقبل ذالك تصدَّى البلبيسي لاختصار كتاب الرُّشَاطِي بكتاب دعاه «القبس» يحيل إليه في كتابه الأول كثيرًا، وقد وهم كثير من الباحثين، كالشيخ المعلِّمي ـ رحمه الله ـ ومفهرس مصورات معهد المخطوطات العربية، فأطلق بعضهم الاسم على الكتاب الأول، وظنه الآخرون مخطوطًا أُلِّف بعد البلبيسي[٢] بزمن، أما كتاب «القبس» فلم يعرف بعد.

ومن أولئك العلماء، الذين عنوا بكتابي السمعاني وابن الأثير، الخيضري: محمد بن محمد بن عبد الله الدمشقي ثم القاهري الشافعي (٨٢١/ ٨٩٤ هـ)، فقد تصدَّى لاختصار كتاب «الأنساب» للسمعاني، وأضاف التراجم والنسب الزائدة من كتاب الرُّشَاطِي مع ضم الزوائد من كتاب ابن الأثير، وزوائد أخرى من غيره على ما سيأتي إيضاح ذالك.

والخيضري هذا منسوب إلى أحد أجداده كما ذكر ذالك في رسم (الخيضري) من كتابه بما هذا نصه: «الْخَيْضِري ـ بفتح أوله وسكون ثانيه وضاد معجمة مكسورة وراء ـ نسبة إلى خَيْضِر اسم يُنْسَب إليه جماعة من العرب، هم الآن بأرض البلقاء، وهو خَيْضِر بن سليمان بن داود بن فلاح بن ضُمَيْدَةَ الزُّبَيْدِي من عرب زُبَيْدٍ القبيلة المشهورة، القاطنين في الْبَرِّيَّة، ثم إنَّ سليمان هذا ووالده انتقلا إلى أرض البلقاء، ونزلا على بني مَهْدِي[٣]، وهم أمراء البلقاء، فحالفهم والده وَوُلِدَ له بها عدة أولاد، صاروا أمراء، وكثرتْ ذريتهم، وانتشرتْ أفخاذًا وفصائل، ومنهم والدي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خَيْضِر، وقد قدمت ذكره في (البلقاوي) وذكرت أنه خرج من البلقاء وهو صغير، وسكن دمشق، وَوُلِدَ له بها أولاد، منهم الفقير المسكين الخَطَّاءُ المُذْنِب أبو الخير محمد بن محمد مؤلف هذا الكتاب، أرشده الله إلى الصواب، مولده في ليلة الإثنين نصف رمضان المعظم سنة ٨٢١ هـ بمحلة بَيْت لِهْيَا[٤] من ضواحي دمشق المحروسة، ومات والده ونشأ في حجر أمه فقرأ القرآن العظيم، وصلَّى به إمامًا». ثم ذكر مشائخه الذين تلقى عنهم العلم في دمشق، وقال: «انهم يزيدون على المئتين، وأنه أجازه من حلب حافظها أبو الوفاء إبراهيم بن محمد بن خليل سبط ابن العجمي، وجماعة معه من أهل حمص وحماة وطرابلس وبعلبك، ومن أهل القدس، وغيره، ومصر ومكَّة والمدينة واليمن، وقد جمع أسماءهم وتراجمهم على الحروف في معجم سماه «الرَّقْمُ الْمُعْلَم، في ترتيب أسماء مشايخي على حروف المعجم»، وتفقه على شيخ الشافعية يحيى بن يحيى القبّاني[٥] المصري، وعلى شيخ الجماعة علي بن عنان الصيرفي وتخرج به كثيرًا، ولازمه مدة طويلة، وقرأ في النحو على العلاّمة علاء الدين القابوني الحنفي وغيره، وانتفع بعلماء دمشق والواردين إليها، وحضر دروس فقيه الشام تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة، ثم لازمه وأخذ عنه، وذكر أنه رحل إلى بعلبك، وقرأ بها على سيدها أبي الحسن علي بن الحافظ إسماعيل، ولقي بها عالم تلك البلاد، وشيخ الشافعية إبراهيم بن محمد بن المرجل، وأجاز له، ثم رجع إلى دمشق، وأقام بها يسيرًا، ثم ارتحل إلى القاهرة، ولقي بها شيخ الإسلام أحمد بن علي بن حَجَرٍ، فلازمه ملازمة جيدة، وانتفع به، وكتب عنه من تصانيفه، ثم ذكر أنه أخذ عن مفيد

الجماعة تقي الـدين أحمد بن علي المقريزي مـؤرخ عصره، وسمع على جماعة من الشيوخ، ثم رحل منها إلى الحجاز، وسمع بها على جماعة، ومن المدينة رجع إلى الشام، ثم كثرت أشواقه، وتزايد قلقه إلى لقاء شيخ الاسلام ابن حَجَرٍ، فرحل إلى القاهرة، ودخل القدس في طريقه، ولقي العلامة شهاب الدين ابن رسلان، وسمع منه، وأخـذ عنه في عمل هذا التأليف، وهو يـرجو من الله حسن الخاتمة بفضله وَمَنِّهِ».

وأضاف: «وقد كـان كتب قبل هذا التأليف أشياء غـالبها في المسودة، ولم تكمل، فمن ذالك كتاب «طبقات البارعين من الشافعية»، في مجلدين، زاد فيه على الأسماء التي ذكرها السُّبكي في طبقاته الثلاث خلقًا كثيرًا، وكان قبل ذالك ذيل على «الطبقـات الـوسطى» للسبكي سماه «كشف المُغَطَّى عن الـزوائد والسمات على الطبقات الوسطى» ثم إنه أدخله في الكتاب الكبير...». ثم سرد بعض مؤلفاته مما سيأتي ذكره.

وقال في رسم (البَلْقَاوِي): «ـ بفتح أوله وإسكان ثانيه وقاف مفتوحة ـ نسبة إلى البَلْقَاء ـ وهي مدينة الشَّرَاة[٦] بناحية الشام». ثم ذكر بعض المنسوبين اليها من المتقدمين، وأضاف: «قلت: ومنها والدي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خَيْضِر الخَيْضِري، ولد بها ونشأ على طـريقة العرب في اللِّبْس والزِّي، ثم انتقل

○ هناك من خلط بين «اقتباس الأنوار» للرّشاطي و«القبس» للبلبيسي الملخّص للأول ○

عنهـا وهو صغير إلى دمشق، وحفظ القـرآن، واشتغل بـالفقه على مـذهب أبي حنيفة، وقرأ شيئًا في الحديث على الجمّال عبد الله بن السرائجي وغيره، وشارك في علـوم، وداخل الـدولـة، وتصرّف عندهم، وتـولى وظـائف جُمِدَ في مبـاشرتها، ورأيت جماعة يثنون على جودته وخيره، وتزوج بوالدتي زينب بنت الخواجا الكبير المحترم، علاء الدين علي بن محمد الحريري الحنفي فرزق منها عدَّة أولاد». وذكر أن والده توفي سنة ٨٢٩ هـ ودفن بمقبرة بيت الآلهة[٧] بدمشق.

وقد أوردتُ هـذين النصين المتعلقين بترجمة الخَيضِري؛ لأني لم أجـدهما عند من كتب عنـه وأوسعهم في ذالك السخـاوي في «الضوء الـلامع[٨]» وقد ترجمه الـزركلي في «الأعـلام» والمُنَجِّدُ في «معجـم المؤرخين الدمشقيين» وذَكَـرَا مصـادر ترجمته مِمَّا لا داعي للإطالة بذكره.

وقد وصفه الحافظ ابنُ حَجَـر في كتاب «إنباء الغُمْر» بـالحفظ، وقال عنه: «الفاضل البارع، سمع الكثير، وكتب كتبًا كثيرة وأجزاء، وجدَّ وحَصَّل في مدة لطيفـة شيئًـا كثيرًا، وخطـه مليح، وفهمـه جيـد، ومحاضراتـه تـدل على كثـرة استحضار». وأشار السخاوي إلى أنه سافر من دمشق سنة ثلاث وأربعين وثمان مئـة، فقـدم القاهـرة في تلك السنـة وحج فيهـا، وتلقى العلم عن بعض علماء الحرمين، وممن قرأ عليه الشيخة زينب ابنة اليـافعي في المدينة، وأن له صلة بابن فهد محمـد المدعو عمر بن محمد المكي الشـافعي (٨١٢/ ٨٨٥ هـ)[٩] وأنه عاد إلى القاهـرة سنة خمس وأربعين وثمان مئة، وتكـرر قدومـه إليها، وحظوتـه لدى سلطانها، وخدمته إيَّاه وإقباله عليه في سنة إحدى وثمانين وثمان مئة.

والسخاوي كثير النيل منه في كل مناسبة، ويفهم من قوله: «وبالجملة فهو ممن فيه رائحة الفن، بل هو من قدمـاء الأصحاب، وأحد العشرة الذين ذكرهم شيخنا في وصيته، وإنْ فَعَلَ معي ما أرجو أن يجازَى بمقصده عليه».

ومعـروف مـا يكـون بين المتعـاصرين، وكما استشهـد السخـاوي في أثنـاء ترجمته بقول الشاعر:

وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الإِنْصَافِ قَاطِعَةً ... بَيْنَ الرِّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ

فإنه يصـح الاستشهاد بهذا البيت فيما وجهه إلى الخيضري مـن لاذع النقد، والله يتولى الجميع بمغفرته ورضوانه.

وقد تولى الخَيضِري أعمالاً في دمشق ثم في القاهـرة، لعلها من الأسباب التي أوجدتْ شيئًـا من الخلاف بينه وبين معاصريـه، وتولى في دمشق، على مـا ذكر السخـاوي، مشيخـة دار الحديث الأشرفيـة وقضـاء الشـافعيـة، والمدرسـة السميساطية، وقـال عن صلته بالسلطان: «وأقبل عليـه في سنة إحدى وثمانين بكليته، واتصـل بجنابـه، وصار إلى غايـة في التقريـب، ثم ألزمـه بالإقـامة في حرمـه، وصار يصعد إليـه في أوقات معينـة بسبب أشياء واضحة، ويسـايره في أماكن النـزهة وغيرها ويسـامره»، وأكـرم السلطان ولده، مع كـونه لم يستكمل العشرين من السنين، بالقضاء وكتابة السِّرِّ في بلـده ـ وأطال الكلام ـ ثم وصفه بأنـه حـدَّث ببلده، وأَمْلَى ودرس ووعظ، وخطب وأفتـى، وولي السميساطيـة وغيرها من مـدارس الشام، خـارجا عما يتعلق بالقضـاء من المدارس كالغـزالية والعـدروايـة، وذكـر أنـه تـوفي في شهر ربيع الأول سنـة أربع وتسعين وثمان مئـة بالقاهرة، ودفن بتربته عند باب الشافعي، وتأسف السلطان فيما قيل عنه.

الحواشي:

(١) انظـر عنـه: مجلـة «العـرب»، س ٢٧، ص ١٤٥.

(٢) ومؤلفـه أحد علماء فـاس في القرن الثـاني عشر الهجـري، كما أوضحت هـذا في مجلـة «العرب»، س ٢٧، ص ١٦٣ و٥٦٦.

(٣) بنـو مهدي مـن بني طريف مـن قبيلة جُـذام القحطـانيـة، وديارهم البلقـاء إلى الصَّـوَّان وأعلم أعفـر، «قلائد الجمان» للقلقشنـدي ـ ٦٦ ـ. والصوان وعلم أعفر في شمال المملكة بمنطقـة تبـوك، وانظـر عنهم (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية».

(٤) قال يـاقوت: بيت لهيـا قريـة مشهورة بغـوطة دمشق.

(٥) كلمة (القبّاني) في المخطوطة من دون إعجام، وكذا كثير من الأسماء، واسْتُعِين بضبطها بما في «الضوء اللامع».

(٦) كـذا. وفي «معجم البلـدان»: (الشراة) ـ بـالشين المعجمة ـ صقع بالشـام بين دمشق ومدينـة الرسـول ﷺ. وقال عـن (البلقاء): كـورة من أعمال دمشـق بين الشـام ووادي القرى، قصبتها عَمَّان.

(٧) كذا في المخطـوطة، ويقصـد (بيت لهيـا) فقد قال عنه (البتلهي نسبة إلى بيت لهيا... بيت الآلِهَة قـرية مشهورة بغـوطة دمشق، قُلْت: فيها ولدت وتربيت، وهي من... الغوطة، وبها جـامع قديم مبـارك، ومن محدثيهـا (ثم بياض).

(٨) ج ٩ ص ١١٧.

(٩) لابن فهد كتاب «معجـم الشيوخ» نشرته «دار اليمامة» سنة ١٤٠٢ هـ.



وسائل إدراك جودة الشعر عند نقاد القرن الرابع الهجري

محمد الحافظ الروسي

بدأ النقد الأدبي ذاتيا وتصنيفيا . حيث كان النقاد ـ كما يقول د . أمجد الطرابلسي ـ «يقيمون الموازنات ويلقون بالأحكام، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء تعليلها . وكانت أحكامهم هذه تتحدد في نوعين، وذلك كالتالي : النوع الأول، تكون صيغته هي : إن أشعر الشعراء هو الذي قال بيت كذا . والنوع الثاني، تكون صيغته هي : إن أشعر بيت قاله شاعر في موضوع كذا هو. . . وهنا نكتشف نقدا تأثريا خالصًا (**Purement impressionniste**)، يقع تحت رحمة الظروف، وبخاصة تحت تأثير آخر شاعر استمع إليه الناقد أو قرأ شعره» . [(١)]

وبظهور كتاب (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام الجُمَحِي (ت : ٢٣١ هـ)، ظهر نقد معلل للأحكام والموازنات؛ [(٢)] لكنه احتفظ، على الرغم من ذلك، بتلك الأهمية التي كانت تعطى لذوق الناقد وصحة طبعه، وهي الأهمية التي لم تختف نهائيا من ساحة النقد بعد ذلك . [(٣)] فقد احتفظ «ابن سلام» بذلك الرأي الذي كان يذهب أصحابه إلى أن الناقد الأدبي يشبه الصراف [(٤)] في مهمته، حيث يستطيع أن يدلك على الجيد والرديء دون أن يكون وراء ذلك إلا الخبرة والممارسة والدربة والطبع؛ ثم يعتبر حكمه، بعد ذلك، فاصلاً لا ينفع معه اعتراض غير المتخصصين . يقول «ابن سلام» : «وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات . منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأُذُن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان .

من ذلك اللؤلؤ والياقوت، لا تعرفه بصفة ولا وزن، دون المعاينة ممن يبصره .

ومن ذلك الجَهْبَذَةُ بالدينار والدرهم، لا تعرف جَوْدَتُهما بلون ولا مس ولا طراز ولا وسم ولا صفة، ويعرفه الناقد عند المعاينة، فيعرف بَهْرَجَهَا وزائفها وسَتُّوقَهَا ومُفْرَغَهَا . . . » [(٥)] . إذن، فإن الدور الأهم هو الذي يضطلع به الناقد الجيد، على الرغم من أنه لا يستطيع تقديم تفسير لأحكامه وتسويغها، إنما هو، كما يقول ابن رشيق، : «شيء يقع في النفس عند المميز» . [(٦)] إذ أنه «ليس للجودة في الشعر صفة» . [(٧)]

وسائل إدراك جودة الشعر عند نقاد القرن الرابع الهجري

وهكذا نـلاحظ في إطار هذا النوع من النقـد أنه علينا أن نسأل عن النـاقد ومدى تمكنه، قبل أن نسأل عن علل أحكامـه وعن الوسائل التي اعتمد عليها في بناء آرائه.

صراع تياري العقل والنقل

إلا أنه بحلول القرن الرابع الهجري تغير الوضع عما كان عليه؛ ذلك أن هذا القرن كـان قرن الاهتمام بمعـرفة علل الأشيـاء، وقرن الصراع بين أنصـار العقل وأنصار النقل، وقـرن استواء مذهب البـديع. فكان أن أثرت كل هـذه الأشياء على الميدان الأدبي، وقلصت من ذلك الدور المهم الذي كـان يتمتع به الناقد في العصور السابقة، حيث أصبح في كثير من الحالات مجرد عارف بالقواعد، قادر على تطبيقها.

ولقـد كان قـدامة أول من حـاول تقـديم علـم يُعْـرَف بـه جيـد الشعـر من رديئه.[٨] وهو علم لا مجال فيـه للذوق الشخصي، لـذلك لا نجد في كتـابه (نقـد الشعر) أحكـامًا غير معللـة أو قائمـة فقط على ذوق قدامـة الخاص. ولا تعتبر الدربـة عنده عنصرًا جـوهريا، بل الأهـم عنده هو المعـرفة النقـدية، أي معرفة قواعد البديع التي قام ببسطها في كتابه.

وكذلك يفعل العسكري، فهو يعتقد أن علـم البلاغة هو الذي يمكن المرء من معرفـة الكلام الجيد من الرديئ، واللفظ الحسن من القبيح، والشعـر النادر من البـارد، وهو الـذي يمكن الشاعـر من صنع القصيـدة الحسنة، والمتصـدر لعملية الاختيار من اختيار الجيد المقبول.[٩] ويبدو أن العسكري لا يثق بذوق كبـار النقاد السـابقين الـذين كانـوا يعتمـدون على الطبع الصحيح فقط، دون معـرفـة بـالبـلاغـة. لـذلـك عـاب على الأصمعي وعلى المفضل الضبي بعض اختياراتهما[١٠] ثم قال: «فلما رأيت تَخْلِيطَ هـؤلاء الأعلام، فيما رامـوه من اختيار الكلام، ووقفت على موقع هـذا العلم من الفضل، ومكانه من الشرف والنبل، ووجـدت الحاجة إليـه ماسـة، والكتب المصنفـة فيه قليلـة... رأيت أن أعمل كتابي هذا...»[١١]

الأهمية للناقد لا للقواعد

وفي مواجهة هذا التيار الذي كان يؤمن بـالبديع والبلاغة مقياسًا لاستجادة الأشعار؛ كان هناك تيار آخر مازال يـؤمن بالذوق وقدرة الناقد؛ يمكن أن نعد أبرز ممثليـه، القاضي الجرجاني، فهو بعكـس العسكري ـ الذي كـان يعتقد أن علم البلاغـة هو ما يجب أن يُعتمـد في الاختيار ـ يقـول: «... فإن توسعت في الدعـاوي فضل توسع، وملت مع الحيف بعـض الميل حتى تناولت طـائفة من المختار، فجعلته في المنفي، وأخذت صدرًا من الجيـد فجعلته مع الرديئ ـ ولسنا نـنـازعك في هذا البـاب ـ فهـو باب يضيق مجال الحجـة فيه، ويصعب وصـول البرهان إليه. وإنما مـداره على استشهاد القرائح الصافيـة، والطبائع السليمة، التي طـالت ممـارستُها للشعـر، فَحَـذَقَتْ نقدَه، وأثبتـت عياره، وقـويت على تمييزه، وعرفت خلاصه..»[١٢] ولا يعترف الجرجاني بالقواعـد إلا إذا كان الأمر متعلقا بمسألة نحـوية، أو لغوية، أو واضحـة الإحالة تدرك بـوساطة العقل. وذلك إذ يقـول: «.. وإنما نقابل دعـواك بإنكار خصمك، ونعـارض حجتك بإلزام مخالفك إذا صرنا إلى ما جعلته من باب الغلط واللحن، ونسبته إلى الإحالة والمناقضة...»[١٣] إلا أن استعمال القـواعد في إدراك هـذه الأخطاء أمـر يقل التفاضل في علمه، ويشترك الناس في معرفته.[١٤] بعكس معرفة مواقع الكلام فهو أمـر ـ يصفه الجرجـاني ـ بأنـه غامض، لا يدرك إلا بصحـة الطبع وإدمان الـريـاضـة، وفي ذلك يقول: «فأمـا المختل المعيب، والفاسـد المضطرب، فلـه وجهان، أحدهما ظاهر يُشترك في معرفته... وهـو ما كان اختلاله وفساده من باب اللحن والخطأ من نـاحية الإعـراب واللغة... والآخر غـامض يُوصل إلى بعضـه بالـروايـة، ويُـوقف على بعض بالـدرايـة؛ ويُحتـاج في كثير منه إلى دقـة الفطنة، وصفاء القريحة، ولطف الفكر، وبُعد الغوص. وملاك ذلك كله وتمامُه الجامعُ له والزِّمَام عليه صحة الطبع، وإدمان الرياضة...»[١٥]

ويوافق الآمدي الجرجاني على ضرورة التسليم بحكم الناقد واعتباره مقياسًا تعرف به الجودة في الشعر، حتى وإن لم يعلل النـاقد أحكامه. ويسجل الآمدي ثلاث ملاحظات في تأييد هذا الرأي هي:

أولا: إن من علل الأحكـام مـا لا تحيط بـه العبارة، وهنـاك «مـا لا يمكن إخراجـه إلى البيان، ولا إظهـاره إلى الاحتجاج»،[١٦] ولا يعرف، كما جـاء في الموازنة، «إلا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة، وبهذا يَفْضُل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته، وقلت دربته، بعد أن يكون هناك طبع فيه تَقَبُّل لتلك الطباع وامتزاج بها، وإلا فلا يتم ذلك...»[١٧]

ثانيا: إن الموازنـة بين شعرين متقاربين وتفضيل أحـدهما على الآخر، أمر غير ممكن عن طـريق التعليل والاحتجـاج، لذلك يلجأ النـاقـد فيه إلى ذوقـه وخبرته. وإنما يمكن التبيين عند التفاوت بين الشعرين.[١٨]

ثالثا: إنه على المرء العادي أن يسلم بحكم الناقد في الأشعار، ولا ينازعه في شيئ من ذلك؛ لأنه ليس في إمكان النـاقـد أن ينقل تجربته التي اكتسبها في مدة طويلة، في ساعة من نهار. يقـول الآمدي: «فمن سبيل من عُرف بكثرة النظر في الشعـر والارتياض فيـه وطول الملابسـة لـه، أن يُقْضَى له بـالعلم وبالشعـر

> كتاب (نقد الشعر) لِقُدامة وضع الأُسس الأولى لعلم يُعرف به جيّد الشعر من رديئه.

والمعرفة بأغراضه، وأن يُسلَّم له الحكم فيه، ويقبل منه ما يقوله، ويعمل على ما يمثله. ولا ينازع في شيء من ذلك... فإنه ليس في وسع كل أحد أن يجعلك... في العلم بصناعته كنفسه، ولا يجد إلى قذف ذلك في نفسك ولا في نفس ولده ومن هو أخص الناس به سبيلا، ولا أن يأتيك بعلة قاطعة، ولا حجة باهرة... لأن ما لا يدرك إلا على طول الزمان ومرور الأيام لا يجوز أن تحيط به في ساعة من نهار».[١٩]

شروط الناقد العالم

إذن، فإن الأهم عند أصحاب هذا الاتجاه هو الناقد لا القواعد؛ لذلك وضعوا له مجموعة من الشروط يجب أن تتوافر فيه حتى يصح قبول أحكامه، هي:

أولا: البعد عن العصبية، وفي ذلك يقول الجرجاني: «... غير أن العصبية ربما كدرت صفو الطبع، وفَلَّتْ حَدَّ الذهن، ولبَّست العلم بالشك، وحسَّنت للمنصف الميل؛ ومتى استحكمت ورسخت صورت لك الشئ بغير صورته، وحالت بينك وبين تأمله، وتَخَطَّتْ بك الإحسان الظاهر إلى العيب الغامض. وما ملكت العصبية قلبًا فتركت فيه للتثبت موضعًا، أو أبقت منه للإنصاف نصيبًا!».[٢٠]

ثانيا: صحة الطبع، أو الموهبة النقدية التي تجعل الناقد أكثر قدرة من غيره على إدراك أسرار الكلام، وعلى التجاوب مع الشاعر. وهو ما عبر عنه الآمدي بالطبع الذي «فيه تقبل لتلك الطباع (طباع الشعراء) وامتزاج بها».[٢١]

ثالثا: إدمان الرياضة؛[٢٢] أو بأسلوب الآمدي «الدربة ودائم التجربة وطول الملابسة».[٢٣] ويعتبر الجرجاني أنه باجتماع هذا الشرط إلى شرط صحة الطبع يمكن معرفة ذلك الجانب الغامض من النقد الذي لا يوصل إلى معرفته إلا بالرواية والدراية ودقة الفطنة وصفاء القريحة ولطف الفكر وبعد الغوص.[٢٤] لأن هذين الأمرين ـ كما يقول ـ «ما اجتمعا في شخصٍ فقصّرا في إيصال صاحبهما عن غايته، ورَضِيَا له بدون نهايته».[٢٥]

رابعًا: معرفة علل الأحكام، وهو المقياس الذي يعتبره الآمدي صالحًا لتمييز الناقد العالم من الناقد المزيف، وذلك إذ يقول: «وبعد، فإني أدلك على ما ينتهي بك إلى البصيرة والعلم بأمر نفسك في معرفتك بأمر هذه الصناعة أو الجهل بها، وهو أن تنظر ما أجمع عليه الأئمة في علم الشعر من تفضيل بعض الشعراء على بعض، فإن عرفت علة ذلك فقد علمت، وإن لم تعرفها فقد جهلت...».[٢٦]

إلا أن هذه الشروط ــ كما يلاحظ ــ لا تمنع اختلاف النقاد، ولا تضع لهم قواعد واضحة يرجعون إليها عند الاختلاف، فتفصل بينهم. فكيف تحل هذه المشكلة، إذن؟

يرى المرزوقي، جوابًا على ذلك، أن الحكم النهائي ـ الذي لا يبدل ولا يغير ــ في الأشعار، إنما هو حكم أكثر النقاد قدرة، وأكثرهم توفرًا على الشروط السابقة، وأكثرهم تمييزا ومعرفة. أي إن الفيصل لدى الاختلاف ليست هي القواعد، بل هو الناقد القدير. وفي ذلك يقول: «وأما ما غلب على ظنك من أن اختيار الشعر موقوف على الشهوات؛ إذ كان ما يختاره زيد يجوز أن يزيفه عمرو، وأن سبيلَها سبيلُ الصور في العيون، إلى غير ذلك مما ذكرته، فليس الأمر كذلك؛ لأن من عَرَفَ مستورَ المعنى ومكشوفه، ومرفوض اللفظ ومألوفه، وميز البديع الذي لم تقتسمه المعارض، ولم تعتسفه الخواطر، ونظر وتبحّر، ودار في أساليب الأدب فتخيّر، وطالت مجاذبته في التذاكر والابتحاث، والتداول والابتعاث، وبان له القليل النائب عن الكثير، واللحظ الدال على الضمير، ودرى تراتيب الكلام وأسرارها، كما درى تعاليق المعاني وأسبابها، إلى غير ذلك مما يكمل الآلة، ويشحذ القريحة، تراه لا ينظر إلا بعين البصيرة، ولا يسمع إلا بأذن النصفة، ولا ينتقد إلا بيد المَعْدِلَة، فحكمه الحكم الذي لا يبدل، ونقده النقد الذي لا يغير».[٢٧]

ويعتقد المرزوقي أن ذوق الناقد وطبعه ضروريان عند الحكم بالجودة؛ لأن هناك من الأشعار ما لا يمكن تفسير سبب جودتها إلا بالرجوع إلى طبع الناقد وحذقه. وذلك بعكس الرداءة فإنه يمكن التنبيه عليها دائمًا وإدراكها بوساطة القواعد. وهو قوله في مقدمة شرحه لحماسة أبي تمام: «... وإنما قلت هذا؛ لأن ما يختاره الناقد الحاذق قد يتفق فيه ما لو سئل عن سبب اختياره إياه، وعن الدلالة عليه، لم يمكنه في الجواب إلا أن يقول: هكذا قضية طبعي، أو ارجع إلى غيري ممن له الدربة والعلم بمثله فإنه يحكم بمثل حكمي. وليس كذلك ما يسترذله النقد أو ينفيه الاختيار؛ لأنه لا شئ من ذلك إلا ويمكن التنبيه على الخلل فيه، وإقامة البرهان على رداءته، فاعلمه».[٢٨]

قبول الفهم الثاقب

وإذا كان النقاد قد اختلفوا حول المقياس الأهم في معرفة جودة الشعر، هل

هو حكم الناقد أم القواعد البديعية؟! ؛ فإن ابن طَباطَبا قدّم مقياسًا آخر لمعرفة حسن الشعر، هو تقبل الفهم الثاقب لما يرد عليه من أشعار. وفي ذلك يقول: «وعيار الشعر أن يورد على الفهم الثاقب، فما قَبِلَهُ واصطفاه فهو وافٍ، وما مجّه ونفاه فهو ناقص». (٢٩) وأما علة «قبول الفهم الناقد للشعر الحسن الذي يرد عليه، ونفيه للقبيح منه». (٣٠) فهو اعتدال المدرك وموافقته لحاسة الفهم، (٣١) وهو أمر يتم على مستويين:

ـ المستوى الأول، نفسي، يتعلق بالمدرِك؛ لأن النفس ـ كما يقول ابن طباطبا ـ «تسكن إلى كل ما وافق هواها، وتقلق مما يخالفه، ولها أحوال تتصرف بها، فإذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها اهتزت له وحدثت لها أريحية وطرب، فإذا ورد عليها ما يخالفها قلقت واستوحشت». (٣٢)

ـ والمستوى الثاني، تقني، يتعلق بأدوات الشعر، أي اللفظ والمعنى والوزن، ويتم قبول الفهم للشعر بقدر تمام أو نقصان جودة هذه العناصر الثلاثة. (٣٣) فالواجب أن يكون اللفظ حسنًا والمعنى صوابًا والوزن معتدلاً. (٣٤)

ثم إن هناك عناصر مؤيدة تساعد في قبول الفهم للشعر، وهذه هي:

أولا: «الصدق عن ذات النفس بكشف المعاني المختلجة فيها، والتصريح بما كان يكتم منها، والاعتراف بالحق في جميعها». (٣٥)

ثانيا: «الابتداء بذكر ما يعلم السامع له إلى أي معنى يساق القول فيه قبل استتمامه، وقبل توسط العبارة عنه». (٣٦)

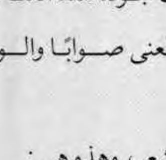
ثالثا: «التعريض الخفي الذي يكون بخفائه أبلغ في معناه من التصريح الظاهر الذي لا ستر دونه». (٣٧)

من كتاب العدد

● محمد الحافظ الروسي

ـ من مواليد طنجة المغربية عام ١٩٦٤ م.

ـ حاصل على الإجازة في الآداب، ودبلوم الدراسات المعمقة (شهادة استكمال الدروس) تخصص أدب قديم، ودبلوم الدراسات العليا (دكتوراه السلك الثالث) تخصص: نقد قديم.



ـ باحث وشاعر له عدة قصائد منشورة.

ـ يعمل حاليا أستاذا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ بشعبة الدراسات الإسلامية، في مدينة تطوان بالمغرب.

الهوامش:

(1) AMJAD TRABULSI. La critique poetique des arabes. p. 5.

(٢) انظر مثلا، طبقات فحول الشعراء، ابن سلام الجمحي ١/ ٥٥ـ٥٦.

(٣) الموازنة، الآمدي. ص ٣٧٤. إعجاز القرآن، الباقلاني. ص ١١٣. العمدة، ابن رشيق. ١/ ١١٨.

(٤) يبدو أن تشبيه الناقد بالصيرفي لم يقتصر على مجال النقد الأدبي، بل تعداه إلى مجال نقد الحديث وتعليله. فعلى المحدث أيضا أن يكون قادرًا على تذوق حلاوة عبارة الرسول (ﷺ) التي لا يشبهها غيرها من ألفاظ الناس. الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير، شرح أحمد محمد شاكر. ص: ٦١.

٥ ـ ابن سلام، طبقات فحول الشعراء ١/ ٥.

٦ ـ ابن رشيق، العمدة ١/ ١١٩.

٧ ـ المصدر نفسه.

٨ ـ نقد الشعر. قدامة بن جعفر. ص ١٥ ـ ١٦.

٩ و١٠ و١١ ـ كتاب الصناعتين ـ العسكري، ص ١٠، ١١ـ١٢، ١٣ على التوالي.

١٢ و١٣ و١٤ و١٥ ـ الجرجاني، الوساطة. ص ٩٩ ـ ١٠٠، ص ١٠٠، ص ٤١٣ على التوالي.

١٦ و١٧ و١٨ و١٩ ـ الآمدي، الموازنة. ص ٣٧٢ـ ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥ـ٣٧٤ على التوالي.

٢٠ ـ الجرجاني، الوساطة، ص ٤١٤.

٢١ ـ الآمدي، الموازنة، ص ٣٧٣.

٢٢ ـ الوساطة، الجرجاني، ص ٤١٣.

٢٣ ـ الآمدي، الموازنة، ص ٣٧٢.

٢٤ و٢٥ ـ الوساطة، الجرجاني، ص ٤١٣.

٢٦ ـ الآمدي، الموازنة، ص ٣٧٦.

٢٧ و٢٨ ـ المرزوقي، شرح حماسة أبي تمام، ١/ ١٤ـ١٥، ١/ ١٥ على التوالي.

٢٩ و٣٠ ـ ابن طباطبا، عيار الشعر، ص ١٤.

٣١ ـ الفهم، معرفتك الشيء بالقلب. اللسان: مادة فهم ١٢/ ٤٥٩.

٣٢ و٣٣ و٣٤ ـ ابن طباطبا. عيار الشعر، ص ١٥ وانظر ص ١٦.

٣٥ و٣٦، ٣٧ ـ المصدر نفسه، ص ١٦ ـ ١٧، على التوالي.

المصادر والمراجع

١ ـ الآمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى). ت ٣٧٠ هـ. الموازنة بين الطائيين: أبي تمام والبحتري.
حقق أصوله وعلق حواشيه، محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة العلمية ـ بيروت.

٢ ـ الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب). ت ٤٠٣ هـ.
إعجاز القرآن. تحقيق، السيد أحمد صقر. الطبعة الثالثة. دار المعارف ـ القاهرة.

٣ ـ الجرجاني (علي بن عبد العزيز). ت ٣٦٦ هـ.
الوساطة بين المتنبي وخصومه.
تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم ـ علي محمد البجاوي. دار القلم ـ بيروت.

٤ ـ ابن رشيق (أبو علي الحسن). ت ٤٥٦ هـ.
العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده.
تحقيق. محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الرشاد الحديثة ـ الدار البيضاء.

٥ ـ ابن سلام (أبو عبد الله محمد). ت ٢٣١ هـ.
طبقات فحول الشعراء.
قرأه وشرحه. محمود محمد شاكر. مطبعة المدني، القاهرة ١٩٧٤ م.

٦ ـ شاكر (أحمد محمد). ت ١٩٥٨ م.
الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث. للحافظ ابن كثير.
الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية ـ بيروت. ١٩٨٣ م.

٧ ـ ابن طباطبا (محمد بن أحمد) ت. ٣٢٢ هـ.
عيار الشعر.
تحقيق: د. طه الحاجري ـ د. محمد زغلول سلام. المكتبة التجارية ـ القاهرة. ١٩٥٦ م.

٨ ـ الطرابلسي (أمجد).
نقد الشعر عند العرب إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي.

٩ ـ العسكري (أبو هلال). ت. بعد. ٣٩٥ هـ.
كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر.
تحقيق: مفيد قميحة. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية ـ بيروت. ١٩٩١ م.

١٠ ـ قدامة بن جعفر (أبو الفرج قدامة بن جعفر ابن قدامة). ت ٣٣٧ هـ.
نقد الشعر.
تحقيق. كمال مصطفى.
الطبعة الثالثة. مكتبة الخانجي ـ القاهرة.

١١ ـ المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن). ت ٤٢١ هـ.
شرح ديوان الحماسة.
نشره: أحمد أمين ـ عبد السلام هارون. الطبعة الأولى ـ مطبعة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ١٩٥١ م.

١٢ ـ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم). ت ٧١١ هـ.
لسان العرب المحيط.
دار صادر ـ بيروت.

حوار مع:

الدكتور علي شلش عبر رسائله

إعداد: فرج مجاهد عبد الوهاب

خسرت الحياة الأدبية والفكرية الكثير بوفاة الناقد الكبير الدكتور علي شلش، الذي أسهم إسهامات فعالة في مجالات القصة والدراسات الأدبية والترجمة والنقد الفني والأدبي، هذا بخلاف العديد من الندوات والمؤتمرات التي شارك فيها، وكان له حضوره القوي المؤثر، لعل آخرها كان «مؤتمر الشعر العربي» الذي عقد في القاهرة (من ٢٠ إلى ٢٥ أكتوبر ١٩٩٣م)، الذي لفظ فيه أنفاسه الأخيرة بعد يوم واحد من مناقشة بحثه عن «الشعر العربي في إنجلترا».

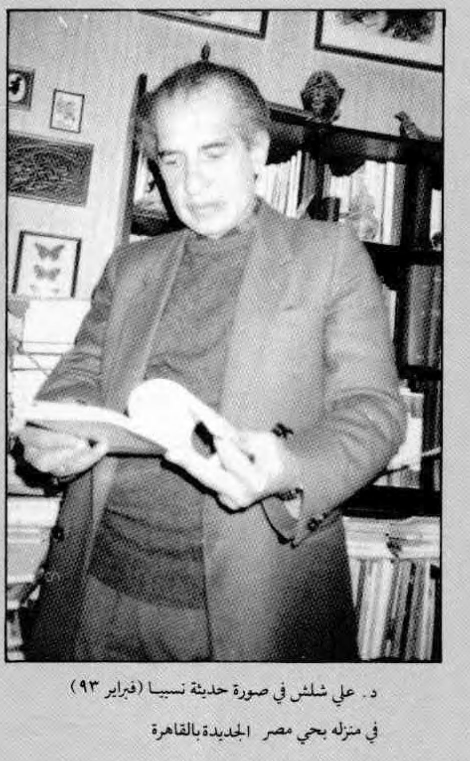
وكانت تربطني بالراحل صلة جعلتني أتبادل معه العديد من الرسائل في حوار استمر لسنوات طويلة، تبادلنا فيها العديد من الآراء حول مختلف قضايا الإبداع والنقد الأدبي، مع لمحات من حياته.

واليوم ننشر شيئا من هذه الرسائل، ونرجو الله أن يوفقنا لنشر باقي الرسائل يوما ما.

قصة البداية

● هل تأذن لنا في البداية أن نعرف بمن تأثرت في بداية حياتك من الأدباء والنقاد؟ ومن الذي شجعك وأخذ بيدك في تلك الفترة؟

□ لا أذكر أنني تأثرت في بداية حياتي بأديب أو ناقد معين، وإنما تأثرت بأفكار وكتب، وبعض هذه الكتب كانت عن أدباء. وربما كان أول كتاب عشت معه سنوات من القراءة والمتعة هو **«العقد الفريد»** لأحمد بن عبد ربه الأندلسي. وقد وجدته في دارنا من ميراث عمي الذي درس في الأزهر. وكان عمري أقل من عشر سنوات يوم بدأت القراءة فيه وحفظ بعض ما جاء فيه من أشعار وأقوال مأثورة وطرائف. ومازلت حتى الآن أذكر كل ما حفظته منه. وربما كان هذا الكتاب أيضا أحد



د. علي شلش في صورة حديثة نسبيا (فبراير ٩٣)
في منزله بحي مصر الجديدة بالقاهرة

أسباب قوة تعبيري الإنشائي وحسنه إذا كانت به قوة وحسن.

في تلك السنوات الأولى أذكر أيضا تشجيع المدرسين الذين علموني، ولا أنسى منهم مدرس اللغة العربية ومدرس التاريخ، وقد أصبح الأخير أستاذا جامعيا بعد ذلك وهو **الدكتور سعيد عاشور** الذي حبب إليّ التاريخ واللغة الإنجليزية، مع أنه كان وقتها شابا صغيرا حديث التخرج.

وأذكر أيضا من الكتب التي أثرت فيّ بعدها كتاب بالإنجليزية في نحو ٥٠٠ صفحة ألفه كاتب (أمريكي) ـ لم أعد أذكر اسمه ـ عن الشاعر الأديب الفرنسي **فيكتور هيجو**. كان هذا الكتاب أول تحد لي في الإنجليزية. وقد قمت بتلخيصه في مجموعة دفاتر. وشدتني شخصية **هيجو** بجهاده في سبيل الحرية في بلده حتى إنه ترك فرنسا ونفى نفسه نفيا اختياريا، بعد أن استولى **لويس نابليون** (ابن أخي نابليون بونابرت) على الحكم وصار دكتاتورا. عند ذاك أعلن **هيجو** أنه لن يعود إلى فرنسا إلا إذا عادت الحرية. ونتيجة لهذا ظل في منفاه ١٩ سنة حتى سقط **نابليون** وحكمه الدكتاتوري، وهزمه الألمان.

أذكر أيضا من بين الذين شجعوني بعد ذلك الناقد **أنور المعداوي**، الذي عرفته في مقهى الكمال بالجيزة، وصار لي صديقا وأخا أكبر حتى وفاته عام ١٩٦٥م. وعن طريقه عرفت **الدكتور**

حوار مع: د. علي شلش عبر رسائله



عبد القادر القط والدكتور محمد مندور، وكلاهما شجعني في بداية عهدي بالنقد.

الخبرة اختارت موضوعات الرسائل

● قبل أن نتحدث عن الأدب والنقد هل يمكن أن تحدثنا عن قصة حصولك على الماجستير ثم الدكتوراه بالتفصيل؟ وهل أنت الذي اخترت الموضوعات؟

□ جاءني التفكير في إكمال تعليمي العالي من خلال موقعي كرب أسرة تضم عددا من طلاب الثانوي والجامعة، ولكي أُحمّس هؤلاء كان عليّ أن أكون قدوة لهم، فانخرطت من جديد في التعليم بعد أن كنت انقطعت عنه وأنا في السنة الثانية بكلية التجارة. وكان عليّ أن أحصل على الثانوية العامة من جديد. ثم التحقت بقسم الصحافة، لأنه القسم الأسهل بالنسبة لي نتيجة الخبرة العملية التي حصلتها. وعندما حصلت على الليسانس التحقت بالجامعة الأمريكية للحصول على الماجستير.

كانت الدراسة تقوم على أساس مقررات معينة طوال السنة مع رسالة صغيرة لكن انشغالي وسفري منعاني بعد أشهر من الاستمرار في الدراسة فعدت إلى جامعة القاهرة، وسجلت موضوعًا للماجستير هو **«النقد السينمائي في الصحافة المصرية: ١٩٢٧ ـ ١٩٤٥م»**.

والسبب في اختياري هذا الموضوع هو أنني كنت تعلقت بالسينما والنقد السينمائي فترة خلال الستينيات، والتحقت عام ١٩٦٣م بمعهد السينما وتخرجت فيه بعد عامين، لكني لم أجد الوقت ولا المزاج لإعداد أي سيناريو. وعندما أشرف **الدكتور شكري عياد** على سلسلة المكتبة الثقافية في أوائل السبعينيات طلب مني الاشتراك بكتاب في السلسلة، فاخترت موضوع النقد السينمائي؛ لأنه موضوع بكر من ناحية، ومهم وقريب إلى اهتماماتي النقدية من ناحية أخرى. وهكذا قمت بإعداد كتاب صغير عنه ظهر في السلسلة. فلما فكرت في الماجستير كان هذا الكتاب أساس تفكيري، لكن لأنه كان كتابا نظريا فقد جعلته مقدمة للرسالة التي كانت تطبيقية وتاريخية أساسا. بعدها فكرت في الدكتوراه، وكان عليّ أن أختار موضوعا جديدا لم يُبحث من قبل، فاخترت المجلات الأدبية ودورها في الأدب العربي الحديث من ١٩٣٩ إلى ١٩٥٢م. وما أهّلني لهذا الموضوع هو الخبرة التي حصلتها عبر السنين من العمل والكتابة لهذا النوع من المجلات.

وهكذا اختارت الخبرة موضوعَيْ الماجستير والدكتوراه وفرضتهما عليّ. وأحسست من خلال الموضوعين أنني أسهمت في خدمة الثقافة السينمائية والأدبية النقدية في وقت واحد، ووضعت أمام الباحثين مادة يمكن الاستفادة منها، لكن الأهم من هذا كله هو أنني خرجت ببضعة كتب في الموضوعين؛ لأنني لم أفكر في الماجستير أو الدكتوراه لوجه آخر غير أن يكونا دافعين لي من أجل دراسة موضوعيهما والتأليف. فقد شعرت بأنني مكلف ومسؤول عن إنجاز هذه الدراسة. وقد تعودت أن أعمل بالتكليف والدافع فأتحمل المسؤولية بعدهما. والفضل في ذلك للإحساس بالمسؤولية الذي تدربت عليه داخل الأسرة!

الوجه الآخر للإبداع

● ما مفهومك للنقد؟ وكيف تنظر للنص الأدبي؟ وما مداخلك إليه؟

□ **باختصار شديد أقول لك إن النقد هو الوجه الآخر للإبداع أو يجب أن يكون كذلك. وهو أيضا مناقشة للإبداع وطرق التعبير الأدبي عن الأفكار. ويعتمد على التحليل والمقارنة والموازنة والتفسير. ويحتاج إلى ثقافة خاصة وروح إبداعية.**

والنص هو مادة النقد الأدبي، لكن المداخل إليه كثيرة وعديدة، ومعروفة، أما مداخلي أنا ـ إذا صح أن تكون لي مداخل ــ فتتلخص في محاولة المعايشة للنص والحياة بداخله من أجل استيعابه، ثم التأمل في تجربة المعايشة هذه، وصياغتها في



نماذج من الإجابات بخط يده

كلام لا يقل جهدا ولا أسلوبا عن جهد صاحب النص وأسلوبه.

وإذا كان هذا طموحًا صعب التحقق فأنا طموح على أية حال، لكني متواضع أيضا!

نحتاج إلى الترجمة الحرة

● بالنسبة للترجمة، سبق لكم أن ترجمتم بعض الأعمال الأدبية، لماذا لم تستمر هذه التجربة؟ ولماذا لا تترجم أحدث مناهج النقد الأدبي - في العالم مثلا؟ وهل نحن في حاجة الآن لمجلة خاصة بالترجمة؟

□ الحقيقة إن الترجمة التي تقترحها عليّ أحبها، ولكني أمسك نفسي عنها؛ لأن الترجمة في رأيي لها «حِسٌّ» مثل حسّ الفن وحس الصحافة، وإذا تملك هذا الحس أحدا لم يتركه. ولا بأس، لكن البأس على المبدع أو الناقد المشغولَيْن بالكتابة.

فإذا ترجم أحدهما تعطل عن الكتابة، وإذا ترك العنان لحس الترجمة فلن يكتب شيئًا؛ لأن هذا الحس يصيب ضحيته بغيرة مستمرة على لغته وثقافته، فكلما قرأ نصًا جيدًا بغير لغته فكر على الفور في نقله إليها. وهذا معناه أنه لن يكتب شيئا!

ومع ذلك فقد سبق أن ترجمت كثيرا من المسرحيات (ترجمت لأرثر ميللر وإدوارد أولبي وبعض الأفارقة)، كما ترجمت مقالات ودراسات وأعمالاً شعرية وقصصا لكتاب أفارقة. لكني أخشى من الترجمة دائما، وقد ترجمت كتاب ديورانت **«دروس التاريخ»** لأني كنت في أمريكا يوم عثرت عليه ولم يكن عندي شيء آخر. فقد كنت في عطلة مع أولادي وكان الكتاب صغيرا ومغريا.

ربما - وهذا اعتقادي - **نحن أحوج إلى الترجمة الحرة**، أي التلخيص والشرح لنصوص الدراسات الأدبية والنقدية؛ لأن هذه لا يمكن فهمها الفهم السليم خارج إطارها الثقافي، وإذا ترجمت حرفيا صعب فهمها ومتابعة هوامشها الكثيرة.

أما مجلة للترجمة فعندنا واحدة في الكويت وأخرى في سورية وثالثة (كانت) بالعراق!

الرواية لم تزدهر عندنا بعد

● يقولون إننا نعيش عصر الرواية الآن. هل ترى أن الرواية حقا تعيش أفضل حالاتها من ناحية التكنيك الفني والأشكال الجديدة وما إلى ذلك، أم أنه يعود إلى الكثرة العددية في الإصدار فقط؟

□ نعم. نحن نعيش في عصر الرواية. والرواية أصبحت ديوان العرب، أي أصبحت سجل أعمالهم وآلامهم وآمالهم وأشواقهم. ولم تعد الرواية قطرية، تقتصر على قطر أو قطرين. فقد أصبحت مثل السيمفونية، يشترك في عزفها عازفون كثيرون من مختلف أنحاء الوطن العربي من المحيط إلى الخليج. والرواية العالمية في حالة ازدهار أيضا وليست الرواية العربية فقط. **وقد بلغت الرواية عموما - عالمية وعربية - درجة عالية جدا من النضج الفني والانتشار الجماهيري في هذا العصر.** ومع ذلك فَقُرَّاء الرواية عندنا ليسوا كثيرين وليس الإصدار أيضا كثيرًا؛ لأن تعداد العرب جميعا يصل إلى ٢٠٠ مليون نسمة. ومازالت الرواية الجادة لا تزيد في توزيع طبعاتها الأولى على خمسة آلاف نسخة. وهذا رقم متواضع جدا إذا قيس بالأرقام التي نقرأ أو نسمع عنها عند الآخرين في أوربا أو أمريكا. ويوم توزع الرواية العربية ٢٠ أو ٣٠ ألف نسخة في الطبعة الأولى فسوف يكون عندنا ازدهار في الرواية.

أعمال د. علي شلش

أ - في القصة:

١ - ثمن الحرية
٢ - عزف منفرد
٣ - حب على الطريقة القصصية
٤ - عزيزتي الحقيقة

ب - في الأدب والنقد:

٥ - من الأدب الأفريقي
٦ - ألوان من الأدب الأفريقي
٧ - قضايا ومسائل في الأدب والفن
٨ - سبعة أدباء من أفريقيا
٩ - عندما يتحدث الأدباء
١٠ - في عالم القصة
١١ - تاجور شاعر الحب والحكمة
١٢ - في عالم الشعر
١٣ - ديوان فخري أبو السعود
١٤ - من مقعد الناقد
١٥ - دليل المجلات الأدبية
١٦ - مختارات من الأدب الأفريقي
١٧ - المجلات الأدبية في مصر
١٨ - أنور المعدّاوي
١٩ - نجيب محفوظ الطريق والصدى
٢٠ - اتجاهات الأدب ومعاركه
٢١ - روايات عربية معاصرة
٢٢ - الأدب الأفريقي

جـ - في المسرح والسينما:

٢٣ - بعد السقوط
٢٤ - قصة حديقة الحيوان
٢٥ - النقد السينمائي
٢٦ - الدراما الأفريقية
٢٧ - النقد السينمائي في الصحافة المصرية
٢٨ - في عالم السينما

د - رحلات:

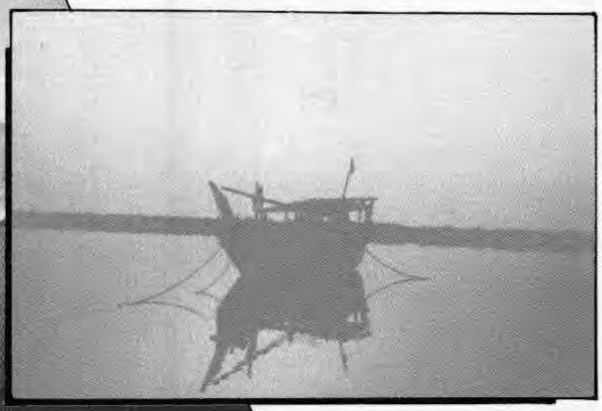
٢٩ - أمريكا الحلم والواقع

هـ - في التراجم والتحقيق والتاريخ:

٣٠ - الأفغاني ومحمد عبده
٣١ - جمال الدين الأفغاني بين دارسيه
٣٢ - الأفغاني وتلاميذه
٣٣ - الأعمال المجهولة للأفغاني
٣٤ - الأعمال المجهولة لمحمد عبده
٣٥ - الأعمال المجهولة للمنفلوطي
٣٦ - مصر الفتاة
٣٧ - أحمد ضيف
٣٨ - علامات استفهام
٣٩ - الماسونية في مصر

و - تحت الطبع:

٤٠ - سياحة في ألبوم العصر
٤١ - دروس التاريخ
٤٢ - طه حسين مطلوب حيا وميتا
٤٣ - شيء من النقد
٤٤ - جمال الدين الأفغاني
٤٥ - الأدب المقارن بين التجربتين الأمريكية والعربية، وسيصدر الكتاب الأخير عن دار الفيصل الثقافية





المكان القصصي

المصطفى أجماهري

الإطار المادي لحادثة القصة هو بيئتها. ويُعنى بـه الحقيقة الزمكانية لأحداث القصـة وشخصياتها. والمكـان والـزمان معًـا ركيـزتان في القصــة القصيرة يختل توازنها من دونهما؛ إذ هما يساعدان على بلورة الموقف الحياتي للشخصية وتقريب الحدث من مخيلة المتلقي. وقـد أشار أرسطو إلى أن وحدتي الزمـان والمكان هما من عناصر المعقولية.

والمكان في القصة القصيرة عنصر داخلي في البناء القصصي، يتضافر مع عناصر أخرى لينتج البنية والتشخيص والدلالة والعلامات السيميائية المؤثثة للنص (١). وهو يتّخذ أشكالا ويتقمص حالات، فهـو مغلق أو مفتوح، رئيس أو ثانوي، فردي أو جماعي، ثـابت أو متحـرك، إيجابي أو سلبي. وثمـة نقّاد يسبغـون على المكـان صفات إنسانية كالقول بـوجود مكان معادٍ أو مكان أليف، إلى غير ذلك من الصفات ذات العلاقة بنفسية الكاتب أو بموقفه الفكري.

وعلى العمـوم فكل نمـط قصصي يميل إلى صنف مكـاني؛ فقـد تختــار القصــة الواقعية أمكنة العمل، والقصة الرومـانسية الأمكنة الطبيعية، بينما تبدو القصة الشيئية مولعة بالوصف المسهب لـلأشياء البسيطة في حيز المكان الموصوف بغية عزل فضاء النص عن سياقه الإنساني.

المكـان في القصــة القصيرة مكـان مُنشَأ، أي مخترع، بمعنى أنّـه مشكّل بمـواد غير ملمـوسـة.

والمتلقي يتحسس بيئةَ النص في ملامحها البارزة عبر الوصف الذي يُقدمه القاص لمكوّنات المكان. لهذا أضحى **المكـان في القصـة القصيرة أكثـر ثـراء من المكان الحقيقي.** ذلك أن «المكـــان لا يقتصر على كونـه أبعادا هنـدسية وحجـومًا، لكنـه فضلا عن ذلك نظـام من العـلاقـات المجرّدة يستخـرج من الأشياء المادية الملموسة بقدر ما يستمِد من التجريد الذهني أو الجهد الذهني المجرّد»(٢).

ويحظى عنصر المكان، بوصفه أحد ركائز البناء القصصي، بعناية خاصة لدى القصاصين العرب، حيث تظهـر أصـالـة القـاص العـربي على صعيـد الإبداع القصصي في مقدرته على بث الحياة في البيئة القصصيـة، وجعل المكان وسيطـا لنقل حساسيـة جمالية أو وجودية.

لم يعد المكان في القصة العربية الحديثة مجرد خلفية تقع فيها الأحداث، بل أصبح هو رؤية المبدع وموقفه مما يراه[٣]. يتجلّى ذلك مثلا في بعض نصوص **الطاهر وطّار** حين وضع الفضاء الجزائري في الصدارة، ولدى **سليم بركات** في «معسكرات الأبد» حيث ينطلق من مكان واقعي (قرية سورية كردية) إلى صوغ عالم مجازي من الجمادات والحيوانات والكائنات الأثيرية والشخصيات المحتملة أو المتخَيلة إلى جانب الشخصيات الماثلة الحية.[٤]

كذلك في ما سمي بمصر **«أدب الحساسية الجديدة»** يصبح المكان قيمة رئيسة أو هو البطل، على اعتبار أن «هذا الأدب لا يتعامل مع المكان كموقع للحدث أو إظهارًا له أو بعدا جغرافيا للشخصيات فيه، إنما يتناوله كمحور ثابت في مواجهة مجموعة متباينة من المحاور المتغيرة»[٥].

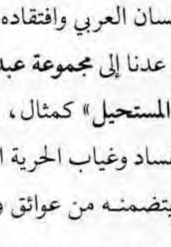
وكثيرا ما يكون المكان أول عنصر يبرز للعيان في العمل القصصي وذلك من خلال العنوان الرئيسي. **ففي مجموعة «محطة السكة الحديد» لإدوارد الخرّاط** تبدو رابطة المكان أهم رابطة يؤكدها عنوان هذه النصوص القصصية في محاولة متعمدة لإضفاء أهمية خاصة على الموقع الذي تدور فيه الأحداث وتحميله مجموعة من الدلالات[٦]. والملاحظة نفسها تسري على إبداعات قصصية عربية أخرى منها **«فاس في سبع قصص» لأحمد البنّاني، و«طيور عمّان تحلق منخفضة» لإلياس فركوح، و«طواحين بيروت» لتوفيق عواد، و«بيروت، بيروت» لصنع الله إبراهيم، و«أغنيات» ليوسف فاضل، و«الحي اللاتيني» لسهيل إدريس.**

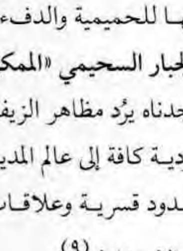
بين الحاضرة والبادية

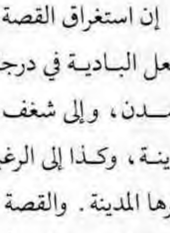
اهتم ياسين النّصير في إحدى مقالاته بالمكان في السرد القصصي، ولو أن حديثه جاء بالأساس عن الرواية؛ إلا أنه تطرق في جوانب منه إلى القصة القصيرة[٧]. بحث هذا الناقد في رؤية الكتّاب إلى نوع معين من الأمكنة امتاز بكثافته واحتوائه لأمكنة عديدة هي: البئر، المقهى، الكوخ، الغُرف، الشارع والصحراء. وانتهى النّصير إلى أن الصحراء رغم كونها تشكّل المساحة الكبرى في الوطن العربي إلا أنّها غائبة كمكان فنّي وفكري في أعمال القصاصين.

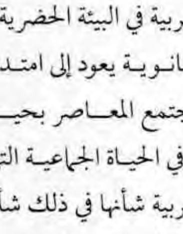
في ضوء هذه الحقيقة، لو تم مسح سريع للقصة العربية لربما تبيّنَ أن الفضاء الأثير لدى القصاصين هو المدينة والأمكنة التابعة لها من شوارع وبنايات ومقاهٍ. بمعنى آخر يظل فن القصة العربية فَنا حضريا مرتبطا بالعمران والمدينة[٨]. وتظل المدينة في جل النماذج القصصية مرتبطة بغربة الإنسان العربي وافتقاده فيها للحميمية والدفء. ولو عدنا إلى **مجموعة عبد الجبار السحيمي «الممكن من المستحيل»** كمثال، لوجدناه يرُد مظاهر الزيف والفساد وغياب الحرية الفردية كافة إلى عالم المدينة بما يتضمنه من عوائق وحدود قسرية وعلاقات اجتماعية قائمة على النفاق والاستغلال[٩].

إن استغراق القصة العربية في البيئة الحضرية، وجعل البادية في درجة ثانوية يعود إلى امتداد التمدن، وإلى شغف المجتمع المعاصر بحياة المدينة، وكذا إلى الرغبة في الحياة الجماعية التي توفرها المدينة. والقصة العربية شأنها في ذلك شأن القصة الإفريقية التي تحرص في نماذجها الشابة على تصوير روح المشاركة الجماعية كما يتّضح في تقاليد القص، كأن تجري أحداث القصة في أماكن عامة


عبد الله جفري


نجيب محفوظ


عبد الحميد بن هدوقة


الطاهر وطار

مثل القطارات وأفنية البيوت وزنزانات السجون[١٠].

وتأخذ المدينة في القصة القصيرة صورة سلبية في مقابل القرية والصحراء وهما رمزا النقاء والأصالة. إلا أنه قلما يقف القصاصون العرب عند القرية كفضاء قصصي بالرغم من أن كثيرا منهم عاش فيها فترة من الفترات.

لماذا الأمكنة؟!

يمثل الحديث عن الأمكنة التي عرفها القاص عن كثب نزوعا إلى الصدق الفني تحاشيا للتخييل المجرّد. ولقد كان **تشيكوف** ـ منشئ القصة القصيرة الحديثة ـ لا يكتب إلا عن الأمكنة التي يعرفها حق المعرفة متغاضيا عن المظاهر الخارجية. ويدلّنا مثال **تولستوي** أيضا على عنايته المخلصة للمكان، حيث تجشّم عناء الرحلة عبر عدة مواقع لجمع المعلومات حول هجوم نابليون بونابرت على روسيا القيصرية لتكون هذه المعلومات أرضية روايته **«الحرب والسلام»**.

وقد حفلت رواية **«المتشائل» لأميل حبيبي** بمجموعة من أسماء القرى الفلسطينية التي دمّرتها إسرائيل. وكان معلوما أن ذكر أسمائها بغية المحافظة عليها من النسيان، ويعترف أميل **حبيبي** بأن قصصه تدور في عكّا وحيفا؛ لأنه لا يروم الكتابة عن أماكن لا يعرفها بشكل جيد.

وأشار **أميل حبيبي** إلى تعلّق **نجيب محفوظ** بأزقة القاهرة وأحيائها العتيقة، وهي الأماكن الأليفة إلى نفسه وقلبه. وإلى جانب محفوظ قصاصون آخرون عرفوا في كتاباتهم بارتباطهم بمدن بعينها، مثل **محمد شكري** مع طنجة و**إلياس خوري** مع بيروت و**جمال الغيطاني** مع القاهرة و**عبد الحميد بن هدوقة** مع الجزائر و**عبد الله جفري** مع جدّة.

وعلى العكس تماما من تشيكوف وتولستوي وكذا أميل حبيبي ونجيب محفوظ، يوظف قصاصون غيرهم فضاءات تخييلية دونما تحديد، يتجلّى ذلك مثلا في رواية «أبواب المدينة» لإلياس خوري، حيث بيروت مدينة أسطورية بلا اسم، وكذا في مجموعة **«أشياء للحزن» لمحمد الراوي** حيث ليس للمكان اسم أو موقع جغرافي، وإنما يتحدّد المكان عنده بصفاته الطبيعية[١١].

ولا سبيل لمصادرة حرية القاص في ما ينتج؛ لأن العمل القصصي ليس محض وقائع؛ ولأن الرغبة في توفير المحلية لا يكفي فيها ترصيع

النصوص بأسماء المدن والشوارع والمقاهي وجعلها مطابقة لتسميات متداولة في الحياة الواقعية[١٢]. فقد كتب **كافكا «أمريكا»** دون أن يراها قط، وبذلك تصير الطاقة التَّخييلية للفرد بؤرة لكل الأمكنة ومركزا لها[١٣]. إنما يتعيّن الاحتراز من الوقوع في الخطأ حينما يوظف القاص أمكنة حقيقية وهو يجهلها أو يخطئ في كتابة أسمائها. وقد نقلت مجلة أدبية أن **محمود تيمور** لم تسلم بعض قصصه من التردِّي في أخطاء جغرافية كان الأجدر به وهو القاص المقتدر أن يتلافاها.

الوطن هاجسا مكانيا

تتحاشى القصة القصيرة عمقا مكانيا متسعا بخلاف الرواية، إلا أن ذلك لا يمنع من أن يمتد المكان القصصي إلى وطن بكامله.

والقصة الفلسطينية ـ في إطار القصة العربية ـ تجعل الوطن الهاجس المكاني الأول لذا قلّما تخلو قصة فلسطينية من مفردة الوطن أو مفردات لها دلالات زمكانية تحيل على مفهوم الوطن مثل: العودة، الرجوع، الهجرة، المخيّم والمنفى. فمثلا في مجموعة **«أرض البرتقال الحزين» لغسان كنفاني** إحالات عدة على المخيم والمنفى؛ لأنه نفسه جرّب طويلا عيشة المخيمات، كما كان في المجموعة حضور للوطن الفلسطيني عبر أماكن تاريخية في القدس ومدن حيفا وعكّا ويافا.

والوجود خارج الوطن أي في المنفى يعني الانقطاع عن الوجود في الوطن، كما يعني في الوقت نفسه تمددا داخليا لهذا الوجود ذاته، وحين يصبح وجود الوطن داخليا تنشط حركة الخيال وتظهر مستويات متعددة للحلم والذاكرة فيفترق المكان الواحد في أمكنة عدّة[١٤].

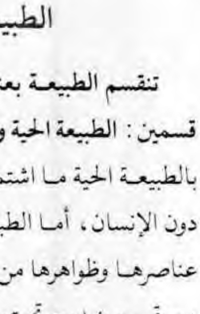
وفي منظور **أدونيس** أن مفهوم الوطن عندنا ضعيف؛ إذ «نتحدث عن الوطن على أساس أنه جغرافيا ولا نتحدث عنه على أساس أنه الإنسان أيضا. ومثل هذا الشعور يعد أحد مكامن الضعف حتى في صراعنا مع إسرائيل. فالعربي ينتقل من مكان إلى مكان ولا يهمه أي شيء، لكن الإسرائيلي يرى في الأرض بعدا من أبعاده الوجودية»[١٥].

وقد ارتقى تعلق القاص يحيى حقي بوطنه مصر، إلى درجة أنه كان يقف ضد أيِّ مصري يُؤلف إبداعا قصصيا عن خارج مصر[١٦].

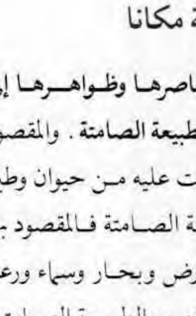
الطبيعة مكانا

تنقسم الطبيعة بعناصرها وظواهرها إلى قسمين: الطبيعة الحية والطبيعة الصامتة. والمقصود بالطبيعة الحية ما اشتملت عليه من حيوان وطير دون الإنسان، أما الطبيعة الصامتة فالمقصود بها عناصرها وظواهرها من أرض وبحار وسماء ورعد وبرق. ويندرج تحت مفهوم الطبيعة الصامتة الطبيعة الحقيقية كالبحار والأنهار، والطبيعة الصناعية وهي ما كان من صنع الإنسان كالآبار والقرى والأطلال[١٧].

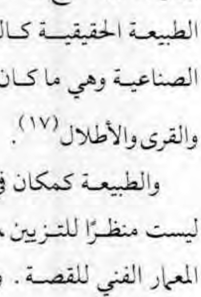
والطبيعة كمكان في القصة القصيرة الحديثة ليست منظرًا للتزيين، بل هي جزء أساسي في المعمار الفني للقصة. وهي وإن كانت جمادا فإنه جماد يكتسب وجوده من رؤية القاص



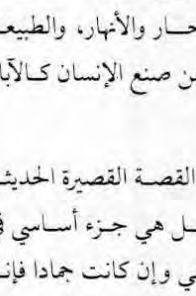
كافكا



محمود تيمور



غسان كنفاني



يحيى حقي

وفعاليته[١٨]. أي من فلسفته في الكتابة. وَيُعدُّ **يشار كمال** كاتب الطبيعة بامتياز، حيث الطبيعة التركية هي فلسفته في الكتابة القصصية. كذلك يعد استخدام الطبيعة مكوّنا سرديا من مكوّنات البنية القصصية في كثير من نصوص **أحمد بوزفور** في مجموعته **«النظر في الوجه العزيز»**. وتبدو هذه الظاهرة طاغية حيث أغلب نصوصه تبدأ بوصف الجو الطبيعي[١٩].

إن توظيف عناصر الطبيعة في القصة القصيرة يضيف إلى القصة أبعادا مكانية وزمانية. يحصل ذلك لما لعناصر الطبيعة من صلة بالحالات الزمانية (مثلا الشمس الرامزة لفصل الصيف والمطر الرامز لفصل الشتاء).

ولئن كانت الطبيعة في القصة العربية القديمة محض زخرف يتغيّا ترفا وصفيا، فإن دورها الآن على مستوى القص الحديث جلي في تكسير الرتابة. **وأهمُّ مَنْ وَصَفَ الطبيعة الرومانسيون** الذين صوّروا التوحد بين الإنسان والطبيعة بأسلوب التفجع، ولو أُخِذ عليهم أحيانا الرفع من شأن الطبيعة إلى حدّ إنكار حرية الإنسان. ويبدو اهتمام المدرسة الرومانسية بالمكان الأقصوصي في ارتكازها على أسلوب الوصف الشعري للمكان ورفع الجزئيات المحلية إلى مستوى التعلق الوجداني.

أما مدرسة تيار الوعي فتهتم بتصوير الطبيعة انطلاقا من أهمية وقع ذلك التصوير على القارئ.

المكان والحالة النفسية

هناك بلا ريب تأثير متبادل وعميق بين المكان الخارجي والحالة النفسية للشخصية القصصية. فالمكان عند **جاستُون بَاشلاَر** على علاقة جوهرية بالإنسان وليس وعاء له. هذه النظرة هي التي حفّزت الناقد **جُورْج بُوليه**، وهو من أتباع **باشلار**، إلى دعوة الباحث كي يستعين بتحليل الظاهرات للمكان والزمان للعثور على التجربة الأولى للكاتب أو ما يمكن تسميته (كوجيتو) الكاتب[٢٠].

وحسب بعض الأدباء العرب[٢١]، يكون الإسراف في وصف الحالة الداخلية لدى زمرة من القصاصين نتيجة تضييق على مستوى الحالة الخارجية المادية. من هنا قد يُقدم المكان حلاً للمبدع حين يريد الهروب أو حين يعمد إلى عالم غريب عن واقعه ليسقط عليه رؤاه التي يخشى معالجتها. وفي هذه الحالة يتحوّل المكان إلى رمز

وقناع يخفي المباشرة ويسمح لفكر المبدع أن يتسرب من خلاله[٢٢].

ولعناصر الطبيعة صلة رمزية بالحالات النفسية، إذ الانعكاس المتبادل بين الطبيعة الخارجية والحالة النفسية يكون تعادليا أو متضادا. فتأسيس علاقة تعادلية بين الشخصية والمشهد الطبيعي تدفع القاص للسعي إلى جعل الطبيعة موائمة للكيان النفسي، كما يتبدّى ذلك، مثلا، في العلاقة بين عالم الليل والحزن، أو في تجاوب الطبيعة السخية مع إثارة ذكريات مُرّة.

أما علاقة التضاد فتُبْنَى على أساس معاكسة الطبيعة. وغاية أسلوب التضاد هو إشاعة روح المأساة كما يتبدّى ذلك في وجود شخصية تبكي تحت شمس مشرقة.

كذلك تَتَّضح سلطة المكان على الشخصية في العمل الإبداعي في حالة أولى حين ينظر القاص إلى الشخصية عبر المكان ومن خلاله. إن **بَلزَاك** مثلا لا يستطيع أن يفكّر في شخصياته بمعزل عن البيوت التي يقطنونها. فتخَيُّلُ مخلوقٍ بشري بالنسبة له إنّما يعني تخَيُّلَ المقاطعة أو المدينة أو ركن المدينة أو البناية أو الغرفة التي يعيش فيها. ذلك أنّ **بلْزاك** لا يقنع بأن يكون مغزى وجود الكائن مفهوما بأية حال دونما معرفة دقيقة بالأشياء التي تحيط به[٢٣].

أما الحالة الثانية لسلطة المكان على الشخصية فتتبدّى في السلوك الخاص الذي قد يفرضه المكان

«للمكان سلطة على الشخصية تتبدى فيما يفرضه عليها من سلوك خاص»



بلزاك



جبرا إبراهيم جبرا

على الشخصية. وهذا واضح حتى في الواقع. فالمكان يحمل في طيّاته قِيما تنتج من التنظيم المعماري كما تنتج من التوظيف الاجتماعي، ويعطي **يُوري لُوتْمانْ** مثالا بالأماكن الدينية التي تفرض ارتداء ملابس محتشمة[٢٤].

الثابت والمتحرك

ليس المكان دائما ثابتا، إذ من خصائصه أنه قد يكون متحركا كما في حالة الطائرة أو الباخرة. وفي رواية **«السفينة» لجبرا إبراهيم جبرا**، يجد القارئ نفسه إزاء مجتمع لبرالي متكامل حدوده البحر وسلطته ضمائر راكبيها. أما الشخصيات التي تركب تلك السفينة اليونانية المسافرة من بيروت إلى نابولي ومن هناك إلى آماد أخرى فجَمَعَها جبرا بشكل منتقى. وقد اختزل جبرا السفينة بكل طبقاتها في طبقة اجتماعية واحدة، طبقة وسطى متقاربة الفكر والدرجة الاقتصادية[٢٥].

وفي قصة **أحمد عودة «الرجل المتعب وهؤلاء»**، يجعل القاص من الحافلة مجتمعا تتعانق فيه العطور وتتصارع فيه أهواء الراكبين من رجال ونساء[٢٦].

ومن مميزات المكان المتحرك أنه لا يتيح حركة في المكان فقط؛ بل حركة في الزمان كذلك. فالطائرة التي تقل مجموعة بشرية من إفريقيا إلى أوربا تكون قد انتقلت من عصر إلى عصر وليس فقط من مكان إلى آخر.

وطبعا، فلبعض الأدباء نظرة مغايرة لعنصر المكان ليست على كل حال هي النظرة التي أتينا على ذكرها. ومن هؤلاء مَارسيلْ بْروسْت وجيمْس جويْس اللذان ألغيا البعد المكاني وكذا البعد الزماني في القصة، وعلى منوالهما سارت زمرة من الكتاب العرب.

من كتّاب العدد

● المصطفى أجماهري

- كاتب وصحفي مغربي.
- حائز على دبلوم الدراسات العليا في الصحافة (ماجستير).
- صدرت له ثلاث مجموعات قصصية، آخرها «الحارة» الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ١٩٩٢ م.
- ينشر إنتاجه في الصحافة المغربية والعربية عموما.
- عضو اتحاد كتاب المغرب.

هوامش:

١ - محمد برادة، مداخلة في ندوة «الإبداع والمكان»، ملحق الاتحاد الاشتراكي، ١٨/ ٩/ ١٩٨٨م، ص ٤.

٢ - اعتدال عثمان، جماليات المكان، الأقلام، فبراير ١٩٨٦ م، ص ٧٦.

٣ - أحمد بو زفور، مداخلة في ندوة «الإبداع والمكان» ملحق الاتحاد الاشتراكي، مصدر سابق، ص ٣.

٤ - أحمد زين بركات، معسكرات الأبد لسليم بركات، بيان اليوم الثقافي، ٣٠/ ٨/ ١٩٩٣ م، ص ١٨.

٥ - صبري حافظ، حول «محطة السكة الحديد»، الأقلام، نوفمبر ١٩٨٦، ص ٧٢.

٦ - المرجع السابق، ص ٧٠.

٧ - ياسين النصير، المكان في الرواية، آفاق عربية، نيسان ١٩٨٠ م، ص ٧٩.

٨ - محمد الرميحي، تقديم القصة العربية، الكويت ١٩٨٩ م، ص ٦.

٩ - إدريس الناقوري، ضحك كالبكاء، الدار البيضاء: دار النشر المغربية، ١٩٨٥ م، ص ٥٠.

١٠ - علي شلش، الأدب الإفريقي، الكويت: عالم المعرفة ١٩٩٣ م، ص ٢١٩.

١١ - نعيم عطية، دراسة لمجموعة «أشياء الحزن»، كتاب المواهب ١٩٨١، ص ٤.

١٢ - محمد برادة، مصدر سابق.

١٣ - محمد الهرادي، استعادة المكان، ملحق الاتحاد الاشتراكي، ١٨/ ٩/ ١٩٨٨ م، ص ٥.

١٤ - اعتدال عثمان، مصدر سابق، ص ٧٧.

١٥ - أدونيس، حوار معه، الاتحاد الاشتراكي ١٤/ ١٢/ ١٩٨٦ م.

١٦ - يحيى حقي، حوار معه، أوراق، أغسطس ١٩٨٦ م، ص ٢٤.

١٧ - كاصد الزيدي، الطبيعة في القرآن الكريم، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨٠ م.

١٨ - خناثة بنونة، شهادة، الوحدة، يونيو ١٩٨٩ م، ص ٩٤.

١٩ - إدريس الناقوري، مصدر سابق، ص ١٤١.

٢٠ - نهاد التكرلي، إتجاهات النقد الأدبي الفرنسي، بغداد، الموسوعة الصغيرة، ١٩٧٩، ص ٨١.

٢١ - غالب هلسا وكذلك خناثة بنونة التي ترى «أن التركيز على العالم الداخلي يعكس هول العالم الخارجي» الوحدة، يونيو ١٩٨٩ م، ص ٩٤.

٢٢ - مدحت الجيار، جماليات المكان في مسرح عبد الصبور، عيون المقالات، عدد ٨ - ١٩٨٧، ص ٢٣.

٢٣ - بيرسي لوبوك، صنعة الرواية، بغداد، دار الرشيد ١٩٨١ م، ص ١٩٩.

٢٤ - يوري لوتمان، مشكلة المكان الفنّي، عيون المقالات، مصدر سابق، ص ٦٣.

٢٥ - باسم عبد الحميد حمودي، رحلة مع القصة العراقية، بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٠ م، ص ٥٣.

٢٦ - انظر مجموعة «المنعطف» بغداد، دار الرشيد، ص ٧ - ١٤.

الفائزون في مسابقة أرامكو السعودية الثقافية للكبار

بمناسبة مرور ٦٠ عامًا على إنشاء الشركة

يسرّ إدارة العلاقات العامة في أرامكو السعودية أن تعلن عن نتيجة المسابقة الثقافية التي نظمتها الشركة للمواطنين والمقيمين في المملكة بمناسبة مرور ٦٠ عامًا على إنشاء الشركة. والشركة إذ تهنئ الفائزين بالمسابقة لتتقدم بخالص الشكر لجميع من شارك فيها والذين تجاوز عددهم الثلاثين ألفًا، وتأمل أن تسعد بمشاركاتهم في مناسبة قادمة. وستقوم إدارة العلاقات العامة بالشركة بترتيب إيصال الجوائز إلى أصحابها. أما الفائزون فهم:

الجائزة الأولى ومقدارها ٣٠ ألف ريال

١- عبد الله نشاط شجاع القحطاني - الجبيل الصناعية

جائزتا المركز الثاني ومقدار كل منهما ١٥ ألف ريال

١- محمد سليمان فهد الدويخ - الرياض
٢- خالد أحمد علي القميح - الخبر

ثلاث جوائز للمركز الثالث مقدار كل منها ١٠ آلاف ريال

١- هند سعيد صالح باجحلان - المدينة المنورة
٢- خالد محمد مساعد العتيبي - الدمام
٣- يوسف محمد علي زاهري - القطيف

أربع عشرة جائزة للمركز الرابع مقدار كل منها ٥ آلاف ريال

١- غياث حسين كامل يازيجي - الرياض
٢- ماريا تريزه الشبل - الرياض
٣- سالم طهليل محمد الدوسري - الرياض
٤- آمنة الفزاري محمد البر - الدمام
٥- عبد الله خلوفه مفرح الشهري - الرياض
٦- جوانيتو سي. كاستيللو - الدمام
٧- طيبه حسن منصور الزاير - القطيف
٨- بشير عبد الكريم ال أحمد - صفوى
٩- ناجي مذكر بطحي المطيري - ينبع الصناعية
١٠- سلمان إسماعيل ال إسماعيل - القطيف
١١- فاطمة عبد الله محمد سلمان - القطيف
١٢- محمد المأمون كنكي - العمران - الأحساء
١٣- سعاد محمد صالح ال مرزوق - الظهران
١٤- زهاء مازن مصلح الحبيشي - ينبع البحر

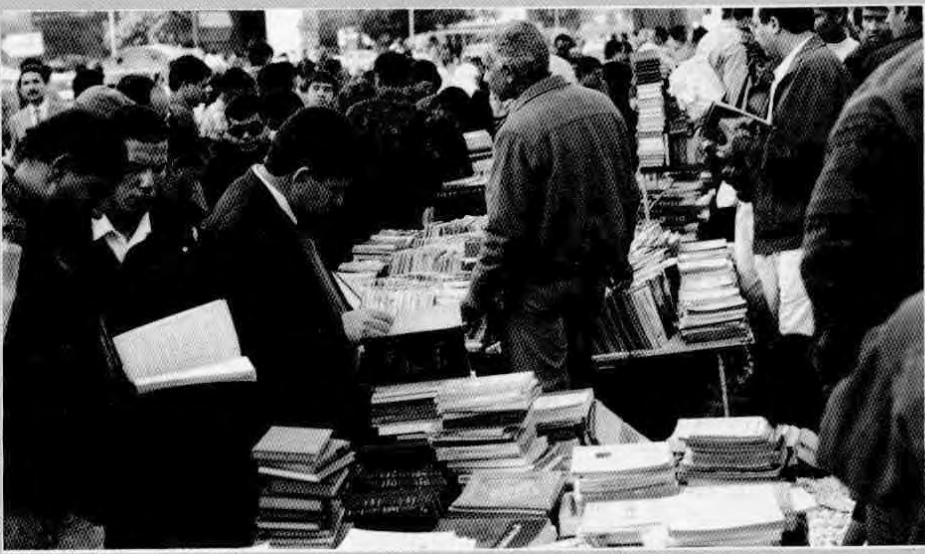
أربعون جائزة للمركز الخامس مقدار كل منها ٢٥٠٠ ريال

١- حسين أحمد جواد ال شيف - رحيمة
٢- إسماعيل سعيد عبد الله الغامدي - صفوى
٣- نزار حسين إبراهيم السبع - الدمام
٤- نوف عبد الرزاق حمد الفارس - الرياض
٥- مديحة محمد أنور عطيفي - الرياض
٦- العنود محسن محمد علي - جدة
٧- محمد إبراهيم حمد الزنيدي - عنيزة
٨- مبروكة عيضة غانم الحتيرشي - مكة المكرمة
٩- هشام محمد عايش الغنام - الخبر
١٠- كنهيثيل براڤين لكشمانن - مطار الظهران
١١- حسين قاسم حسين هزاع - سيهات
١٢- بدرية طاهر أحمد العباد - الدمام
١٣- عبد الله عبد الله إبراهيم الصدى - الخبر
١٤- زلفى علي جاسم الحايك - القطيف
١٥- مصطفى حسين حسن الشواف - الهفوف
١٦- الجوهرة عبد الله سعد العتيبي - الرياض
١٧- إبراهيم علي إبراهيم المغنى - بقيق
١٨- عبد الله عوض مصعب المطيري - الدمام
١٩- عبد اللطيف - الظهران
٢٠- مهند زامل حمزة أبو الطاهر - جدة
٢١- مسلم سليم غنيم الفزي - ينبع البحر
٢٢- أمينة جاسم علي ال محفوظ - الظهران
٢٣- عبد الحكيم صالح عبد الله العرفج - الرياض
٢٤- شكري زكي سليم حسن زكي - الظهران
٢٥- رأفت راجي موسى رهاني - الخبر
٢٦- حسن عمر محمد العامودي - الجبيل الصناعية
٢٧- أمل علي محمد النزر - الدمام
٢٨- طلال عبد الله إبراهيم الخطيب - الدمام
٢٩- علي حسن جواد خاتم - سيهات
٣٠- علي صالح علي الجيراني - الدمام
٣١- يوسف سعيد محمد تقي ال يوسف - الظهران
٣٢- عبد الفتاح محمد عبد الرحمن عبد الرحمن - الأحساء
٣٣- عباس حسن يوسف الهاجري - القطيف
٣٤- فتحي عمر عبد اللطيف العمر - الظهران
٣٥- نوري جخيدب غازي النفيعي - مطار الظهران
٣٦- وسام محمد عباس الكذار - الدمام
٣٧- زكية حميد علوي الهاشم - الدمام
٣٨- ماجد علي باقر البحراني - القطيف
٣٩- عبد الواحد عبد الله أحمد ال غريب - القطيف
٤٠- بسام سليمان منصور الطاهر - القريات

PRS – 13–93

مَعرِضُ القاهِرةِ الدُّوَليُّ لِلكِتابِ وَقضايا الثقافةِ العَرَبيّةِ

صبري عبد الله قنديل



جانب من معرض القاهرة الدولي للكتاب الذي أقيم العام الماضي

تؤدي المعارض الدولية للكتب دورًا مهما ومؤثرًا في ازدهار الكتاب وتنشيط حركة الثقافة. ويعد معرض القاهرة الدولي للكتاب من أهم المحافل العربية التي تؤدي هذا الدور الحيوي، وقد أصبح، بعد مضي ربع قرنٍ على إقامته، من أكبر النوافذ الثقافية التي تطل منها الجماهير عن قرب على ينابيع الثقافة العربية والعالمية، وتتعامل معها بحميمية تفرضها علاقة الإنسان العربي بهويته وثقافته ومثقفيه والأرض التي يقف عليها، ويمضي بخطى التأمل للبحث عن أبعاد الحقائق العامة والوقوف على حجم التوجهات ومغزاها الاستراتيجي، هل هو التوجه للبحث والتطلع لغدٍ أفضل؟ أم هو تحسس الأقدام لمصيرها الذي تلهث في سيرها إليه باحثة عن توجه طبيعي على طريقٍ آمِن لحلمها المشروع؟

ثمة أسئلة كثيرة وعميقة تفرض نفسها في لحظات تأمل الشرائح المتعددة، وهي تسعى سعيا للكتاب، ومحفل الفن والإبداع المتصل بالتراث والمعاصرة الأصيلة وطبيعة هذا الشعب العربي الإسلامي ورصيده، الذي هو ابن حضارة مشرقة لا تزال تفرض نفسها على العالم بثقة ورسوخ وقوة، جعلت هذا العالم الذي حقق كل هذه الطفرات العلمية والثقافية يسعى إليها لاهثًا متشوقًا لمعرفتها والاقتراب من أسرارها أكثر وأكثر، وزيادة فضوله لاكتشاف عظمة وعبقرية الغموض العريق الذي يزداد تألقًا عبر الزمان.

ورغم شحوب الوجوه وتحفظها وهي تقترب من الكتاب الذي يلتهب سعره بشكل قد لا تعجز أمامه مستقبلا قدرات محدودي الدخل وأكثرية المثقفين والمبدعين منهم فقط، لكن قدرات الطبقة الوسطى مما قد يؤثر في ثقافة الأجيال الجديدة، إلا أن الجماهير المتعطشة تُقبل بإصرار وحرص شديدين على اقتناء أية مجموعة تناسب القدرات المتاحة، وكلها رغبة في الاقتراب والاحتكاك والاطلاع ولو بشكل عابر على أحدث ما أنتجته المطابع.

الشيء الجميل الذي يخفف من شعور العجز أمام سعر الكتاب هو وجود منافذ وملتقيات لتلقي الثقافة مباشرة في مخيمات الفن الشعبي والموسيقي والمسرحي لتعرّف جذورِ هذا الفن، إلى جانب إتاحة المجال رحبا للشباب المبدعين لعرض بعض من إبداعاتهم على النقاد وأصحاب التجربة من المبدعين الكبار، وفي ذلك تجد الجموع الغفيرة متنفسها العام، هذا إلى جانب الالتقاء برواد الفكر والإبداع المعاصرين مع جمهور الصفوة المثقفة، حول قضايا فكرية كبيرة تتبنى موضوعات استراتيجية لتوجهات الأمة وثقافتها.

إنّ هذا التوجه الحضاري الذي انتهجه المسؤولون عن المعرض جعله ملتقى حيويا لجذب رموز الثقافة العربية والعالمية، الأمر الذي يؤكد عاما بعد عام، أن الإمكانات الكامنة للمثقفين العرب يمكن - في مواجهة القائم - أن يكون لها الدور الطليعي في مواجهة الترديات وسد الثغرات وتقريب الأفكار وإعلاء روح المودة والترابط. وقد صار هذا المعرض واحدًا من هذه الظواهر التي يجدر بنا أن نقف عند سنواتها الأخيرة، التي أكدت فاعلياته ما سبق أن أشرنا إليه من أهمية أطروحاته وحيويتها.

فقد كان موضوع الندوات الرئيس في عام ١٩٩٠ م هو «مائة عام من التنوير» تم فيه استعراض كل المقومات الثقافية والنهضوية وحركات الإصلاح ومقاومة الاستعمار.

أما الموضوع الرئيس لمعرض عام ١٩٩١ م الذي التفت حوله النخبة الفكرية والثقافية وجمهور الثقافة الجادة فكان تحت عنوان «**نحو خريطة جديدة للثقافة العربية**»، ونظرا لأهميته القومية فهو جدير باستعراض بعض ركائزه الأساسية، حيث طرح الموضوع على ثلاثة محاور في ثلاث حلقات متوالية. المحور الأول: كان بعنوان «الثقافة العربية في ضوء المتغيرات العربية والدولية»، التف حوله الأساتذة والدكاترة: **سعد الدين إبراهيم، أحمد كمال أبو المجد، أنور عبد الملك، محمود أمين**

معرض القاهرة الدولي للكتاب

العالم، غالي شكري، حسين أحمد أمين، رفعت السعيد. الجانب الذي ركز عليه الأستاذ **محمود أمين العالم** هو أننا، ونحن على مشارف القرن الخامس عشر الهجـــــري، لم يحدث أيّ تغيير حضاري في الوقت الذي نستقبل فيه القرن الواحد والعشرين الميلادي، وقد شهد الغرب إرهاصات تغيير حضاري، ثم إن هناك أمورًا تؤثر في أيّ تصور حول المشروع، وهي المشكلات التي تربط العالم الثالث بالعالم الأول، والأمر الثاني منها الديون والاقتراب السياسي والمشاركة الاقتصادية، وقضية الديون هي محور المتغيرات التي تجري في العالم.

أما **الدكتور أنور عبد الملك** فقد ناقش جانبا من التغيير الذي حدث في تشكيل العالم العربي وبخاصة مصر، وما حدث لها من انكسار مرحليّ من خلال خوضها لحروب ستة وانهيار البنية التحتية في الأساس الخدمي، أما على مستوى العالم فقد وجدت أمريكا أمامها حربًا جديدة تقنية (تكنولوجية) اقتصادية من اليابان وألمانيا وبعض الحلفاء، وهم يعتمدون على البترول، وكان عليها أن تبحث لنفسها عن مبررات لوقف زحف حرب التكنولوجيا ضدها، من أجل هذا، لابد أن يتركز التحرك في مصر على الحداثة والمدرسة الإسلامية ومعالجة الصراع الطبقي من خلال جبهة وطنية لتفادي الإشكاليات المفتعلة. ثم ألقى **الدكتور أحمد كمال أبو المجد** الضوء على نقطة مهمة هي الماضوية الوافدة يأتي في مقابلها عكوفنا دوما على الماضي على أنه ظلام وجمود، لهذا ركزت ظاهرة التعامل مع الانكسار العربي في اتجاهين: أولهما اللجوء للماضي واجترار ذكرياته المنتصرة، أو اللجوء للغازي الذي أحدث فينا الانكسار، وفي الحالين جمود وتوقف عن الإبداع الذاتي وإنتاجه المتميز، وهو بذلك يرى ضرورة فرز المكونات الحضارية للحضارة العربية واعتبارها مكونات مستقبلية.

وقد اتجه **الدكتور رفعت السعيد** إلى أن عملية التغيير لم تكتسب بعدها الفلسفي بعد، وأن حالة الانفصام هي التي يعيشها العربي في بيئته المحافظة واستخدامه لتكنولوجيا الغرب. واتجه أيضا **الدكتور حسين أحمد أمين** إلى أننا لم نستوعب المتغيرات خاصة ونحن نفتقد للقدرات الاقتصادية التي تعين على مواجهة هذه المتغيرات، ثم طرح سؤاله: هل وسائل الإعلام والثقافة والتعليم تخطط لاستراتيجية تقربنا للتعامل مع هذه المتغيرات؟

وكان رأي **الدكتور غالي شكري** أن المشروع ليس هو ما يكتبه المفكرون، لكنه ينبع من تقابل الثقافة مع الجمهور الذي ينهض بهذا المشروع.

وكان المحور الثاني: بعنوان «ثقافة عربية واحدة أم ثقافات»، شارك فيه الأساتذة والدكاترة: **جابر عصفور، أحمد عبد المعطي حجازي، إدوار الخراط، حسن حنفي، شكري عياد، عبد العال الحمامصي، عبد الحميد إبراهيم، محمد عناني**. بدأ **الدكتور عصفور** بسؤاله عن ماهية العلاقة بين الوطن الإقليمي والثقافة العربية الموحدة؟ أم نحن أمام ثقافات متعددة في كل بلد عربي؟، ومضى الشاعر **أحمد عبد المعطي حجازي** يستفسر كذلك: هل هي ثقافة واحدة أم ثقافات تبشر بما هو مطروح نحو خريطة جديدة؟ وينطلق التفسير من الراهن أمامنا الذي يتطلع إلى المستقبل. فقد قامت الثقافة العربية مع الإسلام وعليه في مختلف العلوم والثقافات، لكننا نعاني الآن حالة من الازدواج الثقافي في بلاد المغرب العربي امتدت إلى المشرق أيضا، تتمثل هذه الحالة في أن أفضل ما كتب في المغرب وتونس ولبنان من أدب كتب بالفرنسية، الجانب الآخر عن اللغة المعاصرة إذ إنها ليست الجسم الكامل للإدراك لكنها الظاهر للإدراك، وقد أصبحت اللغة لغات فصيحات، واستدل بذلك على لغة الصحافة المختلفة لكنها ليست متناقضة مع اللغة وثوابتها.

أما الأديب **إدوار الخراط** فقد أكد على وجود الثقافات المتعددة، حتى في كل إقليم تصوغها اللهجات المتعددة، وكلها ترفد الثقافة الواحدة. هناك أيضا ثقافة فرعية جديدة هي ثقافة الإعلام عن طريق التلفاز الذي ولد ثقافة رخيصة ترسّخ القيم الاستهلاكية، وهي تحاول أن تحل محل ثقافتنا التحتية، أي ثقافة الشعب الراسخة التقاليد العميقة القيم.

وقد حرص **الدكتور حسن حنفي** على تصحيح شيوع خطأ أن الوحدة أفضل من التنوع، وهو في نظره خطأ جسيم في ثقافتنا الوطنية، وقد قال علماء الفقه القديم: «إن الحق متعدد الحقوق»، والوحدة تقتل التعدد في مفردات التعامل حتى في ثقافتنا المعاصرة، وقد خرجت الثقافة مع الفتوحات الإسلامية وازدهرت، بينما لم تعبُر جيوشُنا فاتحة لكن بلادنا مفتوحة، ولم تعد الثقافة تخرج على المستوى نفسه.

أما الملاحظة التي طرحها الأديب **عبد العال الحمامصي** فهي أن الثقافة وحدتنا وبعض الأنظمة فرّقتنا، من أجل هذا كيف نجعل هذه التعددية تمضي في الاتجاه الصحيح، وكان اقتراحه إقامة مؤسسة كبرى برأسمال عربي تشارك فيها كل الدول لترجمة العطاء العالمي في مختلف العلوم المعرفية حتى تستطيع هذه الأمة الاطلاع على هذا العطاء والتحاور مع العالم بعقلية مرنة. وقد نحا **الدكتور عبد الحميد إبراهيم** منحى مخالفًا مرتكزًا على أن تعدد الثقافة ظهر في مرحلة الضعف ودخول الثقافة التوفيقية حين ارتدت ثقافة أوربا الزيّ الإسلامي، والمطلوب الآن في رأيه هو البحث عن سمات الثقافة وبناؤها بدلا من البحث في التاريخ بشكل التعميم، وفي إطار القائم لم يستطع الواقع أن يقدم لنا وسطية معاصرة تستطيع التوفيق والخروج من التيه. أما **الدكتور محمد عناني** فقد انتهى إلى أن عوامل الوحدة تعتبر عوامل تعدد العامل الواحد الذي يأتي من الغرب يفرض واقعًا جديدًا على كثير من دول آسيا وأفريقيا بنماذج معينة عن طريق وسائل الإعلام، ويكاد يهدد خصوصيات هذا الواقع.

أما ثالث المحاور: فجاء تحت عنوان «نحو مشروع ثقافي عربي جديد»، توافر عليه الأساتذة والدكاترة: **السيد ياسين، سعد الدين إبراهيم، فتحي عبد الفتاح، أحمد صدقي الدجاني، فهمي هويدي، سامي خشبة، محمد عودة، مراد وهبة، عبد العظيم رمضان**. طرح الأستاذ **السيد ياسين** في البداية تصوره أن المشروع لابد أن يكون تجريبيًا تطرح من خلاله مجموعة تصورات لصياغة جديدة للمجتمع العربي في كل جوانبه، ويكون قابلاً



إحدى الندوات الفكرية للمعرض

للتطبيق، ويعتمد على الهوية «من نحن؟»، وماذا تعني شرعية النظام السياسي وما مدى علاقتنا بالآخر وهو العالم؟

أما وجهة نظر **الدكتور مراد وهبة** فهي أنه ينبغي طرح مشروعنا الإقليمي من خلال طرح عالمي، إذ نحن أمام وقوع الماركسية والليبرالية في وهم اعتناق الحقيقة المطلقة وامتلاكها، الأولى تركز على الفرد والثانية على المجموع، ولابد من فض الإشكالية في فهم الحضارة والثقافة، فالأولى هي التوجه البشري من الأسطورة للعقل أي من الوهم للحقيقة، أما الثانية فهي متعددة المستويات في إطار الحضارة، وهي رؤية مستقبلية أيديولوجية حدثت لتتحول إلى ثقافة، ولابد أن تحدث نقلة جديدة للثقافة على أساس أن المستقبل هو اللحظة الأساسية لتحركها، أي إن الزمن يبدأ من المستقبل، والمجتمع يعيش الآن أزمة لسيطرة تيارات تتوهم الاعتقاد في حقيقة مطلقة لا تسمح بغيرها ولا تقبل التأويل وإعمال العقل.

اتجه بعده **الدكتور أحمد صدقي الدجاني** إلى أن الحضارة عنصران: أولهما التحرر من القيود، وثانيهما عنصر الإبداع، ومصطلح الثقافة ينطلق من مقتضيات الحياة العربية وحركتها الإبداعية والعمرانية، وهناك عدة استنتاجات حول المشروع المطروح، منها أن العالم قلق تجاه عالمنا العربي في كل الجوانب، وثمة حساسية شديدة تسود العالم إزاء القيم العامة، ونحن منذ مئة عام في إطار انبعاث حضاري، نسير وفق هذه الأهداف وإن لم تبد إنجازات فعلية على السطح، لكن هناك أفكار مبلورة منها؛ النزوع نحو الديمقراطية والاقتراب من العالم.

وحدد الكاتب **فهمي هويدي** رؤيته في ثلاث نقاط: الأولى أن المشروع الحضاري هو في نهاية المطاف يمثل قيما أساسية وليس برامج، وهو رؤية تختزل الأهداف والمقاصد وليس خطة عمل تضع برامج، والثانية أن المشروع الحضاري يجب أن يكون نابعًا من ضمير الأمة ومعبّرا عن تطلعاتها، أما الثالثة فالمشروع ليس ابتداعا ولا اختراعا ولا مقطوعا عن القديم، هو رؤية جديدة ممتدة للأمام ولا نستطيع أن نبعد في رؤيتنا وانتمائنا عن الدين الإسلامي، ولابد أن يكون هناك اتفاق على أصول وليس على أفكار، الغرض منها افتعال اشتباكات فكرية لا طائل من ورائها. وقد ذهب الكاتب **محمد عودة** إلى أنه لا يمكن تقديم مشروع بعيدٍ عن المشروع العام السياسي والاقتصادي والاجتماعي، والوقوف على إمكانات الفرد الذي يكون محور هذا المشروع، ولابد أن يقوم المجتمع على أساس حق السلطة للجميع وعدالة توزيعها مع الثروة والمعرفة.

وأكد **الدكتور فتحي عبد الفتاح** على المفهوم الإنساني للثقافة الذي يتجه للمستقبل، وهو بنية فوقية لانعكاس ما تنتجه البنية التحتية، والتخلف الاقتصادي هو الذي يسيطر وهو الذي يوقف إنهاض أي مشروع. وعلق الناقد **سامي خشبة** قائلا: إنه لا أحد يملك الآن مشروعًا ثقافيا عربيا لسببين، أولا: أننا نتعمد تجاهل الواقع، ثانيا: أننا نتعمد التمسك بمصطلحات وتعريفات يؤكد الواقع فوات أوانها، فنحن الآن أمام حقائق طارئة يجب وضعها في الاعتبار، فبعد عام ١٩٤٨ م أصبحت بيننا دولة غريبة ليست عربية وليست جزءًا من الحضارة، كذلك غزو دولة عربية لدولة عربية وانقسام العالم العربي إلى معسكرين في اتجاهين متناقضين، ولابد من إدارة الدراسات الحقيقية للوقوف على حقيقة واقعنا حتى ندخل في المشروع.

وإذا كانت الندوة الرئيسة لعام ١٩٩٢ م قد ناقشت أبعاد النظام العالمي الجديد في ظل المتغيرات السياسية، فإن محورا مهما قد فرض نفسه وكان مفاجأة فكرية لرواد المعرض، وهو المناظرة التي عقدت تحت عنوان «مصر بين الدولة الدينية والدولة المدنية»، واحتشد حولها أكثر من عشرين ألفًا، وهي ظاهرة ذات دلالات متعددة، ونأخذ هنا أهم المرتكزات للمناظرة التي تمتد بأهميتها إلى أرجاء الأمة الإسلامية، ولأنها أصبحت أمام العقول المفكرة دليلا على حاجتنا لحسم الخلافات حول الهوية التي يصارع من حولها تيار جارف من أدعياء الحداثة والتقدم، ودعاة التغريب دفاعا عن مدنية الدولة وعلمانيتها من أجل وجودهم.

كان التناظر بين طرف الفكر الإسلامي الذي مثّله **الشيخ محمد الغزالي والمستشار مأمون الهضيبي والدكتور محمد عمارة**، أما الطرف الآخر فمثّله **الدكتور محمد أحمد خلف الله والدكتور فرج فودة** ولم يحضر ثالثهم، وأدار المناظرة بأسلوب مرن، رغم سخونتها، **الدكتور سمير سرحان** رئيس هيئة الكتاب.

افتتح **الشيخ الغزالي** الحوار قائلا: لاحظت أن مئة سنة تقريبا مرت على أمتنا وهي تكافح الاستعمار العسكري الذي غزا أراضيها وعسكر فيها وأذاقها الهوان، لكن عندما أفلح آباؤنا واستطعنا معهم في أعقابهم أن نجلي هذا الاستعمار، فوجئنا أن هذا الاستعمار العسكري قد ولد معه استعمارا تربويا وتشريعيا، وصنوفا أخرى من الاستعمار التي جعلت شخصيتنا مشوهة، وجعلتنا نبتعد عن تراثنا ابتعادًا غريبًا، لذلك فلن يبدو لنا استقلال ولن تتضح لنا شخصية إلا إذا عدنا إلى تراثنا كما كنا قبل أن تجئ دواهي الاستعمار الغريب على أرضنا

معرض القاهرة الدولي للكتاب

وتراثنا، إنني أدعو إلى محاربة الاستعمار الثقافي والتشريعي والتربوي كما حوروب الاستعمار العسكري، حتى تجلو عن بلادنا هذه الأفكار الدخيلة التي جاءت مع القبعات الغازية، ويعود الإسلام لأهله ويكون الدين لله.

أما **الدكتور محمد عمارة** فقال: إن بديل الدولة الدينية هي الدولة اللادينية، القضية أن كل إنجاز بشري هو مدني، حتى المسجد والكنيسة مؤسسات مدنية لم ينزل بها الوحي، والقضية الخلافية التي يدور حولها الجدل والمناظرة هي مرجعية الدولة المدنية، هل هي القانون الوضعي فتكون عِلمانية تفصل الدين عن الدولة، أم أن يكون القانون هو الشريعة الإسلامية وحاكمية السماء لهذه الدولة؟ النقطة الثانية: أمتنا على مدى ثلاثة عشر قرنا تحكم بالشريعة الإسلامية فكيف تم الاختراق؟ كيف أصبحت هناك ثنائية في القانون؟ كيف زاحمت القوانين الغربية شريعتنا الإسلامية؟ ونسأل: من فاقد البصر والبصيرة الذي يستطيع أن يزعم أن محمدًا ﷺ لم يُقم دولة ولم يكوّن جيشا وإمارات وولايات وقضاء وزكاة؟ لم يقل مستشرق عبر التاريخ إن الإسلام لم يقم دولا، فإذا كانت السنة النبوية هي التجسيد والتطبيق للبلاغ القرآني، إذن فإسلامنا علمنا أن محمدًا ﷺ أقام دولة، وأن الدولة واجب مدني يستحيل إقامة الواجب الديني دون إقامته.

ورغم كل ما تقدم فقد ذهب **الدكتور فرج فودة** بالحوار إلى مجال الجدليات السياسية الاستفزازية حين قال: إن من ثمرات الدولة المدنية أنكم تناقشونا هنا (أي الطرف الإسلامي) وتخرجون ورؤوسكم على أعناقكم، كأنه صاحب الدولة وهم دخلاء عليها. ثم واصل الادعاء بأن واحدًا في المائة على مدى ألف وثلاثمائة سنة يناصرون الدعوة للدولة الدينية، ثم قال: إن من ينادون بالدولة الدينية لا يقدمون برنامجا سياسيا للحكم.

وقد عقب **الشيخ محمد الغزالي** على الادعاءات التي طرحت حول الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين فقال: إن الخلفاء الذين جاؤوا بعد رسول الله ﷺ إنما جاؤوا تنفيذا؛ لأن الإسلام يأمر بإقامة الحكم، وقد كانوا باختيار شعبيّ حر؛ لأن الإسلام لم يأت فيه نص على استخلاف أحد بعد رسول الله ﷺ، إنما ترك هذا للناس ليختاروا حاكمهم، فكان أول حاكم يتحدث عن وظيفته يقول «وليت عليكم ولست بخيركم، إن رأيتم خيرا فأعينوني وإذا رأيتم شرًا فقوّموني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم»، وقال أيضا رضي الله عنه وهو الصدّيق: «القويّ فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه، والضعيف فيكم قويّ حتى آخذ الحق له». هذه معالم دولة الخلافة الراشدة في جميع رجالها.

ثم أضاف **الدكتور محمد عمارة** أيضا موضحا ازدهار التاريخ الإسلامي في عهد الخلافة الراشدة فقال: إن كل العلوم الإسلامية شرعية ومدنية بنيت على الخلافة الراشدة، كل تيارات الفكر الإسلامي لم تنشأ إلا بعد الخلافة الراشدة، كل المذاهب الفقهية لم تنشأ إلا بعد الخلافة الراشدة، كل ما نتيه به على الدنيا لم ينشأ إلا بعد الخلافة الراشدة، كل ما تتلمذت عليه أوربا والغرب واستخدم في النهضة لم ينشأ إلا بعد الخلافة الراشدة.

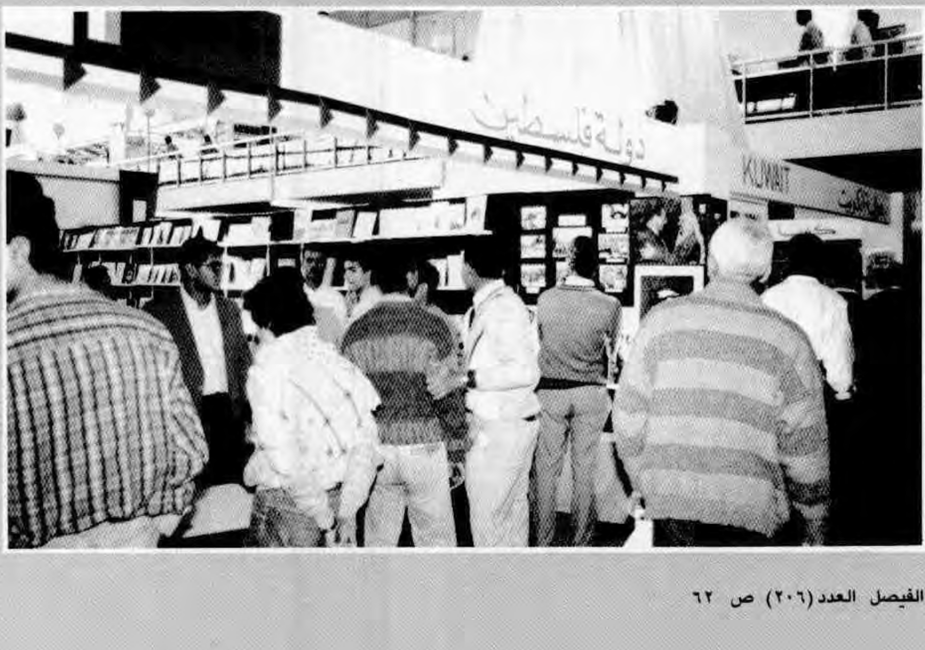
تلك أهم الركائز الفكرية للمناظرة، وهي جديرة بأن تحرك الأفكار وتدفع إلى إعمال العقل.

أما **الندوة الرئيسة لمعرض عام ١٩٩٣ م** في عيده (يوبيليه) الفضي فكانت محاورها مركزة في مواجهة «التطرف والإرهاب»، وقد احتشد لها نخبة من المفكرين السياسيين والمشتغلين بالصحافة، وتسابق نفر منهم في إصدار كتب وإدارة حملات صحفية وإعلامية في مواجهة الظاهرة التي اقتصر الاقتراب منها على المنظور السياسي والأيديولوجية الفكرية للمتحاورين.

ففي أحد المحاور ناقشت الندوة جذور التطرف، الرأي الذي نظر في عمق القضية كان في الجلسة الثانية **للدكتورة سامية الخشاب** أستاذة علم الاجتماع بجامعة القاهرة، فقد أرجعت الظاهرة إلى التفكك الأسري وغياب القدوة وضعف نظم التعليم، وحاز هذا الرأي تأييد وزير التعليم المصري في تأكيد ضعف دور التعليم حيال هذه الظاهرة.

إن الجماهير العربية تتطلع إلى المزيد من تكرار الظاهرة الفكرية والثقافية لهذا المعرض بالتوسع نفسه، وما أيسر ذلك على المسؤولين عن العملية الثقافية، وأمام الأطروحات التي استلهمتها آراء النخبة وأفكارهم نجد من خلالها أننا أمام تشخيص لصيغة نظرية للمشروع العام الذي لم يتحرك عن موقع الحلم، لكن ثراء الأفكار وحيويتها جعلته يستشرف الواقع ويبقي الحوار متواصلاً ومفتوحًا أمام كل التيارات والقوى الفكرية والثقافية في الوطن الكبير حول إمكان الالتقاء حول هذا المشروع في إطاره التنفيذي من أجل ترسيخ جديد لهيكل الثقافة العربية.

جناح فلسطين في معرض القاهرة للكتاب



عَوْدَة لِلْــرَّقم ١٣

د. محمد بن سعد
الشويعر



سمعت، كما سمع غيري، أحد مذيعي إذاعة لندن يقول في أمسية من أيام شهر أغسطس المنصرم: نحن اليوم في يوم الجمعة الموافق ١٣ أغسطس، وقد اجتمع في هذا تشاؤمان، فانزوى كثير من الناس في بيوتهم وترك بعضهم عمله.

لم أعر هذا القول بالاً، باعتباره خبرًا يحكي واقع الناس في مجتمع لا ينطلق من الإسلام قدوة وعملاً. لكن الذي حفزني لمعاودة الكرة في المشاركة في هذا الخبر، أن مجموعة من بعض شباب المسلمين هناك ممن زار بلاد الغرب، بعدما عادوا، سواء كانوا في دراسة أو عمل، أو كانوا في فسحة وسياحة، أو كانوا ممن يعملون في بعض البلاد الإسلامية وعادوا من إجازاتهم، قد عاد بعض أولئك بشيئ يرونه جديدًا: تقليدًا أو تأييدًا، ودار على ألسنة بعضهم حديث عن خلفيات هذا الخبر، وانعكاسه في ديار الغرب والمثقفين بخاصة، كما حكاه أحدهم. ولما كان من المعلوم لدى المهتمين والمتابعين أن هذه الإذاعة يديرها ويخطط لها مختصون في علم النفس، وعلم الاجتماع، بحيث يكون من توجيههم تنقيب المتعاونين معهم، عن أمور دقيقة، لتحرّك في مناسبتها، فتترك جذورًا لاقتران الحدث بمناسبته.

وخوفًا من أن يتحوّل الأمر إلى جذور عقدية، كما بان أثر هذا وغيره في ديار المسلمين؛ لأن من ارتبط بالغرب أو الشرق ثقافة ودراسة، غلب عليه التقليد لتأثره وانبهاره بواقعهم، بسبب ضعف القاعدة المكينة من دين الإسلام في قلبه: عقيدة وثقافة واستظهارًا. إذْ من الحماقة أن يرمي الإنسان نفسه في اليمّ وهو لا يجيد السباحة.

لهذا فقد رأيت من اللازم إعادة الكرة للتنويه عما سبق أن كتبته في مجلة «الفيصل» بعددها ١٩٢ لشهر جمادى الآخرة عام ١٤١٣ هـ الموافق ديسمبر ١٩٩٢ م، عن الرقم ١٣، ويوم الجمعة، وما تبادر من تشاؤم منها نبتت جذوره في بعض الأوساط، حيث أوضحتُ أن هذا تقليد من دون رويّة، ضمن أمور سرت عدواها لأبناء المسلمين مما يجب الحذر منه، والاعتداد بما لدى المسلم من جذور في دينه وعقيدته؛ لأن أساس التشاؤم من هذا الرقم ١٣ ومن يوم الجمعة، جاء من رصد مؤرخيهم للوقائع التي انهزموا فيها أمام المسلمين، وتمثل في حياتهم أيامًا سودًا؛ لأنهم انهزموا أمام جيوش المسلمين في كل معركة حاسمة، ورصد هذا الكثير من مؤرخيهم، ليتداوله الأجيال كعقيدة راسخة، وتقليدًا يجب تمكينه من النفوس، وتلقينه الناشئة.

إذْ من المؤسف أن تتسرب إلى بعض المسلمين بعض عادات شعوب الأرض التي تتنافى مع الإسلام، فيؤمنون بها إيمانهم، وينظرون إليها نظراتهم. من ذلك الرقم ١٣، ويوم الجمعة؛ لأن يوم الجمعة عيد أسبوعي لدى المسلمين، وتمثل صلاة الجمعة تجمّعًا إسلاميًا يتعارفون فيه، ويتذاكرون دينهم، ويعبرون في خطبهم عن حمد الله وشكره على نصرهم على الأعداء، وما تفضل الله به عليهم من نعم كثيرة أجلها نعمة الإسلام.

وقد أبنتُ في ذلك المقال بعضًا من المواقف التي تمثل نكبات للنصارى أمام المسلمين، فرسخ في قلوبهم التشاؤم من الرقم ١٣ من أجلها، بينما حقيقة الأمر، ان هذه الوقائع تمثل نصرًا مؤزرًا للمسلمين، والرقم يعني جمع الآحاد والعشرات والمئات والألوف إن كان في السنة التي وقعت فيها الحادثة ألوفًا، وبالتقويم الميلادي المعتمد عندهم ليكون الحاصل ١٣، من ذلك: ـ

١ ـ في عام ٦٣٤ م (٤ + ٣ + ٦ = ١٣) فُتحت بلاد الشام وطرد الروم منها حيث قال أحد قادتهم في خطبة في أنطاكية: سلام عليك يا سورية سلامًا لا رجعة بعده أبدًا. وخطب أبو عبيدة بدمشق أول جمعة.

٢ ـ وطّد المسلمون ملكهم في الأندلس وملكوا بلاد النصارى في عهد عبد الرحمن الناصر الذي طردهم حتى ألجأهم إلى جبال البرانس، وكانت أشهر المعارك لنكبتهم عام ٩١٣ م (٣ + ١ + ٩ = ١٣).

٣ ـ طرد صلاح الدين الأيوبي الصليبيين من بلاد الكرك، واستسلم صاحب قلعة البيرة عام ١١٨٣ م (٣ + ٨ + ١ + ١ = ١٣). وخطب في المسلمين وصلّى بهم أول جمعة ببيت المقدس على منبر صنع في حلب لهذا الغرض.

٤ ـ تركزت دعائم الدولة الأموية حيث قوي المسلمون في الأندلس بمجيئ عبد الرحمن الداخل عام ٧٥١ م (١ + ٥ + ٧ = ١٣). وقد خطب عبد الرحمن كما خطب قبله طارق بن زياد يوم الجمعة يحمّس المسلمين.

٥ ـ استولى السلطان محمد الفاتح على عاصمة الرومان القسطنطينية عام ١٤٥٣ م (٣ + ٥ + ٤ + ١ = ١٣)، فجعلها عاصمة للدولة العثمانية، وصلى بأكبر كنيسة بها، أياصوفيا، أول جمعة بعد أن حوّلها إلى مسجد.

٦ ـ هدم العثمانيون أسوار حصن لسبوس وهزموا النصارى ووضعوا بذلك نهاية الدولة البيزنطية عام ١٤٦٢ م (٢ + ٦ + ٤ + ١ = ١٣).

وغير هذا كثير لمن ينقب في زوايا التاريخ ويقارن. ومن منطلق شريعتنا يجب مخالفتهم؛ لأن تشاؤمهم نصر لديننا، وبؤسهم عزّ لنا. فأية نعمة أجل من هذا؟

مالكولم إكس (مالك شباز):
في السّجن اهتدى إلى الحقّ

وسط أجواء من تفرقة عنصرية بغيضة جاء مولد مالكولم إكس في منتصف العشرينيات من القرن الميلادي الحالي، في إحدى مدن ولاية ميتشجان الأمريكية، حاملاً للملايين من الملونين بعامة، والملونين المسلمين بخاصة، أملاً في حياة كريمة تسودها المحبة ويظللها التسامح والتعايش بين مختلف الأجناس والأعراف والديانات، في ظل تعاليم الإسلام السمحة التي أبدلت، كصبح أبلج، ظلام الجهل إلى نور الحق الساطع.

عاش **مالكولم إكس** سنوات عمره الأولى يعاني اضطهاد الإنسان لأخيه الإنسان، واستعباده له، واعتبار الجنس الأبيض سيد الأجناس، وما عداه حشرات لا يستحقون الحياة، وإن سمح لهم بها تكرمة من السيد الأبيض، لكي يكونوا خدمًا يشقون ويكدون من أجل أن ينعم السيد المطاع.

تفرقة عنصرية

كغيره من أطفال السود عمل **مالكولم إكس** خادمًا لدى أسرة من البيض لعجز أسرته عن تلبية مطالب الحياة، وفي إحدى مدارسهم تلقى تعليمه الابتدائي، وكان أول ما تعلمه أن يتعامل بحذر مع زملائه البيض الذين لم يروه ـ بسبب لونه ـ أهلاً لزمالتهم، بل إن هذه النظرة العنصرية شملت المدرسين أيضا، بالرغم من تفوق **مالكولم** وكونه ـ دائما ـ من أوائل صفه.

وذات يوم قام أحد المدرسين بسؤال طلاب الصف عن المهنة التي يرغب كل منهم في العمل بها حينما يكبر، وحين حل الدور على مالكولم أجاب: المحاماة، واستقبل المدرس الأبيض إجابة تلميذه بدهشة مشوبة بالاحتقار، ناصحًا إياه بأن لا يفكر في مثل هذه المهنة، وأن يكون واقعيًا بالنظر إلى لونه ويعمل نجارًا ليكون في خدمة مجتمع الرجل الأبيض.

الظلم يولِّد حقدًا

كان لهذه الممارسات العنصرية ومثيلاتها بالغ الأثر في نفس الصبي، التي امتلأت كرهًا وبغضًا لظالميه وجنسهم كله، الطالح منه والصالح دون استثناء، وما لبث أن ترك ولاية ميتشجان في سن الخامسة عشرة ليتجه إلى مدينة بوسطن على الساحل الشرقي للولايات المتحدة حيث تقيم شقيقته.

حدث ذلك عام ١٩٤٠ م، أي في أتون الحرب العالمية الثانية قبل دخول الولايات المتحدة الأمريكية المعارك رسميًا ضد قوات المحور (ألمانيا واليابان وإيطاليا)، وكان مجئ الصبي **مالكولم** إلى بوسطن بدايه مرحلة جديدة من حياته، مرحلة بدأت بالعنف والجريمة وانتهت بالانعتاق من ضلال الشرك إلى نور الإيمان.

انحراف

تقلب **مالكولم** في أعمال متنوعة في بوسطن، بدءًا من العمل بمسح الأحذية، مرورًا بغسل الصحون في المطاعم، وانتهاء بالأعمال المخالفة للقانون مثل السوق السوداء وتجارة المخدرات والسرقة والبغاء، وغير ذلك من الأعمال التي كان يقوم بها من منطلق رؤية خاطئة بأنه يخالف قانون الرجل الأبيض، قانون الظلم والظالمين، غير منتبه إلى أنه بذلك يتساوى مع أولئك الظالمين بعدوانه على الأبرياء.

وقد عبر **مالكولم** في مذكراته ـ فيما بعد ـ عن ألمه لهذه الفترة من حياته وندمه عليها وعلى ما فعل، حيث أوضح أنه خلال تلك الفترة كان يعتقد «أن المرء يجب أن يقوم بأي عمل يجد في نفسه كفاية من المكر والسوء أو الوقاحة تمكنه من القيام به».

تعرّف على الإسلام في السجن

أدى انخراط **مالكولم** في عالم بوسطن المنحرف إلى القبض عليه وإيداعه السجن في سن الحادية والعشرين، وشاءت عناية الله أن تكون هذه التجربة المؤلمة بداية انصهار روحه المفطورة على الخير والحق، وانعتاقه من الشرك إلى رحاب الإيمان، وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه المحكم ﴿**فعسى أن تكرهوا شيئًا ويجعل الله فيه خيرًا كثيرًا**﴾ النساء ١٩.

في السجن واصل **مالكولم** تعليمه الذي كان قد انقطع عنه، وتعلم الخطابة، إلا أن الفرصة الذهبية التي أتيحت له هي القراءة والاطلاع، فمن خلال عمله في مكتبة السجن اطلع على العديد من الكتب، وبينها كتب تتحدث عن الإسلام، الذي اكتشف فيه دينًا يناسبه، دينًا يدعو إلى المساواة والعدل، اللذين يفتقدهما مجتمعه النصراني.

أثمر اتجاه مالكولم نحو الإسلام عن تغيير شامل في طباعه، فلم يعد يشرب الخمر أو يدخن أو يمارس ألعاب القمار، والغريب أن إدارة السجن حين لاحظت ذلك ظنت أنه أصيب بلوثة عقلية

وأحالته إلى طبيب نفساني ليعرف لماذا ترك الموبقات!

تراسل **مالكولم** من سجنه مع **أليجا محمد** الذي كان ـ آنذاك ـ قائد المسلمين السود ومؤسس جماعة «**أمة الإسلام**»، التي كانت مسلمة في ظاهرها، لكنها بفعل شخصية مؤسسها ثم الظلم الذي كان يعانيه السود حملت أفكارًا كارهة للمجتمع، أفكارًا لا علاقة لها بالإسلام.

نشاطاته مع جماعة «أمة الإسلام»

خرج مالكولم إكس من السجن مسلمًا، وغيّر اسمه إلى مالك شباز، وبدأ ينخرط في نشاطات جماعة «**أمة الإسلام**»، مكرسًا نفسه لخدمة مبادئها، داعيًا إلى الحقوق المدنية، مؤكدًا على جذور الملونين الأفريقية التي طمسها البيض، مناديًا بـ «ثورة ثقافية لتحرير شعب من غسل دماغ تعرض له».

كان **مالك شباز** من أعنف دعاة الحقوق المدنية، فالتف حوله الكثير من الملونين الذين رأوا فيه أملاً يداعبهم في القضاء على الظلم المحيط بهم، ولمقدرته الخطابية استطاع أن يلهب حماسة مستمعيه، وبخاصة عندما دعا إلى «اتخاذ كل الوسائل الضرورية» لنيل الحقوق المسلوبة، حيث فهمها الكثيرون على أنها دعوة إلى العنف.

إلا أن نجاح **شباز** في اجتذاب الجماهير أوغر صدر **أليجا محمد** مؤسس الجماعة وقائدها الذي كان قد انحرف بمسيرة الجماعة وسخّرها لخدمة أهدافه ومصالحه الشخصية، ولم يرق له بالطبع ذلك الصعود الذي لاقاه «**مالك شباز**»، والترحاب الذي يلاقيه به الملونون في كل مكان.

الحج طهّر قلبه من الحقد

عُرف **مالك** شباز بالعداء العميق للجنس الأبيض، بسبب ما لاقاه الملونون من ألوان اضطهاد البيض، حتى إنه قال في إحدى المرات: «إن كل البيض شياطين ينتمون إلى جنس شرير خلقه عالم أسود مخبول منذ آلاف السنين»!



مالكولم إكس

وهذه النظرة العنصرية إلى البيض تغيرت حين جاء عام ١٩٦٤ م إلى مكة المكرمة لتأدية فريضة الحج، بل **تغيرت أفكار مالك شباز كليًا بعد أن مَنَّ الله عليه بأداء الفريضة**.

ففي الحج رأى مسلمين من مختلف أرجاء الأرض، منهم الأبيض والأسمر والأصفر، كلهم جاءوا ليعبدوا ربهم الذي خلقهم، ويؤدوا مناسكهم وقلوبهم جميعًا متجهة إلى القبلة، فأدرك سر عظمة الإسلام، وأن الإسلام دين البشرية جمعاء وليس دين الملونين فقط كما كان يعتقد.

أتيح له خلال الحج أن يطلع على الإسلام الحقيقي كما جاء به الرسول ﷺ ويلمس الفرق بينه وإسلام **أليجا محمد**، وما أدخل إليه من تحريفات لا تمت للإسلام بصلة.

تصحيح مفاهيم المسلمين

عاد **مالك شباز** إلى الولايات المتحدة الأمريكية شخصًا آخر غير ذلك الذي غادرها قبل أسابيع،

«كان يعتقد ـ حتى زار مكة ـ أن الإسلام دين الملونين فقط»

إذ طهرت روحه من ألوان الحقد، وتشربت بتعاليم الإسلام الحقيقية بسماحتها ودعوتها إلى الأخوّة.

كان طبيعيًا أن يسعى إلى تصحيح حقيقة الإسلام ومعناه داخل جماعة «**أمة الإسلام**»، وهو ما أثار عليه **أليجا محمد** الذي كان قد تمادى تمامًا في انحرافه عن شريعة الله، حتى إنه أوعز لأتباعه بأنه نبي!

وبدلاً من روح العنف التي كانت سائدة في خطب **مالك شباز** في الماضي بدأ يدعو إلى الإخاء والمحبة وتبرأ مما سبق أن دعا إليه قائلا: «لقد سمحت في الماضي لنفسي بأن استغل لتوجيه اتهامات شاملة إلى الجنس الأبيض، أما الآن فلم أعد أقر إطلاق أية أحكام عامة على أي جنس».

رصاصات الغدر

مضى **مالك شباز** في دعوته إلى الله، وأسهمت خطبه في جذب العديد من الأمريكيين إلى حظيرة الإسلام، بعدما لمسوا فيه الصدق والإخلاص والفهم الصحيح لشريعة الله.

إلا أن محاولته لتصويب مسار الحركة الإسلامية وتوحيد صفوفها أدت إلى انطلاق رصاصات غادرة مجهولة لتصيبه في مقتل في الحادي والعشرين من شهر فبراير ١٩٦٥ م.

سقط شباز شهيدًا وهو يمارس الدعوة إلى الله، إلا أن أفكاره بقيت حية بعده، وتحقق ما كان يدعو إليه من تنقية «**أمة الإسلام**» في أمريكا من الأباطيل التي روّج لها بينها **أليجا محمد**، إذ مات الأخير، وخلفه في رئاسة الجماعة نجله **وارث الدين محمد** الذي كان مقتنعًا ومؤمنًا بما دعا إليه **شباز** من تصحيح الأباطيل، فعمد إلى تنقية الجماعة من الأفكار الخاطئة التي زرعها والده، وأعادها إلى الطريق الصحيح كما رسمته شريعة الله الخالدة.

إن تاريخ المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية سوف يحكي بكل تقدير الدور الكبير الذي قام به مالك شباز، أو مالكولم إكس، في توطيد دعائم الإسلام هناك، وتصحيح المفاهيم الخاطئة، واجتذاب الناس إليه.

طريق الهدى

فتاوى لفضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

ملكية أرض لا صك لها

● **إذا قامت دعوى على أرض ليس لها صك شرعي، فادَّعى كل من الطرفين أنها له، فهل تقسّم بينهما؟ وإذا لم يتم هذا بعدم رضا أحدهما فماذا يكون؟**

ف. ف. ل. زنجيري - أفريقيا

■ الأصل في هذا أن الأرض لله، فهي على الجواز الأصلي، وتكون للمُحيي لها إحياءً صحيحاً، لكن إذا تخاصم رجلان على مثلها فينظر، هل هناك وثائق أو شهود عدول أُمناء أو هبة ممن يملكها بحق، فإذا لم يكن كذلك فيتم الإعلان عنها لمن عنده بيّنة، أو شهادة، فإذا لم يحصل أن تقدم أحد، يجتهد فيها (ناظر القضية)، وإلا فيجتمع لها للحكم فيها على غرار ما كان يحصل في أراضي المدينة زمن النبي ﷺ، وزمن صحابته رضي الله تعالى عنهم. والله أعلم.

الحيض وطواف الوداع

● **هل تقضي المرأة طواف الوداع إذا تركته بسبب الحيض؟**

حصة م. م. بريدة

■ ليس عليها قضاء طواف الوداع حجاً أو عمرة، لأنه سقط عنها أصلاً بوجود العذر الشرعي، وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: **أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت الطواف، إلا أنه خفف عن الحائض والنُّفَساء**.

لكن أود أن أسأل هنا: كيف تم هذا؟ وكان الواجب جعل طواف الوداع مع طواف الزيارة بطواف واحد، فقد فهمت من السؤال أنها قد طافت طواف الزيارة (الإفاضة)، لكن إن كانت عمرة فلا بأس حينئذ. والله أعلم.

كيف يتصرف المظلوم؟

● **قد يكون بعض الناس ذا طبيعة ضعيفة، فإذا ظُلِمَ سكت؛ لأنه لا يعلم إلا بعد حصول الظلم عليه، وقد يتكلم بحقه لكنه لا يحصل عليه، فكيف يتصرف؟**

س. ف. س. ن. خولان - اليمن

■ هذا صحيح، لكنه قد يكون خيراً لهذا الضعيف لمضاعفة الأجر، حتى إذا جلس الناس للخصومة، غداً فإذا له عند غيره حقوق كثيرة فيفوز، وهذه كافية فَتَنَبَّهْ لها!

الذي أراه في مثل هذا، أنه يطالب بحقه ويسعى جاهداً إليه بالإخلاص والدعاء، فإذا وقف في وجهه - بحكم قوة الظالم - واحد أو أكثر فليس عليه إلا الصبر، والصبر علاج. لكنه يحاول، فإذا أضرّ به الصبر بسبب هول الأمر فحينئذ يدعو على من ظلمه، فالله تعالى وحده يعلم بواطن الأمور، والظالم من المظلوم، وعليه بعد هذا انتظار الفرج.

هو محرم لها وأنتم لا

● **رضع أخي الصغير من قريبة لنا زوجة عمي، فهل تسري الحرمة بيننا جميعاً فنكون إخوة لأولادها؟**

علي بن فهد م. ل. البكيرية - القصيم

■ إذا تمت الرضاعة في الحولين بالنسبة لأخيك من زوجة عمك، وكانت خمس رضعات كما في حديث **عائشة** رضي الله عنها فيكون ابناً لها من الرضاع، وعمك والده من الرضاع، وكذلك أولاده.

أما أنتم فلا علاقة لكم بهذا الرضاع، فلا تكونون محارم لها؛ لأن السبب منقطع وهو أنكم لم ترضعوا منها. والله أعلم.

عدم جواز بيع الدخان

● **ماحكم بيع الدخان؟**

سليم مصطفى - جدة

■ المقرر طبياً أن الدخان ضار بالجهاز التنفسي والجهاز العصبي، كما أنه مضر بحالة القلب، ومبذر للمال حتى مع وجود وفرته.

وقد أمرت الشريعة بالمحافظة على المال والبدن وهما من الضرورات الخمس. فعلى هذا لا يجوز بيع الدخان، وإذا حصل هذا بسبب جهل أو تساهل، ثم تاب البائع، فإن ثمن الدخان لا يجوز استعماله؛ لأنه غير حلال.

التوبة لا تكفي في هذه الحالة

● **رجل ظلم رجلاً فتسبب بطلاق زوجته، فهل يتوب ويكفي هذا؟**

ع. ع. ع - القصيم

■ لم تبين السَّبب، لكن التوبة والندم والإقلاع وعدم العودة إلى مثل هذا لا تكفي أبدًا، فهذا ذنب عظيم؛ لأنه يتعلق بما بين العباد، وخطر هذا أنه فرّق زوجين أو كان سبباً بسبب كلمة، أو إشارة، أو ذم للزوج ونحو هذا. فلابد من استسماح المظلوم والتسبب في جمع الزوجين، فإن كان هذا متعذرًا فتعوضه بما يرضيه حقيقة بسبيل من السبل.

ردود خاصة

● **الأخ سلطان م - جامعة الملك سعود - الرياض:**

يمكنك مقابلة الشيخ شخصيًا.

● **الأخ محمد بن فهد بن دليم الهنادي، وادي الدواسر:**

يصلك جواب خاص من فضيلته.

● **الأخ س. س. س. الكويت:**

المبتدع الداعي إلى بدعته لا تقبل شهادته؛ لأنه غير ثقة في دينه، فعلى الآخرين من باب أولى.

● **الأخت هيا. م. ل. - نجران.**

تصلين كل صلاة بوضوء جديد، وتنظرين وقت العادة فتقعدين فيها دون صلاة.

أما الموضوع الخاص فهذا بينك وبين البلدية طرفكم.

من تجاربهم

إن أي حديث عن «تجربتي» لن يبرأ من التفاخر «بأنـا» والتحدّث عن الذات، فأستعيذ بالله من كـلام يدور حول شخصي، وأعتذر للقـارئين إنْ هم ضاقوا بكلام مـرسلٍ يمتاح من معين الذاكـرة، ويصوّر جوانب من عُمـرٍ تقضّى في العمل الصحفي في الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من هذا القرن.



وديع فلسطين

من تجربتي في الصحافة

بقلم: وديع فلسطين

البداية.. كيف كانت؟

دخلت عالم الصحافة، على تهيّب شديد، من الباب الأكـاديميّ، فدرست علوم الصحافـة نظرًا وعمـلاً في معهد الصحـافـة بـالجامعة الأمـريكية بـالقـاهـرة، وكنت من أوائل الخريجين المؤهلين من معهـدٍ هـو أوّل معهـدٍ على شـاكلتـه في الشرق الأوسط، فقد سبق جميع معاهد الصحافة الأخرى. وكانت الأجيال التي سبقتني إلى العمل في الصحافة إمّا تحمل شهادات مـن كليات الحقوق أو الآداب، وإمّـا اقتحمت الميـدان بـالاجتهـاد الـذاتي وبغير مؤهلات جـامعية، واكتسبت بمضيّ الوقت الخبرة والشهرة والحيثية الاجتماعية.

وقد تهيّبتُ هـذا الميدان لاعتبـاريْن أساسييْن، أولهما: أن استعدادي الفطري كان استعدادًا علميًا، وكنت أهيّئ نفسي لـلالتحـاق بكليـة من كليـات الدراسات العلمية (الطب أو الصيدلة أو العلوم)، لكنّني اضطررت إلى تغيير اتجاهي بسبب مـا كانت هذه الكليات تتقاضاهُ مـن مصروفات باهظة تؤرق أسرتي، وثـانيها: لأنني كنت ـ بحكم صعيـديّتي التي جُبلت عليهـا ـ كثير الانطـواء على النفس والخجل، في حين أن الصحـافة تتطلّب قـدرًا كبيرًا من الانبساط والجرأة والثقة بالنفس؛ لأنها تحتّم على المشتغل بها أن يتعامل مع دهاقنة الساسة من محليين وأجانب. كما كان من أسبـاب تهيّبي أن الباشوات كـانـوا يحتلـون مـراكـز الصـدارة سـواء في ملكيـة الصحف أو في تحريـرها، مثل جبرائيل تقـلا باشـا وأنطون الجميّل باشا في «الأهرام»، والدكتور فارس نمر بـاشا وخليل ثابت باشـا وكريم ثابت بـاشا في «المقطم»، وفكـري أباظـة باشـا في «المصـور»، وعبد القادر حمزة باشـا في «البلاغ»، وإدجار جلّاد باشـا في «الزمـان» و«الجورنال ديجبت»، والـدكتور محمد حسين هيكل باشا في «السياسة».

وقد عرفتُ معظمهم وألفيتهم أكثر تواضعًا ممّن لا يحملون هذه الرتبة الرفيعة! وكنت في ذلك الحين أقـول لنفسي: كيف يتأتّى لـك وأنت نـاشئ بسيط الحال لم يسبق لك تعامل مع الباشوات ولا حتى مع البكـوات أن تعمـل معهم، نـاهيـك عن أن تنافسهم؟

لكن تسلّحي بشهـادة في الصحـافـة ـ التي سـوّغت لي أن أوقّع كتـابـاتي الأولى ممهـورةً بعبـارة «بكـالوريـوس في الصحافـة» ـ وضعني في بدايةٍ كـريمـةٍ من سُلّم العمل الصحفـي. ولم ألبث بـالاجتهـاد الشخصي والتوسّع في المطـالعـات واستشراف المثل العليا وعقد الصلات أن «حفرتُ» لنفسي زاويـة في الصرح الصحفي في تلـك الأيـام، برغم أنني كنت في العشرينيات من عمري.



فكري أباظة



محمد حسين هيكل

ولقـد كـان مـن حظيّ الموفّق أن عملت في دار «المقتطف والمقطم»، بعـد فترة قصيرة قضيتهـا في إدارة جريدة «الأهرام»، وهي دار كانت تصدر مجلةً علمية ثقافية عريقة هي «المقتطف» وجريدة مسائية عتيقـة هي «المقطـم»، فـوزّعتُ عملي بين هـذه وتلك. ومـازلتُ أحسّ بـديْن عميـق في عنقي للـرجلين العظيمين اللـذين عملت تحت إشرافهما المبـاشر في هـذه الدار، وهما خليل ثـابت بـاشـا في «المقطم»، والـدكتور فـؤاد صروف في «المقتطف». فقـد حرصـا على تعهّـدي لا بـالتوجيـه والتشجيع



فحسب، بل بإعطائي فرصةً كاملة للتدريب على جميع فنون الصحافة، بالتنقل بين أقسام الجريدة المختلفة حتى تتأصّل فيّ الاستعدادات لمعالجة الترجمة وكتابة التعليقات السياسية والاقتصادية وكتابة المقالات العلمية وإجراء الأحاديث مع كبار المسؤولين والزائرين، وتلخيص الكتب الأجنبية وعرض الكتب العربية، ومتابعة المحاضرات العامة التي كانت منابر القاهرة الكثيرة تحتفي بها، وإجراء التحقيقات الصحفية، وهلم جرّا. وكان «المقطم» يتميّز من غيره من الصحف بمقالات الصدر (الافتتاحيات) التي كان يكتبها خليل ثابت باشا، فلمّا آثر التقاعد أسندت إليّ مهمّة كتابتها (على الرغم من أن نصف قرنٍ كاملاً كان يفصل بين عمرينا). فصرتُ أعقد مقالاً رئيسيًا حول قضية داخلية أو خارجية ينشر في الصفحة الأولى بعنوان ثابت هو «في السياسات الدولية» ومقالاً تكميليًا يتضمن تعليقاتٍ سريعة على الأحداث المحلية والدولية ينشر في الصفحة الأخيرة بعنوان ثابت هو «عجلة الحوادث». وظللتُ أتابع كتابة هذه الفصول يوميًا إلى أن أُغلقت جريدة «المقطم» في أواسط نوفمبر ١٩٥٢ م. أما «المقتطف» ـ وهي مجلة شهرية مشهورة ـ فقد وليتُ اختصاصها بمقالاتٍ أدبية وعلمية إلى أن احتجبت في ديسمبر ١٩٥٢ م بعد سبعة وسبعين عامًا كاملة.

الحرب العالمية ومطالعاتي العلمية

كانت الحرب العالمية الثانية مشتعلة الأوار في فترة اشتغالي اليومي بالصحافة الهادرة، عندما بوغتنا في يوم من أيام أغسطس ١٩٤٥ م بطوفان من برقيات وكالات الأنباء تروي أنباء إلقاء قنبلة ذرّية على مدينة هيروشيما، وأخرى على مدينة ناجازاكي في اليابان، فأحدثتا تدميرًا ماحقًا في المدينتيْن عجّل بنهاية الحرب. وكانت وكالات الأنباء تفيض في شرح النظرية العلمية التي قامت عليها صناعة القنابل الذريّة مستخدمةً في ذلك مصطلحات علمية عويصة. ومن محاسن الاتفاق أنّني كنتُ شديد القرب من أستاذي فؤاد صرّوف الذي كان ينشر في «المقتطف» فصولاً كثيرة عن «فلق نواة الذرة» وعن سلسلة التفاعل التي يحدثها هذا الفلق فتنطلق منها طاقة هائلة تكتسح كل ما أمامها. وكنتُ وقتها أطالع هذه الفصول من قبيل التزوّد بالجديد من أخبار العلم، فاستقرت في ذهني صورةٌ عامّة للذرة وأفاعيلها، كما ترسّخت في ذاكرتي المصطلحات العلمية التي سكّها أستاذي صرّوف في هذا الباب. فلما داهمتنا أخبار القنبلة الذريّة، لم أصادف مشقّةً في ترجمتها إلى العربية ترجمةً واضحة ولا في التعليق عليها تعليقًا يتّفق مع قواعد العلم التي حصّلتها بالمتابعة الحثيثة لكتابات أستاذي صروف.

وفوجئنا ذات يوم بوكالات الأنباء تحمل إلينا نبأ انتحار وزير البحرية والدفاع الأسبق في الولايات المتحدة في مايو ١٩٤٩ م، بأن ألقى بنفسه من إحدى ناطحات السحاب فلقي مصرعه، وعُرف بعد ذلك ـ وهو ما ثبت من مطالعة مذكراته ـ أنه انتحر بسبب مضايقات صهيونية. فعقدتُ مقالاً عن جيمس فورستال ـ وهذا هو اسمه ـ اجتهدتُ فيه في تحليل شخصيته من الناحية النفسية، وتفسير الدوافع التي جعلته يلقي بنفسه منتحرًا. وفي اليوم التالي تلقيت رسالة من عميد علماء علم النفس في مصر ـ أستاذي وصديقي الدكتور أمير بقطر ـ أثنى فيها على صدق تحليلي قائلاً: إن الرأي الذي انتهيتُ إليه هو الرأي الصائب من الوجهة النفسية.

فتأكد لي أن الذخيرة التي حصّلتها من مطالعاتٍ سابقةٍ في علم النفس وفي سواه من أبواب المعرفة قد دلّتني على المحجّة السليمة.

تدريس الصحافة

وقد عملت بتدريس علوم الصحافة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة بين عامي ١٩٤٨ و١٩٥٧ م، وحرصت على أن أؤكّد لطلابي ضرورة الفصل بين الخبر من حيث هو واقعة يتعيّن إيرادها بمنتهى الصدق والحياد دون أي تستّر أو تحوير؛ وبين المقال الذي يصحّ لكاتبه أن يتّخذ أي زاويةٍ يراها للتعليق على ما جاء في الخبر. ولكن الخلط بين الخبر والرأي خطأ لا يجوز في العرف الصحفي الصحيح. وكان من الطبيعي أن أطبّق عمليًا ما كنتُ أدرّسه نظريًا.

وعندما توالت الانقلابات في سورية، شننتُ في مقالاتي حملةً شعواء على قادة الانقلابات المتعاقبين؛ حسني الزعيم وسامي الحنّاوي وأديب الشيشكلي.

فلمّا زار الشيشكلي القاهرة في عام ١٩٥٢ م، حرص سفير سورية في مصر (وهو الأديب العالم الصديق الأمير مصطفى الشهابي) على ترتيب لقاء بيني وبينه. فقلت للشيشكلي: من حقّك أن أورد أقوالك بالحرف الواحد، ولكن من حقي أن أعقب عليها في افتتاحياتي وفقًا لما أراه. وقد كان.

ولا ريب في أن الصحفي إذ يرى الناسَ ساعيةً إليه، حاسبةً حسابًا لما يكتبه، معرّضٌ لأن يستشعر قدرًا كبيرًا من الأهمية، وربّما النفوذ. حتى إن نقيب الصحفيين فكري أباظة باشا قال في حفلٍ أقيم لتكريمي بمناسبة فوزي بجائزة فاروق الأول للصحافة الشرقية في عام ١٩٤٩ م، إنه بعد متابعته لمقالاتي أُعجب بقدرتي على مصاولة ونستن تشرشل رئيس وزراء بريطانيا، وانطوني إيدن وزير خارجيتها، كأنّني معهما فُرْسَانٌ نجري في حلبة سباق. وهو قول يورث الغرور، لكن الصحفي مُنتصحٌ بأن ينأى بنفسه عن نقيصة الغرور، وأن يستعصم بالرّسالة الصحفية الأصيلة، ألا وهي أنه مهما ارتفعت مراتبه، خادم للجمهور الذي يخاطبه، وخادم للحقيقة التي وُكّل بأن يسوقها إلى القارئين.

تجربة لا أنساها

وثمة تجربة مرت بي في عملي الصحفي، لا أرى بأسًا من إيرادها. فقد اتّصل بي صاحب وكالةٍ وطنية للأنباء قائلاً: إنه يرغب في الاستعانة بي في وكالته، إلى جانب احتفاظي بعملي في الجريدة.

وتوجّهتُ إليه في الموعد المحدد، فألفيتُ على مكتبه أكداسًا من الصحف الأجنبيـة وجهاز راديو ضخما يستقبل إذاعات العالم كله. وقال صاحب الوكالة: إن القضية الوطنية هي شاغله الوحيد، وهو لذلك لا يعتمد على مـراسلين في العالم الخارجي، بل على الصحف الأجنبية ورصد الإذاعات الأجنبية. وشرح لي كيف يتمّ تحوير الأخبار التي تمسّ القضية بحيث تؤول كلها بعد تحويرهـا إلى خدمة القضية، بغضّ النظـر عن صدقهـا. ثم دفع إليّ بكومـة الصحف الأجنبية وجهـاز الراديـو، ورجاني أن استخـرج من هـذه المصـادر «أخبـارًا طـازجـة» تخدم القضيـة. وقضيتُ يـومين أحاول فيهما تلفيق الأخبـار خدمـةً للقضية، فلا ضميري الصحفي استراح ولا أفلحتُ في هذه المحاولات، فتركتُ لصاحب الوكالة رسالة اعتذار بدعوى ضعف صحتي وعجزي عن الجمع بين عملين. وبعـدما كنت أنشر أخبـار وكالتـه في الصفحـة الأولى من جـريـدتي، بتّ أطـرح نشرة الوكالة بقضّها وقضيضها في سلة المهملات دون أن أفضّها.

مهنة المخاطر

وإذا كان الـوصف الشـائع للصحافـة هو أنها مهنـة البحث عن المتاعب، فـلا إخالنـا نجـانب الصوابِ إن قلنا إنها مهنة التعرّض للمخاطر. ومن الحوادث التي لا أنســاهـا أن صـديقي الأديب الصحفي فـرج جبران زارني ذات يـوم وقـال لي إن هناك وفدًا من كبـار الصحفيين الأمريكيين برئاسة نيكـربوكـر يـزور أندونيسيـا، وإنـه سيمرّ بمطـار القاهرة لمدة ساعة في طـريق عودته إلى بلاده. وقال إنه اتفـق مع المسؤولين على تـرتيب عشاء للـوفد في المطـــار يضمّ بعـض الصحفيين المصريين لكي يشرحـوا لزمـلائهم الأمـريكيين قضية مصر وسـائر القضـايـا العـربيــة. ورجـاني أن أكـون من جملـة المشاركين في هذا العشاء. فقبلتُ الدعوة، وهيّأتُ نفسي لهذا اللقــاء. وفي اليــوم الموعــود، إذْ كنتُ عاكفًا على قراءة برقيـات وكالات الأنباء، فوجئت ببرقيـة تقــول: إن الطـائرة التي كـانـت تقلّ وفـد الصحفيين الأمريكيين قـد سقطت وتحطمت وقُتل كل من كان على متنها! ومن غريب المصادفات أن فرج جبران نفســه، الذي كان حريصًـا على ترتيب هذا العشــاء، لقي بدوره مصرعه في حـادث طائرة اختفت فوق البحر المتوسط ولم يعثر لها على أثر!

فالصحافة ـ من ناحية ـ مهنة المخاطر، كما أنها مهنة المفـاجآت من ناحية أخـرى. ولابدّ للصحفي أن يدرك أن عمله محفـوف بالمخاطر وأن المفـاجآت تكاد تكون خبزه اليومي.

وقد يعنّ لسائل أن يسأل عن الحصيلة النهائية للعمل الصحفي، فأقول: إنَّ الصحـافة تستهلك العمر والجهد في خدمة قضـايا هي بطبيعتها قضايا آنيّة ومتغيرة. فإذْ أراجع مثلاً مقالاتٍ ضافيةً نشرتُها حينـذاك عن قضيـة مصر، وكنّـا قد حصرنـاهـا في عبـارة «وحـدة وادي النيـل تحت تـاج الفـاروق»، آسف على المداد الكثير الذي سكبته في الـدفاع عن وحدةٍ انفضّت تحت تاج لم يعد له وجود! وإذْ أراجع ما كتبتـه في الدفـاع عن قضية العـرب الثانيـة وهي قضيـة فلسطين، أراني لم أُشر أبــدًا إلى إسرائيل إلاّ بوصفها «مزعومة»، ولم أقنع في كتاباتي إلاّ بفلسطين عربيـة كاملـة، فلا تقسيم ولا تـدويل للقدس ولا تكوين لدولة فدراليـة أو كونفدرالية تكون فلسطين طـرفًا فيهـا. وطبعًا تغيّرت الصـورة اليوم، ولم يعـد أحدٌ يزعم بأن إسرائيل مزعومة!


السحار


محمود البدوي

وكنّا في أيـامنا نتحـدّث عن حلم «العـروبة»، فجاء صديقنا سـاطع الحصري وصاغ هذا الحلم في قالب «القومية العربية»، وذهب آخرون إلى تصوير هذا الحلم في عبارة «الوحدة العربية»، وقد تبخّرت هذه الأحلام لاعتبارات ليس هذا مجال رصدها.

وهكذا انفعلنا ككتّاب وصحفيين دفـاعا عن قضايا صارت اليوم غير ذات موضوع، ولابدّ إذن أن
قضايا صارت اليوم غير ذات موضوع، ولابدّ إذن أن
نُهيل التراب على كل مـا نشرناه من مـوضوعـات في السياسة الآنية المتقلبة.

مشاركات أخرى

ولكن، لعلّ أكبر مـا أفدتـه من الصحافـة هو القابلية للتكيّف، ذلك أن العمل الصحفي قد هيأ لي أسباب العنـايـة بمجـالات متعددة من المشـاغل الفكريـة، فلم يكن عسيرًا عليّ بعد ذلك أن أغشى ميدان الأدب، أو أن أعمل بالترجمة العلمية والفنية والمتخصصـــة، أو أن أشرف على كتب ومجلات وأعمال تتصل بالاقتصاد والقانون والصناعة، أو أن أشـارك في لجان التحكيم الـدولي، أو أن أسهم في إعداد موسوعات متباينة الموضوعات. فضلاً عن أن الصحافة قد هيّأت لي فرصة عقد صلات وثيقة مع معظم الأعلام الذين عاصرتهم، سواء في مصر أو في البـلاد العربيـة أو في المهـاجر، حتى وصفني أنـور الجندي بأنني «من المراجع الحية»، ووصفني الأديب العراقي وحيد الدين بأنني «سفير الأدب المعاصر» ـ وليس لي ادّعـاء بهذا الــوصف أو ذاك ـــ كما أن الصحافة أتاحت لي فرصةً للتعريف بناشئة الأدباء الـذين صـاروا بعـد ذلك أدبـاء كبـاراً مثل نجيب محفوظ وعلي أحمد باكثير وعبد الحميد جودة السحار وعـادل كـامل ونـزار قبـاني وسهيل إدريس ويحيى حقي ومحمــود البـدوي وغيرهـم. فلعلّي كنت من أسبق الـذين عـرّفوا بهؤلاء الأدبـاء وهي حقيقـة لن يمنعني التـــواضع دون إعـــلانها؛ وإنْ تُجوهلت طويلاً.

وإذا كنتُ قد زاولتُ الصحافـة دراسةً وممارسةً وتـدريسًا، فقـد أسهمت فيها أيضًا بثلاثـة كتب نقلتهـا إلى العـربيـة هـي: «استقـاء الأنبـاء فن: صحافـة الخبر» لجوليان هـاريس وستانلي جـونسن وكتب مقدمتــه الصحفـــي الكبير الأستـاذ محمـد زكـــي عبد القادر، و«مقـدمة إلى وسائل الاتصال» لإدوارد واكين، و«العـلاقـات العـامـة فن» لإدوارد بيرنيـز وآخـرين وقـد تـرجمتـه بـالاشتراك مع زميلي الدكتور حسني خليفة.

مطابع رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة

من المكتبة السعودية





د. عبدالعزيز اللعبون

● العنوان: دليل مصطلحات الوحدات الصخرية لحقب الحياة القديمة وأسفل حقب الحياة المتوسطة في المملكة العربية السعودية: الجزء الأول: تسلسل التسميات (بالإنجليزية)
● المؤلف: د. عبد العزيز اللعبون.
● الناشر: (غير مذكور) ١٩٩١م، ٥٠٠ص.

تكمن أهمية هذا الكتاب في معالجته لصخور حقب الحياة القديمة وأسفل حقب الحياة المتوسطة التي تتميز بأنها من أقدم الصخور الرسوبية في شبه الجزيرة العربية، وهي تتكون من مختلف أنواع الصخور، وتشمل الصخور الرملية والطينية والجيرية والغرينية والمتبخرات، كما أن بيئات ترسيب هذه الصخور تمثل مختلف بيئات الترسيب من قارية وشاطئية وبحرية ودلتاوية وجليدية. وقد وفر تنوع الخصائص الصخرية لصخور حقب الحياة القديمة وأسفل حقب الحياة المتوسطة وتباين بيئات ترسيبها وما تعرضت له من حركات أرضية، الظروف المناسبة لتكوين البترول وخزنه.

وتعد الطبقات تحت السطحية لهذه الصخور هدفًا مهمًا لعمليات الاستكشاف بحثا عن المياه الجوفية والبترول والغاز الطبيعي والمكثفات. وتحتوي صخور حقب الحياة القديمة وأسفل حقب الحياة المتوسطة على كميات هائلة من المياه الجوفية والبترول والغاز الطبيعي والمكثفات في مناطق مختلفة في شبه الجزيرة العربية وتحت مياه الخليج العربي.

وتتلخص الأهداف العلمية من تأليف هذا الكتاب في توثيق كل ما كتب عن صخور الحقب موضوع الدراسة منذ أكثر من مائة عام حتى الوقت الحاضر، وإظهار التعديل والتطور في تسمية الوحدات الصخرية منذ تعريفها لأول مرة حتى الوقت الحاضر، وتوفير المادة العلمية لأية لجنة جيولوجية قد تنشأ لتوحيد مصطلحات الوحدات الصخرية على مستوى المملكة أو دول مجلس التعاون الخليجي، والإسهام في توطيد أواصر التفاهم والتعاون بين مختلف الجهات الجيولوجية بنشر ما تستخدمه من وحدات صخرية خاصة بها.

وقد قام المؤلف، رغم كثرة وتناثر ما كتب عن هذه الصخور من خلال ما نشر من أبحاث ومقالات وخرائط وتقارير منشورة وغير منشورة، بجمع أكثر من ٢٧٠ مصطلحًا أو تعريفًا لوحدات صخرية كما عرفت من قبل الدارسين لها، وقد رتب المعلومات الأساسية عن كل وحدة صخرية بذكر سنة الدراسة أو نشرها، واسم الباحث أو الباحثين أو الجهة التي قامت بالبحث، واسم الوحدة الصخرية وعمرها، وما تحتويه من أحافير مرشدة ومقطعها المثالي ومقطعها المرجّح وسماكتها وتماسها وعلاقاتها الطبقية مع ما يعلوها وما يسفل منها من طبقات، مع أية ملاحظات حول كل وحدة صخرية، وأخيرًا ذكر المرجع أو المراجع التي وردت عند البحث في هذه الوحدة، وقد بلغت المراجع الأساسية لهذا الكتاب أكثر من مائة وخمسين مرجعا.

ويمكن لقارئ هذا الكتاب أن يتتبع تطور دراسات صخور حقب الحياة القديمة بشكل خاص وجيولوجية المملكة العربية السعودية بشكل عام. ولعل أول دراسة جيولوجية موثقة في شبه الجزيرة العربية، هي الدراسة التي أعدها الرحالة والمستكشف البريطاني تشارلز داوتي أثناء تجواله في شمال شبه الجزيرة العربية ووسطها خلال الفترة ما بين مايو ١٨٧٥م وأغسطس ١٨٧٨م، عندما كانت المنطقة جزءًا من دولة الخلافة العثمانية؛ إذ وضع داوتي قطاعات جيولوجية وخريطة جيولوجية ملونة للمنطقة.

ومع أول امتياز للتنقيب عن البترول في المملكة حصلت عليه الشركة الشرقية والعامة المحدودة ممثلة بالميجور البريطاني فرانك هولمز في عام ١٩٢٣م، قامت الشركة بالتعاقد مع الجيولوجي السويسري المعروف أرنولد هايم لدراسة جيولوجية منطقة الامتياز في المنطقة الشرقية. لكن البداية الحقيقية والجادة لدراسة حقب الحياة القديمة وأسفل حقب الحياة المتوسطة بصورة خاصة، وجيولوجية المملكة بصورة عامة، لم تبدأ إلا عندما بدأت طلائع الجيولوجيين الأمريكيين التابعين لشركة بترول ستاندرد كاليفورنيا (سوكال) في قلب شبه الجزيرة العربية في الثلاثينيات من القرن العشرين. وفي عام ١٩٣٤م وصل الجيولوجيان بورتشفيل وهوفر إلى القصيم، ومن هناك وضعا أساس التتابع الطبقي لصخور حقب الحياة القديمة وأسفل حقب الحياة المتوسطة. ومنذ عام ١٩٣٤م والدراسات الجيولوجية لهذه الصخور تلقى المزيد من الاهتمام من قبل الباحثين لمعرفة خصائص هذه الصخور وتحديد أعمارها وعلاقاتها الطبقية وما تحتويه من ثروات طبيعية.

يعد هذا الكتاب من المراجع المهمة في مجاله، ويمكن أن يكون مفيدًا لجميع الجيولوجيين والباحثين عن البترول في المملكة، وجميع المهتمين بالدراسات الجيولوجية منذ عام ١٨٧٨م حتى عام ١٩٩١م. والكتاب ثمرة سنوات من البحث العلمي المتواصل للمؤلف الذي يقوم حاليًا بإعداد بعض الكتب الأخرى ذات العلاقة بهذا الكتاب، ومنها: كتاب «الدراسات الجيولوجية وتطور التسميات»، وكتاب عن المملكة العربية السعودية كمثال جيولوجي فريد. والكتاب الحالي يستحق القراءة من الباحثين والجيولوجيين في جميع جامعات المملكة ودول مجلس التعاون الخليجي.

من المكتبة السعودية





إبراهيم الناصر الحميدان

● الكتاب: سفينة الضياع (رواية).
● المؤلف: إبراهيم الناصر الحميدان.
● الناشر: نادي الطائف الأدبي.
● الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م.

بين أيدينا هذه الرواية التي كتبها الأستاذ إبراهيم الناصر منذ نحو ربع قرن بعنوان «سفينة الموتى» نقدمها اليوم بعنوان آخر اختاره لها صاحبها وهو «سفينة الضياع». وقد ذكر أن نسخ الطبعة الأولى احترقت باشتعال نار الحرب الأهلية في لبنان، وأضاف: «لهذا أبحث لنفسي طالما أن الرواية لم تصل إلى متناول القارئ، إلى استبدال اسمها ومازال القلب يتمزّق من نزيف الجراح التي لم تندمل واستغاثات النساء والأطفال» ص (٥) (مع اعتذارنا للقارئ عن مجاوزتين لغويتين في تلك الأسطر).

يريد الكاتب أن يوحي إلينا ـ عبثا ـ بأن ما بين أيدينا لنقدمه إنما هو رواية عن حرب، أو مع حسن الظن رواية درامية يحتدم فيها الصراع حول مبدأ ما، أو اغتصاب أرض، أو ثأر، أو ما شئنا من هذه الأيديولوجيات التي تُملى علينا باسم الواقعية، النقدية تارةً وباسم الواقعية الاشتراكية تارة أخرى، وربما باسم آخر يقبل بأن يجعل للنص الأدبي رسالة هادفة.

إلا أننا على أية حال نعجز عن أن نسلك «سفينة الضياع» تحت أيّ اصطلاح فنّي، بل لو استفتينا بعض نقاد الرواية العالميين من أمثال فورستر، ولابوك، وهنري جيمس، وإدوين موير، فإن عَجْزنَا سيظل ماثلاً، لأن إبراهيم الناصر لم يكتب بسفينته أية رواية تخضع لأيّ تصنيف ـ ربما لأنه كان يوم كتبها لا يزال يبحث عن طريق فني مناسب ـ وإنما كتب أو حاول بحلم أن يكتب الرواية الدرامية ـ وهي في نظرنا أكثر الأنواع القصصية جاذبية وكمالاً ـ بموضوع لا يرقي أساسا إلى مستوى أحداث المرحلة منذ ربع قرن، ومنذ سنة أو سنتين. ولو أنه كان على درجته اليوم من تفهُّم رسم الشخصيات ـ كنجيب محفوظ مثلاً ـ وتعميق الإحساس بالمكان عن طريق إبراز الحركة الزمنية ليمكننا من متابعة التطوّر ـ لا القفز على الأحداث ـ لكان لهذا العمل معنا شأن آخر!

ومع ذلك فَلْنُعْطِ للقارئ موجزا للسفينة ـ سواء كانت للموتى أو للضياع ـ علمًا بأن هذا الموجز سيخفي، للأسف الشديد، سَرْدَه الذي يأسر، وكذلك وَصْفَه الذي ينحاز به إلى أسلوب الطبيعيين. لكنه سيخفي أيضا، لحسن حظه، العثرات اللغوية التي كانت تعمل عملها في إفساد متعة متابعتنا. يقول: شرط أن تحملونني ص (٢٩)، وصحيحها شريطة أن تحملوني، البعض منهنّ يكونَّن ص (٣١)، وصحيحها يكنّ، وإحساسًا معينًا يجثم على صدري ـ والجملة ابتدائية ـ ص (٤٧)، والصحيح وإحساس، قد يكون بعض ما قلتيه حقًا ص (٤٩)، لا يميل إلى كلا الهوايتين ـ صحتها كلتا ـ ص (٥٥) هل مات أباك (١٢٩)، والصحيح أبوك.

في مستشفى كبير أقيم بصحراء خرشاء (نعرف في منتصف الرواية وصفه وكذلك موقعه القريب من الرياض القديمة) ويخيّل إليك أنك تراه حتى وإن كنت بعيدًا عنه بمئات الأميال! مع أنه ذو طابقين فقط. يعمل «عيسى» سكرتيرا لرئيس مكتب الدكتور المدير، وهو ـ أي عيسى ـ شاب طلعة متقد الفكر مثالي الأحلام، وقد تعوّد أن يجعل الخيال غذاء روحه والقمر سميره.

أما رئيسه السيد «نعمان عطاالله» العجوز فقد تزوج بباسمة الشابة الجميلة، وهو مصاب بمرض ما في قلبه ولا يعلم.

وزملاء العمل في المستشفى كُثُر، منهم جميل زاهر وقنديل شنان ومرزوق وحمزة وصالح وأحمد، لكن ربما كان أهمهم محمد أبو عتق عاقد حلقة «البلوت» بمساعدة سالم جندان في أوقات الفراغ.

كلّ هؤلاء يسكنون «العزبة» على مقربة من المستشفى، وثمة جناح خصص لمطعم الموظفين، وجناح آخر تسكنه الممرضات المغتربات اللائي جئن بحثًا عن المال أو الزواج أو هما معاً، سوى عبير التي جاءت حبا في الخير، والتي خططت ـ فيما يقرر عيسى ـ لتغزو حصنه المنيع!

إن المؤلف حريص جدا على تقديم تلك الشخصيات وإن كانت شاحبة، ويظل يتتبعهم برصد حركاتهم ـ طالما كان عيسى في المشهد ـ وبمللهم وعبثهم ونزقهم نحو الأنثى، ومرة أو مرتين للَعْنِهم لليهود.. في تسطُّح عجيب وبرود ينمّ على افتعال الكاتب التزاما اجتماعيا لهم، مع أنهم مسيّرون كَالبُهْم ويندفعون صباحا ـ وفيهم عيسى ـ إلى ممارسة عمل طول يوم مملّ لا يجندله سوى أسجاف الظلام.

وعلى هذا النحو تمر فصول الرواية.. بطيئة الإيقاع، ويتبيّن لنا بعد تدقيق أن ثمة دعوة إلى تكوين فرقة من الموظفين المنسيين في الصحراء لمزاولة النشاط الرياضي، وبعد ثلاثة فصول نتبين أن القضية قضية تدريب عسكري لمواجهة إسرائيل التي شنَّت حربا على العرب، ثم يختفي نهائيا موضوع الحرب كله قبل أن نصل إلى الفصل العاشر (الرواية ٢١ فصلاً).

وفي الوقت نفسه تكون العلاقة بين عيسى وعبير قد تعقدت ـ مع أن مسرحها كان بعيدا عن الأعين وتحت أستار الظلام ـ لكنها لم تعن قط أن زواجا سوف يعقد بين العاشقين، بل أعلن عيسى أنه يرفض فكرة الزواج أساسا. وهذا ما أوقع «عبير» في أزمة ألزمتها الفراش، واضطر عيسى إلى أن يزورها في غرفتها ليطمئن عليها ولتندّد بزيارته هذه المشبوهة إلهام صديقة عبير، ونتبيّن في عملية التنديد أن عبير مخطوبة في بلدها!

وبلا تمهيد أو أسباب واضحة يتألب عُمَّالُ النظافة بالمستشفى على شركتهم، ولما سئل عيسى

في هذا الصدد عن رأيه، أعلن أمام الجميع أنه بهواه مع العمال. وبعد زيارة لأسرة رئيسه الذي توفاه الله بذبحة صدرية استُدعي للتحقيق، وبسرعة خاطفة وُقِف عن عمله، وأعدَّ عُـدَّتَه للسفر، هربـا من سفينة الموتى. وبطبيعة الحال زارته عبير في وقت كـان يراجع فيه حياته كـلاّ بخواطر تنثال عليه انثيالا.

هنـا دقت عبير عليه البـاب ودخلت «هلّمي ادخلي.. ورغم أنني أخشى على سمعتك، إلا أن شجـاعتك تجلعني أقـدرك أكثـر من أي وقت مضى.. ثم مـا يدريني بـأنني سأراك مرة أخـرى» ص (١٥٧) بطبيعة الحال تبكي، ولكن ليس من طبيعة الحال أن يخوضا في الحديث عن المواقف المصيرية وخيانة المبادئ وضحايا الظلم والحقيقة والواجب، ثم ينظر إلى جيدها العاجي الأملس ويقول: «سأكافح يا عبير حتى تنتصر مبادئي» ويفترقان بعد أن يسمع منها «أتمنى لك حظاً سعيدًا يا حبيبي» ص (١٦١).

من ذلك الموجز نفهم أن الحميدان لم يكن يسعى بسفينته إلا ليحكي حكاية حب، غير أنه لم ينجح؛ لأن حكايته افتقدت عناصر الدراما الحقيقية، وازدحمت من جانب آخر بحواريات فكرية واجتماعية، وأحيانا بما يقع داخل البناء الأسطوري ــ هذا وصف المؤلف للمستشفى ــ من أنباء ومآسٍ.

وتلوح المرأة، سواء أكانت ممثلة في عبير أم في إلهام أم في ممرضات المستشفى ومرتادات «المقبرة» و«البطحاء» ــ يوم كانت ملقفا لمياه المجاري وأمطار الشتاء ــ، همَّ المؤلف وشغله الشاغل. وعندما يصف صورتها يتناول ـ بنزعته الطبيعية ـ قسماتها وبياض بشرتها المشرّبة بالحمرة وانسكاب شعرها وغنج صوتها إذا تحدثت، وإيقاع خطوها إذا مشت الهوينا وهي متلفعة بالسواد الزاهي الذي يضوع منه أزكى العطور ــ يقصد التي تسير في «الثميري» ـ والذي يخفي عنقها المتلع، ويجعل العينين السوداوين تشعان من وراء البرقع ببريق مدمّر. ولا بأس إذا تتبع المرأة بخياله إلى مخدعها، فيصف منامتها الحريرية وردية الألوان، كما يصف شعرها المنسدل على خديها إلى صدرها الناهد الذي يزيدها جمالاً.

إلا أن كل ذلك لم ينقذ السفينة من الغرق، ولم يعطه فرصة ولو ضئيلة ليجعلنا نقبل حوارياته ـ الأفلاطونية ـ التي كان يفترض أنها وسيلة مشروعة لأية شخصية من شخصياته كي تكشف عن أبعادها ودواخلها. إنما الذي حدث هو أنه ـ كمؤلف ـ جعلها أفواها كالأبواق تبوح بأفكاره هو وحده. وفي ظننا أنه لو كان استعاض عن ذلك وعمد إلى وصف شخصياته من الخارج، وداخل الحدث الذي تمثله متتبعا أفكارها ومشاعرها في حياد، لأصاب قدرا كبيرا من النجاح.

ونظل نشك، بعد هذا وبرغم هذا، أنه كان يستطيع أن يكتب رواية حب سياسية، أو حتى رواية حب فقط ـ أيّ حب ـ كما كتب «لامارتين» الفرنسي ــ مثلاً ــ «روفائيل»، وكما كتب «جوته» الألماني «آلام فيرتر»، بل حتى كما كتب «يوسف السباعي» العربي «بين الأطلال».





د. عدنان النحوي

● العنوان: ملحمة البوسنة والهرسك (الجريمة الكبرى).

● المؤلف: د. عدنان علي رضا النحوي.

● الناشر: دار النحوي للنشر والتوزيع.

استطاع المؤلف أن يجمع بين يديه تاريخا طويلا، حافلا بصفحات قد تكون غائبة عن العديد من المهتمين بتاريخ تلك البلاد الإسلامية التي يذبح فيها أهلها ويكتب اليتم على أطفالها والترمل على نسائها.

فقد احتوى الباب الأول الذي يحمل عنوانا هو (البوسنة والهرسك بين نور الإسلام وظلام أوروبا) سردًا مطولا عن البوسنة والهرسك. بدءاً بتعريف الجمهورية الاتحادية اليوغسلافية الفيدرالية ومرورًا بالجمهوريات المكونة لذلك الاتحاد، وانتهاء بالموضوع الذي لأجله كتب المؤلف صفحاته، وقد اشتمل الفصل الأول (أرض وتاريخ) التعريف بالبوسنة والتي حملت تلك التسمية، التي جاءت من نهر ينبع من أسفل جبل يدى «أجمان» ويسمى النهر «بوسنا» ويبلغ طول النهر (٣٠٣) كيلو مترات يمتد مجراه كله في البوسنة ويخرج منه عدة فروع، ثم يصب في نهر «سافا».

أما كلمة «الهرسك» فهي لقب للدوق الذي كان يحكم في القرن الخامس عشر الميلادي القسم الجنوبي من «البوسنة» اعتبارا من سنة ١٤٤٨م، حين أعلن «فوكتشتش» عن نفسه «هيرتسج» على جنوب البوسنة، وهيرتسج مأخوذة من الكلمة الألمانية «هيرتسوغ» وتعني الدوق.

والبوسنة والهرسك بلاد جبلية، تمتد فيها عشر سلاسل من الجبال، ويمتد ساحلها على شاطىء البحر الإدرياتيكي مسافة عشرين كيلو مترًا. وفي يوغسلافيا كلها (١٨٥٠) نهرا صغيرًا تصب في نهر الدانوب ثم في البحر الأسود، ولنهر الدانوب فروع كثيرة، وأهم الأنهار التي تمر في البوسنة والهرسك نهر «سافا» و«نيرتيفا».

«والبوسنة والهرسك» تحمل تاريخًا من خمسة قرون من الجهاد في سبيل الإسلام، لم يتوقف الصراع فيها، ولم تتوقف المجازر ولم يتوقف البذل والعطاء، ولم تتوقف الملاحم على أرضها، لترتبط من خلال ذلك كله مع دار الإسلام كلها.

يؤكد د. النحوي إن انطلاق الفتوح الإسلامية التي استقرت على مساحات واسعة من التاريخ البشري، لم يكن غزوا بالمعنى الذي يحمل السعي وراء المطامع في الثروات، ولا إشباعا لنزعات العدوان والظلم والطغيان.

فقد كانت الفتوحات الإسلامية عملا فريدًا في التاريخ البشري كله.

هكذا انطلقت الفتوحات، وهكذا مضت في تاريخ طويل، حتى بلغت الأندلس، ثم تحركت ليدخل النور إلى أوروبا.

وكانت انطلاقة الفتوحات إلى أوروبا في عهد السلطان أورخان ابن السلطان عثمان الغازي سنة ٧٥٠ هـ (١٣٤٩م) فقد وكل السلطان ابنه سليمان خان بذلك، فعبروا بحر مرمرة مع ثمانين بطلا على ألواح من الخشب وافتتحوا عددًا من المدن والقلاع الحصينة في بلاد اليونان وضموها إلى الحكم العثماني، وكان من أهم المدن ظنب وكليبولي.

وامتدت الفتوحات الإسلامية في بلاد البلقان في عهد السلطان مراد الأول بن أور خان الغازي (٧٦١ هـ ـ ٧٩١ هـ ـ ١٣٦٠م ـ ١٣٨٩م) امتدادًا قويا، فقد تم في عهده فتح مدن كثيرة، وكانت أهم الفتوحات مدينة «أدرنة» وهي تقع في منتصف تركيا الأوروبية، وتتابعت الفتوحات الإسلامية، فتم فتح عدة مدن.. إلا أن ملك الصرب لازار أخذ يجمع جيشا جديدًا مستعينا بأمراء ألبانيا والأرناؤوط، فهاجم مراد الأول ودارت معركة كبيرة حاسمة ما زالت أصداؤها تتردد حتى اليوم في أذهان الصرب.

ينتقل المؤلف في الفصل الثالث موضحًا تراجع الدولة العثمانية في أوروبا وبدء جريمة المشركين. حيث كان الخلاف قبيل الحرب العالمية الأولى في المصالح شديدًا بين الدول الأوروبية حول القضايا التي تهم البلقان بصفة عامة، وبخاصة بالنسبة للصرب والبوسنة والهرسك وكرواتيا. ولكل دولة «وقف خاص كما نرى الحالة اليوم ... هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد كان للصرب والكروات دائما أطماع في ثروات البوسنة والهرسك وأراضيها الغنية، ولكنهم كانوا يغلفون هذه الأطماع بغلاف النزعة العرقية أو النزعة الدينية، فمن الناحية العرقية كانوا كلهم من ذوي الأصول العرقية الواحدة. فلا مسوغ إذن للاقتتال، فهي دعوة باطلة، ومن الناحية الدينية لم يكن الصرب الأرثوذكس متبعين لتعاليم دينهم في شؤون حياتهم الاجتماعية أو السياسية أو الفكرية ولم يكن الكروات الكاثوليك أكثر تمسكا بدينهم، كانوا جميعهم يتبعون الأفكار الانحلالية ومبادئ عزل الدين عن الدولة والتصورات التي تسمى «علمانية» شأنهم في ذلك شأن الدول الأوروبية الأخرى.

وقد حملت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م - ١٩١٨م) مآسي مفجعة لمسلمي البوسنة والهرسك، حين استباح المجرمون المدن وحرقوا مساجدها ونهبوا ثرواتها وقتلوا أبناءها، وغدر الأرثوذكس بالمسلمين فصادروا الأراضي وملكوها للأرثوذكسيين، وقضوا على المدارس والكتاتيب، وكان في بلغراد مئات المساجد فلم يبق إلا قليل القليل، وحولوا بعضها إلى ميدان لسباق الخيل والمسرح المركزي، والبرلمان اليوغسلافي وقد ازدادت هجرة المسلمين بسبب الضغوط المستمرة في الثلاثينيات، وامتدت الهجرة حتى بلغ عدد المهاجرين خلال هذا القرن (٤) ملايين وخلال القرن الخامس عشر (٣) ملايين، فيكون المجموع (٧) ملايين مسلم. وفي بداية نوفمبر ١٩٢٤م، وقعت أبشع جرائم الإبادة في قرى «صاهوبتيش» و«بافينوبوليا» في مقاطعة «بيلو ايوليا» حيث ذبح رجال الجبل الأسود (٦٠٠ مسلم) في ليلة واحدة، كانت أجسام الرجال الأحياء تقطع والعيون تخرق، والأذان تقطع، وأجزاء من الجسم تفصل، والأجهزة الداخلية كالمعدة وغيرها تخرج وترسم علامة الصليب بالسكاكين على الأجسام، ثم يتبع ذلك الاحتفالات الحيوانية التي يقيمها المجرمون .. ومن الوسائل البشعة للتعذيب سلخ جلد الوجه والرأس والظهر للمرأة المسلمة إشارة من الصرب المجرمين إلى انتقامهم من حجاب المرأة المسلمة، وكذلك سلخ اليدين إشارة إلى انتقامهم من وضوء المسلم وغسل يديه عند كل وضوء.

وقد ذُبح المسلمون على ضفاف نهر «درينا» حتى يُظهر لهم المجرمون الصرب إنه لم يعد لهم جسور تربطهم بالمستقبل، فكان يلقى بهم أحياء في آبار طبيعية، ويضرب الأطفال الضعفاء على الصخور، ويذبح بعضهم ويلقى في الأنهار، أو تلقى الجثث دون دفن أشهرا عديدة. وينبشون قبور المسلمين ويزيلوها ... حرقوا الكتب ودمروا المكتبات وغيروا أسماء الشوارع.

وظلت العصبية النصرانية تنمو مع نمو الجريمة، وظلت أطماعهم بصربيا الكبرى تنمو وتتضخم، دون أن تجد من يخفف من غلوائها، لقد كان رجال الدين المسيحي يغذون اللهيب ويزيدون الوقود، وكان البابا في روما يجمع الحلف بعد الحلف ليحارب المسلمين حربا جنونية لا فسحةً فيها لعقل أو دعوة أو بحث عن الحق، أو تفكر وتدبير.

يقدم د. عدنان النحوي في الفصل السادس مقارنة من خلاله وقفة مع التاريخ الماضي ... فتجيء الأندلس ماثلة أمامنا وما حدث للعرب فيها يحدث في عصرنا الحاضر بكل انتهاك للمدنية وللحضارة في البوسنة والهرسك.

فلقد امتد حكم المسلمين في الأندلس قرونا طويلة، وامتد حكم المسلمين في الهند قرونا طويلة.

واليوم يقف المسلمون في الأراضي أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام، بعد أن أعطاهم الله كل أسباب القوة المادية .. فالخلل إذن في أنفسنا .. لم تقع هزيمة لنا في تاريخنا كله إلا بما كسبت أيدينا.

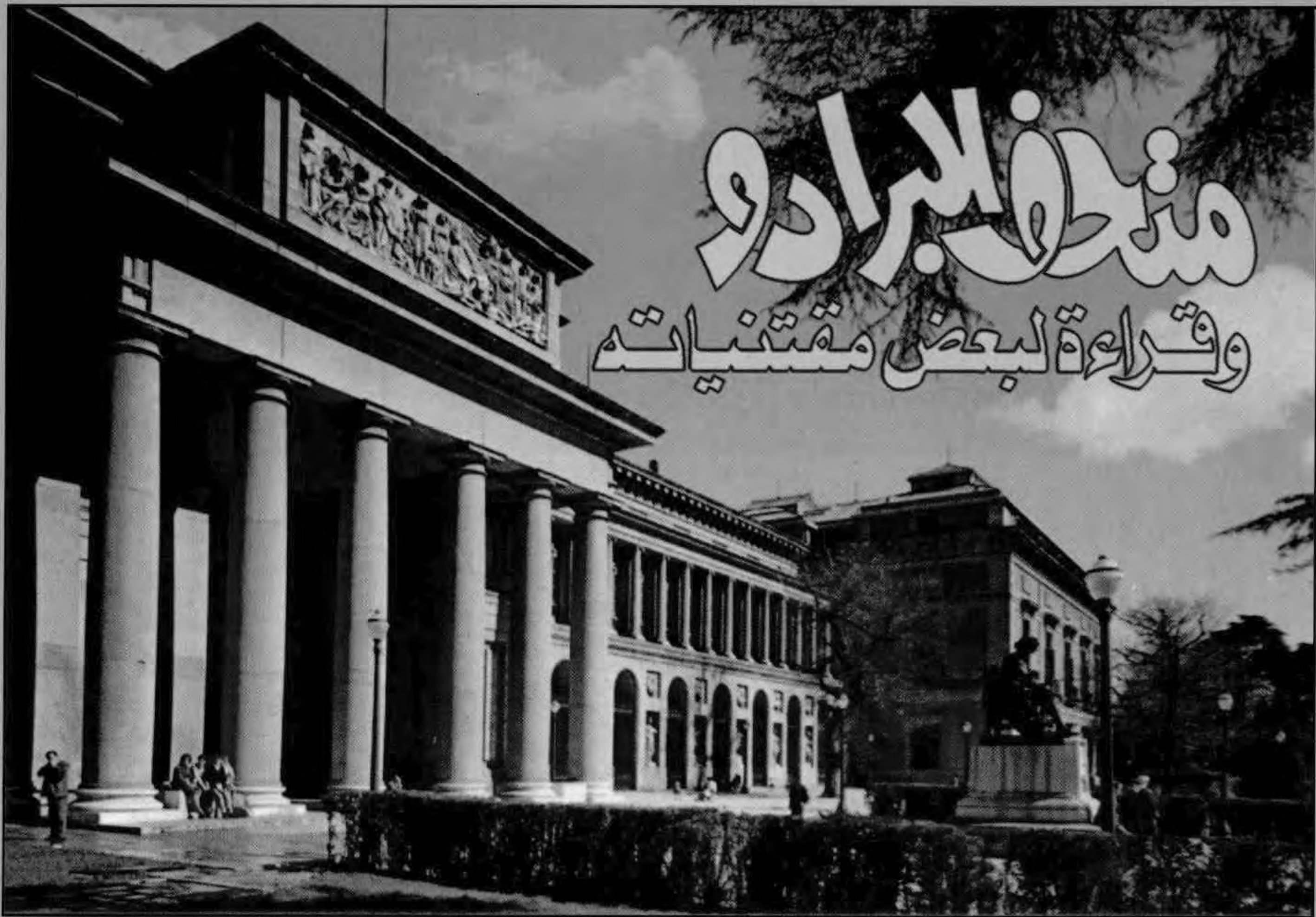
لقد بقي المسلمون في كرواتيا أربعين عاما فهل بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة وأرضوا الله بذلك.

وبقوا في صربيا ثلاثمائة سنة فلم تصبح صربيا كلها مسلمة قانتة لله؟

هل كان ذلك بسبب عناد أهلها وتعصبهم الأرثوذكسي فحسب، أم كان هنالك تقصير من جانب المسلمين كلهم في الأرض، لا من جانب العثمانيين وحدهم؟!

ويؤكد المؤلف أن الدعوة إلى الله ورسوله واجب أمة كاملة بمختلف أجهزتها ومؤسساتها، وهي واجب كل مسلم قادر على ذلك، وإذا كان عذر المسلمين أن الخلافات بينهم هي التي حالت دون نشاط الدعوة، فهل هذا العذر مقبول عند الله، أم أنه يضيف ذنبا إلى ذنب ..؟!

متحف البرادو
وقراءة لبعض مقتنياته





فؤاد أبو سعده

في نهاية القرن الثامن عشر، بُنِيَتْ على مرج «سان جيرونيم»، وسط العاصمة الإسبانية مدريد، (فيلاّ) كبيرة، أصبحت فيما بعد متحف البرادو. تحيط به الآن مجموعة من الأبنية والحدائق الجميلة، وتعود تسمية المتحف إلى معنى كلمة البرادو بالإسبانية: «المرج المعشوشب».

افتتح المتحف في القرن التاسع عشر، وكان يحتوي على مجموعات الملك «فرناندو السابع»، الذي تنازل عنها للمتحف.

و«البرادو» من أهم متاحف العالم في فن التصوير الكلاسيكي لما قبل القرن التاسع عشر، لاحتوائه على أهم المدارس الفنية من القرن الخامس عشر إلى القرن الثامن عشر، ولاحتوائه أيضا على أهم مجموعات الرسامين: جويا، فيلاسكيز، موريلو، وإلجريكو.

أقسام المتحف ومحتوياته

يتألف المتحف من طابقين، وكل طابق يتكون من أربعة أجزاء معمارية متصلة فيما بينها، بالإضافة إلى قاعة كبيرة تقع في وسط البناء، ووزعت الأعمال في قاعات المتحف المختلفة، حسب المدارس الفنية، أو حسب أهمية الفنانين. فمثلاً خصص جزء بكامله للفنان جويا، أما أعمال فيلاسكيز فعُرضت بالقاعة الكبيرة المركزية، واستُغلت القاعات الدائرية الكبيرة من أجل عرض نماذج نحتية رومانية.

المدرسة الفلامنكية

«يضم البرادو» مجموعة رائعة من التصوير الفلامنكي، حيث كانت تقوم علاقات تجارية قوية بين إسبانيا والبلاد المنخفضة، أدت إلى سهولة انتقال الأعمال الفنية إلى إسبانيا.

ومن أهم فناني هذه المدرسة:



بـــــوش BOSCH (١٤٥٠-١٥١٦م): لقد أبدع بوش في أجوائه السوريالية، وبدقته التفصيلية التي جذبت الزائر، فأطال الوقوف أمام أعماله، وبخاصة لوحته «حديقة اللذات» (١٩٥×٢٢٥سم) التي تتألف من ثلاثة أجزاء، تذكرنا بشباك مفتوح، يظهر فيها مخزونه الديني والنقدي الهجائي الموجه ضد فساد رجال الدين في العصور الوسطى.

لقد وظف تراث بلاده أحسن توظيف في تمثله للأمثال الشعبية وباستعماله للرموز، وله مزاياه الخاصة في التكوين إلى جانب امتيازه بالشفافية، والتصغيرية، ويستعمل المنظور كأنه يرى من قمة برج، لذا يرسم الأفق في أعلى اللوحة.

إلى جانب هذه اللوحة توجد مجموعة أخرى من الأعمال نذكر منها: «عربة القش»، «إغواء سان أنطونيو»، ولوحة رسمها فوق طاولة، وضعت وسط هذه القاعة.

بعد بوش يأتي الرسامان بروغل الابن، وبروغل العجوز:

بروغل الابن JAN BRUGHEL (١٥٦٨- ١٦٢٥م): توجد له عدة أعمال، تمتاز بتقنية عالية ودقة، بحيث يُعتبر أقرب إلى المنمنم، نظرًا لقدرته على تضمين عناصر عديدة في حيز محدود، إذ تبدو متعة بروغل الشاب في وصف عناصره بدقة ومهارة. من أعماله الجميلة لوحة رسم فيها قاعة جامع آثار فنية، إلى جانب لوحة بعنوان «احتفال شعبي».

بروغل العجوز: بيتربروغل P. BRUGHEL (١٥- ١٥٦٩م): قام برحلة إلى إيطاليا، إلاّ أنه لم يتأثر بأسلوب الفنانين الإيطاليين، بل اهتم قبل كل شيء بالتأثيرات الفلامنكية التقليدية، فغرف من الروح الشعبية، وأهم ما كان يريد الوصول إليه هو التركيب الكوني لعمله، فالطبيعة لديه محوَّرة، ومتحوِّلة.

توجد له في المتحف عدة أعمال، أهمها لوحة (انتصار الموت)، نفذها عام ١٥٦٢م، بقياس ١٦٢×١١٧سم، والعمل مستوحى من أدب العصور الوسطى، إذ يظهر في اللوحة منظر بحري لخليج نابولي، كان قد شاهده الرسام، ومنه إلى الأسفل تظهر مشاهد الخراب والمعارك، وفي الأفق مشاهد الحرائق، أمّا وسط اللوحة وأسفلها فنرى المظاهر المحزنة للاشتباك بين البشر والموت.

بعد قاعة بوش وبروغل، نمر عبر بهو دائري للوصول إلى الأعمال الفلامنكية والإسبانية الموجودة بقاعات موزعة بين الطابقين الأدنى والأعلى. هكذا تبدأ أعمال الرسام **فان ديك** (١٥٩٩-١٦٤١م)، بلوحته «ديانا تبتهل»، والرسام **جان فان إيك** JAN VAN



لوحة «الغزّالات» لفيلاسكيز (٢٨٩×٢٢٠سم)، صوّر فيها مشهداً للعمل في مصنع صغير للسجاد. في هذه اللوحة مجموعة من العاملات، يعملن ومظاهر الكآبة تعكسها وجوههن، فالعين تنتقل بين المرأة الجالسة تلتقط الصوف، وهي في موقع الظل الخفيف، وبين التي تشدّه، والتي تلفه على الدولاب، ورغم هذا نحسّ بالسرعة في العمل يبيّنها لنا الدولاب الذي يدور بسرعة، بحيث لا نرى قُطره.

إن براعة فيلاسكيز هي التي وجهت أنظارنا إلى تركيب التكوين، وتوزيع الضوء الغامق والفاتح، فالعاملة إلى اليمين(في اللوحة) أكثر إضاءة من العاملة إلى يسار اللوحة، وترك الرسام العاملة في عمق اللوحة بضوء هو شبه ظل.

لقد تحكم فيلاسكيز بوعي كبير بعين المشاهد، لنلاحظ مثلاً:علاقة البقعة الدائرية في أعلى اللوحة بالدولاب الدائري الشكل، ونلاحظ ميلان العاملة الجالسة إلى اليمين وانحناءة المرأة الواقفة، وهي تطل على المرأة العاملة، كأنها قادمة من خارج اللوحة لترى محتواها، فكل هذا التنوع الخطي واللوني هو الذي أعطى اللوحة جمالاً لا يضاهى.

EYCK (١٦٢٦ - ؟) ولوحته «نافورة غراسيا» (الغفران). له مجموعة من الأعمال أهمها «انقلاب العربة».

جوردانس JORDANS (١٥٩٣ - ١٦٧٨م): قضى حياته في بلده الأصلي. تعاون مع روبنز وتأثر به، وبعد وفاة روبنز طُلب منه إكمال أعماله التي كان قد بدأها. من أعماله لوحة «ثلاثة موسيقيين جوالين»، تظهر في هذه اللوحة ملامح التجديد، وهو ما يذكرنا بطريقة فان جوخ في استعمال عجينة اللون وإظهار حيوية اللمسة الحادة القصيرة والمتقاطعة.

في القاعة الرئيسية من المتحف وضعت أعمال عدد من الفنانين منهم باتينير و روبنز. ويمكن ملاحظة توزيع النحت في هذه القاعة، إذ وضع تمثال بين اللوحة والأخرى من التماثيل الرومانية، مثل تمثال «هرمز»، وتمثال «فينوس» وتمثال «باخوس» ... إلخ.

باتينير PTINIR (١٤٨٠ - ١٥٢٤م): له عدد قليل من اللوحات.

روبنز PETER PAUL RUBENS (١٥٧٧ - ١٦٤٠م): تلقى تكوينه الفني في أمبرس، ثم سافر إلى إيطاليا، حيث أقام سنوات عديدة، وبعودته إلى أمبرس عين رسامًا لدى حكامها، كما كُلف بمهمات سياسية صعبة كوسيط بين إسبانيا وإنجلترا من أجل السلام، وعرف في معظم أوروبا كرسام نال نجاحًا كبيرًا.

رسم وصور عن الفنانين الكبار، وعكس معرفة عميقة بموضوعاتهم كافة، وفي إيطاليا اكتسب معرفة التصوير البطولي للوجه الإنساني، واستوعب مجمل القضايا المطروحة. لقد تمسك بالحقيقة والوضوح في إبراز الجسم الإنساني، بالحركة والقوة واللمسة العريضة، والتكوين المتين.

وروبنز فنان غزير الإنتاج، تعامل مع كل أنواع الرسم التاريخي، والديني والميثولوجي، والرمزي، والمناظر، والوجوه.

لقد خُصصت أكثر من قاعة لأعماله العديدة، ذات الحجوم الكبيرة، والموضوعات المتنوعة. ومما يلفت النظر تناوله لموضوعات الصراع، وبخاصة الصراع بين رجال يختطفون نسوة، وآخرين يحاولون إنقاذهن، واختطاف نساء من قِبَل رجال متوحشين بأقدام ماعز، إلى جانب أعماله التي صور فيها الخيّالة، «فيليب الثاني» يمتطي حصانا، ثم لوحة لفارس «دوق يرما».

المدرسة الإسبانية

تحتل حيزًا كبيرًا في المتحف، وتضم أشهر فناني إسبانيا من أمثال: فيلاسكيز، موريلو، إلجريكو، وجويا. والزائر يكتشف صورة شاملة لتاريخ التصوير الإسباني.

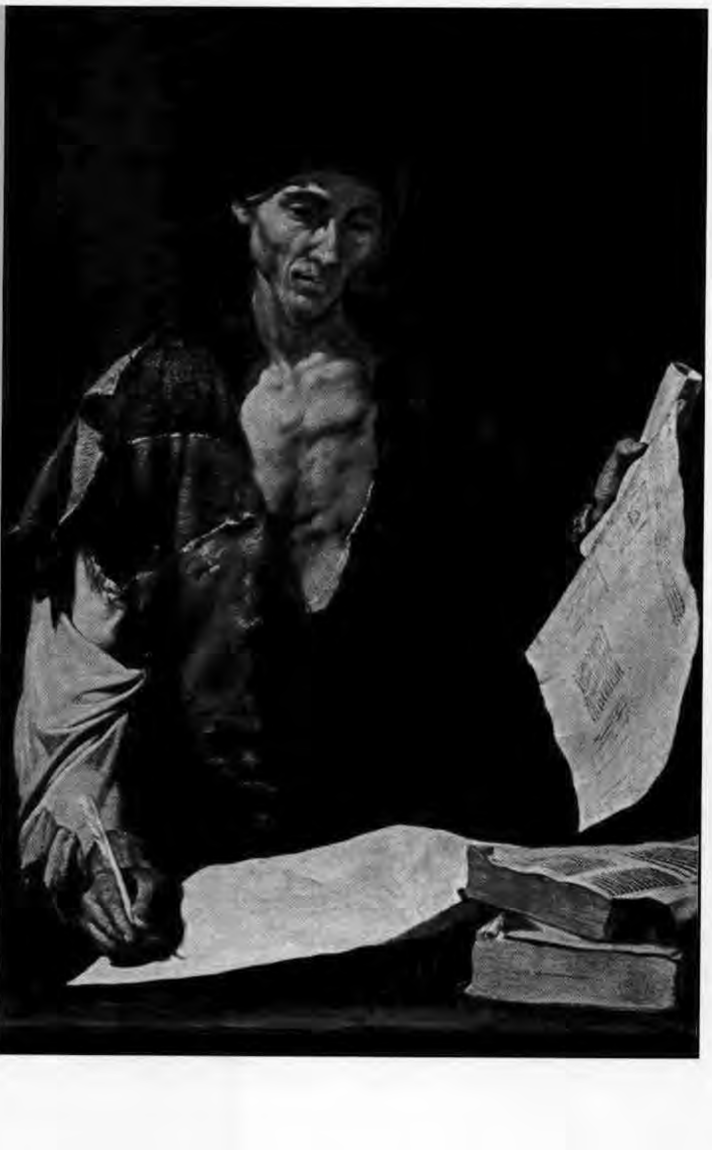
زورباران FRANCISCO De ZURBARAN (١٥٩٨ - ١٦٦٤م): له مجموعة من الأعمال، أهمها لوحة «الدفاع عن قادش»، ولوحة رؤية «سان بيدرو»، ولوحة «صراع هرقل مع التنين»، إلى جانب مجموعة من لوحات الطبيعة الصامتة.

ألونسو كانو ALONSO CANO (١٦٠١ - ١٦٦٧م): من الشخصيات الأكثر جاذبية في الفن الإسباني، نظرًا لتعدد مواهبه، إذ كان نحاتًا، ومصورًا، ومهندسًا معماريًا. له عدة أعمال دينية.

كلاوديو كويو CLAUDIO COELLO (١٦٤٩ - ١٦٩٣م): له عدة أعمال.

ماينو BATISTA MAINO (١٥٨١ - ١٦٤٩م): درس في إيطاليا صغيرًا، ثم كشفت أعماله عن تأثره القوي بأعمال الفنانين الإيطاليين من أمثال كرّاسي، وكرافاجيو.

ريبيرا RIBERA (١٥٩١ - ١٦٥٢م): توجد في المتحف قاعة كبيرة تضم أعماله، منها لوحة «القديس سان جوان»، أما لوحة «أرخميدس» (٨١×١٢٥سم) فهي من الأعمال التي صوّر فيها شخصًا واحدًا بمعزل عن



لوحة «أرخميدس» (٨١×١٢٥سم) للرسام ريبيرا، من المدرسة الإسبانية، حيث يعتمد فيها على الحركة - حركة اليد -، وعلى اللون - لون الورق -، لإظهار التضاد اللوني. والملاحظ أنه يركز في أعماله على بؤرة واحدة، ويلخص كي يصل إلى هذا الصفاء.



من لوحات جويا الجميلة، في المرحلة البهيجة، لوحة «الشمسية» (١٥٢×١٠٤سم)، نلاحظ فيها انتشار الضوء وتخلله عبر الشمسية إلى الوجه المليء بالحساسية والرقة، فيلقي على اللوحة عذوبة وجمالاً.

الطبيعة.

الجريكو EL GRECO: واسمه درمينكوس تيوتوكوبولوس (١٥٤٠ - ١٦١٤م)، من أصل يوناني من مدينة «كانديا» اليونانية، وينادى بـ «جريكو». زار إيطاليا - فينيسيا - منذ صباه، وتعرف على تيسيانو، لكن أسباب مجيئه إلى إسبانيا مجهولة، ومن الممكن أن تكون بسبب مرض الطاعون الذي أهلك مدينة فينيسيا عام ١٥٧٦م، أو يكون بسبب رغبته في العمل بالإسكوريال، القصر الملكي القديم الذي يقع في ضواحي مدريد، وقد حُوِّلَ إلى متحف.

في فينيسيا نافس كبار الرسامين، مثل: تينتوريتو، فيرونيز، وعلى إثر قضاء فترة قصيرة في مدريد أقام إلجريكو في طليطلة بشكل نهائي.

رسم لوحات دينية للقساوسة والأديرة حتى مماته، ويمتاز أسلوبه بالخصوصية، والتفرد، وكان يعتقد أنه يهذي، أو أن رؤيته ناقصة.

اشتهر إلجريكو برسوم أشخاصه العمودية، الرشيقة، المتطاولة، «الممطوطة»، وقد أعطى مفهومًا جديدًا لمادة التصوير، إذ أوحى بلامادية الجسد، بصوفيَّته، في الوقت الذي كانت أوروبا غارقة في موجة التصوير المثالي للشخص، ولا ننسى هنا ما كان لهذا الفنان من تأثير على الفن الحديث مثل سيزان (١٨٣٩ - ١٩٠٣) الفرنسي الذي يعد أب الفن الحديث لاكتشافه «الأسلوب التكعيبي».

موريلّو MURILLO (١٦١٨ - ١٦٨٢م): كان موريلّو شخصية محببة، فعاش حياة هادئة في مدينة أشبيلية، وكانت أعماله تحمل دائمًا مشاعر فائقة من البهجة والسرور للمشاهد، ذهب إلى مدريد يوم كان فيلاسكيز في قمة إبداعه وشهرته عام ١٦٥٨م، وأثر ذلك فيه تأثيرًا عميقًا.

أحدث موريلّو انعطافًا جديدًا في الفن الإسباني، فهو لم يعتمد على حجم العمل الكبير، بل على النعومة في مظهر العمل، شكلاً ومضمونًا، مع استعمال تقنية لونية أساسها الضوء واللون.

فيلاسكيز وتأثر بيكاسّو به

فيلاسكيز VELAZQUEZ (١٥٩٩ - ١٦٦٠م): لقد أحدث فيلاسكيز ثورة حقيقية في تاريخ الفن الأوروبي، وفتح طريقًا جديدة على رؤيته، فأكد، بعمق، على قيمة التصوير في ذاته محولاً إياه إلى فن بصري.

شرع فيلاسكيز في التصوير الواقعي باستعمال النماذج الدقيقة، المعدة باستعمال الضوء العنيف، والمتضاد لتكوين الأشكال بصلابة نحتية، موزعًا الضوء في مستويات متناوبة، بعد أن يكون قد شَكَّلَ وحدة العناصر، من أشخاص وأرضية للوصول إلى التركيب الكامل بصريًا.

يحتوي «البرادو» على خمسين لوحة من أعماله، تحتل حيزًا كبيرًا من المتحف، وهي موزعة بين الطابقين الأدنى والأعلى.

من لوحاته لوحة «الغزّالات»، ولوحة «عائلة الملك فيليب الرابع» التي كانت مصدر إلهام وكشف للفنان الشهير بابلوبيكاسو، إذ رسمه وأعاد صياغته بأسلوب تكعيبي مبسط، مستعملاً تقنيات عديدة، ومحولاً قيمه اللونية إلى قيم رمادية، سوداء وبيضاء، وأحيانًا مستعملاً الألوان.

في الطابق الأعلى وجزء من الطابق الأدنى من متحف البرادو، وُزِّعت أعمال الفنان الشهير جويا، التي تتجاوز المئة لوحة. وهو آخر فنان من المدرسة الإسبانية.

جويا FRANCISCO De GOYA (١٧٤٦ - ١٨٢٨م):

أدهش هذا الرسام الناس بأعماله لتنوعها، ولاستقلالية إبداعه، بحيث لايمكن تصنيف أعماله ضمن اتجاه فني محدد.

درس الفن في إيطاليا، وبعد عودته إلى إسبانيا بدأ برسم وجوه النبلاء، ونفذ أعمالاً جميلة تمثل مرحلته البهيجة والمفرحة من حياته الفنية، إذ مزج فيها الظرف مع اللذة الفلسفية.

بدأ نضجه الفني باحتكاكه بأجواء الفن، حيث تشكلت عنده النزعة النقدية التي التقطها من المشكلات المؤثرة في مجتمعه، لهذا هاجم الرذيلة المنتشرة والأباطيل، ومظاهر الغرور ومجمل العيوب التي كان يلمسها. وبعد عام ١٧٩٩م بلغ جويا غاية نضجه، فقد رفض الكلاسيكية المحدثة، وأعلن أنه لن ينهل إلاّ من منابع الباروك (رمبرانت ، فيلاسكيز).

لقد كان اللون والضوء من اهتماماته المركزية، وكان ملتصقًا بالحقيقة، باحثًا عنها بشكل جعله دائم التبدّل، متجهًا شيئًا فشيئًا إلى التعبيرية، ليلتقط الحقيقة بسرعة وبشكل مباشر ليضمنها أعماله، ثم توج كل هذا بمرحلته السوداء التي لفّها عالم من السوداوية، مثّل فيها عالمًا من السَحَرَة، تغلب عليها أجواء تعبيرية، يلعب فيها اللون الأسود دورًا أساسيًا، إلى جانب ظهور ميله القوي إلى تشويه الأشكال، كل ذلك بشكل يوافق عالمه الداخلي، الباحث عن الجديد.

المدرسة الإيطالية

كانت اللوحات الإيطالية تُحمل إلى إسبانيا من قبل الملوك والحاشية، وتقدم كهدايا، أو تُشترى، من ذلك شراء الملك فيليب الرابع لوحات لرفائيل، تعتبر الآن كنز المتحف، كما يضم المتحف عددًا كبيرًا من أعمال الفنانين الإيطاليين سنذكر من أهمهم:

بونتي PONTY (١٥١٥- ١٥٩٢م): من أعماله المهمة لوحة «مركب نوح» ٢٦٥×٢٠٧سم.

باروسي BAROCCI (١٥٣٥ - ١٦١٢م): له عدة أعمال مشهورة.

بوتشيلي BOTTICELLI (١٤٤٥ - ١٥١٠م): له لوحة كبيرة بثلاثة أجزاء، كل جزء بقياس ١٠٤×٨٢سم، تحكي حكاية أسطورية عن انتقام فارس من محبوبته التي ازدرته، فطاردها

مطاردة جنونية على حصانه، وهي تفر مذعورة، ثم قتلها.

كرافاجايو CARAVAGGIO (١٥٧٣ - ١٦١٠): له عمل وحيد بعنوان «ينتصر على جوليات».

كرّاسي CARRACCI (١٥٦٠- ١٦٠٩م): من أجمل أعماله لوحة تجمع فينوس وأدونيس وكيوبيدو، تحكي حكاية فينوس التي أصابها سهم كيوبيدو لحظة افتتانها بأدونيس القنّاص، واللوحة بقياس ٢٦٨×٢١٢سم.

جيورجيوني GIORGIONE (١٤٧٧ - ١٥١٠م): من عباقرة عصر النهضة الإيطالية، اشتهر بجمال العلاقات اللونية في أعماله، إلى جانب اهتمامه بإبراز علاقة الإنسان بالطبيعة، له عمل وحيد في المتحف بعنوان «العذراء والطفل» ١٨٣×٩٢سم.

ليوناردو دافنشي LEONARDO DAVINCI: توجد في المتحف لوحة الموناليزا - وهي نسخة عن الموناليزا الأصلية الموجودة في متحف اللوفر- والنقاد حائرون في اعتبارها إسبانية أو فلامنكية. ظهر الاختلاف عن الأصل، بحذف المنظر خلف الموناليزا، واستُبدل بلون غامق.

ميكيل أنجلو MIGUEL ANGEL (١٤٧٥ - ١٥٦٤م): يوجد له عمل وحيد، نُسب، لفترة، إلى ميكيل أنجلو، لكن النقاد يعتقدون أنه من عمل أحد تلامذته المتأثرين به.

رفائيل سانشيو RAFAEL (١٤٨٣ - ١٥٢٠م): أحد عباقرة عصر النهضة الإيطالية، امتاز برسم الضوء الرقيق وبأفكاره المثالية الرقيقة للموديل الأنثوي، ورغم وفاته مبكرًا إلا أنه ترك أثرًا لا يضاهى في تاريخ الفن العالمي.

تيبولو جيام باتيستا TIPOLO. G. BATLISTA (١٦٩٦- ١٧٧٠م): له مجموعة كبيرة من الأعمال.

تينتوريتو TINTORETTO (١٥١٨- ١٥٩٤م): يتمتع بشخصية متميزة في الفن الفينيسي، وتعود ميزاته اللونية لتأثره المبكر بميكيل أنجلو، له مجموعة كبيرة من الأعمال في البرادو، منها «الفارس ذو السلسلة الذهبية».

تيسيانو TIZIANO (١٤٩٠ - ١٥٧٦م): له أعمال عديدة تحتل عدة قاعات في المتحف، وتشغل جزءًا كبيرًا من الطابق الأعلى، بحجومها الكبيرة وعددها الذي يقارب الأربعين عملاً، صور في معظمها لوحات دينية وموضوعات أخرى كرسم الأشخاص (البورتريه). من أهم أعماله «فينوس تلهو بسماع الموسيقى»، ولوحة «ديانا تتلقى المطر» وهي موضوعات تفيض بالجمال لتنوع عناصرها وقوة تركيبها، ولاستعماله «للهارموني» بحساسية شديدة، والتناقض، بشكل أظهر خصوصيات تيسيانو الجمالية.

تأثر بجيورجيوني، إذ أخذ منه التقنية اللونية، والعذوبة، وطريقة وضع الظلال، وتدرجاتها، وأضاف خطوات جديدة نحو التجديد.

واللون الأحمر في أعماله، وبخاصة في رسم الأشخاص، أعطى لها رفعة وأوحى بعراقة أصولهم. لقد أثّر في الفن من بعده، فأثّر في روبنز، وفي فن «الباروك» الإيطالي.

فيرونيز VERONES (١٥٢٨ - ١٥٨٨م): طور أعماله ذات الطابع التزييني في القصور والكنائس، ونال



لوحة جويا «الثالث من أيار في مدريد» (٣٤٥×٢٦٦سم)، التي نفذها عام ١٨١٤م، هي من المرحلة التي رسم فيها موضوعات الحياة الأليمة التي عاناها الشعب الإسباني، وعبّر عن مآسيه.

لقد نفّذ الجنود حكم الإعدام في منطقة جبلية، ونرى المدينة في العمق كأنها تشهد هذا الحدث المأساوي، والمشهد الرئيسي والمباشر مثير ومليء بالمعاني، موقف أحد المحكوم عليهم رافعًا يديه يستقبل الموت بشجاعة، نلاحظ في اللوحة اختيار جويا ألوانا مفرحة في لباسه بشكل أوجد قوة جذب مركزية للعين بين المصباح المكعب، والمحكوم عليه وكأنه مصدر نور ثان، وأمكننا هكذا رؤية تعابير الوجوه الأخرى بوضوح. على النقيض من هذا يأتي الجانب الآخر من اللوحة ليختلف معنىً وشكلاً، إذ يستعد الجنود بكل قسوة لتنفيذ الحكم، باستقامة البنادق الأفقية، والحركة شبه العمودية للجنود، وليناقض تمامًا كل حركات الأشخاص الأخرى، كل هذا التنوع الخطي واللوني أوجد حس الجمال، ونقل إلينا رسالة الفنان في تمجيد البطولة.

نجاحًا وشهرة بأسلوبه المتميز بإظهار الزخارف، ولمعان الألبسة الحريرية، والدروع، في موضوعاته المترفة، المكونة بأسلوب مسرحي لأعماله التاريخية، والأسطورية، والرمزية، وأظهر براعة كبيرة في إظهار الضوء، وذبذبته في أجواء أعماله. له مجموعة من اللوحات أهمها لوحة «فينوس وأدونيس» قياس ١٩١×٢١٢سم.

المدرسة الفرنسية

تكونت مجموعة الأعمال الخاصة بالمدرسة الفرنسية في «البرادو» تبعًا لرغبة الملوك، وبسبب قيام السلم مع فرنسا في القرن السابع عشر، حيث نشأت تحالفات وعلاقات عائلية بين العائلات المالكة.

بوسان POUSSIN (١٥٩٤ - ١٦٦٥م): الأكثر أهمية في المدرسة الفرنسية، تأثر تأثرًا قويًا بالتصوير الإيطالي، ويتمتع بتكوين كلاسيكي صاف، يعود بأصوله إلى رفائيل، إلى جانب مزاياه التعبيرية، وتوتره الدراماتيكي ومعرفته العميقة بفنون العصور السابقة. له في المتحف مجموعة كبيرة من الأعمال منها لوحة «عيد باخوس» قياس ١٦٩×١٢٢سم.

واطو WATTEAU (١٦٨٤ - ١٧٢١م): رسم موضوعات النبلاء، وامتاز بموضوعاته الغزلية، ومشاهده المسرحية والاحتفالات الريفية، متضمنة مناظر ناعمة ذات أجواء ضبابية. انتشر تصوير واطو، ونال نجاحًا بعد موته المبكر. من أهم أعماله لوحة «عقد قران» و«رقص ريفي».

المدرسة الهولندية

تحتوي على مجموعة محدودة من الأعمال، من أهم فناني هذه المدرسة:

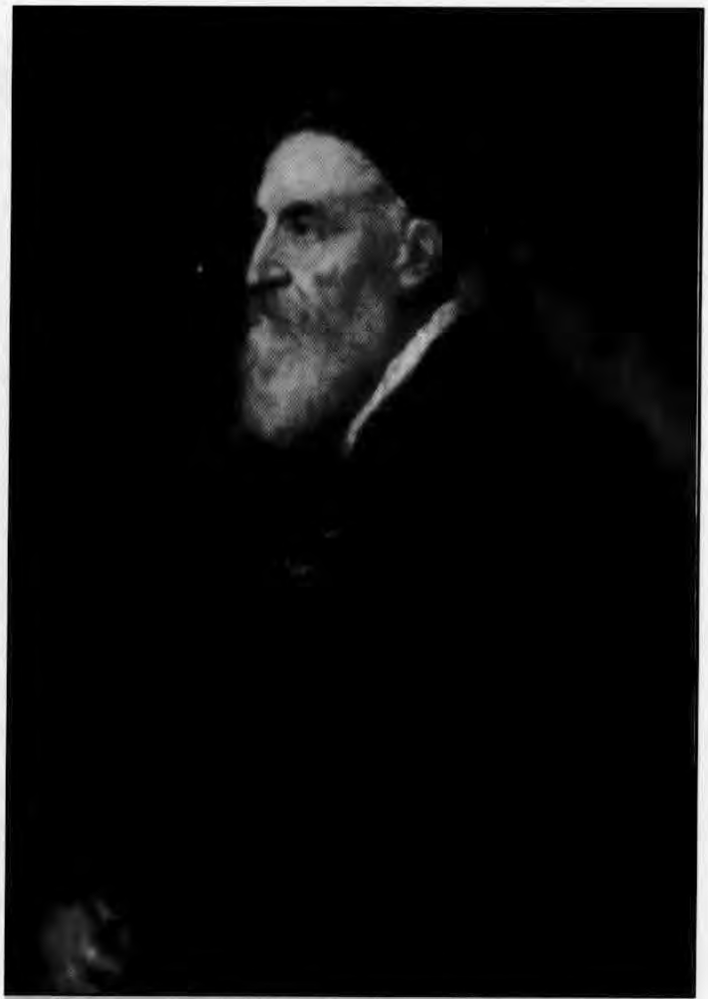
أوستاد OSTADE (١٦١٠ - ١٦٨٤م): امتاز بالأعمال التي تبرز جوانب من حياة الشعب. من أعماله لوحة «جوق ريفي».

رمبرانت REMBRANDT (١٦٠٦ - ١٦٦٩م): ولد في عائلة من وسط ريفي، وكان التصوير همّه، مما اضطر والده للقبول بمتابعة دراسته للفن، وهكذا رحل إلى أمستردام حيث تعلم هناك مع بيرلاستمان طريقة رسم الضوء الخاص، وتنفيذ الأضواء القوية المختلفة، بالألوان الغامقة المتنوعة القيم والدرجات، بعدها بدأ نشاطًا مستقلاً، إذ استقر نهائيًا في أمستردام عام ١٦٣٢م، واختط أسلوبًا بعيدًا عن كل ما حوله، ليبدع بعدها مجموعة لوحاته (وجوه رمبرانت) بتأملاته الفلسفية، إلى جانب أعماله المرسومة داخل منازل معتمة مغبّرة تحيطها الأسرار، إذ يفاجئنا دخول شعاع ذهبي من الضوء يغرق المشهد، وينقلنا إلى أجواء روحية كأن الضوء يصدر عن الأشخاص. وإلى جانب دقة التنفيذ لديه يستعمل ملمسًا عريضًا للفرشاة، وينفذ أعماله باندفاع وطاقة واضحين، ويتمتع بغنىً لوني مع استعماله الألوان المذهبة والحارة.

بدأ يظهر الحزن والعتمة في أعماله معبرًا عن حياته الشخصية، بعد موت



لوحة «ارتيميسا» للرسام الشهير رمبرانت (١٥٣×١٤٢سم)، وهي مؤرخة بالعام ١٦٣٤م، وهو العمل الوحيد الموجود في المتحف والمؤكد أنها بريشة رمبرانت.
هنا يصور أرتيميسا قبل أن تشرب الكأس المسموم، وفاءً لزوجها المتوفى، وحتى لا تقع في يد غيره. لقد صورها بوقار، وأعطاها مظهرًا مهيبًا، بتلاعبه بتأثيرات الضوء، وبأسرار العتمة الموشاة بالظل الخفيف الذي يرسم وجه عجوز يطل من عمق اللوحة المعتم، وهي تنظر بعدم اكتراث للمشهد.



لوحة لتيسيانو، وهو من المدرسة الإيطالية، عبارة عن صورة الرسام بريشته.



صورة شخصية للرسام دورر بريشته، وهو من المدرسة الألمانية.

كل من زوجته ساسكيا وابنه، ومات بعدهما بوقت قصير حزنًا وكآبة، معزولاً وغير مفهوم وفي أقسى ظروف البؤس. من أهم أعماله لوحة «ارتيميسا».

المدرسة الألمانية

لم يكن لهذه المدرسة تمثيل كبير في «البرادو»، لذا اقتصرت على عدد محدود من الفنانين، نذكر منهم الرسام ألبرتو دورر، والرسام أنطونيو منجز. وهذه الأعمال جاءت هدايا للملك فيليب الرابع، في القرن السابع عشر.

دورر DURERO (١٤٧١ - ١٥٢٨م): درس في إيطاليا عام ١٤٩٤م، وبحث أسباب النهضة الإيطالية في التصوير، متعمقًا في موضوعات التصور العميق للفراغ، والانسجام الرياضي للتكوينات، والبحث الجمالي المثالي، وبعد عودته إلى «نورنبرغ» مسقط رأسه، بدأ برسم النسبة الدقيقة للجسم البشري، واستعمل اللون بطريقة توحي بالشفافية البللورية في رسم الجسم الإنساني.

رفائيل منجز RAFAEL MENGS (١٧٢٨ - ١٧٧٩م): بعد منتصف القرن الثامن عشر جاء الرسام رفائيل منجز، الذي استدعي من قبل الملك كارلوس الثالث، إلى إسبانيا من أجل عمل «ديكور» لقاعات القصر الملكي. له عدد من الأعمال الجميلة في المتحف، من أهمها وأروعها لوحة «سجود الرعاة»، ومقاسها ١٩١×٢٥٨سم.

خاتمة

لاشك في أن ما يحتويه متحف البرادو، من آثار الفن لمختلف العصور، يعتبر شاهدًا على تَمَثُّل الفنان لمعطيات الحضارة الأوروبية التي اعتمدت على مفاهيم فلسفية، ومنطلقات فكرية، ودينية معروفة، تمجد الإنسان. لهذا أخذ الجسم البشري جُلَّ اهتمام الفنانين، فأبدعوا في إظهاره، عدا أشكال التعبير المختلفة التي حملها.

ومنذ بداية الفن الحديث بدأت تتشكل مفاهيم جديدة، تعطي القيمة لفنون أخرى، لها منطلقات فكرية وفلسفية مختلفة، لهذا بدأ الفن الإسلامي، والإغريقي، وفنون الشرق الأقصى عامة، تأخذ أهمية متزايدة ، خصوصًا بعد اعتماد الفنان لهذه الفنون، وتأثره بها، مما أدى إلى إعطاء أبعاد جديدة للفن العالمي الحديث.

لقد ضاق متحف «البرادو» رغم كبر حجمه عن استيعاب المقتنيات الموجودة، لهذا فقد أُلحق به ملحق خاص بالفن في القرن التاسع عشر، وملحق آخر خاص بلوحة «الجورنيكا» للفنان بيكاسو، والملحقان موجودان بشكل منفصل عن «البرادو» المركزي.

مأساة انقراض الأنواع الحيّة

م. درويش إبراهيم يوسف

يُعَدُّ انقراض أنواع عديدة من الحيوانات والنباتات، وتزايد معدلاته سنويًا، ظاهرة محيرة للعلماء، إذ إن هذه الظاهرة يصاحبها غالبًا خلل في التوازن البيئي، مما دفع إلى دراسات وبحوث تتناول هذه الظاهرة وتحلل مسبباتها ونتائجها.



شباك الصيد: تهديد رئيسي للحياة البحرية

ووفقا لجهود العلماء في هذا المجال فإنه يرجح أن نسبة الانقراض تقارب عشرة أنواع كل سنة، بينما توضح إحصاءات قسم المعلومات العامة في الأمم المتحدة أن النسبة أعلى من ذلك بكثير، ففي تقديره أنها تصل إلى مئات الأنواع، إن لم تكن آلافا، وتستند هذه التقديرات إلى إحصاءات أجريت على مدى سنوات مختلفة. ففي العام ١٩٧٠م قُدِّر أن نوعًا واحدًا ينقرض كل يوم، بينما تشير تقديرات العام ١٩٩٠م أن النسبة تصل إلى نوع واحد كل ساعة، أما في العام ١٩٩٢م فكان التقدير يوضح أن نوعًا واحدًا ينقرض كل ١٢دقيقة!

يعبر المدير التنفيذي لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، الدكتور مصطفى طُلبة، عن هذه المأساة بقوله: «لو كان تشارلز دارون حيا اليوم، لكان عمله سيتركز على الأرجح على نعي الأنواع بدلاً من البحث في أصلها». وتؤكد الدراسات أن الإنسان بيده المخربة أدى الدور الأكبر في هذه المأساة.

أسباب الانقراض

قطع الغابات: تحتل الغابات المطيرة ٦٪ فقط من مساحة الأرض اليابسة. لكنها تحوي ما يعادل نصف جميع أنواع الحيوانات والنباتات. فالأيكر الواحد من الغابة المطيرة يحوي من ٥٠إلى ١٠٠ نوع من الأحياء. لكن الإنسان يدمر هذا المخزن الهائل للأنواع الحية. فبسبب الاستثمار الحراجي والإفراط في الرعي والحرث وتلوث الهواء والمطر الحمضي، يختفي حوالي ١٦ مليون هكتار من الغابات المطيرة كل سنة، ويتم تعبيد الطرق في أماكن كثيرة من العالم على حساب مساحات واسعة من الغابات من أجل ترويج السياحة.

وهكذا فإنه من بين الـ ٢٧٣نوعًا من الطيور التي تتكاثر في ألمانيا، هنالك ١٦٦ نوعا مُعَرَّضًا للخطر، وفي أوروبا لم تبق سوى عشرة من الدببة السمراء، وهذا عدد غير كافٍ لحفظ النوع، وفي استراليا يهدد خطرُ الانقراض حيوانات الكُوالا.

الأساليب الزراعية: تُظهر التقارير اختفاء أصناف عديدة من البطيخ وأنواع مختلفة من البصل في آسيا الوسطى، وفي البرازيل انقرضت أنواع من قصب السكر والذرة، وفي فرنسا لم تبق إلا عشرة أنواع من أصناف التفاح مقابل أكثر من ٢٠٠ في القرن الماضي. وعن ذلك يقول إدوار صوما المدير العام لمنظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمم المتحدة: «إن اعتماد الصناعة بدرجة كبيرة على المنتجات الزراعية الطبيعية تلبية لحاجة المستهلكين الذين يفضلونها على غيرها من المنتجات المصنعة، يعد من أسباب ظاهرة انقراض الأنواع الزراعية. وبما أن المزارعين يحاولون أن يسدوا حاجات السوق، يصير تناقص الأنواع أكثر حدة كل يوم». ويحذر صوما قائلا: «بسبب أسلوب كهذا، قد يخسر الجنس البشري ٤٠ألف نوع من الخضر في العقود القادمة».

وحيوانات المزارع الداجنة ليست بمنأى عن الخطر أيضا. فمنذ بداية هذا القرن انقرضت نصف أنواع حيوانات المزارع في أوروبا، وثلث الباقي منها قد يختفي عما قريب. فثمة اتجاه

أساسي في الزراعة يميل إلى التركيز على أن تربى فقط تلك السلالات من الحيوانات الزراعية التي تأتي بأعلى المنتوجات وبالتالي أعظم الأرباح، والاتجاه نفسه سائد في البلدان النامية.

الصيد والتجارة: وهما عاملان رئيسان في مأساة انقراض الأنواع الحية، خاصة في ظل عدم وجود قوانين لحماية الحيوانات في بعض البلدان نتيجة لنقص الوعي البيئي فيها. فكما تذكر نشرة الأخبار البيئية للصين فإن بعض الناس ـ بمن فيهم الرسميون ـ لايدركون أهمية حماية الحيوانات، وفي نظرهم، يمكن لكل واحد أن يصطاد الحيوانات البرية لأنها ليست لأحد. وفي جولة تفتيشية واحدة للجنة حماية البيئةاكتشف، بعد فحص عدد من المطاعم والأسواق والمرافيء، أن ١٢٨٦ حيوانا نادرا ـ بما فيها العظّاءة العملاقة وأم قرفة والسمندل العملاق والسعدان والزباد ـ قد قتلت أو بيعت أو هُرّبت.

وللطيور مأساتها الخاصة، ففي كل عام هناك أكثر من خمسين مليون من عصافير أبي الحناء والقُبّرة والطيور الفريدة الأخرى المحمية ينتهي بها الأمر إلى أطباق الطعام الإيطالية. وفي مالطة يُقيم ١٠٪ من السكان البالغ عددهم ٣٠٠ ألف حفلة سنوية لاصطياد أربعة ملايين طائر بري، ثم أكلها بنهم. وبالإجمال يُقتل نحو ١٥٪ من الطيور المهاجرة في منطقة البحر الأبيض المتوسط بسبب الصيد. ويقدر صندوق الحيوانات البرية العالمي أن عدد الطيور التي يُتاجر بها يقدر ـ بتحفظ ـ بحوالي خمسة ملايين في السنة. ، لكن ذلك لا يشمل العدد الهائل من الطيور التي تُهَرَّب أو تستورد بمستندات مزيفة كل سنة. ويُعتقد أن حوالي ٩٠٪ من الطيور المهربة تموت أثناء نقلها بسبب التغذية غير الملائمة والظروف القاسية. وعلى سبيل المثال، يقبض السكان المحليون في أدغال أفريقيا وأندونيسيا والمكسيك وجنوب أفريقيا على الببغاوات ويبيعونها لقاء بضعة دولارات، في حين أن بعض الأنواع منها مثل الأمازونيات يُباع في الولايات المتحدة وأوربا بمئة ألف دولار للببغاء الواحد.

الصيد البحري: وفقا لنشرة المعهد الدولي للبيئة والتنمية فإن عددا متزايدا من الـ ٦٥ نوعا من الحوتيات يعد على حافة الانقراض، والسبب الرئيسي في ذلك هو شباك الصيد المعلقة. والصيد بالشباك المعلقة ـ التي تسمى ستائر الموت ـ نوع من عدم التمييز. وقد شبهه عالم الأحياء البحرية سام لابولاد «بإزالة غابة لجني شجرة أو قطع شجرة بلوط لمجرد جني جوزها». وفي السنة الماضية فقط ذكر تقرير، قُدِّم إلى الأمم المتحدة، أن المؤسسة اليابانية للصيد بالشباك المعلقة قتلت ٣٩ مليون سمكة لم يكن يريدها الصيادون في عملية صيد ١٠٦ ملايين صيبدج. كما قتلت ٧٠٠ ألف قرش، و ٢٧ ألفًا من طيور البحر و٢٦ ألفًا من الحيوانات البحرية و ٤٠٦ من سلاحف البحر المعرضة للانقراض. وتقتل الحيوانات البحرية بإطلاق الرصاص عليها وبطعنها بالرماح والحراب، وبالصعق الكهربائي وبإلقاء القنابل عليها. وفي الولايات المتحدة مثلا، قفز الصيد التجاري للقرش من ٥٠٠ طن في سنة ١٩٨٠ إلى ما يقارب ٨٠٠٠ طن في السنة الماضية. كل ذلك بسبب الشعبية المتزايدة للحساء المعد من زعانف القرش الذي يباع وعاؤه بـ ٥٠دولارا.

التلوث: يلقي العالم سنويا حوالى



التلوث يقضي على الأنواع البحرية



ولادة الكوالا في محمية طبيعية



الغابة المطيرة: مخزن حيوي هائل



سائل منوي مجمد لعدة أنواع حية، محفوظ في قوارير مغموسة في حوض مملوء بالنتروجين

١٣٠ مليون ليتر من النفط في البحار والمحيطات. وفي البحر الأبيض المتوسط يموت حوالى ٦٠٠٠ ثدي بحري بسبب التلوث سنويا، وتواجه أسماك البحار والبحيرات وحيواناتها موتا مروعا بسبب الصرف الصحي، حيث تُلقى فضلات المواد المغذية وقاذورات البالوعات والمواد الكيميائية السامة في مياه البحار والأنهار. وهكذا تناقص أكثر من نصف أنواع السمك في بحيرة فيكتوريا الأفريقية، ثاني أكبر بحيرة عذبة في العالم. ومن الـ ٢٥ نوعا من السمك الموجود في البحر الأسود لم تبق إلا خمسة أنواع فقط. وفي بحر آرال رابع أكبر بحيرة في العالم اختفى ٢١ نوعًا من الأسماك من أصل ٢٤ نوعًا، وذلك لتناقص حجم البحيرة وازدياد ملوحة القسم الباقي منها. ويؤدي تلوث الهواء دورا في اختفاءالعديد من الحيوانات أيضا، ففي بريطانيا اختفت أصناف عديدة من الطيور بسبب الدخان الملوث الذي تنفثه محطات توليد الطاقة والمصانع والسيارات. وبسبب مبيدات الحشرات والأعشاب التي يستخدمها المزارعون بإفراط اختفت أنواع من الأعشاب البرية والطيور والحشرات وحيوانات الحقول.

الخسائر الناتجة

«وأي فرق يصنعه انقراض بعض الأنواع، وحتى اختفاء نصف الأنواع كلها؟» هذا سؤال طرحه عالم الأحياء إدوارد ويلسون في كتابه الجديد «تنوع الحياة»، الذي سجل فيه انقراض آلاف الأنواع من الطيور والسمك والحشرات وغيرها. في الجواب على سؤاله قال: «دعوني أعدد الفروق: ستُفقد مصادر جديدة للمعرفة العلمية، وستدمر ثروة أحيائية واسعة، وسنكون عاجزين عن توفير وتطوير الأدوية والمحاصيل والعقاقير الصيدلانية والخشب والألياف وعجينة الورق والنبات المجدد للتربة وبدائل النفط، وغيرها».

ويضيف ويلسون« لقد ألف بعض الناس نَبْذَ ما يكون صغيرا غير معروف، كالحشرات والأعشاب الضارة، ناسين أن نبات العناقية الوردية علاج لداء هدجكن وابيضاض الدم اللمفاوي عند الأطفال، وأن لحاء الطقسوس YEW الباسيفيكي يمنح الأمل لضحايا سرطان المبيض والثدي، وأن مادة كيميائية من لعاب العلق تذيب جلطات الدم أثناء العمليات الجراحية. والقائمة طويلة لا يمكن حصرها، وهي لا تحظى بالاهتمام البحثي الذي يتناسب وأهميتها».

وبسبب الاستخدام المتنامي لأساليب الاصطفاء والتهجين للحصول على الأصناف الأكثر إنتاجا، زاد اعتماد العالم في طعامه على أنواع أقل من النباتات والحيوانات، مما يعرض الأنواع الباقية إلى خطر الانقراض. فقد أدرك العلماء منذ فترة طويلة أن التغير الفردي ضمن الأنواع يسمح للأفراد الذين يحصلون على تراكيب وراثية منتقاة، أن يقاوموا التبدلات في البيئة. هذه التبدلات البيئية تعصف بالكرة الأرضية فعلا بسبب التلوث، واستنزاف طبقة الأوزون. إن عدم مقدرة الأنواع القليلة من المحاصيل الزراعية على مقاومة سلالة طافرة من الطفيليات الفتاكة ينذر بكارثة زراعية عظيمة، على سبيل المثال، فإن سلالة تكساس كانت مسؤولة عن إنتاج ٨٠٪ من الذرة الصفراء في الولايات المتحدة لعام ١٩٧٠م، لكن مرضًا فطريًا جاء ليقضي على ٢٠٪ من تلك السلالة بسبب ضعف مقاومتها له.

البحث عن حل

للحفاظ على الأنواع الباقية من الكائنات الحية، أسست بنوك وراثية لتخزين المورثات في العديد من حدائق الحيوان الأميريكية، حيث يستخرج العلماء، من الحيوانات المعرضة للخطر، الحيوانات المنوية والبويضات والأجنة، ثم يحفظونها مجمدة في مختبرات معدة لهذا الغرض. على سبيل المثال، فإن مركز تناسل الأنواع المعرضة للخطر في حديقة سان دييغو بالولايات المتحدة الأميريكية لديه حيوانات منوية وبويضات لأكثر من ٢٠٠ نوع تشمل الكركدن السومطري والببر السومطري والغوريلا. تقول آن دونو الاختصاصية في تناسل الحيوان في مركز الفرص الجديدة لعلوم صحة الحيوان NOAHS: «إن حديقة الحيوان المجمدة هي عقد تأمين للمستقبل، وتختلف المواد المستخدمة في حفظ المواد الوراثية باختلاف أنواع الحيوانات. وخلال الثمانينيات حقق العلماء نجاحًا محدودًا في استخدام المواد الوراثية المجمدة من

أجل عمليات التناسل الاصطناعي. لكن في الفترة الأخيرة سجلت حدائق الحيوان بعض الانتصارات، ففي شتاء ١٩٩١م في حديقة حيوان برون أنجبت أنثى نمر جَرْوين صغيرين بعد تخصيب اصطناعي بواسطة المني المجمد. وقد امتدت السلسلة لتشمل الفهد الصياد وابن مقرض والنمور السيبيرية والببور المرقطة»

وبما أن الإزالة الجسيمة للأحراج تقضي على عدد لا يحصى من أنواع النباتات والحيوانات، فقد دعا كثير من العلماء والمسؤولين إلى تنظيم حملة عالمية لحماية الغابات من التدمير، وشرعت بعض البلدان في تخصيص جزء من غاباتها كمحميات طبيعية تحظر فيها النشاطات البشرية كالصيد والاستثمار الحراجي. فقد سَنَّت الفلبين، على سبيل المثال، قانونا يعتبر غاباتها المطيرة محميات طبيعية يمنع أي نشاط بشري فيها. وهذا يتطلب وجود إدارة واعية وحراسة كافية لتلك المحميات للحد من أي اعتداءات محتملة، وتسعى أمريكا اللاتينية الآن إلى إيجاد حماية لغاباتها المطيرة.

وتميل العديد من دول العالم إلى تطبيق مقاييس بيئية دقيقة على المصانع



جمع السائل المنوي من الفهد الصياد في حديقة حيوان في تكساس ثم تلقيح الأنثى به



التركيز على أنواع قليلة من الخضروات في الزراعة الحديثة

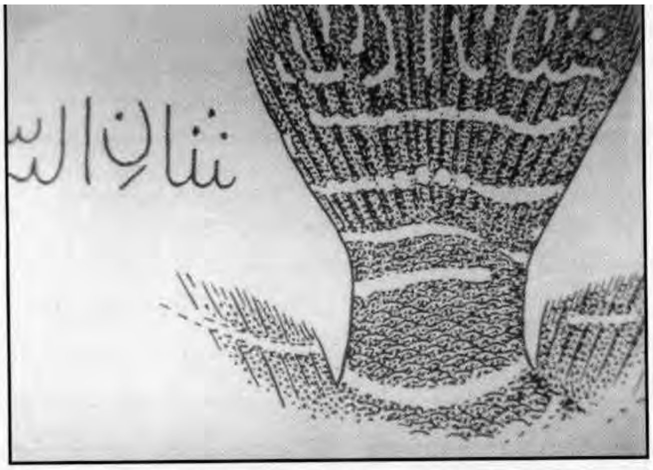
ومحطات توليد الطاقة التي تصرف نفاياتها ومياهها القذرة في الأنهار والبحار، بحيث تلتزم تلك المنشآت الصناعية بمعالجة تلك المياه والنفايات والتخلص من المواد السامة فيها قبل تصريفها، كما تسعى العديد من الشركات والمؤسسات العلمية إلى ابتكار أساليب أكثر فعالية لمعالجة التلوث وبخاصة البحري منه.

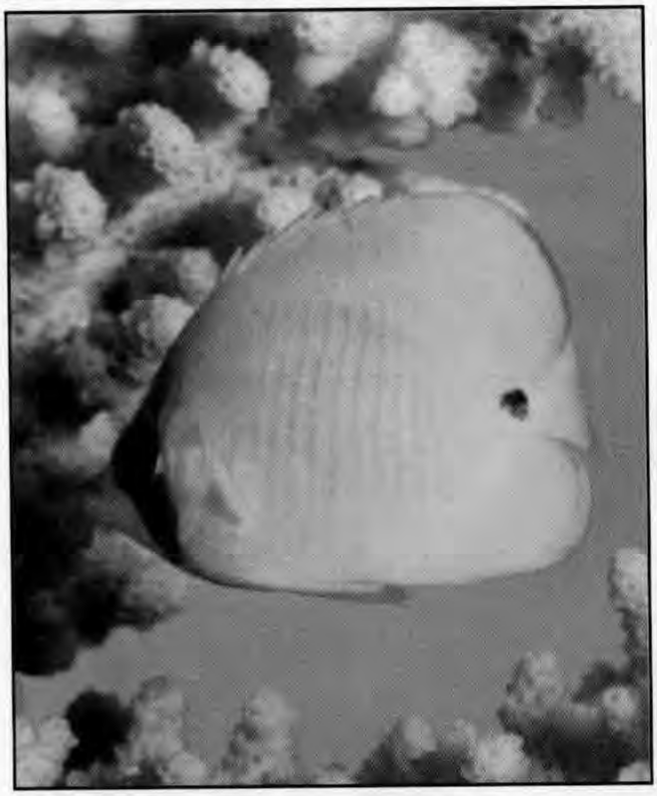
إن الحد من الصيد البري أو البحري الجائر أصبح ضرورة ماسة للحفاظ على التنوع الحيوي، لذلك فإن العديد من حكومات العالم شنت قوانين تمنع صيد الحيوانات المعرضة للخطر أو المتاجرة بها عبر أراضيها. وفي ديسمبر كانون الأول ١٩٨٩م أوصى قرار من الأمم المتحدة بمنع مؤقت لصيد السمك الواسع النطاق بالشباك المعلقة خارج المياه الاقليمية. وفي ٢٦ تشرين الثاني ١٩٩١م وافقت اليابان على قرار الأمم المتحدة بالمنع المؤقت لاستعمال شباك الصيد الضخمة في المحيط الشمالي، وبدأت في تنفيذه فعليًا في أوائل العام ١٩٩٢م.

إجمالاً، فإن الاتجاه نحو حماية الحياة الفطرية والحفاظ على أنواع الحيوانات النادرة المهددة بالانقراض ضرورة لتحقيق التوازن البيئي، وهذا يتطلب قوانين صارمة تنظم عمليات الصيد وقطع الغابات، وإقامة محميات طبيعية تضمن البقاء للنادر من النباتات والحيوانات، مع إلزام المنشآت الصناعية وغيرها بتطبيق القواعد الكفيلة بمنع التلوث البيئي، الذي قد ينجم عن إلقائها بنفاياتها ومخلفاتها في مياه الأنهار والبحار، كما أن هناك حاجة ماسة لنشر الوعي البيئي بين المواطنين من خلال برامج توعية يضعها خبراء متخصصون، يستطيعون تصوير حجم التهديد الذي يخلفه انقراض أنواع من الحيوانات والنباتات للحياة البشرية. وهذا الوعي البيئي يمثل المرتكز الرئيسي لإنجاح الجهود الإقليمية والدولية للمحافظة على التوازن البيئي.

المراجع:

(1) Earth in the Balance, by: Sen. Al gore,1992
(2) The Newyork Times, November 27,1991
(3) Time, December 9,1991
(4) Newsweek, July 27, 1992
(5) Newsweek , June 1 , 1992
(6) Le Figaro , 15 Octobre, 1988
(7) Le Figaro, 26 Mars , 1988





الكتب الصفراء والحقيقة

ليلى محمود البيروتي

تتجلى قدرة الخالق في سنن الكون ونواميسه، ولا يحتاج الإيمان بها وبعظمة ما صنع وأبدع من خلائق إلى براهين وأدلة مادية، بل إن البحث عن تلك البراهين والأدلة لإثبات الإيمان وتوكيده ينم عن الشك. والخطورة تكمن في تفسير آيات الله وفقًا للظواهر الكونية وما يرتبط بها من قوانين علمية، ذلك أن كتاب الله المنزّل سمته الثبات والديمومة، فلا يرتبط تفسيرها بظواهر كونية وقوانين علمية قد تتغير وتتبدل. ومن مزالق هذا المنحى في التفسير أنه لا يخلو من دسائس الأعداء وكيدهم لدين الله، فقد يكونون هم وراء ذلك التفسير، إذ إنهم قد يختلقون المعجزات، ويربطونها بآيات الله، وبعد أن يُشاع هذا التفسير يأتون ليدحضوا ما قالوه، بغية إيقاع الشك والريب في القلوب.

كما أن الإيغال والمبالغة في الإتيان بالدلائل المادية لإثبات صحة ما في كتاب الله أو تفسير آياته، يعد منفذًا للخرافات والشعوذات، تتسلل من خلاله لإفساد العقيدة السليمة وهذه المحاذير في تناول الظواهرالكونية والقوانين العلمية يدركها جيدًا علماؤنا الأفاضل من أمثال الدكتور عبد الرزاق نوفل صاحب الكتاب المذكور في هذه المقالة،مما يجعل اجتهاداتهم في هذا المجال تنبني على أسس قوية.

إن ماننشره هنا يتحدد هدفه في إحاطة القارىء بما يُنشر في الإصدارات العربية والأجنبية، مع إيماننا بأن الخالق الذي أبدع خلق السموات والأرض لا تعجز قدرته عن خلق سمكة تحمل في ذيلها خطوطا تغاير لونها وتشكل كلمة التوحيد (المحرر).

ذكرت جريدة «العرب» التي تصدر في لندن أن كتابًا بعنوان «صنع الله» تأليف عبد الرزاق نوفل، ومنشورات دار أخبار اليوم القاهرية، يتحدث عن سمكة توجد في منطقة زنجبار، في كتاب تاريخ السمك A HIS-TORY OF FISHES الذي وضعه العالم نورمان NORMAN مدير قسم الحيوان في المتحف البريطاني المسؤول عن المجموعات السمكية في متاحف التاريخ الطبيعي. يذكر الكتاب الصادر عن دار إرنست بن ER-NEST BENN في لندن عام ١٩٥١م، نبأ العثور على «سمكة التوحيد»، ففي صفحة ذيلها توجد خطوط بيضاء ظاهرة تكوّن ألفاظًا عربية هي «لا إله إلا الله» وعلى الوجه الآخر للذيل تكوّن الخطوط البيضاء «شأن الله».وقدم المؤلف رسمًا للذيل بما يبدو عليه في صفحة كتابه التي ننقلها مصورة.

وعند مراجعة كتاب «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» للقزويني نجد ما يلي: «فوصلنا إلى موضع يقال له البطرون وكان معنا غلام صِقِلّي معه صنارة، فألقاها في البحر فصاد سمكة نحو الشبر فنظرنا فإذا خلف أذنها اليمنى مكتوب لا إله إلا الله وفي قفاها محمد وخلف أذنها اليسرى رسول الله».

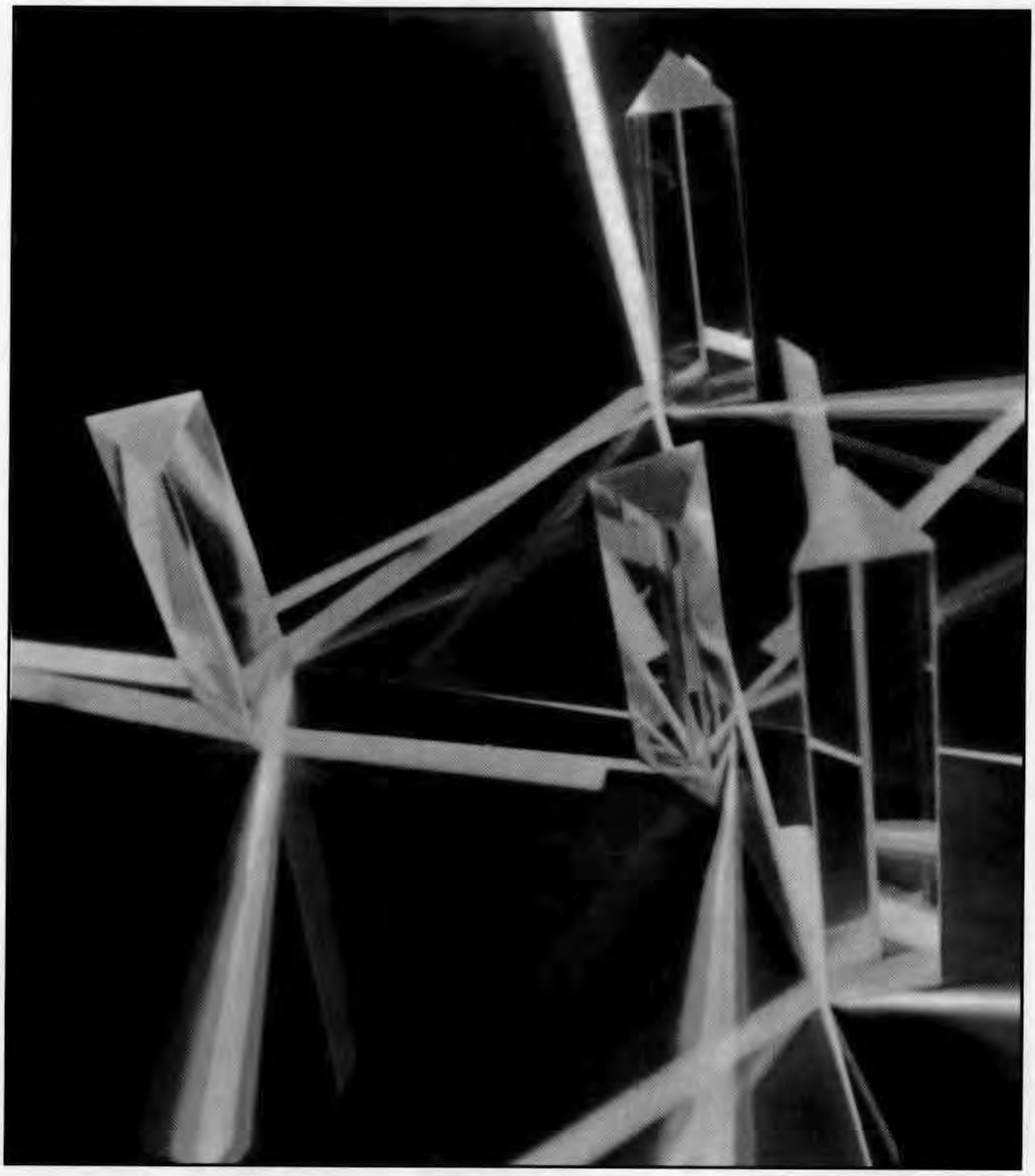
وعند مراجعة طبعة ١٩٧٥م لكتاب «تاريخ السمك» تبين أن السمكة نفسها ظهرت ثانية عام ١٩٦٥م في دار السلام.

وعند مراسلة المشرف على طبعة ١٩٧٥م من الكتاب وهو البروفسور جرين وود GREEN WOOD وسؤاله عن سبب عدم تصوير الكتابة على الوجه الآخر من الذيل وهي «لا إله إلا الله» قال: إن السمكة الأولى التي ظهرت في زنجبار قد صورها الميجور كارت رايت CARTWRIGHT قائد شرطة زنجبار، وأرسل التقرير إلى جمعية علم الحيوان ZOOLOGICAL SO-CIETY بلندن و نشرتها في دوريتها في آب (أغسطس) ١٩١٨م ولم يصله (أي البروفسور جرين وود) إلا تلك الدورية فنقلها عنها لجودتها، أما التي ظهرت في دار السلام في ١٩٦٥م فقد نقل الخبر فقط دون الصورة عن جريدة الأوبزرفر OBSERVER، لأن الصورة لم تكن جيدة بالرغم من احتوائها على الوجه الآخر للذيل وفيها لفظة «لا إله إلا الله».

وقد وعد في مراسلته الأخيرة أن يغير ترجمة «شأن الله» من WARNING FROM إلىIT IS A MATTER OF في طبعة جديدة لأن الترجمة الثانية تنطبق على معنى شأن الله بالإنجليزية.

من هنا يتبين لنا أن الحقيقة ليس من الضروري أن تكون منطبقة على منطق الإنكار الذي نُجابه كل ما يخالف قوانيننا الطبيعية، وإذا كان بإمكاننا إنكار ما قاله القزويني قديما وحتى الآن لأنه لم يقدم لنا صورة فوتوغرافية، فليس بالإمكان أن نُكذّب علماء جمعية علم الحيوان في لندن الداعمين كلامهم بالصور الفوتوغرافية لعام ١٩١٨م، إلى جانب ما نقلته صحيفة الأوبزرفر عن دار السلام عام ١٩٦٥م.

وعلى هذا فليس ما تذكره كتبنا التي تسمى الآن بالصفراء (استهانةً بها لقدمها) بالضرورة خطأ. وهنا نتوقف عند كلمة «صفراء» لأن الكتب ذات الورق الأصفر تريح العين أكثر من ذات الورق الأبيض، تمامًا مثل ضرر التلفاز الملون على المتفرج بما يعادل ضعف ضرر الأبيض والأسود. وما كل ما يبرق بذهب، والله أعلم.



نوادي العلوم نوافذ على المستقبل

رجب سعد السيد

أقيموا نوادٍ للعلوم، يغمرْكم ضياء المستقبل !

هذه دعوة نوجهها إلى المسؤولين في إدارات التعليم والمدارس والمعاهد والجامعات والنوادي الرياضية والمؤسسات الاجتماعية، وكل موقع ينتمي إليه النشء والشباب.

ولا نجد أي مبالغة في صيغة دعوتنا، فها نحن نستقبل القرن الواحد والعشرين، حيث يتوقع العلماء أن تتسع خطى العلم والتكنولوجيا، وتتسارع بمعدلات تفوق كل ما تحقق في تاريخ البشر كله.

تتعامل أندية العلوم مع فلذات أكبادنا من الناشئة والشباب. وهل نملك غيرهم رسلا إلى المستقبل؟ ! فهذه النوادي وسيلة مهمة، تكتشف مهاراتهم العلمية ومواهبهم الابتكارية وتنميها، كما تؤهلهم للاتجاه إلى ممارسة العمل العلمي، إما باتخاذه مهنة لهم، وإمّا هواية ترفد حياتهم بالمتعة والنفع، وترتد إلى المجتمع علامة موجبة في سباق التقدم.

فهل ثمة من يمكن أن يعد هذه النوادي ترفا؟

ويهمنا الآن أن نكون عمليين، ونقدم مع دعوتنا هذه دليلاً يسيرًا يمكن الاسترشاد به، إذا صدقت الرغبة في إنشاء ناد للعلوم. لا نقول بأن بنود هذا الدليل نهائية، بل مجرد إضاءات تعين عند التخطيط والتنفيذ؛ ونحن لا نشك في أن برامج نوادي العلوم وخططها وأهدافها ولوائحها تختلف باختلاف نوع النشاط وتباين البيئات والمراحل السنية للأعضاء واهتماماتهم.

ولا بأس في أن يكون صاحب الفكرة مسؤولا كبيرا، أو مجموعة من التلاميذ في مدرسة، أو فريقًا من

الهــــواة في ناد رياضي. أيا كـــان المؤسس، فالمهم أن تخرج الفكرة إلى حيز الوجود، ويبدأ النادي نشاطه، ويصبح أصحابه الحقيقيون هم المستفيدون منه، وهم - في الوقت نفســه - المنتجـون فـيـه: أفكارا وابتكارات ورؤى جديدة وأحلاما ثرية وخيالات خصبة!

وتتنوع نوادي العلوم بتنوع النشاط أو الأنشطة العلميــة التي تمارس فيها؛ فيمكن أن يقوم ناد لعلوم البيئة - مثلا - في مدينة لها بيئتها النوعية المميزة، أو في منطقة تتهددها أخطار بيئية، يُخشى منها على مكونات البيئة، فيقوم أعضاء النادي بالإسهام في دعم هذه البيئة وصونها. وقد يقصر النادي نشاطه على الابتكار، فلا يضم إلا الأعضاء ذوي الملكات الخاصة في التعامل مع معطيات التكنولوجيا واستنباط أفكار جديدة. وقد يتضمن نشاط مثل هذه الأندية الخيال العلمي، فينمي ملكة الخيال لدى أعضائه. وهل تتكون أجنة الأفكار العظيمــة إلا في رحم الخيال؟! وقد يتجمع للنادي خليط من الأعضاء بتعدد اهتماماتهم.

لنبدأ الآن أول خطوة: الإعلان عن تكوين النادي ودعــوة الأفــراد للانضمام إليه. استخدم كل الوسائل المتاحة للإعلان، لتصل إلى الفئات العمرية والنوعية التي تريد دعوتها إلى النادي. وليكن الإعلان في المكان المناسب: مواقع تجمعات من تتوقع اهتمامهم واستعدادهم للمشاركة، وفي الزمان المناسب: نهاية العام الدراسي وبداية العطلة الصيفية الطويلة، مثلا، حتى تضمن إعلام آلاف الطلاب بالمشروع، وإقبالهم عليه وهم يبدؤون شهورا طويلة من الفراغ، تضيع على معظمهم سدى.

ويتم تسجيل كل المتقدمين لعضوية النادي خلال الشهر الأول بعد الإعلان، أعضاء مؤسسين، ويستمر باب العضوية مفتوحا. وقد يحدد رسم رمزي مقابل العضوية، أو يكون الالتحاق بالنادي مجانيا إذا كانت الموارد جيدة. كما يتم تحديد موعد ثابت لاجتماع أعضاء النادي والمشرفين بشكل دوري، لمناقشة أحوال النادي، وقبول الأعضاء الجدد.

ويمكن للأعضاء وضع لائحة داخلية للنادي، تنظم أموره المالية والإدارية، وتحدد المسؤوليات. وهنا، قد يجد الأعضاء، في هذه السن المبكرة، فرصة لاكتساب الخبرات في إدارة المشروعات.

عرفتُ - من خلال إشرافي على بعض نوادي العلوم بالإسكندرية - شابا صغيرا كان يتولى إدارة شؤون ناد لعلوم البيئة البحرية في أحد بيوت الثقافة بالمدينة، وكان لما يزل بعد في منتصف مرحلة الدراسة الثانوية.

ولكل ناد للعلوم أن يشكل مجلس إدارته وفق احتياجاته، على أن هذا المجلس يجب أن يضم - إلى جانب الرئيس ونائبه - أمينا للمكتبة ومنسقا للعلاقات العامة، وهما وظيفتان مهمتان، يختار لكل منهما شخص له قدرة عالية على التنظيم والتحرك المثمر لصالح ناديه.

ورئيس النادي هو المسؤول العام عنه، ويجب ألا ينسى هدفه الأساسي، وهو تنمية الاهتمامات الخاصة للأعضاء وإرشادهم بذكاء - متجنبا النصح المباشر - ليصبح تنفيذ مشروعات النادي وأفكار أعضائه مجالاً لتفتح مداركهم على أحوال مجتمعهم، واستغلال كل الفرص المتاحة للمشاركة في حل بعض هذه المشكلات.

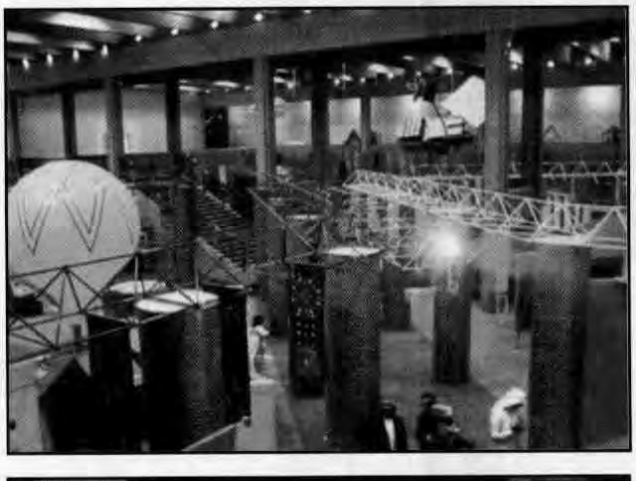
أهداف نوادي العلوم

تكاد النشرات الصادرة عن نوادي العلوم في كثير من بلدان العالم تجمع على أهداف أساسية لهذه النوادي، منها:

١- إنماء حب المعرفة العلمية لدى الناشئة. وهو هدف يسهم في تحقيقه كل من: المكتبة الغنية المتنوعة، وبرامج المحاضرات والندوات الموضوعة بعناية، وتتوافر لها عوامل الجذب من محدثين مجيدين إلى موضوعات مشوقة حية.

يضاف إلى ذلك الرحلات الخلوية، وزيارات المتاحف وحدائق الحيوان والمختبرات المتصلة بأنشطة النادي في المؤسسات العلمية







مركز علمي مرحلي يشكل نواة لبعض عناصر مجمع العلوم والفضاء الذي سيقام في متنزه مدينة الرياض العام الجاري تطويره حاليًا.

الوطنية، وجولات جمع النماذج والعينات من البيئات المختلفة.

ويفضل الخبراء أن يميل المشرفون إلى الوسائل غير التقليدية، مثل الرحلات والجولات وحلقات السمر والمعسكرات الخلوية، لأنها تكسر رتابة الطرق التقليدية في تلقي المعرفة، وهي طرق تعتمدها المدارس والمعاهد التي ينتسب إليها أعضاء نوادي العلوم، فإذا وجدوها تلاحقهم في ناديهم أصابهم الملل.

٢- صقل المهارات لدى الأعضاء، بتوفير الورش والمختبرات النوعية (كيميائية، إلكترونية، ميكانيكية، فيزيقية)، وتزويدها بالأدوات والمواد اللازمة لتنفيذ المشروعات العلمية الجماعية أو الفردية. ويمكن الاستعانة بإمكانات المرافق والمؤسسات الوطنية، ذات الاهتمامات المماثلة، لتنفيذ هذه المشروعات.

وبالإضافة إلى النفع المادي المباشر الذي يمكن أن يعود على العضو وناديه، وعلى المجتمع، من المهارات العلمية والتقنية للأعضاء، فإن التدريب العملي على تنفيذ المبتكرات، أو إضافة تعديلات أو إمكانات جديدة إلى المعطيات التكنولوجية الموجودة أصلا، يكسب عضو نادي العلوم ثقة بنفسه وبقدراته الذهنية تدفعه إلى مزيد من الاجتهاد.

٣- التفاعل الإيجابي مع الوسط المحيط (مجتمع الحي الذي يقع فيه النادي، أو مجتمع المدينة، أو الإقليم أو الوطن كله). فمع رسوخ النادي كمؤسسة علمية، وتراكم خبرات أعضائه، يمكن أن يقدم النفع للمجتمع في صورة استشارات علمية بيئية، أو خدمات تثقيفية، أو أي مجالات أخرى، تحددها اهتمامات وأنشطة النادي. وذلك يوجب أن يكون للنادي صلة جيدة بالمجتمع، فيصدر نشرات دورية، أو يقدم في محطة للإذاعة أو التلفزيون برنامجا خاصا للإعلام بأخباره واتجاهات أنشطته. كما أن المعارض وسيلة فعالة في هذا المجال، فهي تضع أمام الجمهور خلاصة جهد أعضاء النادي وإنتاجهم في فترة معينة، وقد يتاح للأفراد شراء نماذج من مبتكرات أعضاء النادي، فتضيف مصدر دخل جديدًا يدعم أنشطة النادي.



"الجيود" في مدينة العلوم والصناعات (لافيلات)

قاعدة معلومات

من الضروري أن تكون للنادي قاعدة معلومات أساسية، ونحن في عصر المعلومات. فإذا توافر للنادي جهاز حاسوب، سهّل عمليتي تخزين هذه المعلومات وتداولها. وتضم هذه القاعدة أية معلومات يمكن أن تكون مفيدة لأعضاء النادي ، فتشمل على سبيل المثال: المؤسسات العلمية الوطنية التي يمكن الاتصال بها، دور الصحف، أماكن وطرق الاتصال بأهم المرافق الإدارية والخدمات في المدينة أو الوطن ككل، المصانع، المستشفيات، مبنى الإذاعة والتلفزيون، المناجم، المزارع والمحاصيل، الحدائق والنباتات البرية، ملامح الصحراء وأنواع الحياة فيها، طبيعة الشواطىء وحالتها (نظيفة أم ملوثة)، الشخصيات العامة التي يمكن الرجوع إليها للمساعدة في أنشطة النادي، الأماكن الأثرية في المنطقة المحيطة بالنادي، أهم ملامح الأنشطة الاقتصادية في المجتمع، المتاحف الأثرية والفنية ومتاحف التاريخ الطبيعي التي يمكن الاستفادة من خبرات العاملين فيها، المراكز الثقافية الوطنية والأجنبية في المدينة، المشروعات التي قام بها النادي، مشروعات المستقبل.. إلخ.

مشروعات مقترحة

فإذا استقرت أركان النادي، وبدأ دولاب العمل يدور، وضع المشرفون خططا لمشروعات سريعة، يمكن تنفيذها حالا، في أيام أو أسابيع، ومشروعات أخرى طويلة الأمد.

ونضع في القائمة التالية أمثلة لهذه المشروعات:

١- تكوين مكتبة للأفلام العلمية، مزودة بآلات العرض، وتنظيم عروض للشرائط العلمية لأعضاء النادي وللعامة.

٢- إنشاء متحف علمي يتناسب نوعه مع طبيعة موقع النادي، ويمكن أن يكون نواة لمتحف وطني كبير.

٣- تنظيم حملات تشجير لطرق المدينة التي يقع فيها النادي وشوارعها، أو الإسهام في صيانة الأشجار الموجودة.

٤- وضع (كتالوجات) للأحياء التي تعيش في المنطقة المحيطة بالنادي، وللأزياء الشعبية المحلية وغيرها من مفردات الثقافة التقليدية (الفولكلور).

٥- مساعدة المؤسسات العلمية الوطنية في تنفيذ بعض برامجها البحثية. وأشير في هذا المجال إلى مثال عاينته بنفسي، عندما قام أعضاء ناد للعلوم بدور مؤثر في إنجاح مشروع علمي لدراسة التيارات البحرية في الإسكندرية.

٦- الإعلان عن مسابقات علمية يتاح الاشتراك فيها لمختلف الفئات العمرية من الشباب من أعضاء أندية العلوم وغيرهم، ورصد جوائز مادية مجزية تجذب الشباب إلى الأنشطة العلمية.

وقد لا ينجح ناد للعلوم في اكتشاف عقلية علمية عبقرية، لكن وجود هذا النادي واستمراره يعني - في أقل تقدير - انحياز أجيال من الشباب إلى اختيار العلم، الذي هو اختيار المستقبل.

الألغاز في التراث العربي (١)

محمّد السيد عيد

من الضروري عند الدخول لموضوع ما أن نبدأ بالتعرف على معناه اللغوي، حتى يكون الطريق واضحًا أمامنا.

واللُّغز من الناحية اللغوية هو: جحر الضّب واليربوع [١]. وهذان الحيوانان لا يحفران جحريهما باستقامة، لكنهما يعمدان إلى الالتواء حتى لا يتمكن أحد من الوصول إلى مكانهما بسهولة. وهكذا يصبح اللغز بالمعنى الأدبي تعبيرًا ملتويًا لا يسهل الوصول إلى المراد منه بيسر.

ويعبّر الناس عن اللغز عادة بعدة ألفاظ أخرى هي:

-الفَزّورة.

-الحزر.

-الأُحجِيَّة.

ومن المناسب أيضًا أن نتعرف هذه الألفاظ قبل أن نواصل الحديث.

الفَزّورة:

هذه الكلمة مشتقة من الفعل «**فَزَر**»، وهذا الفعل يشير في اللغة إلى شق الثوب لإظهار ما وراءه، كما يشير أيضًا إلى الانتقاء من بين أشياء عديدة. يقول المعجم الوسيط:

«فَزَرَ الثوب ونحوه فَزْرًا: شَقّهُ، . . . وفَزَرَ الشيء من الشيء: فصله وفَرَزَه»[٢]. ولو نظرنا إلى هذه الكلمة (فزورة) ممعنين لوجدناها تهتم بعنصر الكشف عن الغموض، بينما كلمة «اللغز» تهتم بالالتواء والتعمية، أي إن الكلمتين تنظران إلى الموضوع من وجهتي نظر مختلفتين. فإذا اعتبرنا أن كلمة اللغز تُعبّر عن وجهة نظر القائل (المُرْسِل)، فإن الفزورة في هذه الحالة تعبر عن وجهة نظر السامع (المُستَقْبِل).

الحَزَر:

حَزَرَ الشيء أي قدّره بالتخمين[٣]، لهذا يقال عند إلقاء اللغز «حزّر فزّر» أي خمِّن المعنى المقصود واكشف عن الخبيء فيه.

الأُحْجِيَة:

الأحجِيَة هي الكلمة يخالف معناها لفظها[٤]. وهي مشتقة من الفعل «**حَجا**»الذي يعني ضمن ما يعنيه: الظن الذي لا يصل إلى درجة اليقين مما يذكرنا بالحزر.

ولعله من الواضح في التعريفات الأربعة أن هناك محورًا رئيسًا تدور عليه المفاهيم كلها، هو الغموض، ومحاولة الكشف عنه بالظن والتخمين.

ويمكن تقسيم اللغز إلى ثلاثة أنواع:

الألغاز في التراث العربي (١)

- لغز نثري.
- لغز شعري.
- لغز قصصي.

واللغز النثري هو الأكثر شيوعًا بين أفراد الشعب، ومن أمثلته لدى العامّة:

- قد الكف ويقتل ميّة وألف. (المشط)
- قد الفيل ويِتْصَرّ في منديل. (الناموسية)
- حاجة جايه من بعيد بالطبل والزغاريط. (المطر)

اللغز الشعري

أما اللغز الشعري فمن أمثلته:

قول البهاء زُهير في مدينة يافا:

بِعَيْشِك خَبِّرْني عن اسم مدينةٍ	يكون رباعيًا إذا ما كتبتَهُ
على أنه حَرْفانِ حين تقوله(٥)	ومعناه حرفٌ واحد إن قَلَبْتَهُ(٦)

وقول ابن نُباته في الشطرنج:

وما صامتٌ يمضي ويرجع حائرًا	ويقضي على أوصالِهِ الوصلُ والصَّدُّ
كأن الأسى آلى عليه أَلِيَّةً	فما فيهِ إلّا النفس والعظم والجِلدُ
وأحرفُهُ خمسٌ على أنّ شطره	ثلاثة أخماسِ الحروف التي تبدو(٧)

وقوله في علي:

أمولاي ما اسمٌ جَلِيٌّ إذا	تعوّض عن حرفِهِ الأولِ
لك الوصف من شخصه سالمًا	فإن قُلِعَتْ عينُهُ فهو لي(٨)

وقول الشهاب العزّازي في القوس:

ما عجوزٌ كبيرةٌ بَلَغَتْ عمـ	ـرًا طويلاً وتتّقيها الرجالُ
قد علا جسمَها صفارٌ ولم تشـ	ـكُ سَقامًا ولا عراها هزال
ولها في البنين قهرٌ وسهم	وبنوها كبار قدر نبال
وبنوها لم يشبهوها ففي الأُم	اعوجاجٌ وفي البنين اعتدال(٩)

وقول ابن الفارض ملغزًا في حلب:

ما بلدة بالشام قلب اسمها	تصحيفه أخرى بأرض العجم
وثلثه إن زال من قلبه	وجدته طيرًا شجيّ النغم(١٠)

و **الألغاز الشعرية** معروفة المؤلف غالبًا، بينما **الألغاز النثرية** مجهولة المؤلف. ولعلنا لاحظنا أن الألغاز النثرية مكتوبة بالعامية، أما الألغاز الشعرية فمكتوبة بالفصحى. إلا أن **بيرم التونسي** كسر قاعدة الفصحى في العصر الحديث، ثم تبعه عدد من الشعراء، لعل أهمهم: **صلاح جاهين، أحمد فؤاد نجم، عبد السلام أمين، سيد حجاب، مصطفى الشندويلي، يسري العزب، وسمير عبد الباقي.**

ومن الألغاز الزجلية التي كتبها بيرم **التونسي** قوله عن المئذنة في شهر رمضان:

أنا شفت عروسة جميلة	وطويلة طويلة طويلة
حلاوتها امّا تتطوّق	تلاتين ليلة وتتزوّق
بعقود لولي وكردان	تلاتين ليلة رمضان

وقوله في شهر العسل:

شَهر شَهير أشهر من نارْ	وكُلُّه فُسَح، كُلّه أسفارْ
كله جمال، كله أزهار	تتمناه كل الشبانْ
بس يا عم ما هُش أوان	لا هو نوفمبر ولا هو
ديسمبر، ولا هو يناير، ولا	فبراير، ولا شعبان ولا رمضان(١١)

وكان بعض الشعراء في العصرين: الأيوبي والمملوكي يجيب على الألغاز الشعرية إجابات شعرية، بحيث أصبح اللغز محورًا لمباريات عقلية وفنية بين الشعراء كما سنرى بعد ذلك.

اللغز القصصي

ثم نأتي إلى اللغز القصصي، وهذا النوع من الألغاز يرتبط ببناء قصصي أو حكائي، فمرة يكون في شكل أسطورة، وأخرى في صورة حكاية شعبية، أو خبر تاريخي، أو قصة من قصص الأنبياء، أو غير ذلك.

ومن أمثلة الألغاز القصصية ما نراه في الحكاية الشعبية السودانية «غرام ووفاء»:

في هذه الحكاية يفترق الصديقان **(المساعد والأشقر)** بعد أن أوقعت بينهما العجوز، فيذهب «الأشقر» إلى الغابة لمساعدة والده الحطاب، ويذهب «المساعد» - وهو ابن أحد أثرياء قرية «قرينة» - إلى شاطىء النيل يتنسم الهواء العليل. وفيما هو قاعد عند الشاطئ مر بجانبه مركب شراعي فيه فتاة غاية في الحسن. لم ير المساعد أجمل منها في حياته. ووقعت نظرة الفتاة إليه في قلبه فانعقد لسانه، ولم يستطع الكلام. ثم رمت الفتاة إليه بإبرة وليمونة وحجر وأخيرا بعود ثقاب، بعد أن نقرت على سنها. ثم مضت بها المركب في طريقها.

وحار المساعد في فهم مغزى هذه الأشياء، وحَلِّ هذا اللغز. وكان حب الفتاة قد تمكن منه، فما لبث أن أصيب بمرض غريب حار الجميع في طبه، وظلت حال المساعد تتدهور من سيئ إلى أسوأ. وتلتقي جدة المساعد بالأشقر وتخبره بخبر المساعد، فيهرع هذا إلى صديقه القديم، ويخلو إليه ساعة يعرف فيها من المساعد قصة الفتاة واللغز الذي طرحته عليه ومضت. وكان الأشقر ذكيا فاستطاع أن يحل اللغز على النحو التالي: فنقر الفتاة على سنها معناه «سن» وعود

الثقاب رمز للنار، فتصير الكلمة «سِنّار» أي إن الفتاة من هذه المدينة. أما الحجر فدلالة على أنها تسكن في منزل من الحجر. أما الليمونة فإشارة إلى أن في ساحة هذا البيت شجرة ليمون، وأما الإبرة فتعني أن بجانب البيت «خائطًا». وعلى هذا النحو تكون الفتاة قد حددت للمساعد عنوانها تحديدا دقيقا. وهي بطبيعة الحال، كانت تدعو المساعد بطريقة لبقة وغير مباشرة للذهاب إلى سنار لخطبتها». (١٢)

ولا شك أن الألغاز القصصية تمثل درجة عالية من الإثارة، لذا اجتذبت الفنانين إليها من البلاد كافة على مرّ العصور ليستفيدوا منها في أعمالهم المسرحية والقصصية، وحسبنا هنا أن نذكّر **بسوفوكليس** في **«أوديب»**، وشيكسبير في **«ماكبث»**، و**صلاح عبد الصبور** في **«الأميرة تنتظر»**، و**نجيب سرور** في **«ياسين وبهية»**، و**«قولوا لعين الشمس»**، و**جمال الغيطاني** في **«هاتف المغيب»**.

نشأة اللغز وانتشاره

يرجع السبب في نشأة اللغز وانتشاره واستمراره إلى مجموعة من العوامل، أهمها:

اعتداد الإنسان بذكائه:

لقد ميّز الله سبحانه وتعالى الإنسان عن بقية المخلوقات بالذكاء، ولا شك أن اللغز يتيح للإنسان الفرصة لإثبات ذكائه وتفوقه، لذا فمن المألوف في الآداب العالمية أن نرى حل اللغز يرتبط بمكافأة سخية، كأن يتزوج الرجل الذكي من بنت السلطان أو الملكة، ويصل إلى العرش. كما أنه من المألوف أيضًا أن يُعاقَب غير الأذكياء بالموت. ولنتذكر معًا قصة أوديب باعتبارها من أشهر النماذج العالمية للغز القصصي...

في هذه القصة يقف أبو الهول معترضًا طريق الناس ليلقي عليهم لغزًا محددًا، هو:

«ما هو الكائن الذي يسير في الصباح على أربع، وفي الظهر على اثنتين، وعند الغروب على ثلاث؟».

ويخفق الجميع، فيكون عقابهم الموت، حينئذ يعلن كريون أخو الملكة أن من يقتل هذا الوحش سيفوز بالتاج ويتزوج من الملكة. عندئذ يتقدم أوديب ويقوم بحل اللغز، ويخبر أبا الهول بأن المقصود هو الإنسان؛ لأنه في طفولته يحبو على أربع (يديه ورجليه) ويعتدل قوامه في مرحلة الشباب فيسير على قدميه، وحين يطعن في العمر يستند على عكازه فيكون سائرا على ثلاث. حينئذ ينتحر أبو الهول ويفوز أوديب الذكي بالعرش والملكة.

إن ما حدث لأوديب ليس فريدا لكنه متكرر في الآداب المختلفة، وسنتحدث فيما بعد عن أمثلة مشابهة من الأدب العربي تؤكد هذه السمة.

اعتداد الإنسان بأبطاله:

كثيرًا ما يضع الإنسان أبطاله وقدوته في إطار قصصي يعتمد على الألغاز، ثم يظهر هؤلاء الأبطال وقد انتصروا في التحدي وقهروا الخصوم. من هذه القصص مثلاً، ما رواه **القزويني** عن التحدي بين فقهاء العراق **والإمام الشافعي** عند نزوله بغداد. قال القزويني:

«كان القاضي أبو يوسف ومحمد بن الحسن (خصما الشافعي وهمامن أصحاب أبي حنيفة) رتبا عشرين مسألة وبعثاها على يد حَدَثٍ (صغير السن) من أصحابهما، فقال الشافعي له: من حملك على هذا؟

فقال: من أراد حكمها؟

فقال الشافعي: متعنت أو متعلم؟

فسكت الغلام.

فقال الشافعي: هذا من تعنت أبي يوسف ومحمد!

ثم نظر فيها وحفظها وردّ الدرج إلى الحدث، فأخبر الخليفة بذلك، فأحضر أبا يوسف ومحمدًا وسألهما عن حال الدرج فاعترفا به، فأحضر الشافعي وقال: بيّن أحكامها ولك الفضل.

فقال: يا أمير المؤمنين قلْ لهما يسألاني عن واحدة واحدة ويسمعان جوابها بتوفيق الله.

○○ اللغز: أسلوب لنقل المعرفة والاعتداد بالأبطال واختبار الذكاء ○○

فعجزا عن استحضارها (تذكرها) فقال الشافعي: أنا أكفيهما. سألاني عن رجل أَبِقَ له عبد فقال: هو حر إن طعمت طعامًا حتى أجده، كيف الخلاص من ذلك؟ الجواب: يهبه لبعض أولاده ويطعم حتى لا يعتق.

وسألاني عن رجلين كانا فوق سطح فوقع أحدهما من السطح ومات فحرمت على الآخر امرأته. الجواب: أن امرأة الحيّ كانت أَمَةً للميت، وكان الزوج بعض ورثته، فصارت الأمة ملكًا للزوج بحق الإرث، فحرمت عليه.

وسألاني عن رجلين خطبا امرأة في حالة واحدة، وأنها لم تحل لأحدهما وحلّت للآخر. الجواب: لأحد الرجلين أربع وهي خامسة فلا تحل له، والآخر ما كان كذلك فحلت له...». (١٣)

وهكذا تتوالى الأسئلة الملغزة والحلول حتى تنتهي القصة بأن قال الرشيد للشافعيّ: «لله درّك يا ابن إدريس ما أفطنك! وأمر له بألف دينار وخلعة». (١٤)

إن تحليل هذه القصة يبين لنا ذكاء الشافعي غير العادي، الذي يتمثل في:
- معرفة أصحاب الأسئلة بمجرد الاطلاع عليها.

الألغاز في التراث العربي [١]

ـ حفظه للأسئلة بمجرد النظر إليها وتذكرها في الوقت الذي عجز فيه الخصوم عن هذا .

ـ إجابته عليها جميعا .

ولا شك أن مثل هذه الصورة البطولية للشافعي تروق كثيرا للشافعية ، حتى لو كانت القصة كلها من صنع الخيال ؛ لأن مثل هذه القصص تشبع حاجة نفسية لدى الجماهير، وهي تمجيد الأبطال الذين يرتبطون بهم .

الجانب المعرفي :

اللغز بطبيعته سؤال يحتاج إلى إجابة ، والإجابة بالضرورة معرفة .

لقد كانت الألغاز في البداية أسئلة عن الظواهر الطبيعية ، وطبيعة الحياة ، وماهية الموت ، والعلاقة بين الإنسان وخالقه ، وبينه وبين العالم . وكل هذا كانت الأساطير والحكايات الخرافية تجيب عليه ، في ضوء المعارف الميسورة لعصرها .

وبعد أن تقدمت العقول والمعارف أصبح اللغز يدور حول موضوعات أخرى مختلفة تتناسب مع معارف وقيم كل عصر ومجتمع .

ولو عدنا قليلاً للخلف لوجدنا أن الألغاز التي أجاب عليها **الشافعي** تمثل معارف فقهية مهمة للمسلم . وهذا اللغز مجرد نموذج ، وما أكثر هذه النماذج في تراثنا كما سنرى في دراسة قادمة .

وقد لاحظ الدكتور **عبد الحميد يونس** البعد المعرفي للألغاز في الحكاية الشعبية وغيرها من أشكال القصص الشعبي ، فقال :

«تلتقي في هذه الحكايات وظائف شتى ، منها ما هو تفسيري شارح للظواهر والمعضلات كالأسطورة ، ومنها ما هو تعليمي يرسّب معلومة من المعلومات أو حقيقة من الحقائق ، أو معرفة من المعارف» . [١٥]

ويقول **الدكتور أحمد مرسي** في كتابه **«الأدب الشعبي وفنونه»** عن البعد المعرفي للألغاز:

«ومهما يكن من أمر أصل الحزر، والدافع إلى إنشائه ، الذي قد يكون مرتبطًا بالرغبة في الوصول إلى استكناه جوهر الشيء أو بالرغبة في المعرفة عند الفرد، ثم نقل هذه المعرفة بعد ذلك إلى أفراد آخرين ، فلعل المجتمع الشعبي قد وجد أن الحزر أسلوب مناسب لنقل خبرته ومعرفته المركزة عن الأشياء والظواهر إلى أفراده ، عن طريق وضعها في إطار يستثير الانتباه ، ويحفز على التفكير عن طريق إبراز التناقض بين الصور المتضمنة فيه ، بحيث يكفل للظاهرة ضمانة قوية ويساعد على تثبيتها في العقل ، واستقرارها في وجدان الأفراد» . [١٦]

التسلية :

ولا يمنع البعد المعرفي للألغاز من وجود بعد مهم آخر هو التسلية ، خاصة في المجتمعات التي يوجد لديها وقت فراغ طويل بين الزراعات ، أو مواسم العمل ، وهنا يلعب اللغز دورًا ترويحيًا مهما ، إذ هناك علاقة وطيدة بين انتشار الألغاز ووقت الفراغ .

ظروف المجتمع :

إن العوامل السابقة التي ذكرناها تمثل عوامل عامة لوجود الألغاز وانتشارها واستمرارها ، لكنها لا تمنع أن تكون هناك ظروف أخرى خاصة بمجتمع معين تساهم في ازدهارها . وعلى سبيل المثال فإن برامج الفوازير في الإذاعة والتلفاز ترتبط بجوائز مالية كبيرة تغري الإنسان بالربح السهل ، وتساهم في جمع الأسرة على شيء مشترك في شهر يتقارب فيه الناس .

ومن عوامل ازدهار الألغاز الشعرية في العصر المملوكي انصراف السلاطين والمماليك الأتراك عن الشعر العربي لعدم معرفتهم باللغة العربية ، مما جعل الشعراء يتجهون إلى أنواع من الشعرية قريبة من الفهم الشعبي كاللغز .

وهكذا لا يمكن أن تنسينا العوامل العامة العوامل الأخرى الخاصة ؛ لأن كلاً منهما تكمل الأخرى .

وبعد ، فهذه نظرة عامة على الألغاز، ستمهل بعدها عند كل نوع من أنواع الألغاز على حدة لنتعرف مزيدًا من التفاصيل .

الهوامش :

١ ـ المعجم الوسيط ، القاهرة ، ١٩٧٢ ، ط ٢ ، جـ ٢ ، ص ٨٣٠ .

٢ ـ المرجع السابق ، ص ٦٨٧ .

٣ ـ المرجع السابق ، حـ ١ ، ص ١٧٠ .

٤ ـ المرجع السابق ، حـ ١ ، ص ١٥٩ . . ويصح أيضًا أن نقول : أُحْجُوَه ، وحُجَيًا .

٥ ـ يعني بالحرفين : «يا» أي حرف (ي) و«فا» أي (ف) .

٦ ـ الحرف الواحد المقصود هو حرف الجر «في» ، انظر ديوان البهاء زهير تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، ومحمد طاهر الجبلاوي ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ٤٩ .

٧ ـ ديوان ابن نباتة ، بيروت ، دون تاريخ ، ص ١٦٢ .

٨ ـ المرجع السابق ، ص ٤١٣ .

٩ ـ ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات (تحقيق إحسان عباس) بيروت ، ١٩٧٣ جـ ١ ، ص ٩٧ .

١٠ ـ الأبشيهي : المستطرف في كل فن مستظرف ، بيروت ، ١٩٨٧ ، جـ ٢ ص ٢٧٠ .

١١ ـ أحمد يوسف : فنان الشعب محمود بيرم التونسي ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .

١٤ ـ د . عزالدين إسماعيل : القصص الشعبي في السودان ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ٣٨ ـ ٣٩ .

١٣ ـ القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد (طبعة غير محققة) بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢٨ .

١٤ ـ آثار البلاد ، ص ٢٣١ .

١٥ ـ د . عبد الحميد يونس : الحكاية الشعبية ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ٩٧ .

١٦ ـ د . أحمد مرسي : الأدب الشعبي وفنونه ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٦٠ .

آفاق اجتماعية

المرأة في المجلات النسائية العربية

تشكل المجلات النسائية العربية إحدى قنوات، أو أدوات، وسائل الإعلام الأساسية، حيث تؤثر تأثيراً مباشراً في إحداث تطوير مهم في تفكير المرأة واتجاهاتها في الوطن العربي. كما تعتبر أداة فاعلة في تطوير أوضاع المرأة وإدماجها في الجهود الإنمائية وتمكينها من الإسهام في نشاطاتها.

وتنتشر تلك المجلات في أرجاء الوطن العربي كافة بشكل واسع، وهي تختلف، شكلاً ومضموناً عن بعضها بعضاً، باختلاف النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في البلدان العربية. ونظراً لما لتلك المجلات من أهمية وتأثير على المرأة في مختلف الفئات الاجتماعية، بسبب ما تتطرق إليه من مفاهيم وقيم اجتماعية تتلاءم أو تتناقض مع مصلحة المجتمع العربي الذي يمر في مرحلة تحول وانتقال من مجتمع تقليدي إلى مجتمع عصري، فقد أردنا التعرف على مضامين المجلات النسائية العربية من خلال الصورة التي تطرحها للمرأة العربية.

ولكي نقف على تلك الصورة ومدى مطابقتها للواقع الاجتماعي، ومدى الحاجة إلى إدماجها في الجهود الإنمائية، كان لا بد من التعرف على المواد التي تهتم تلك المجلات بطرحها. ولدى الاطلاع الدقيق على تسع عشرة مجلة نسائية، تصدر في أقطار عربية مختلفة، اتضح أنها تتضمن المواد الآتية: الدراسات، الندوات، التقارير، القصص، المسلسلات، التقليعات، بريد القراء، مشكلات القراء، الإعلانات، الأزياء، فن التجميل، فن الطبخ، الشؤون المنزلية، الطفل والتربية، الأبراج.

وقد أبرزت تلك المواد صوراً للمرأة تتمثل في الآتي:

١ - الزوجة المثالية
٢ - الأم الحنون المضحية
٣ - ربة البيت الماهرة
٤ - المرأة المغلوبة على أمرها
٥ - المرأة الضعيفة
٦ - المرأة المهتمة بجمالها وأناقتها
٧ - المرأة المسرفة اللاهثة وراء دور الأزياء والمجوهرات
٨ - المرأة المهتمة بالخرافات والشعوذة
٩ - المرأة المتمردة على الواقع الاجتماعي
١٠ - المرأة المتحررة دون وعي
١١ - الزوجة المهملة
١٢ - الأم القاسية
١٣ - الأم التي لا تعي دورها في عملية التنشئة الاجتماعية
١٤ - المرأة المهتمة بقضايا المجتمع المشاركة في عمليات التنمية.

إن تحليلاً متأنياً لمضامين تلك المجلات يظهر بكل جلاء أنها تحمل ازدواجية فكرية، فهي تطرح صورة المرأة المترفة التي تتابع بشغف عروض أشهر دور الأزياء في العالم، وألذ وصفات الطعام وأشهاها، وتنحيز للزوجة الأنيقة وربة البيت المترفة المهتمة بتنسيق الزهور وتلميع الأواني الفضية، واقتناء نفائس التحف والمفروشات، وتستغل المرأة في إعلاناتها، وتطرح إلى جانب ذلك بعض القصص الواقعية التي تشير إلى تدني دور المرأة وثانوية مركزها في المجتمع.

تهمل تلك المجلات هموم ومشكلات الغالبية العظمى من نساء المدن القاطنات في الأحياء القصديرية، والمدن الصفيحية، وساكنات الأكواخ والعشش، وتبتعد عن إحباطات الباحثات عن عمل، أو عن دور حضانة ومدارس ترعى وتهتم بالرضع والصغار من أبناء العاملات المتدنيات أو المتوسطات الأجر، كما تتناسى معاناة نساء الريف والبادية، ولا تلتفت للأمية التي تتفشى بين صفوفهن، ولا إلى تدني الوعي الصحي والغذائي الذي يفتك بهن.

تعتمد غالبية المجلات النسائية العربية على المادة المعتمدة في الإعلان الأجنبي والأفكار نفسها، ولكن بلغة عربية، وتعزز الميولَ والاتجاهاتِ والأنماطَ الاستهلاكيةَ نفسها التي يتبناها الإعلان الغربي، ولكن بحلة عربية، الأمر الذي يعرقل الجهود الإنمائية في المجتمع العربي؛ فالظروف التي يمر بها المجتمع من قلب صحرائه إلى أطراف محيطه تتطلب الاستفادة الكاملة من القوى البشرية القادرة على الإنتاج، كما تتطلب نشر الوعي الحقيقي بقضايا المجتمع ومشكلاته وهمومه.

وفي نهاية المطاف، دعوة صادقة نوجهها إلى المسؤولين عن وسائل الإعلام بعامة وعن المجلات النسائية بخاصة، لإبراز الصور العديدة لإسهامات المرأة الفعالة في الريف والبادية والمدينة في عملية البناء الاجتماعي، وتشجيعها لبلورة الاتجاهات الإيجابية نحو المرأة وإسهامها، ولفت الأنظار إلى المعوقات التي تحول دون هذا الإسهام.

د. تماضر حسون

الأمراض اللثوية وعلاجها في التراث العلمي عند العرب

د. محمد فؤاد الذاكري

كَتَب العربُ في ميدانِ العلوم الطبية صفحاتٍ رائعة منْ تاريخ معالجة البشرية، ولا تزالُ أسماءُ الأطباء من أمثال ابن سينا والرازي والكندي وغيرهمْ، مسجلةً في صفحات التاريخ باعتبارهم ممن أسهموا في ميادين التقدم العلمي والاجتماعي. ومعرفةُ هذا التراث والتعريف به وديعة ثمينة وضعت في أعناقنا، وعلينا من أجل ذلك واجب كبير لإظهار دور مشاهير أطبائنا العرب، وما لهم من أثر في الحضارة الإنسانية.

والإصاباتُ اللثوية هي إحدىٰ أمراض الجنس البشري الأكثر انتشارًا، فلا تسلمُ من هذا الداء أمة ولا منطقة في العالم. **وهو غالب الحدوث، فيصيبُ إلىٰ درجةٍ ما نحو نصف عدد السكان من الأحداث وقرابة كل السكان من الكهول. والمقصودُ بأمراض اللثة أي مرضٍ ما حول السنِّ الذي يقع في الجهاز الداعم المؤلَف من اللثة والرباط والملاط وعظم السنخ.**

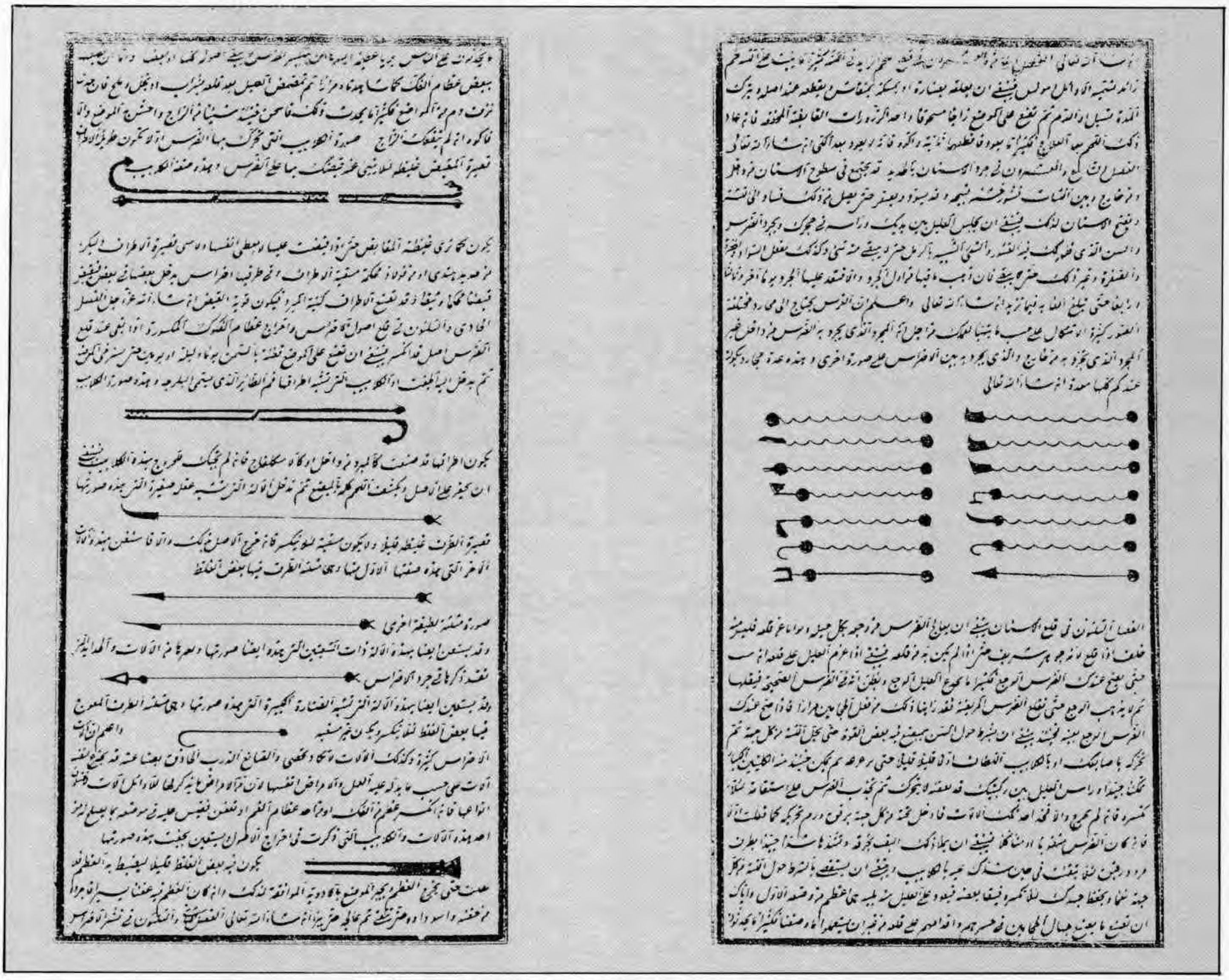
ونستخلص من دراسة النصوص الطبية القديمة أنَّ الانسان كان عرضة لهذا المرض منذ عصورٍ تاريخية قديمة.

وكانَ من الطبيعي أن تسترعي الأمراضُ اللثوية انتباهَ الأطباء العرب القُدامىٰ وعنايتهم، فوصفوا لَها

○○ إزالة الترسبات بالمجارد وتثبيت الجبائر السلكيّة وسائل اتّبعها العرب لعلاج الأسنان ○○

التَشخيصَ اللازمَ، كما وصفوا لها الأدوية والمضامض، واتَّبعوا وسائل ناجعةً لشفائها مثل الكيّ الحراري، وإزالة الترسبات القلحيّة بالمجارِد وتثبيت الجبائر السلكية الذهبية. وكانوا يُطبقون المبدأ القائل: «**الوقايةُ خيرٌ منَ العلاج**»، وهُو أمرٌ ينطبقُ علىٰ أمراض اللثة بقدر ما ينطبقُ علىٰ سواها منَ الأمراض، وقدْ قدموا نصائح كثيرةً في مجال طب الأسنان الوقائي بهدف حماية الأسنان واللثة من الأمراض التي قد تتعرض لها في حال الإهمال وعدمِ المُراعاة.

وصف الأطباءُ العرب القدامىٰ المرض اللثوي المعروف بالتهاب اللثة القلحي بأنهُ «الأكلةُ في اللثة»، حيثُ تُعتبرُ الترسّباتُ القلحيةُ (الكلسية) سببًا مهما في التهاب اللثة، فيحدُثُ الاحمرارُ



صفحتان من كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» ، الجزء الذي يتناول طب الأسنان .

وانتباجُ اللثـة ، وكثيرًا ما تُشـاهدُ تقيحـات في تلك المناطق وبخاصة في الإصابات المزمنةِ التي تتصفُ بالنزف الدموي لأقل لمسة .

ففي كتـاب «فردوس الحكمـة» لعلي بن سهل ابن ربن الطَـبري (١٦٩ ـ ٢٤٧ هـ ، ٧٨٥ ـ ٨٦١م)، يذكرُ في العلاج الدوائي للأمراض اللثوية استعمال الأدويـة القـابضـة التي تحتـوي علىٰ مـوادٍ حمضيـةٍ لما لها من تأثير حافظ من التعفنـات وتُعتبرُ مُطهِّـرةً أيضًا، مثل : أقماع الـرمـانِ وبذر الـوردِ، وَعُصارةُ السمّاق، والتغرغر بالخل والخردل .

ومن الملاحظ أن المعـالجة الحديثـة في التهـاب اللثة القلحيّ تعتمـدُ على إزالة الترسبـات المتكلسة

○○ أفكار أطبائنا القُدامىٰ في تطوير المعالجات اللثوية لا تختلف عمّا هي عليه اليوم ○○

(القلحْ) من على سُطـوح جُذور الأسنـان بالمجـارد المتنـوعـة وإعطـاء المضـامض المطهّـرة والعنـايـة الصحيحة بالفم ، والابتعاد عنْ تناول المواد المخرشة مع غذاءٍ جيدٍ للمصاب غني بالبروتين . وقد أدركَ الأطبـاءُ العـرب القدامىٰ أهميـة التقليح بـالمجـارد والمجارف وأطلقوا عليها تسمية «جَرْدِ الأسنانِ» .

وفي كتـاب «الحاوي في الطب» يحدد أبو بكـر الرازي (٢٥١ ـ ٣١٣ هـ ، ٨٦٥ ـ ٩٢٥ م) طريقة التشخيص ، وذلك عند الضغط على اللثة مما يؤدي إلىٰ حُدوث الألم ، فيقول : «إذا كان الوَجعُ إنما هُوَ في اللثـة وحـدهـا ، تكـونُ اللثـة تتـوجع إذا غمـزت عليها» .

وبالنسبة للأعراض الفموية التي تظهر في حال الالتهابـات اللثويـة يصفُها بقـوله إنها «اللثـة التي تنتفخ وتحمرّ وترمّ وتتآكل» .

وتمتاز هـذه المجاردُ بتنوع أشكالها، تبعًـا لاختلاف المنـاطق السِّنيَّـة، بحيث تعطي فعـاليـةً أثنـاء الاستخدام. وقـد عبّر **الزهراوي** عن ذلك بقوله: «واعلم أن الضرس يحتـاج إلى مجارد مختلفة الصـور كثيرة الأشكال، على حسب ما يتهيأ لعملك، من أجل أن المجرد الذي يجردُ به الضرس من داخل غير المجرد الذي يجردُ به من خارج، والذي يجرد به بين الأضراس على صورة أخرى».

كما يصـف **الزهراوي** عمليـة تقليح الأسنـان بطريقة بارعـة عملية دقيقة فيقول: «وتجرد الضرس والسن الذي ظهـر لك فيه القشـور والشيء الشبيه بـالـرمل حتى لا يتبقى منـه شيء، وكـذلك تفعل بالسـواد والخضرة والصفرة وغير ذلك حتى تنقى، فإن ذهب ما فيهـا من أول الجرد، وإلا فتعيد عليه الجرد يومًـا آخر وثـانيًا وثـالثًا حتى تبلغ الغـاية فيما تُريد».

كما يتميـز **الزهراوي** بوصـف استعمال الجبائر

وفي سبيل العـلاج يستخـــدم الــرازي دلكَ الأسنـــان بـــالأدويـــة الجلاّءة مثل الملح الممـــزوج بالعسل، ونُلاحظ أن هذه المواد ذاتُ طبيعةٍ خشنةٍ قاسيـةٍ تساعِدُ على تنظيف الأسنـان وتخليصها من الترسبات التي تتجمع عليها.

ويصف أيضًـا دلْك اللثة بمواد مختلفـة منهـا العسل، ومن المؤكد أنَّ تدليك اللثة يحسِّن الدوران الدموي والتغذيـة والأكسجين في الأنسجة اللثوية ويسهم في تحسين الصحة الفموية واللثوية.

ويستخدم **أبـو القاسـم الزهـراوي (٩٣٩ ـ ١٠١٣م)، في كتـابـه «التصريف لمن عجـز عن التأليف»**، الأدوات والآلات اللازمة لجرد الأسنان.

○○ الـملح الممزوج بالعسـل منظف للأسـنان استخدمه الرازي لتخليصهـا من الترسبات ○○

وصـوّر في كتـابـه أربعـة عشر مجردًا تستعمل لهذا الغـرض، لا تختلف في أســاس تصميمهـا عما نستعمله اليـوم. ويتألف المجردُ من قبضةٍ طـويلةٍ يتلوها الرأس العاملُ القصيرُ بشكل مؤنف وحادٍ، السلكية الذهبيـة كعلاج نهائي فعالٍ، وينصح بها

من كتاب العدد

● د. محمد فؤاد الذاكري

ـ خـريج جامعـــة دمشق، كلية طب الأسنان، ١٩٨٠ م.

ـ عضـــو في الأكـاديمية الأمـريكية لتـاريخ طب الأسنـان، وجمعية تـاريخ العلوم الأمـريكية، والجمعيـة السورية لتاريخ العلوم.

ـ له نشاط علمي يتمثل في إلقاء المحاضرات وكتابة المقـالات العلمية والبحـوث، منهـا محاضرة عن «الأدوار التاريخيـة في طب الأسنان» ألقيـت في الجمعية السـورية لتـاريخ العلوم، وبحث عن تـاريخ الطب شارك بـه في المؤتمر السنوي السابع عشر لتاريخ العلوم عند العرب.

عندما لا تنجح المعالجة اللثـوية بالطرق المختلفة، وهـدفها تأمين الـراحة للنسج الـداعمة، وإعـادة تثبيت الأسنـان المتقلقلـة، وذلك بـربطهـا بسلك ذهبي مع الأسنـان الثـابتـة، فتصبحُ بشكل عـروة أفقيـة تحيطُ بالأسنـان من الناب للنـاب. ويشرح خطـوات العمل بشكل دقيـق. بينما نـلاحظ أن سابقيـه من الأطباء العـرب اكتفوا بذكـرها دون أي شرحٍ أو تفصيل.

وتذكـر المراجع أن ممّن شدّوا أسنانهم بـالذهب عثمان بن عفـان رضي الله عنـه، وأبـو مُسلم معـاذ الهراء، وعبد الملك بن مروان.

كما نلاحظ أن الأطباء العرب القدامى كان لهم دور كبير في تطويـر المعالجات اللثـوية. والأفكـار الأساسيـة التي قدمـوها بهذا الصـدد لا تختلف عما هي اليـوم، فـالعـلاج الـدوائي ثم الاهتمام بجـرد الأسنان وإزالة الترسبات القلحيـة، كان لديهم كما هو لـدينا اليوم، إجـراء فعال في علاج الالتهـابات اللثويـة، واخيرًا اللجوء إلى الجبائر السلكيـة تدعم بشكل أساسي وفعال المسـار الذي تعتمده المعالجة الحديثة للأمراض اللثوية.

المصادر والمراجع

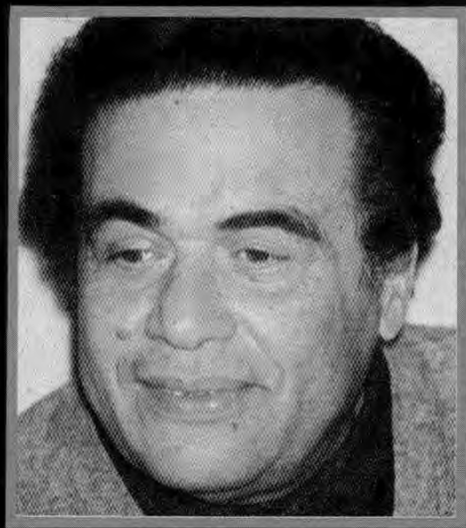
١ ـ كتاب الحاوي في الطب (الجزء الثـالث) في أمـراض الأذن والأنف والأسنان، أبـو بكر محمـد بن زكريـا الرازي. الطبعـة الأولى، مطبعة مجلس دائرة المعـارف العثمانية بحيـدر آبار الـدكن الهند، ١٣٧٥ هــ ـ ١٩٥٥ م.

٢ ـ فـردوس الحكمة في الطب، تأليف علي بن سهل بن ربن الطبري، مطبعة آفتات برلين ١٩٢٨ م.

٣ ـ أبو القاسم الزهراوي، عن الجراحة والآلات. طبعة عربية مع ترجمة إنكليزية وحواشي. لندن ١٩٧٣ م.

الروائي فتحي غانم: مؤثرات في طريق الإبداع

بقلم: حسين عيد



فتحي غانم

فتحي غانم . .

أحد عمالقة الرواية العربية، ومن أكثرهم تمرّسا بفنه، ومن أعمقهم ارتباطا بقضايا الإنسان في المجتمع المصري والعربي، حيث تقدم أعماله انعكاسا صادقا لما يعايشه في المجتمع العربي، أو ما تجيش به أغوار هذا الوطن من تيارات متصارعة، ومن متغيرات حادة، ومن تطورات متلاحقة، منقبا ـ في الوقت نفسه ـ عن جذورها وأسبابها .

هذا الكاتب نمت أعماله الإبداعية في صمت، وواجه ما يقابله من تحديات بإصرار وعناد عل التأمل والاستيعاب والفهم، عاكفا على فنه كالزاهد، نائيا به عن أيّ ضجيج إعلامي أو نقدي، مكتفيا باحتفاء آلاف القراء بأعماله القديمة والجديدة، حين يقبلون عليها، يجتذبهم شوق عارم، لما يلمسونه فيها من صدق في التناول لقضاياهم، وإخلاص في التعبير عن معاناتهم، ودقة في الولوج إلى خلجات النفس البشرية .

ولكن كيف تأتى له امتلاك هذه القدرات ؟

وما أبعاد العلاقة بين الكاتب وأعماله ؟

وما الارتباط بين فتحي غانم وعالمه الروائي ؟

هذه الثنائية التي يكتنفها الغموض، وتثير الفضول، وتفجر الأسئلة بين (الشخصي) و (المكتوب)، بين إرادة الكاتب وما يكتب، بين ملامح ذات الكاتب الشخصية وانعكاسها على عالمه الفني، بين حدود عالم الكاتب (الخاص) وحدود عالمه الروائي (العام) .

إذن، فلندخل محراب فتحي غانم الفني، ولنقترب من الذات المبدعة، التي حباها الله بموهبة فنية كبيرة أو استعداد فطري عظيم، لنتفحص أهم المؤثرات التي ساعدت على إنضاج هذه الموهبة، ولنفتش عن الإجابة خلال تتبعنا لمراحل تشكل شخصيته، ولخطوات العملية الإبداعية، من خلال مراقبتنا ـ بدقة ـ لكل ما يظهر أمامنا من تفاعلات وانعكاسات وتحولات بين المبدع ونتاجه الفني، على أرضية الواقع المعيش .

تأثير الأب

أهم المؤثرات إطلاقا في شخصية فتحي غانم . هذا الأب الطموح، ذو التطلع الطبقي، وذلك ما دفعه إلى الزواج من قاهرية، لها أخ سفير، كما أوصله طموحه إلى الدرجات العليا بوزارة المعارف، وكان يهتم بالتعليم، ويمارس الأدب، وكان على علاقة وصداقة حميمة بأدباء مصر كالعقاد وطه حسين وعبد الرحمن صدقي وعلي أدهم وطاهر الجبلاوي وعبد الرزاق السنهوري .

إذن، كيف كانت علاقته بابنه ؟

أوضح **فتحي غانم** أنها كانت «علاقة حب وضغط»، «الوضعي في نوع من الانضباط، وحرص على متابعة كل ما أقوم به وتقويمه»، وكان هذا فرضا لنوع «من التربية المثالية التي تعرضت لها في طفولتي، لقد فرض عليّ أن أكون الطفل الطيب المثالي» .

هنا شخصية أب قوي، مهيمن، يحرص على وضع عدد من الضوابط بفرض (تربية) طفله تربية مثالية، وهي ضوابط تتفق مع تكوينه الفكري، وقد وضع **فتحي غانم** في حواراته بعض هذه الضوابط، فمثلا لكون الأب أديبًا، شاء أن يضع ابنه منذ طفولته المبكرة على طريق الأدب، من خلال (تعليمه) أداته الأساسية : اللغة العربية، والذي بدأ منذ سن الخامسة، على يد أستاذ أزهري، كان يدرسه وهو يحدثه باللغة العربية الفصحى بشكل كامل، سواء وهو يعلمه القرآن، أو يخبره عن ألفية ابن مالك، أو يشرح له المعتزلة، أو وهو يوضح له حروف القلقلة أثناء قراءة القرآن، وقد ظلّ هذا الأستاذ الأزهري معه حتى وصل إلى المرحلة الثانوية، ونتج عن ذلك نتيجتان مهمتان : **أن أصبح القرآن وقصصه بالذات في داخل فتحي غانم (وهو ما سيشكل محورا فكريا أساسيا في عالمه فيما بعد)، إضافة إلى أنه تشرّب اللغة، فلم يجعل عنده التنبه الشديد لاستخدام اللغة، بل أصبح صوتها موجودا داخله باستمرار، فصار الأمر بسيطا، سهلا .**

وكمثال لشدة الأب في معاملة طفله، ثورة الأب الجامحة في عيد ميلاد فتحي غانم السابع، عندما كان الأب يقدم سجائر للمدعوين المنصرفين، وأومأ الأب لابنه بأخذ سيجارة، فلمّا

الروائي فتحي غانم:
مؤثرات في طريق الابداع



مدّ الابن يده، فزع الأب، وتراجع مندهشا من جرأتـه، فغضب الأب وثار «وقلبها غم»، وقد عبر فتحي غانم عن تأثير تلك الواقعة فيه بقوله «مزاجه الذي لم أفهمه وغضبه المفاجىء أصاباني بصدمة كبيرة».

نحن هنا في مواجهة صورة الأب، النموذج، القدوة، القوي، الذي يحظى باهتمام واحترام الآخرين، فكان حتما أن تستأثر هذه الصورة بإعجاب الطفل وإكباره للأب، خاصة وإنه كان يسمح له بحضور جلساته مع كبار أدباء مصر، وتكون **هدية عيد ميلاده بيتي شعر من العقاد**، بل كان يأخذه معه - أيضا - خلال ذهابه لمراجعة بروفات كتاب «جان دارك» : في سبيل الوطن الذي كان يطبعه في مكتبة مصر . . في كل ذلك، لم يكن الأب يعامل طفلا صغيرا، بل كان يعامل حلما (مثاليا)، أديبا منتظرا، يأمل تحققه، يدفعه ويلاحقه على طريق الأدب، لذلك كان منطقيا أن لا يسمح له بارتكاب هفوات الأطفال التي يرتكبونها في مثل سنة، وهذا ما يبرر غضبه المفاجىء في عيد ميلاده السابع، بل هناك ما يؤكد ذلك، حين أخذه الأب معه ــ وهو بعد طفل صغير - إلى الطبيب الذي تولى عملية إزالة الوشم للأب، وهي عملية رهيبة، مؤلمة، ظلت تؤرق الطفل لسنوات طويلة بعد ذلك، حتى وضعها في سياق ذكريات يوسف منصور عن أبيه في رواية « **زينب والعرش** »، حين أمسك الطبيب «بآلات وإبر حادة وسكاكين ومقصات، وهو يزيل الوشم من يد أبيه، الذي كان يتألم ويوسف ينظر إليه وقد انتقل الألم إلى صدره ويديه وجسده كله».

ورغم ذلك، كان إعجاب فتحي غانم بأبيه الأديب يتزايد، بل أصبح محلّ فخر بين زملائه في المدرسة، وذلك حين اقتحم الأب مع ناظر المدرسة حجرة الدراسة، وسلّم على مدرس الفصل - **زكي نجيب محمود** - وكان قد جاء ليشكره على مقال كتبه عن كتاب من تأليفه، وقد عبّر **فتحي غانم** عن تأثير هذا الموقف فيه بين أترابه في الفصل «وبرغم أنهم لم يتحدثوا عني أو معي إلا أن هذا الموقف أحدث لي هزّة عميقة».

هكذا، ترسّخت صورة الأب، الأديب، النموذج، القدوة، وملأت وجدان فتحي غانم، وظلّت حية في خياله، حتى بعد وفاة الأب، حين يقول عنه «آخر ذكرى لي عنه صورته وهو جالس يكتب» هنا إيجاز بليغ، إن ما بقي من الأب في الذاكرة هو جوهر وجوده، وهو شخصيته كأديب يمارس الكتابة، وكل ما عدا ذلك كان محض حواش أو مظاهر أسقطتها الأيام. إن ما اختزنته الذاكرة - أيضًا ــ هو الجزء الآسر الذي تمسك به فتحي غانم بإصرار قد لا يكون واعيًا، لكنه كان حافزا أساسيا، ودافعا قويا له في التوجه نحو الأدب، وهذاهو نفس ما عبر عنه فتحي غانم بعد ذلك حين قال «لعل افتقادي له عندما توفي وأنا في الثانية عشرة من عمري، وكنت أكبر إخوتي، هو ما جعل الكتابة تمثل لي عملية تجسد في شخص الأب».

لذلك كان منطقيا أن تمثل المكتبة الكبيرة التي خلفها والده شيئًا أثيرا لديه. إنها امتداد لذات الأب، فكان هذا كافيا لأن يبتعد عنها لمدة سنتين، مترددا بين الإقبال والإدبار، بين الحبّ والرهبة . . وحين اشتد الحنين إلى الأب، أقبل عليها بشغف، بادئا بتنظيم فهارس كتبها، في محاولة أولية للتعرف على هذا العالم الجديد، وما يحتويه بين جنباته، ورغم أنه كان يعيش - ساعتها - في رحاب الأب، وسط عالمه المحبب، إلا أنه عاش سنوات يتحسس هذه الكتب قبل أن يقرأ فيها، ربما تقديرا للصورة الباهرة التي رسمها الأب للأدباء، ومؤلفي تلك الكتب، أو تخوفا من جسامة المغامرة التي سيقدم عليها باقتحام هذا العالم الذي طالما حلم به.

هذه المكتبة - التي كانت تحتشد بالكثير من أمهات الكتب العربية لابن خلدون وابن حزم والشهرستاني وغيرهم، وبالعديد من الكتب الإنجليزية والفرنسية أيضا ــ ستكون هي الزاد الأساسي الذي يغترف منه فتحي غانم في مرحلة التكّون الأولى، التي استمرت عشر سنوات، يقرأ فيها بنهم، في مختلف المجالات، خاصة في الرواية والنقد، يناقش، ويستوعب، حتى تكتمل أدواته الأساسية، ويدخل عالم الأدب، وستظل هذه المكتبة - دائما - مرجعا أساسيا له يحج إليه كلما دعته الحاجة إلى البحث والاطلاع.

الارتباط بالأم

والآن، لننتقل إلى الجانب الآخر، جانب الأم . . هل كان هناك أيضا ارتباط بها ؟

يقر **فتحي غانم** أن هذا الارتباط كان موجودا، «ولكن بعقل شديد وتعامل (من فوق) بعض الشيء، وهي التي كانت تصرف على البيت، حتى بعد تخرجي وعملي». ثم يذكر عنها «إني فوجئت ذات يوم، وأنا أعبث بأوراق خاصة بوالدتي أنها كتبت شعر رثاء لأبي، لم يسبق أن حدثتني عنه من قبل، فطفرت الدموع من عيني، وشعرت بمهابة الكلمة، وأهميتها في التعبير، ولعل هذا كان له تأثيره في اتجاهي نحو الأدب».

لماذا طفرت الدموع من عيني فتحي غانم في هذا المشهد وهو الذي سبق أن قال «أبي وأمي نوعان مختلفان من البشر» ؟

أهي مفاجأة لحظة الكشف عن مكنون مشاعر أمه، لم يسبق أن حدثته عنها من قبل ؟

أم هي لحظة مشاركة بينهما، حين أحسّ أنها افتقدته كما افتقده هو ؟

المهم أن فتحي غانم يؤكد تأثير هذا الموقف في اتجاهه نحو الأدب .

صدمة الموت

عاش فتحي غانم طفلا، ثم صبيًا يافعا، في كنف حياة مستقرة، وسط عالم الأدب السحري،

أقبل على مكتبة والده - بعد وفاته - حنيناً إليه، لكنها كَوَّنت، فيما بعد، زاده الفكري

يجاوره أب قوي، يأخذ بيده، يعامله معاملة الأنداد، يشركه في عالمه الأدبي، ليتحرك مبهورا بين كبار أدباء العصر، حالما بمستقبل أدبي مشرق، بدأ يخطو - واثقا - إليه . .

وسط كل هـــذا، يسقط الأب المعلم والأسطورة، يختفي فجأة من الحياة، يموت . .

ماذا يعني الموت ؟

ما ذلك الوحش الجامح، الذي يفترس البشر فجأة، دون سابق إنذار، حين يقدم على فعلة جديدة مع الأب، بعد أن خطف أخته قبل أن يولد ؟

ماذا تعني الحياة ؟

لماذا يأتي الفقدان مع بشائر الاستقرار، والتطلع نحو المستقبل بأمل ؟

لماذا يكمن الموت في قلب الأشيـــــاء يتحين الفرصة للوثوب والانقضاض ؟

كيف تغير العالم فجأة، واسودت الحياة، بعد أن كانت مشرقة، بهيجة ؟

عشرات الخواطر والأفكار، لا شك أنها راودت فتحي غانم في سنه الحرجة، وهو في الثانية عشرة من عمره . . كلها تؤكد فداحة حجم الصدمة التي أصابته، والمصاب الأليم الذي نزل به .

للمرة الأولى وجها لوجه أمام الموت، صحيح أنه افتقد من قبل أخته التي ماتت طفلة قبل أن يولد هو، لكن تأثير فقدها كان واهنا، بعيدا، فهو لم يعش معها، لم يتنفس من نفس الهواء الذي تنفسته . . لكن مع الأب كان الأمر مختلفا تماما . . ولا شك أن فتحي انتابه الرعب من تلك المواجهة، ولازمه سنوات طويلة بعد ذلك، راح خلالها يحاول «الوصول إلى تصور للحياة التي نعيشها»، وانصرف تأثير ذلك إلى أبطال رواياته - فيما بعد - ما الاحتمالات المختلفة التي تواجه حياتهم حال فقدهم الأب وهم أطفال صغار ؟ وقدّم تنويعات مختلفة لهذا الفقد بين الأم والأب .

سامية سامي تفقد أباها صغيرة، ويوسف عبد الحميد يفقد أمه، وهو طفل في **«الرجل الذي فقد ظله»** . زينب يموت أبوها وهي طفلة، ويوسف منصور يموت أبوه وهو صغير في **«زينب والعرش»** . يوسف منصور يفقد أباه في الرابعة عشرة، وابنه حسن يفقد أخته الصغيرة قبل أن يولد في رواية **«الأفيال»** .

ألسنا في نهاية الأمر (ضحايا) في مواجهة الموت ؟ !

هكذا إذن، كانت الكتابة بالنسبة إلى فتحي غانم - تماما كما أوضحها الكاتب في رواية **«حكاية تو»** - «محاولة لمعالجة ذلك التشويه النفسي الذي أصابني . خُيل إلي وقتها أن الكتابة قد تساعدني على الشفاء، أو لعلها قد تكشف لي عن طريق للخلاص مما أعاني منه، ولكن هيهات، فالأمر أفدح بكثير من أن تعالجه كلمات على ورق» .

وعندما بدأ فتحي غانم يستوعب صدمة موت الأب، ويتماسك، إذا بالموت يلطمه مرة أخرى بقسوة أكثر عنفا، حين توفي أخوه في سن التاسعة عشرة - وكان يدرس معه في كلية الحقوق - بعد أن صدمته سيارة للجيش البريطاني يوم الجمعة من شهر آذار (مارس) ١٩٤٥م، المذهل في الأمر، أن الحادثة في شارع القصر العيني، أمام مبنى روز اليوسف الحالي بالضبط، والتي سيعين بعد ذلك بسنوات طويلة للعمل فيها، فإذا به يستعيد الحادث كلما ذهب إلى مبناها !

هكذا ظل «قلق الموت» يتملك فتحي غانم لسنوات طويلة، يطارده شبحه، فكان لا بد له في النهاية من مواجهته، وتم ذلك في رواية **«الأفيال»**، التي اقتحم فيها العالم الآخر، عالم ما بعد الموت، عالم الحساب والمحاكمة، بكل شواهده ورموزه .

كان عبوره إلى العالم الآخر فنيا، اجتيازاً لحاجز الخوف، لقد قهر شبح الخوف من الموت أخيرا، واقتحم عالم أسراره، لذلك قال «لم يعد انقضاء العمر أو الموت يخيفني بعد أن كتبت «الأفيال» . قبل «الأفيال» كنت أخاف، ولكن «الأفيال» خلصتني من هذا الأمر» .

عزلة المتفرج

جانب جوهري تشكّل في شخصية فتحي غانم، بحكم قيود (تربيته) التي عزلته عن مشاركة الأطفال الآخرين عبثهم، تحت اقتناع الأهل بأن هذه العزلة فيها صيانة للنفس وحماية لها . لذلك لم يعش فتحي غانم طفولة عادية، فكان يرقب الأطفال في لعبهم من وراء زجاج نافذة غرفته، دون أن يُسمح له بمشاركتهم، مفروضا عليه موقف (المتفرج)، وقد عبّر عن تأثير ذلك بقوله «لقد عانيت الكثير في طفولتي وشبابي بسبب هذه التربية، فقد كنت أتعرض دائما لسوء الفهم من جانب الأصدقاء، يفهمون امتناعي عن المشاركة في لهو الشباب وعبثه على أنه نوع من التعالي أو العبط أو البلاهة، أو عدم الانتماء لطبقتهم» .

وكانت فترة طفولته تلك - كما يقول عنها - «هي المادة الخام التي استقيت منها طفولة يوسف عبد الحميد السويفي في رواية **«الرجل الذي فقد ظله»** . نفس تجارب طفولتي، مع تحويرها بعض الشيء بالطبع» .

الروائي فتحي غانم:
مؤثرات في طريق الإبداع



لكن تأثير عزلة المتفرج امتد عميقا، ليشكل موقفا مما يجيش به المجتمع من تيارات سياسية، فلم ينتم إلى يمين أو يسار، ولم يدخل السجن أو يعتقل، ولم يفتش بيته مرة واحدة، لذلك فإن هذا النوع من التجارب لن يكون موجودا في أدبه على الإطلاق.

ويبقى أن عزلة المتفرج هذه، أتاحت له الفرصة للتأمل، في محاولة لفهم ما يجرى حوله وأمامه، كما أطلقت العنان لخياله، لينطلق مغامرا في شتى المجالات، متحررا من قيود الواقع التي تكبله، وهو ما استفاد منه فيما بعد في تجربة الكتابة، حين عبر عن ذلك بقوله «لذة الكتابة في مغامرتها. فالكاتب يغامر في بحر الحياة، مع الناس، مع البشر، مع تجارب الإنسان، وحتى آخر دقيقة في كتابة الرواية لا يدري ماذا سيكتب فيها».

لكنّ نَصْلَ هذا الملمح (الشخصي)، امتد عميقا في أدبه ليصبغ عددًا كبيرًا من شخصياته

(يوسف عبد الحميد في «**الرجل الذي فقد ظله**»، يوسف منصور في «**زينب والعرش**»، يوسف منصور في «الساخن والبارد»، يوسف منصور في «الأفيال»، وفي القصة القصيرة أيضا: يوسف منصور في «**قضت المحكمة . . .**»).

هنا لابد أن يثور سؤال: قد يكون مفهوما أن تتأثر بعض شخصياته الروائية ببعض ملامحه الخاصة، ولكن لماذا الإصرار على التمسك بتكرار اسم «يوسف منصور»، ولماذا الإلحاح على تكرار اسم «يوسف» في حالات أخرى؟!

قد يكون اسم «منصور» مأخوذًا من جد فتحي غانم إذ كان اسمه «منصور جاهين»، فهل ينصرف اسم «يوسف» إلى فتحي غانم نفسه؟!

أجاب: «نعم جميع الشخصيات لابد أن تكون متأثرة بي على نحو ما، قد لا أعي به تماما في حالات كثيرة، «يوسف» مأخوذ مني، وفي كل من أطلقت عليهم هذا الاسم من الشخصيات في رواياتي، حتى في رواية «الرجل الذي فقد ظله»، على الرغم من أن الأقرب إلى رؤيتي فيها هو هيكل.

أما تكرار هذه الشخصية، فقد يرجع إلى أنها

○○ دخل عالم الأدب بحثًا عن الذات ولتجسيد رؤيته للعالم ○○

فرضت نفسها عليّ فرضا من خلال نوع من التربية المثالية التي تعرضت لها في طفولتي، لقد فرض علي أن أكون الطفل الطيب المثالي . . وكان البعض يرى أنه لا سبيل لإثبات صداقتنا إلا بأن نتبادل الشتائم ونشترك في نفس السلوك، ولم يكن من السهل أن أتجاهل تأثير هذه المرحلة، ولعلها ساعدتني في مرحلة تالية على أن أدرك الكثير من أنواع سوء التفاهم البشري الذي ينجم عن تحيّز الأفراد والجماعات لأهوائهم أو لأوضاعهم الخاصة».

إذن، **يمكن اعتبار أن فتحي غانم قد دخل عالم الأدب، من منطلق ذاتي، للبحث عن أجوبة تساعده على التعرف على ذاته،** في محك صراعها مع (التربية المثالية التي نشأ في كنفها، فأحاطته بسياج من (العزلة)، وصنعت منه (متفرجا) على ما يجري في الدنيا من حوله، غير أن الموت يلطمه بقوة، ويدعه في مهب ريح الحياة، فيحاول ثانية أن يتفهم تأثير موت الأب (أو الأم) في أبطال رواياته وهم أطفال، وفق تنويعات مختلفة وفي مزاوجة مع موقف المتفرج أحيانا، ولعل هذا يعلل اهتمامه بالتأويل النفسي لشخصياته الروائية والغوص في أغوارها، بغرض تعرية الكيفية التي تحسّ بها تلك الشخصيات بالظلم أو الفقر أو القضايا الاجتماعية الأخرى المثارة في الواقع الخارجي؛ **لأن معرفة النفس هي الخطوة الأولى في طريق المواجهة الصحيحة،** ولعل هذا أيضا يوضح سر إعجابه بديستويفسكي في قدرته على المواجهة وتشريح النفس.

رحلة الأدب إذن، هي رحلة بحث عن الذات، واكتشاف أبعادها، والتعرف على أغوارها. لكن هذه الرحلة، لم تكن لتؤتي ثمارها، إذا انغلق على ذاته ـ رغم أنه فعلا انغلق على نفسه لمدة عشر سنوات لإعداد نفسه لخوض غمار عالم الأدب ـ بل كان لابد أن يتفتح على الحياة من حوله، بكل ما يكشف المجتمع من صراع ومتغيرات وتيارات. فحركة الكون، ودورة العصر، واندفاعة الحياة، هي المحك الحي الذي يطور ذات الفنان ويبلور أسلوبه الخاص ويجسد رؤيته للعالم، حتى يتسنى له ـ في النهاية ـ فهم نفسه وفهم الحياة من حوله، لكنه لا يحتفظ بهذا الكشف لنفسه، بل يشرك فيه القراء، من خلال أعماله الفنية.

«بانوراما الأيّام!»

شعر: محيي الدين فارس

مِيلي لِغَيْرِي . . فَقَلْبِي اليَوْمَ مَا مَا لاَ … لِلْمُغْرِيَاتِ . . أَفَانِينًا . . وَأَشْكَالا !!

فَقَدْ أَخَذْتُ مِنَ الدُّنْيَا وَقَدْ أَخَذَتْ … مِنِّي . . وَلَمْ تُبْقِ . . حَتَّى الوَهْمَ والآلا

فِي ذِمَّةِ اللَّهِ . . أَيَّامِي الَّتِي سَلَفَتْ … وَنَحْنُ نَرْكُضُ فِي الشُّطْآنِ أَطْفَالا

أَيَّامَ نَمْرَحُ فِي زَهْوِ الشَّبَابِ بِلاَ … هَمٍّ . . وَنَبْنِي مِنَ اللاَّشَيْءِ آمَالا

فَتَارَةً تُرْسِلُ الأَمْوَاجُ . . أُغْنِيَةً … وَتَارَةً . . نُسْمِعُ الأَمْوَاجَ مَوَّالا !

كَمْ ذَا بَنَيْنَا مِنَ الصَّلْصَالِ مَنْزِلَنَا … وكم ضَفَرْنَا سُقُوفَ المُنْتَدَى نَالا(١)

وَلِلْبَسَاتِينِ أَطْلالٌ مُغَمْغِمَةٌ … تُسِرُّ فِي أُذنِ الودْيَانِ أَقْوَالا

ولِلأَسَاطِيرِ أَسْرَارٌ مُحَجَّبَةٌ … تَمُوجُ فِي خَاطِرِ الظَّلْمَاءِ أَغْوَالا

يُخِيفُنَا شَبَحٌ فِي الغَابِ مُخْتَبِئٌ … وَ لَيْسَ إلا جَرِيدَ النَّخلِ قَدْ مَالا

ومَوْقِدُ اللَّيْلِ يقظَانٌ مَرَاجِلُهُ … تئِنُّ . . فَوْقَ لَهِيبِ الجَمْرِ إعْوَالا

نَرُوحُ نَخْطفُ مِنهَا كُلَّمَا نَضِجَتْ … وَتَارةً نُشْعِلُ النيرَانَ إشْعالا

وطَائِرُ اللَّيْلِ مَلاَّحٌ عَلَى سَفَرٍ … يَطْوِي بِلاَدًا وأَنْهَارًا وَ أَدْغَالا

يُلْقِي عَلَيْنَا صَدَى لَحْنٍ وَيعْبُرُنَا … لَمْحًا . . وَيُبْقِي صَدَاهُ الحُلْوَ مُنْثَالا

مَاذَا تَقُولُ لَنَا يَا طَيْرُ فِي زَمَنٍ … مُرٍّ . . يُدِيفُ رَحِيقَ السمِّ قَتَّالا ؟

قَدْ كُنْتَ تَأْتِي زَمَانَ الخصْبِ مُنْتَشِيًّا … وَالآنَ مَا عُدْتَ بِالآفَاقِ . . جَوَّالا

وَذَاكِرُ اللَّيْلِ دَرْوِيشٌ نُحِيطُ بِهِ … وَشَعْرُهُ . . مُرْسَلٌ فِي الرِّيحِ إرْسَالا

يَقُولُ يَا رَاحِلاً مِنْهَا بِلاَ عَمَلٍ … فأين زَادُكَ . . إنْ أَزْمَعَتَ تَرْحَالا؟

فِي ذِمَّةِ اللَّهِ لَيَلاَتِي الَّتِي سَلَفَتْ … كَانَتْ عَلَى النَّهْرِ . . أَفْرَاحًا . . وآمَالا

كَمْ مِنْ قَبِيلٍ تَغَنَّى فِي سَوَاحِلِهَا … ثُمَّ انطَوَى . . وَبِسَاطُ اللَّهْوِ مَازَالا ؟!

كَانَتْ تُغَنِّي . . ! وَلكِنْ مَالَهَا وَجَمَتْ … وَالنَّهْرُ مِنْ حَوْلِهَا . . يَنْسَابُ جِرْيَالا!

مَضَى الأَحِبَّاءُ فَانْبَتَّتْ أَوَاصِرُهُمْ … وَأَصْبَحُوا فِي رِمَالِ البِيدِ أَطْلاَلا!

وهَا أَنَا الآنَ فِي أَعْمَاقِ صَوْمَعَتِي … أَبْنِي . . وَانْحَتُ لِلأَحْزَانِ تِمْثَالا

وَتَسْتَرِدُّ عُيُونِي وَجْهَ مِئْذَنَتِي … فَأَطْمَئِنُّ . . لِصَوْتِ الفَجْرِ قَدْ سَالا

وَمَا مَدَدْتُ يَدِي لِلنِّيلِ عَاتِبَةً … كَيْمَا يُنِيلَ فَمِي الظَّمْآنَ أَوْشَالا

وَمَا التَفَتُّ إِلَى ظِلٍّ . . يُسَامِرُنِي … سَامَرْتُ ظِلِّي صَبَاحَاتٍ وَآصَالا!

هَذَا تُرَابُكَ يَا رَبِّي لَبِثْتُ بِهِ … دَهْرًا . . فَأَلْبَسَنِي فِي القَاعِ أَغْلاَلا

إِنِّي سَأَبْرَحُهُ يَوْمًا . . وَيَبْرَحُنِي … حَتَّى أَعُودَ . . كَمَا قَدْ كُنْتُ صَلْصَالا

(١) «النَّال» شجر تبني به «القَطَاطِي» دارجية سودانية وهي الأكواخ الريفية، ومن خصائص هذا الشجر أنه إذا هطلت عليه الأمطار يفوح عطرًا نفاذًا.

تقاليد المهد

وتراقيص الأطفال عند الأردنيين

صالح خريسات

بعد حدوث الولادة، يفكر الأبوان في تسمية مولودهما، فإذا كان المولود أنثى، فإن الأب لا يحفل في التفكير باسم لها، وإنما يسميها بأي اسم يخطر بباله، وقد ينتقي لها اسمًا من أسماء بنات الجيران أو الأقارب، وقد تسميها الأم فلا يعارض.

غير أن الأمر يختلف إذا كان المولود ذكرًا، فغالبًا ما يعمد الأب إلى تسميته باسم والده أو جده تخليدًا لذكراهما، أو تراه يبحث له عن اسم جديد يدل على معنى من معاني الشجاعة والفروسية، فيسميه مثلاً: مناور، أو غازي، أو كايد، أو غالب. وربما يبحث له عن اسم من أسماء الحيوانات المفترسة، مثل: فهد، نمر. على أن الشائع بين الأردنيين من الأسماء هو ما حُمّد وعُبّد، مثل: عبد الله، عبد الرحمن، عبد القادر، عبد الكريم، عبد الفتاح، عبد الرزاق، أو: أحمد، محمد، محمود، حمد، حمدان، حمد الله، حميد، ... إلخ.

والملاحظ في أسماء الرجال في الأردن ظاهرة التصغير، أي تصغير الاسم، فإنهم يسمون الطفل عبد القادر، وينادونه (قويدر)، فيعرف في المجتمع بهذا الاسم المصغر، وكذلك الحال في بقية الأسماء الأخرى: عبد الكريم (كريم)، عبد الفتاح (افتيح)، عبد الرزاق (أرزيق أو أرويزق)، حمدان (حميدان)، حمد (أحميد)، وهكذا.

ولا يبحث الرجل الأردني في الأسماء الجميلة، سواء كانت للذكور أو الإناث، بل إنه على العكس من ذلك، ينفر، أو يضحك مستهزئًا إذا سمع اسمًا ناعمًا لرجل ما، ويشبه أصحاب هذه الأسماء بالنساء لنعومة أسمائهم.

أما أسماء النساء، فلم تكن لديهم قاعدة لها، لكنها غالبًا ما كانت ترتبط بالبيئة والمحيط الاجتماعي، فكانوا يسمون مثلاً، فلحة[١]، فلاحة[٢]، خزنة[٣]، فرسخ[٤]، زعول[٥]، غزالة[٦]، شيخة[٧]، أو تراهم يسمون بأسماء النساء الشهيرات في التاريخ الإسلامي، مثل: فاطمة، آمنة، عائشة، حليمة، خديجة، ... إلخ.

وقد جرت ظاهرة تصغير الاسم حتى على أسماء النساء، فكانوا ينادون فلحة (فليحة)، عائشة (عيشة أو عويشة وربما عيوش أحيانًا).

تقاليد ما بعد الولادة

تبدأ المرأة بالعناية بمولودها منذ اللحظات الأولى للولادة، فترضعه رضاعة طبيعية، من ثديها، ثم تسلمه إلى أمها (جدته) فتغسله بالماء والملح وتلفه بالكوفلية[٨]، وكلما صرخ الطفل عمدت الأم إلى إرضاعه من جديد، بينما تستمر أفواج النساء بالقدوم إليها للتهنئة والتبريك، وكلما وصلت إحداهن تسلم أولاً، ثم تقول بصوت مرتفع يسمعه كل من في الدار من النساء: «مبروك ما أجاكوا، يتربى بعزكوا إن شاء الله»[٩]. فترد عليها المرأة ومن حضر من النساء: «الله يسمع منك، عقبال ما نشوف لولادك إن شاء الله»، فترد المرأة: «الله كريم، احنا والسامعين إن شاء الله»، ثم تجلس بعد أن تصافح المرأة النفساء، فتعمد امرأة إلى صب فنجان القهوة السادة، ثم يدار الشاي أو القرفة، ثم حلوى المِلَبَّس، وتنضم المرأة إلى جماعات النساء لتشترك معهن في الحديث.

بعد أسبوع من ولادة الطفل، يستعد أهله ليوم (سبوعه)[١٠] حيث يدعى الأهل والأصدقاء إلى حضور حفل (السماط)[١١]، ويوم ذاك يقرأ على المولود سيرة النبي ﷺ. كما يوضع إلى جانبه القرآن الكريم، وبعض الشعير المخلوط بالملح.

تستمر أفواج النساء بالقدوم على هذه السيدة النفساء مدة الأربعين يومًا، وقبل هذا الموعد لا يجوز للمرأة النفساء أن تخرج من بيتها مهما كانت الأسباب وإلا تعرضت لها ألسنة العامة، وبخاصة من النساء، بالقيل والقال. بعد هذا الموعد تخف الزيارة عنها وتبدأ الأمور بالعودة تدريجيًا إلى سابق عهدها لتتفرغ الأم لرعاية طفلها الجديد والقيام بواجباتها الأسرية.

تقاليد المهد

وللطفل في المهد تقاليد خاصة وعادات طريفة تعتمدهـا الأم أثناء تربيـة طفلها والعنايـة به، فإذا بكى الطفل فإنها تحاول إسكاته بالرضاعة، فتحمله وتضعه في حضنها وتقربه من ثديها، فإذا استمر في البكـاء تقـدم لـه بعض الألعـاب المصنـوعـة من الصناعات اليدوية الخفيفة التي تحتفظ بها الأم لهذه الغاية.

وإذا زاد بكاء الطفل عن الحد المعتاد، فإن الأم تغلي لـه بعض الأعشـاب مثل الميرميـة[١٢]، أو اليانسون، أو البابونج، أو النعناع، وقد تعمد إلى استشارة والـدتها أو جدتها فتخبرهما بحـال الطفل الذي لا يهدأ ولا ينام.

وتعتقد الأم أو الجارة، أن الطفل موجوع[١٣]، فتعمد إحـداهن إلى دلك أعضـائه بزيت الـزيتون البلـدي والملح، فيبكي الطفـل ويصرخ من شـدة الألم، ثم تشـده بالكـوفلية من جـديد وتضعـه في فـراشـه، فينـام الطفل من الخوف وكثـرة البكـاء، فتظن الأم أن الألم قد زال عنه.

أما الجدة، فإنها تقسم بـأن عينًا، لم تُصَلِّ على النبي، أصابت هـذا الطفل بالحسـد، لذلك فإنها تعلق على صـــدره بعـض أنـــواع المتحجــــرات والأصداف وحبات الخرز وقرون الغزال، لتبعد عنه الأشبـاح ولتجنبـه عين الحســود، كما يـزعمـون. وتحدث مثل هـذه التصرفـات المخالفـة للـدين في الفئات الاجتماعية غير الواعية التي تنقصها الثقافة الدينية.

وتقرأ الجدة على حفيـدها بعض المعـوذات من القرآن الكـريم، أو ما تحفظ من الأدعية مما يتصل بهذا البـاب، وتمسح بيـدهـا على رأس حفيـدهـا وتدعو الله أن يحفظه من شر كل حاسد إذا حسد.

كـذلك مازالت عـادة حـرق البخور وحبـات الشعير المقري[١٤] موجودة في المجتمع الأردني، ولا تخلو خزانة الجدة أو صندوقها من مثل هذه المواد، فإذا زارتها ابنتها أو ابنها ومعهما طفل يبكي، فإنها تعطيهما بعض ما عندها من البخور لحرقه في البيت عند المساء مع ذكر كلمات الصلاة على النبي.

وإلى جانب تلك المعتقـدات الشعبية، عرفت في المجتمع الأردني بعض الترانيم الخاصـة بـالطفل وهو في المهد، من ذلك ما تـردده الأم ساعة إصابة طفلها بالأرق، فتربـت على صدره بهدوء أو تهزّ له سريره وهي تـردد بلحن أقرب مـا يكون إلى الحزن، فتقول مثلاً:

نـامت عيـون النـاس   عين الله مـــا نـــامت
مـا عُمْر شـدة يـا يُمَّه   على مخلـــوق دامت

وكذلك:

نـــام يـــا ابني نـــام   لأذبحلـــك طيـر الحـــمام
يـــا حمامــــة لا تخافي   بضحك على ابني ينام[١٥]

ومن الترانيم المشهورة في هذا المجال، غناء الأم لطفلها:

روحي يـــا جـاجــة   تَعَيْ يـــا جـاجــة[١٦]
خلّي هـــالـــولـــد   يقضيـنّـا الحاجــة[١٧]

ويختلف الأمر في لحظات مداعبـة الأم لطفلها وملاطفتها له، فغالبًا ما توقفه على فخذيها وتمسكه من يديه وهي تبعده وتقربه من صدرها، ثم تغمره بـالقبـلات الحارة وتضمـه إلى صـدرهـا، ويقـابل الطفل هـذه الملاطفة بـابتسامـات تنم عن الرضـا والقبول، الأمر الـذي يحرك غريزة الأمومـة عند الأم فتزداد تعلقًـا بطفلها، وتعبر عن فـرحها به بـالغناء له، فتقول مثلاً:

يسعـد ربي مـا أعطـاني   أعطـــاني ولـــد غـــالي
يـا رب يطـــول عمـــره   يكبر ويفضّي بـــالي[١٨]

وإذا كـان الـوقت صبـاحًـا، ونظرت الأم إلى طفلها وابتسم لها ليحييها، فـإنها تحمله وتضمه إلى صدرها وهي تهلل سرورًا وتقول:

صبـــــاح الخير وخيره   تصبحلي هـالصغيرة[١٩]
وتصبح لحيــة أبـــوه   اللي تســوى قبيلــة[٢٠]
يـا صبـاح الخير كلـه   ولغيرك مـــا بقلـــه[٢١]
وتصبح لحيــة خـــالــه   من دون الـربع كلـه[٢٢]

أمـا إذا كـان المولـود أنثى، فإن الأم تـلاطفهـا قائلة:

يـا بنـات يـا بـــدور   نـازلات ع النهـــور[٢٣]
يـــا ولـــد حيـــد ودور   دور عن درب البنات[٢٤]
يـا بنـات يـا بنـــات   ريقكن سكـــر نبـــات
يـا بنـات يـا بنـات   صاحب الدكانة مات[٢٥]
مين يقشقش مين يحطـب   مين يبيع الشـومـرات[٢٦]

الهوامش:

١ ـ فلحة: علم مؤنث، أخذته العامة من (الفَلاَح) وهو الفوز والبقاء والنجاة.
٢ ـ فلاحة: علم مـؤنث، أخذته العـامة من (الفِـلاحة) وهي حـراثة الأرض واستصلاحها للزراعة.
٣ ـ خزنة: علم مؤنث، أخذته العامة من (الخزن)، (خزن) المال جعله في الخزانـة، و(المخـزن) ما يخزن فيـه الشيْ، و(الخزانـة) واحـدة (الخزائن) والعامة يسمون الكنز (خزنة) أي المكان الذي خزنت فيه الأموال.
٤ ـ فـرسخ: علم مـؤنث، أخـذتـه العـامـة من (الفـرسخ) واحـد (الفــراسخ)، وهـو اسـم فـارسي معـرب، يُعتمـد في قيـاس المسافات.
٥ ـ زعـول: علم مؤنث، أخذتـه العامـة من (زعل) أي غضـب وأمال وجهه.
٦ ـ غزالة: مؤنث غزال.
٧ ـ شيخة: مؤنث شيخ.
٨ ـ الكوفلية: لفـات القماش التي يلف بها الرضيع وتسمى عند بعض العامة (القماط).
٩ ـ أجاكوا: جاءكم.
١٠ ـ سبــوعـه: سبوع الطفل: الحفلـة أو الوليمـة التي يقيمها الأهل لطفلهم الحديث الـولادة بعد مضي أسبـوع على ولادتـه، وكانـوا يصنعـون في مثل هــذه المنـاسبـة بعض المأكـولات الشعبيـة، ويدعون الأهل والجيران والأصدقاء إلى حضور هذه المناسبة التي تقرأ فيها السور القرآنية والأدعية المأثورة.
١١ ـ السماط: أكلـة شعبية جـرت العادة أن يصنعهـا الأهل في (سبوع الطفل) وهي تتكون من البرغل المجروش المطبوخ باللبن.
١٢ ـ الميرميــة: عشب معـروف يستخـدم كعــلاج لأمـراض البطن والأمعاء.
١٣ ـ موجوع: الطفل الموجـوع: الطفل المتوجع من ألم في أضلاعه من جراء الحمـل الخطأ، إذ تكون أضـلاعه طـرية، فيتضرر إذا حمل بطريقة خشنـة أو شدت أضلاعه، ويعالج بطـريقة شعبية، إذ يخلط الزيت البلدي بقليل من الملح وتمسح به أضلاع الطفل.
١٤ ـ الشعير المقـري: هـو الشعير الذي قـرئت عليـه بعض الآيـات القرآنية والمدائح النبوية، ويحتفظ به الناس لهذه الغاية.
١٥ ـ ت ينام: حتى ينام.
١٦ ـ جاجة: هي الدجاجة واختصر لفظها إلى جاجة للتسهيل.
١٧ ـ خلي هالـولد: دع هذا الولـد، وتفسير الجملة بصحيح العبارة: حتى يكبر هذا الولد فيقضي لنا حاجتنا.
١٨ ـ يفضّي بالي: أي يسرني ويدخل السرور إلى قلبي.
١٩ ـ تصبّحلي: تقول لي صباح الخير.
٢٠ ـ سَوى: تضاهي.   ٢١ ـ بقلّه: أقل له.
٢٢ ـ الربع: القوم.
٢٣ ـ بدور: من البـدر (الجمال) و(نـازلات) ذاهبات و(ع النهـور) إلى الأنهار.   ٢٤ ـ حِيد: ابعد.
٢٥ ـ اللفظة كناية عن فرط إعجاب صاحب الدكان بالبنات.
٢٦ ـ يقشقش: يجمع القش. يحطب: يجمع الحطب. الشومـرات: جمع شومر، وهو نبات مذاقه فيه بعض المرارة، تستخدمه بعض الأسر الشعبية كنوع من البهارات التي توضع مع الطعام، وذلك بعد تجفيفه تحت أشعة الشمس وطحنه ليصبح دقيقًا.

الشـارع مغسـول بـدم أحمر. . فصائل دم متباينة معروضة على مجهر الكشف. . الألم مسفوح حول جانبي الطريـق. . الأقلام السوداء الأربعة رسمت آثـار المأساة. . ذبـاب الصحـراء تجمع بعـد أن خلع الليل برقعه. . بدوي يعرض سيارته الجيب وسط الشـارع. . نظر الـوشم الـذي أخـذ شكل المثلث. . ثوان معـدودة وغيّبتـه مجاهل الصحـراء. . طفل متعلق بـذيل أمه الشـابة. . نبـاتات بريّة وشعير غـادرت كرش صبور. . تكـونت بحيرة خضراء مـزبـدة. . نتـوءات لحم وجلد وشعير ألصقتهـا السيـارات الثقيلة بـوجه الشـارع. . روزنـامـة الأحلام والآمـال تبعثـرت، الموت أغمض جفنه بسرعة كأن شيئًا لم يكن. . تلك هي لعبة الحياة.

الشمـس بـدأت تنعس. . أطبقت رمـوشها الطـويلة ونـامت. أدبـر النهار. . السماء تثـاءبت فطلع القمـر. . الليل يفحم. . تـركت المأساة عقـابيل في النفس. . الطفل غرب في بكاء مستمر. . الأم صدفت عن الـوجـوه. . انقضت فترة الحداد. . نافحت عمن اغتاله الموت دون جـدوى. . عـددت حتى بح صوتها. . قالت لها أمها وبرق الشتاء يخفق: الحي للسفره والميت للحفره.

ردت عليهـا بأوتـار صـوت ملتهبـة: الذكـرى زاد للمستقبل يـا أماه. . أنشأت تـردد عليها مـا أملاه عليهـا في روزنـامة الأحـلام والآمـال ودموعهـا هامية: كان سيـدخل سالم مدرسة أهلية، فهو يود أن يكون ابنه أكثر منه حظًا في التعليم.

تاريـخ مناقشـة رسالتـه العلمية مطبوع في ذاكـرتي. . كنت سأستمع إلى صـوتـه عبر الأثير وهـو يـرد على أسئلة المناقشين. . العادات والتقاليد منعتني من حضـور المناقشـة معه. . من الاستمتـاع بلـذائذه وهـو يبتسم ويتكلم. . يثور ويهدأ. . أدعيتي هي التي حضرت وحدها.

حوالة البنـك أرسلها. . ومكتبة سالم لم تصل طرودها البريدية من دار النشر العربية. . زيارة الكويت بعد التحريـر وغرسنا نخلـة في أرضها لن تتم. . عُمـرة العشر الأواخـر من رمضان سأؤديها أرملة. . السيارة التي ستجيء بأثاث منزلنـا الجديد ستعود به من حيث أتت.

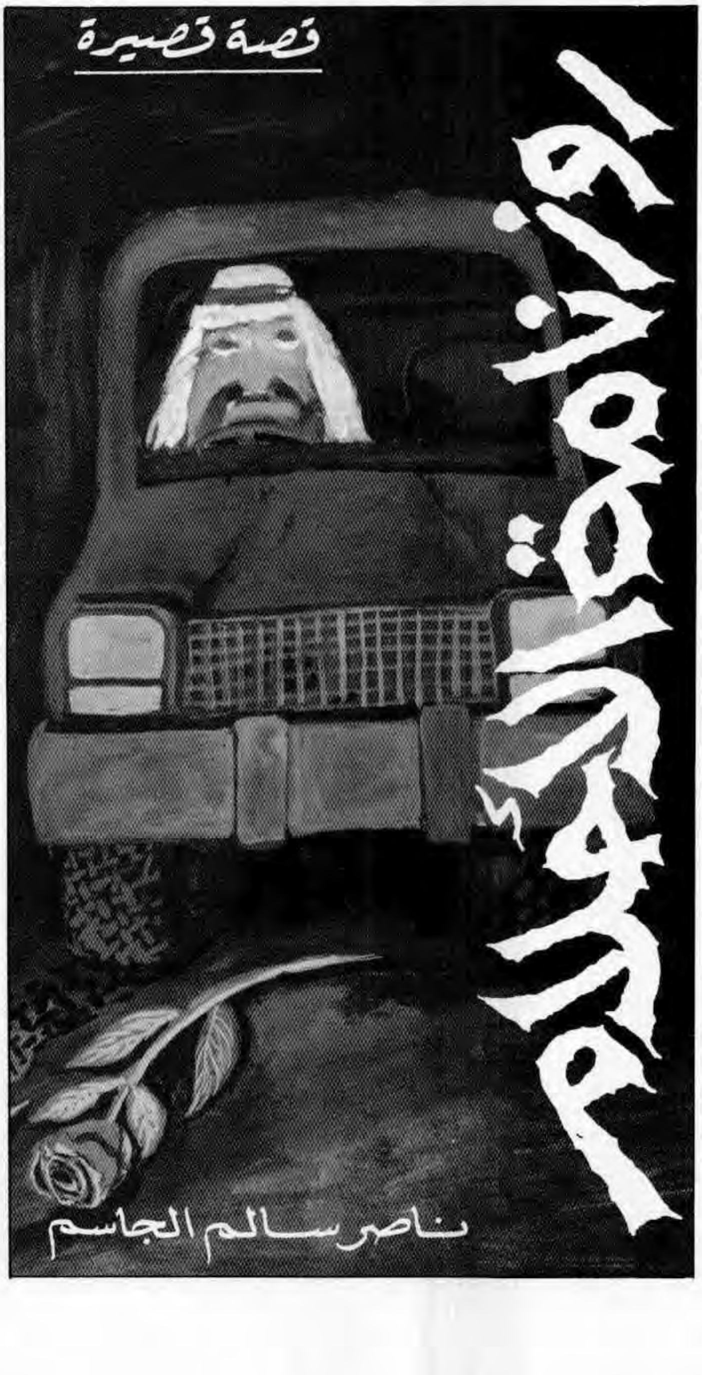
ـ يـا بنيتي. . الحزن لا يليق إلا بعجوز مثلي. .

كيف لا أحـزن يـا أمي على من كان للقلب فراشًا وغطاء. . على من صيّر الحيـاة ربيعًـا في كل الفصـول؟ على من رواني من محيطـات حبـه. . على من يقبّل كلاً منا في الشهر ستين قُبلة. . قبلتا الصباح والمساء لي ولسالم كانتا فرضًا يوميًا.

دعيني يـا أمي أبكي الذي طـالما أستقبلت راحتـا يـدي رماد سجـائره وهـو يقـرأ. . ومسحت عـرق جبينـه وهــو يكتب. . دعيني أبكي عطـرًا تطلع من يده زجاجـة عطر مع هلال كل شهر. . أبكي إصراره على عملية استئصال المبيـض وهو الـذي يموت عشقًا في ابتسامـة سالم. . قَسَمُ عدم الزواج من ثانية لازالت أصداؤه ترن في أذني. . ملاطفته لي وهو يضع المنديل على أنفي ويجبرني على التمخط حين أصاب بالرشح تنهكني. .

إني ندمانة لإغضابه حين طلبت منه الاحتفال بعيد زواجنا وعيد ميلاد سـالم. . لقد اجتـاله الغضب فهـدد صـارخـا للمـرة الأولى والأخيرة: «المسلم ليس لـه إلا عيـدان، عيـد الفطر وعيد الأضحى. .»

حظ المؤمنين والمثقفين في الحيـاة قليـل. . العنكبـوت. . ذلـك المهنـدس. . سيبني بيـوته في بيتنـا، والبـدوي الـرثُّ في صحـرائه يشرب حليب نوقه ويطرب لرغاء إبله وثغاء شياهه.



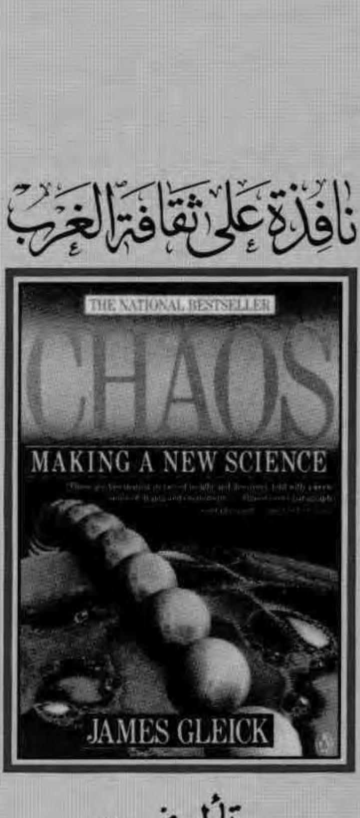
من كتاب العدد

○ ناصر سالم عثمان الجاسم

- من مواليد ١/ ٧/ ١٣٨٥ هـ ـ مدينة العيون بالأحساء. . .
- بكـالوريوس لغة عـربية بتقديـر جيد جدًا من كليـة التربيـة بجـامعـة الملك فيصل عـام ١٤١٠ هـ الأول
- مـدرس لغة عربيـة بمتوسطـة العيون
- تـرأس النادي الأدبي الطلابي بجـامعة الملك فيصل سنة تأسيسه ١٤٠٩ هـ.
- عمـل محررًا متعاونـًا مـع كـل من الصحف الآتية: المسائية ـ الجزيرة ـ عكاظ.
- عضو اللجنة الثقافية بنادي العيون.
- فاز بالمركز الأول بمسابقة في فن المقالة أجرتها صفحـة الواحـة الأدبية بجـريدة اليوم
- فاز بـالمركـز الأول فـي مسابقـة أبها الثقـافية لعـام ١٤١٢ هـ عن روايتـه: «الغصن اليتيم».
- له من المخطوطات:

رواية بعنوان «العاصفة الثانية».
رواية بعنوان «الغصن اليتيم».
مسرحية بعنوان «الخوف».
مجموعـة قصصية بعنـوان «هكذا يرفس الحب»
مجموعـة قصصية بعنـوان «العدو بالأيدي».
مجمـوعة قصصيـة بعنوان «الموت في المدينة».
مجموعة قصصية بعنوان «العبور».
مجمـوعة قصصيـة بعنوان «النـوم في الماء».

CHAOS
الفوضى



تأليف:
جيمس جلايك
عرض:
محمد الحديدي

هذا الكون المحيط بنا، هل كل شيء فيه يخضع لنظام دقيق قابل للحساب، كتمدد المعادن بالحرارة وتجمد الماء بالتبريد وتزايد كتلة الأجسام مع تزايد السرعة؟ أكُلّ هذه ظواهر خاضعة للمعادلات الرياضية قابلة للحساب الكمي فقط؟ ماذا عن صنبور يتساقط منه الماء، كل نقطة تسقط على سطح منبسط تمتد لتتخذ شكلا لا تنتهي إليه غيرها؟ ماذا عن السحب في السماء؟ أشكال وألوان لا حصر لها ولا يمكن أن تتفق اثنتان في شيء.

هناك «فوضى» في هذا الكون، تماما كما أن هناك نظاما دقيقا وحسابا لا يخطئ.

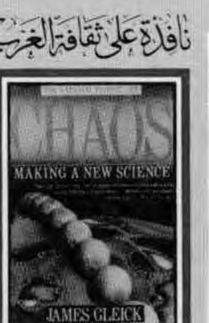
وحيث تبدأ «الفوضى»، يتوقف العلم التقليدي كما نعرفه. ومنذ أن بدأ بنو الإنسان يستطلعون آفاق الفيزياء وقوانين الطبيعة، كان هناك دائما جهل مطبق بالاضطراب الذي يسود الكون؛ هياج البحار، تقلبات حياة الحيوان في الأحراش والفيافي وتزايد أعدادها وتناقصها، وذبذبات الموجات في مخ الإنسان ونبضات قلبه.

هذا الجانب الذي لا يبدو له نظام في ظواهر الطبيعة، هذا الجانب المتقلب المتقطع، كان دائما لغزا محيرا لجهابذة الفيزياء.

ثم في سنوات السبعينيات، بدأ بعض العلماء يتلمسون الطريق إلى عالم «الفوضى»؛ رياضيون وفيزيائيون وبيولوجيون وكيميائيون، يكافحون من أجل اكتشاف العلاقات بين أنواع الاضطرابات، وأمكنهم أن يتوصلوا إلى «نظام» يحكم ما يتولد في قلب الإنسان مثلا من فوضى، ينشأ عنها الموت الفجائي. في التجمعات العشوائية للنجوم في السماء، في بيانات أسعار الأوراق المالية في الأسواق، في تجمعات النمل في الشقوق والأسماك في البحار، في تقلبات الطقس والأشكال التي يرسمها الدخان المتصاعد إلى الفضاء. وفي غضون عشر سنوات أصبحت الفوضى موضوعا للبحث ومنهاجا في استكشاف الحياة والكون، نتجت عنه أساليب في استخدام الحاسوب (الكومبيوتر) واستنباط الصور والأشكال، لتكون قاعدة تقف عليها أكثر الكشوف العلمية تعقيدا، و«علما» له قواعده ومصطلحاته، ومنبعا لمشكلات تستعصي على المعالجة العلمية. وقد قيل إن القرن العشرين قد جاء بثلاث ثورات في معرفة الإنسان بالكون: النسبية، والكم، والفوضى. وقد قطعت كل منها كالسكين في نظريات نيوتن عن المادة والفضاء والزمن: «لقد وضعت النسبية نهاية للفضاء المطلق والزمن المطلق كما يصورهما لنا نيوتن، ثم جاءت نظرية الكم لتضع حدًا لفكرة القياس الكمي القابل للتحكم، كما تصورها نيوتن أيضا، أما الفوضى فقد قضت على تخيلات بيير لابلاس بشأن إمكانية التنبؤ الجبري بإحداث المادة والفضاء».

ثم جاء ستيفن هوكنج، خليفة نيوتن في كرسيه بجامعة كامبريدج صاحب النظريات الرياضية في نشأة الزمن والمكان و«الثقوب السوداء» و«المادة المضادة» التي قد تكون مسالك إلى أكوان أخرى واتجاهات أخرى في سياق الزمن والأحداث، وقال في محاضرة له سنة ١٩٨٠ م:

«... نحن نعرف من الآن كل شيء عن



الفوضى CHAOS

القوانين الفيزيائية التي تحكم كل شيء في الحياة اليومية . . . والدلالة على المدى الذي ذهبنا إليه في استكشاف آفاق الفيزياء النظرية هي هذا القدر العظيم من المعدات والأموال التي تلزم اليوم لإجراء تجربة جديدة لا نعرف ما ستكشف عنه» .

لقد بدأت دراسة الفوضى في الستينيات من هذا القرن، عندما بدأ الباحثون يدركون أن أبسط معادلة رياضية قد تعطينا أنموذجا لمنظومة لا تقل عنفا عن شلال مياه، وفي ذلك يقولون ــ شبه مازحين ـ إن فراشة تصفق بجناحيها في الصين قد تحدث أثرًا تنتج عنه زوبعة تجتاح الساحل الأمريكي وجزر البهاما!

فوضى التنبؤات!

كانت سنوات الخمسينيات والستينيات من هذا القرن هي عصر التفاؤل غير الواقعي، توقعنا أن نكون قادرين على تحويل التنبؤات الجوية إلى علم، وأن نتحكم في الأحوال الجوية . فيصبح الإنسان سيد الطقس لا ضحيته!

فون نيومان عالم شهير، ابتدع حاسبا إلكترونيا يمكنه به أن يتنبأ ويتدخل في تقلبات الجو، وبناء على ما يأتي به الكومبيوتر تصعد طائرات الطقس وتنشر ستائر الدخان والسحب لتدفع بها إلى الاتجاه المطلوب . وقد حققت نماذج الحاسوب منافع عظيمة بالفعل، ويقدر المركز الأوربي للطقس أن العالم قد وفر ألوف الملايين كل سنة من تنبؤات كانت أحسن من لاشيء، من الوجهة الاحصائية على الأقل . إلا أنها فيمالا يزيد على يومين أو ثلاثة كانت التنبؤات على مستوى العالم تصورية إلى حد بعيد، أما إذا مضينا ستة أو سبعة أيام إلى الأمام فإنها خيالات لا قيمة لها . السبب هو «جناح الفراشة»، فالذي يعد صغيرًا ضئيلا تافها على مستوى الكون، قد يكون عاصفة رعدية عاتية، وبالتالي فإن قدرًا ضئيلا من عدم الدقة سوف يتحول إلى متوالية تظل تتضاعف إلى أن تصبح دوامة في حجم قارة، لا تتسنى رؤيتها إلا من قمر صناعي .

وبدأ العلماء ودارسو العلم يقتربون من حدود الفوضى محاولين إخضاعها للمعادلات الرياضية، وبدأ طلاب الدراسات العليا الذين يفكرون في ذلك يتعرضون للتحذير من أنهم إذا وضعوا أبحاثهم في أمور لم تخضع للتجارب العملية، ولم يكتسب أساتذتهم خبرة في مجالاتها، فإن مستقبلهم معرض للفوضى هو نفسه! وفي جامعة جورجيا وقف أستاذ بمعهد التكنولوجيا يستشهد بالكاتب الروائي الروسي تولستوي : «إنني أعرف أن أغلب الناس، بما فيهم أولئك الذين يحسون بالطمأنينة في مواجهة مشكلات بالغة التعقيد، نادرا ما يظهرون أدنى قدر من الاستعداد لتقبل أبسط الحقائق وأكثرها وضوحا طالما تتطلب منهم أن يقروا ببطلان مقولات سبق لهم أن استمتعوا بشرحها لتلاميذهم وزملائهم وأصبحت أمورا راسخة في فكرهم وحياتهم اليومية» .

هندسة للطبيعة

تحت هذا العنوان يقول المؤلف : هناك هندسة سادت ألفي سنة، إقليدس صنع أشكالا كلاسيكية من الخطوط والدوائر والمثلثات والسطوح المخروطية، ما تزال تسود حياتنا إلى اليوم . إنها الهندسة الوحيدة التي نؤمن بها، والتي يجد فيها الفنان كنوزا من جمال الطبيعة . أما إذا جئنا إلى تفسير العقد، فإن هذا الانضباط الرائع يتحول إلى تجريد لا يؤدي بنا إلى شيء .

السحب ليست دوائر، والجبال ليست أسطوانية ولا مخروطية، وإذا كان علماء الفلك البطالمة قد اتخذوا من الهندسة الإقليدية نظرية في الكون، فإنهم لم يجدوا أن البرق يمضي في خطوط مستقيمة أو خاضعة لأية أشكال هندسية .

ثم يأتي لنا عالم في الفوضى هو ماندلبروت، ليقول لنا إن المصريين قد سجلوا ارتفاع منسوب النيل آلافا من السنين، وإنه قد صنف التغيرات إلى نوعين أحدهما يشبه طوفان نوح من حيث إن التغير يأتي سريعا وحادا، بخلاف الثاني الذي يذكره بالسنوات السبع العجاف في زمن يوسف عليه السلام! وهو ينتقل بنا من فيضان النيل إلى أسعار السلع والعملات وما نشهده منها في تقلباتها الفوضوية التي يستحيل التنبؤ بها، وإلا لأصبح بعض الناس أكثر ثراء مما هم عليه الآن!

ينتقل بنا ماندلبروت من هذا إلى بعض الألاعيب الهندسية، التي قد يظن القارئ أول الأمر أنها أمور محيرة، لكنه ما يلبث أن يستنجد بإقليدس، ويخف هذا إلى نجدته!

الكونية

تحت هذا العنوان يحدثنا المؤلف عن باحث جديد يمثل مكانه في تلك القائمة الطويلة التي يبدو أن الكثيرين ـ ونحن منهم ـ لم يسمعوا بها، اسم هذا الباحث فيجنبوم .

«الكونية هي التي تفرق بين ما هو جميل وما هو مفيد . علماء الرياضيات يمضون في معادلاتهم لغاية حد معين لا يكترثون فيما وراءه بأن يأتونا بأسلوب لإجراء الحسابات . أما الفيزيائيون، فإنهم بعد حد معين يصلون إليه، يجدون أنهم في حاجة إلى أرقام . الكونية تعطي الأمل في أن يتوصل الفيزيائيون إلى حل مشكلات عويصة عن طريق حل مشكلة سهلة . فالإجابات ستكون متطابقة .

وهكذا فإن فيجنبوم عندما توصل إلى وضع نظرياته في إطار مجموعة «إعادة التطبيع» قد أسبغ عليها المظهر والملبس الذي يجعل الفيزيائيين يرون فيها أداة لإجراء الحسابات .

هذه النزعة نجدها عند ستيفن هوكنج أيضا، الذي ينهي كتابه الرائع «تاريخ موجز للزمن»، بأنه سيظل يحلم بقانون موحد للكون . ثم يمضي مؤلفنا قائلا :

«إلا أن ما جعل الكونية مفيدة هو ذاته الذي يجعل من العسير أن يدركها الفيزيائيون أو يقتنعوا بها . الكونية تعني أن منظومات متباينة سوف تتصف بالسلوك أو الأداء نفسه، وقد كان فيجنبوم يدرس مجرد الدوال العددية البسيطة في بداية حياته، لكنه كان يؤمن بأن نظريته تعبر عن قانون

طبيعي للمنظومات يعمل عند نقطة التحول من النظام إلى الفوران والتقلب».

«أنا حقا لا أريد أن أعرف كيف أصف السحب، لكنني مازلت أرى أنه من الخطأ أن نقول إن قطعة منها هنا بهذا القدر من الكثافة، وأخرى هنا بذلك القدر. . . أن نظل نراكم معلومات تفصيلية هكذا. المسألة ليست كيف يرى الكائن الآدمي هذه الأشياء، أو كيف يراها الفنان ويحس بها، سوف توجد مواضع كتابة المعادلات التفاضلية لا تكفي عندها للقول بأننا قد بذلنا جهدا في حل مشكلة.

إن روعة الأرض تتمثل في أن فيها أشياء جميلة، أشياء بديعة ورائعة، يمكنك أن تدركها بفضل المهنة التي تمارسها».

صور من الفوضى

بعد هذا الفصل في تقديم أفكار فيجنبوم، ينتقل بنا المؤلف إلى هذا العنوان مبتدئا حديثه بالأعداد الحقيقية، ثم الأعداد المركبة. وهذه الأعداد لا وجود لها في العالم الفيزيائي، لكن العدد «واحد» (وأي عدد صحيح آخر) له جذور تتكون من «الأعداد المركبة».

في هذا الفصل يعطينا المؤلف أشكالا متعددة من هذه الأعداد قد تذهل القارئ الذي لم يألفها أو تثير دهشته، لكنها أمر عادي لدارسي علوم الجبر والرياضيات. ثم يصل بنا إلى مقولة للعالم جون نويمان:

«إن العلوم لا تحاول أن تشرح أو تفسر، بل إنها لا تكاد حتى تترجم، إنها - بصفة رئيسية - تكون نماذج. المقصود بالنموذج هو التركيبة الرياضية التي تصف الظاهرة موضوع البحث عندما نضيف اليها تفاسير لفظية معينة. المبرر الوحيد لمثل هذا الكيان الرياضي هو بالضبط أنه مقصود منه أن يصلح لأداء المطلوب».

ثم يقول لنا:

«لقد كافح الأطباء النفسيون طويلا لكي يتوصلوا إلى تعريف لمرض انفصام الشخصية، وإلى تصنيف للمصابين به، لكنهم تبينوا أن تحديد المرض لا يقل صعوبة عن علاجه. أغلب الأعراض تتمثل في العقل والسلوك. إلا أنه في سنة ١٩٠٨ م

> الفوضى شعور أساسه عجزنا عن إخضاع الكائنات الدقيقة لقواعد الرياضيات والعلوم

توصل العلماء إلى ظواهر جسدية للمرض لا تقتصر على المريض بل على أقربائه أيضا عندما يحاول المرضى أن يراقبوا البندول وهو يتأرجح، فإن أعينهم تعجز عن ملاحقة الحركة السلسة. العين في حالتها الطبيعية جهاز مذهل في دقته وذكائه، وأعين الأصحاء تبقى مثبتة على الأهداف المتحركة دون أدنى قدر من القصد الواعي، والصور المتحركة تظل متجمدة على الشبكية، لكن أعين مرضى انفصام الشخصية تتوثب من هنا إلى هناك في نبضات سريعة وتسقط فوق الأهداف أو تحتها في حركات غير متزامنة. لا أحد يعرف السبب».

الفوضى وما وراءها

تحت هذا العنوان يأتينا المؤلف بهذه الفقرة كأنه يرد بها على نفسه:

«السلوك المركب معناه العلة المركبة. الجهاز الآلي، الدائرة الكهربائية، جموع الحيوان في الحياة البرية، تدفق السوائل، العضو في الجسم الحي، الإشعاع المتكون من جسيمات ذرية، العاصفة العاتية، الاقتصاد القومي. كل منظومة واضح إنها غير مستقرة، غير قابلة للتنبؤ، أو تخرج عن طاقة السيطرة والتحكم، لابد إما أن تكون خاضعة لعدد هائل من المكونات، وإما أن تكون محكومة بمؤثرات عشوائية خارجية.

المنظومات المختلفة تسلك سلوكا مختلفا، الباحث في كيمياء الجهاز العصبي، الذي يمارس عمله دون أن يعرف شيئا عن الذاكرة والإدراك عند الإنسان، يشبه نظيره في دنيا المال والأعمال، الاقتصادي الذي يحلل قرارات الشراء ونفسيتها دون أن تكون لديه القدرة على أن يتنبأ بالنزعات والاحتياجات على نطاق واسع.

«علينا أن نعيد النظر في القانون الثاني للديناميكا الحرارية، إنه يبدو أول الأمر شيئا يشبه جحيم دانتي، كل شيء يتجه نحو عدم الانضباط. كل حالة تتحول فيها الطاقة من صورة لأخرى يتصاعد قدر من الحرارة ويضيع في رحاب الكون. أولئك الذين يبحثون في العلم عن نظام للكون لن يصلوا إلى شيء، والأفضل لهم أن يبحثوا عن قوانين الفوضى».

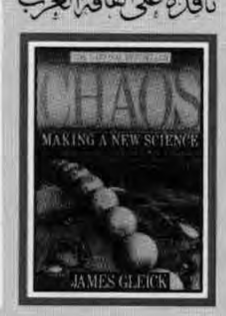
ما أكثر ما يقع الكتاب في هذا الخطأ. كيف هي فوضى وكيف لها قوانين؟ يستمر المؤلف:

«الطبيعة تكوّن قوالب، بعضها منتظم في المكان مضطرب في الزمن وبعضها بالعكس. ولنا الحق أن نسأل علماء الفيزياء: قطع الجليد التي تتساقط هذه، لماذا تختلف أشكالها؟ بلورات الثلج عندما يتجمد الماء؟ ليس هناك نمط واحد لأي من هذه الأشياء».

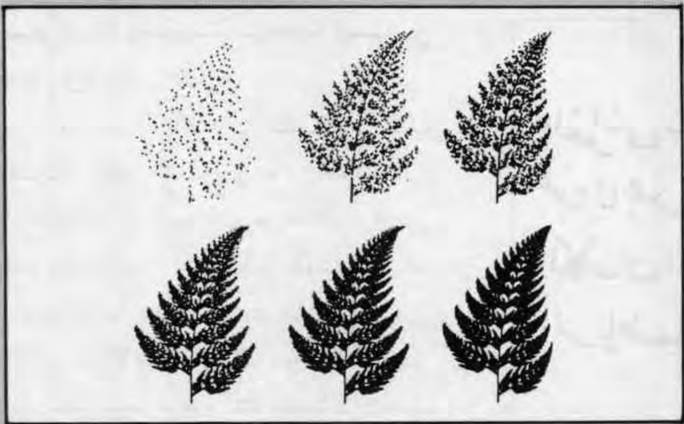
تعليق

ما يأتي به المؤلف في هذا الكتاب يدل به على وجود «فوضى» تسود الكون والحياة، كله ظواهر مألوفة لنا جميعا. لو أتينا بصنبور تتساقط منه نقط من سائل ملون وتركناها تسقط واحدة بعد الأخرى على سطح أملس وتنبسط، فإنها سوف تعطي أشكالا مختلفة. ويلحق بذلك أيضا تقلبات البورصة وسلوك الجماعات الإنسانية، فضلا عما يأتي به المؤلف وهو يتحدث عن الأمراض النفسانية، مثل انفصام الشخصية، والعجز عن تحديد ماهيتها، فضلا عن التنبؤ بالسلوك الإنساني سواء عند المرضى والأصحاء. وهو أيضا يتلاعب بالأعداد المركبة ويمارس عمليات حسابية عليها، ثم يسقطها بشكل معين على محورين ليخرج من ذلك بتمثيل بياني لها، ويقول لنا إنه باستخدام الحاسوب في الإتيان بأعداد هائلة من التنويعات يمكننا أن نخرج من مجرد الأعداد الحقيقية والتخيلية بأشكال حيوية، نباتية وفلكية وحيوانية أو بيولوجية.

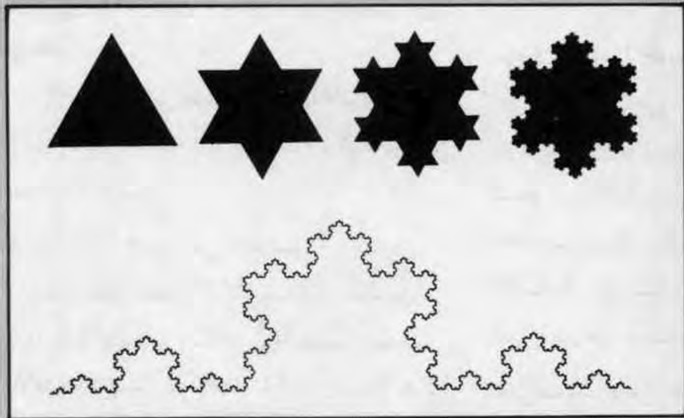
في ظننا المتواضع أننا نعيش في كون يبدو لنا



CHAOS
الفوضى



تبدأ النقط تتمثل عشوائيا أول الأمر، فإذا استمر الحاسوب في تجاربه بأعداد هائلة فإن إحداثيات الكميات المركبة تتخذ شيئا فشيئا أشكالا لها مغزى حيوي. (الشكل العلوي)



يأتي المؤلف بعديد من هذه الأشكال الهندسية. ويظل يضرب محيط الشكل $\times \frac{٤}{٣}$؛ لأن المثلث الموضح هنا له ثلاثة أضلاع، يتحول كل ضلع منها إلى أربعة أثلاث بدلا من ثلاثة، ثم تتكرر هذه العملية في الأشكال الأربعة الواردة هنا، ثم ننتقل إلى المحيط الوارد أسفلها في الشكل والذي يعلق عليه المؤلف بقوله: «إنه برغم أن المساحة المحصورة داخل الخط المتعرج ستظل أقل من مساحة دائرة ترسم حول المثلث الأصلي فإن الخط المحيط بمساحة محدودة سيصل في النهاية إلى خط لا نهائي الطول». وذلك لأن الطول = $٣ \times \frac{٤}{٣} \times \frac{٤}{٣} \times \ldots =$ ما لا نهاية!

بشكل لعله يتأثر بتكويننا وقدرتنا على الإدراك. وهناك من يتوغلون في التيه والضلال إلى حد القول بمذهب يسمى «سولبسيه» **Solipsism**، ومؤداه أنه ليس هناك وجود إلا لي وحدي، من أدراني أنك توجد؟ أنا لن استطيع أن أدخل في نفسك، وطالما أنني فقط أراك وأسمعك وألمسك فلماذا لا يكون هذا كله من صنع خيالي؟ وما الفرق على أية حال؟ سواء كان هذا العالم موجودا أم كان مجرد حلم طويل أراه في نوم أو في يقظة، فما الفرق بالنسبة لي؟ أنت عندما تنام وترى حلما فأنت تخلق لنفسك عالما لا يوجد إلا في خيالك أنت وتكتشف ذلك عندما تصحو. فما أدراني أنني لست في حلم طويل لم استيقظ منه بعد.

ليس هناك ما يسند هذا التيه الذي قد يدفع إلى تجاهل أحاسيس الآخرين وإلى انهيار القيم الأخلاقية. إن لم يكن لي وجود حقيقي فلماذا تزعج نفسك بمشاعري أو بما يجوز نحوي ولا يجوز؟

في ظني المتواضع أن الكون الذي نعيش فيه - من وجهة نظر علمنا به، الذي قد يكون محدودا جدا - ينقسم إلى دوائر للمعرفة يمكننا تقسيمها كما يلي:

- دائرة المجردات: وهي الحساب والجبر والأعداد بما في ذلك الأعداد المركبة. حتى لو وجدنا عالما آخر أو لو كان يوجد مثل هذا العالم الآخر دون أن نحس به، فلا داعي لأن نعتقد أن ٢ × ٣ لن تساوي ٦ فهي بالتأكيد ستكون كذلك. كما يقول برتراند راسل: العدد هو فئة الفئات. يعني العدد ٦ هو فئة تضم جميع الفئات التي تتكون من ستة. . . . ، ستة ماذا؟ ستة أي شيء. نحن لسنا في حاجة إلى الموجودات الفيزيائية لكي نصل إلى تعريف الأرقام وإلى علوم الجبر والحساب.

- أما ما نسميه «الهندسة» فأمر ليس بهذا القدر من التجريد. فهي تتناول طبيعة الفضاء الذي نعيش فيه، وهي طبيعة تفوق قدرتنا على الإدراك.

ستيفن هوكنج يقول: من المستحيل أن نتصور فراغا من أربعة أبعاد. ثم يضيف مازحا: «أنا شخصيا أجد صعوبة كافية في تصور فراغ ذي ثلاثة أبعاد! هذا بالنظر إلى مرضه الذي أعجزه عن الحركة. وفي الوقت ذاته واضح أن الفراغ الثلاثي الأبعاد الذي نعرف أننا نعيش فيه قد يكون مجرد غلاف لفراغ رباعي لا يمكن تصوره، يتمدد كما تنتفخ أنبوبة من المطاط سطحها فراغ ثنائي يجد فراغا ثلاثيا. على أية حال، هذا المجال الثاني هو مجال الفيزياء: المادة ثم المكان والزمن.

- المجال الثالث هو علم الحياة: الخلية الحية والكائنات لغاية الحيتان والقرود الذكية.

- ثم: الإنسان: تكوينه وسلوك الفرد والجماعات من ابن خلدون إلى إريك فروم.

في ظني أنه ليس هناك قدر كبير من الفوضى في المجالين الأول والثاني. وإذا كانت تشكيلات السحب تبدو فوضوية للمؤلف جلايك، فهناك تفسير لهذه الاختلافات؛ لأن العوامل المؤثرة كثيرة ومتضاربة.

أما في مجالي الكائنات الحية ثم - وهو الأدهى - الإنسان، فالذي يسميه هو فوضى - كما في اختلاف ظواهر انفصام الشخصية - إنما هو درجة التعقد الهائلة لهذه الكائنات وأجهزتها العصبية.

إن عجزنا عن إخضاع هذه الكيانات المعقدة لما بين أيدينا من رياضيات وعلوم لا تنطبق إلا على المجالين الأول والثاني. - أو ربما عدم قابليتها للإنطباق أصلا - هو الذي يجعلنا نظن أن هناك فوضى في النظام، ونظاما في الفوضى!

نرجع مرة أخرى إلى هوكنج، فمعادلاته تقول له إن هناك احتمالا لأن يتوقف الكون عن التمدد ويبدأ في العودة إلى نقطة الصفر، وعندئذ سوف يرجع الزمن إلى الوراء، وسوف تتكرر النقط نفسها في المكان والزمن. إذا كنا سنوجد في الموضع نفسه في اللحظة نفسها فسوف نعيش الحدث نفسه الذي وقع في هذا الزمن والمكان. وهو يقول مازحًا أيضا:



دراسة تكون الأنماط التي تحدثها التجارب الرياضية تأتي بأشكال متشابهة، الشكل الكبير هنا ليس من عالم النبات وإنما تفريغ كهربائي، والصغير ناتج عن تحركات عشوائية لجسيمات نووية.

الحق! قد يعمد أحدهم لأن يقتل أباك وبالتالي يمنعك من أن تولد. هذا ما دامت الأحداث ستقع في شريط عكسي!

حسنا، أنا لا مانع لديّ من تصور رجوع الفضاء والزمن إلى الوراء، فقط هذه الأحداث ستكون في تصوري فيزيائية فقط لا بيولوجية، فالذي مات لن يرجع إلى الحياة لمجرد رجوع أحداث الفضاء والزمن إلى الوراء! كل شئ يحتاج للخالق سبحانه.

صور من الفوضى

سنأتي هنا بشيء من التفصيل على ما يورده هذا الكتاب بشأن الأعداد المركبة، آملين ألا يكون هذا مثارا للضيق عند القراء الذين لا يحبون التراكيب الرياضية أو لا يذكرونها، ونعد بأن نعمل على تبسيط الموضوع إلى أقصى حد. ونحن لا نأتي بهذا المثال لمجرد أنه يعجبنا، بل لنبحث في أصل الفكرة وهي استمداد الفوضى من النظام.

وتحت يدي هنا كتاب آخر عنوانه «النظام من الفوضى»*، أي بالعكس، وآمل أن تتاح الفرصة لنعرضه أيضا في عدد قادم من المجلة إن شاء الله.

ويهمني هنا أن استشهد بنص الآية الكريمة:

﴿يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ سبحانه القادر على خلق ـ لا أقول النظام والفوضى بل ـ ما يبدو لنا نظاما وما يبدو لنا فوضى، وقد لا يكون هذا ولا ذاك كما نراه.

الأعداد المركبة هي أهم صورة من صور العدد، والأعداد الطبيعية هي حالة خاصة منها حيث الكمية التخيلية تكون صفرا. فما الكمية التخيلية؟ نذكر جميعا من دروس الجبر أن الكميات إما موجبة مثل + ٣ أو سالبة مثل - ٣، وأن إضافة كمية سالبة إلى كمية موجبة تؤدي إلى إنقاص هذه الأخيرة، أي الطرح، أما خصم كمية سالبة من كمية موجبة فيؤدي لزيادتها؛ لأننا خصمنا الخصم أو طرحنا الطرح. وبالمثل فإن حاصل ضرب كميتين سالبتين يؤدي إلى كمية موجبة، أي أن:

- ٢ × - ٣ = + ٦.

أما الجذور التربيعية فهي أعداد إذا ضُربت في نفسها نتج العدد الذي هذا جذره التربيعي، فمثلا ٢ × ٢ = ٤، وبالتالي فإن ٢ هو الجذر التربيعي للعدد ٤. فإذا كنا نريد أن نحصل على الجذر التربيعي لكمية سالبة فهنا نقع في حيص بيص، لأنه لا يمكن أن نضرب عددا في نفسه ـ سالبا كان أم موجبا ـ ونحصل على كمية سالبة. هذا ما يسمى الكميات التخيلية، وهي عادة $\sqrt{-1}$ مضروبا في أي عدد آخر، ويرمز لهذا العدد التخيلي بالرمز «ت» أي تخيلي.

وبرغم كونه تخيليا ولا وجود له في الواقع المادي الذي نعيشه، إلا أنه موجود كل الوجود في دنيا الرياضيات. وأي عدد مركب يتكون من جزء حقيقي وجزء تخيلي.

صورة الفوضى هنا تأتي من تناول هذه الصيغة:

$$ع_{ن+١} = ع_{ن}^{٢} + د$$

حيث ع هي الأعداد الطبيعية مبتدئة بالصفر ثم ١ ثم ٢ وهكذا، نربع هذا العدد ثم نضيف إليه العدد المركب الذي نسميه «عدد البدء»، سنحصل من $ع_{0}$ = صفرًا على:

$ع_{١}$ = صفر + عدد البدء

أي (عدد البدء)، نربع هذا ثم نضيف عدد البدء وهكذا؛ لأن هذه كلها أعداد مركبة سوف تنتج قائمة طويلة من أعداد مركبة أيضا، لا هي في تزايد مستمر ولا هي في تناقص. فوضى في فوضى.

إذا رسمنا الآن محورين أحدهما أفقي والآخر رأسي، الأفقي هو الكمية الحقيقية (وهي حالة خاصة) والرأسي يمثل الكمية التخيلية، سوف يمكننا أن نمثل كل ناتج على هيئة نقطة لها إحداثيان أحدهما حقيقي والآخر تخيلي. إذا حددنا ألوانا لمجالات الكميات سوف نحصل على أشكال عجيبة. استخدام الحاسوب هو الذي يمكن من تكرار العملية ملايين المرات والحصول على أشكال رائعة.

* Order From Chaos
By Ilya Prégogine.

قصة قصيرة

حصاد الشوك

د. محمد مرتاض

«الخريف في عمرها قد مدّ أصابع إلى ربيعها ولم يترك لها من الربيع إلاّ ذكريات موجعة لا تواجهها في لحظة سكون إلاّ لتضعها أمام الحقيقة ضعيفة مشتتة».

سميرة عزّام

عيون سوداء.. شعور كسنابل متموّجة في حقل خصيب، ترجّله النّسائم وتراقصه.. قامة هيفاء تحسبها شجرة سرو في امتدادها ورشاقتها.. خدود أسيلة مورّدة، من لونها يستعير الخوخ احمراره، ويسرق التفاح لونه! الأبصار تحدّق إليها وتتلهّف على ملاحتها وبراعتها الفتّانة...

- تفاحة في بستان!

- رمّانة في جنان!

- نخلة مثقلة بالرُّطَب الجنيّ.

- برتقالة من برتقال المُحَمّدية أو مسرغّين أو مغنية أو...

- بل إنّها وردة من ورود البليدة.

- لا.. بل هي كرزة من كرز تلمسان الشهيّ

- لا.. بل هي.. لا.. بل هي.. لا.. بل.. هي..

وراح كل معجب يناقض الآخر في وصفه لها، ويجهد نفسه في أن تكون أوصافه أروع من صفة صاحبه.. تنافسوا في الهيام بتناسق جسدها.. أحرقوا اللّمى على الوصول إليها، أو على الأقلّ الدّنو منها.. لم يظفر أيّ واحد منهم بنصيبه!

- من عساك أن تكون: روميو زمانه؟ أحد القَيْسَيْن؟ توبة؟ عنترة؟ إن أنت إلاّ تلميذ معي.. بل ما أنت وأصحابك إلا تلامذة خملاء حتىّ لا أقول أغبياء.. سُذّجا..

- هكذا إذاً؟ تنقل إليّ حديثها وكأنّك متواطئ معها!

- كيف تصمني بهذه التّهمة وما أنا إلا واحد منكم؟

- آه لو كنت مكانك!

- ماذا كنت تفعل؟ تحارب أنثى؟

- وأحارب أمّها أيضا.. أقاتلها حتى تذعن!

- ماذا تقاتل يا هذا؟ هي بلقيس سبأ؟

- أنت محق.. علينا أن نغضّ الطرف عنها.. أن نُهينَها.. أن نتجاهلها.

- أنتما تتحدّثان عن امرأة كما لو كانت ذات شأن!

- ماذا تعني؟

- أنا أكشف لكما عن قناعها.

- كلّ ما نعلمه عنها أنّها تحيا في أسرة تشكو الضّيق وسوء الحال، وتتقلّب في منزل وضيع لا يسع حتى نصف أفراده.

- لكنّها هي تستقل السيارات الفخمة، وترتاد المطاعم الفاخرة!

- حسبك ادّعاءً!

- ستثبت لكما الأيّام مقولتي.

- أو تنفي افتراءك.

- إنّني أعلم يا سعيد أنك متيم بها، غارق حتى ذقنك في الإعجاب بها.

- وما لك أنت؟

عشقتها شمطاء أبيض شعرها

وللناس فيها يعشقون مذاهب

سعديّة سعيدة بزواجها.. «جا يَسْعَى ودَّرْ تَسْعَة»

هذا حال صاحبها.. أقبل عليها من مدينة قاصية.. رام أن تكون زوجه غريبة في بلدته.. آلى على أن يستقلّ بالعيون، بالوجنات، بقسمات الوجه، وتثنيات الجسد الغضّ، ورشاقة القوام الشهي، وكل ما تقطر به من حسن بديع لم تنفتح عيناه على مثله أبدا.. تساءلت البلدة متهكّمة!

- كيف هي:

- صفراء فاقع لونها تسيء الناظرين!

- أو.. سوداء فحم جلدها تنتن الحاضرين.

- أو.. حلِزة قميئة، «قبضة منجل».

- أو.. جعداء الشّعر ملتوية خصله.

غدت سعدية محور حديثهم: فهي ملح لسمرهم إذا أمسوا وطُرف لمجالسهم إذا أصبحوا أو أضحوا، وعوْن لهم على وعثاء السفر إذا ظعنوا، وتزْجية للوقت إن تَجِروا.. كانت النّسوة يتخطّفن بعضه فيلقين به إلى أسماع الأزواج في تحفّظ مفضوح:

- ويقال إن... الطيب...

يزجرها صاحبها مقطّبا:

- ماذا؟ صرت تتحدّثين عنه باسْمِه يا قليلة الحياء.. أي طيب؟

فتجيبه هي بدلال وغنج:

- أو نسيت أنه ابن عمي؟

وكأنه يخشى أن تفوته الفرصة، فيضطرّ إلى المداهنة والإذعان:

- وإن كان.. لا علينا.. ماذا يقال؟

وتحرقه صاحبته حتى تسيل لعابه للانتباه والإصخاء، فتتظاهر بعدم تمزيق غشاوة الحديث:

- لا.. ما دمت في غنى عن الحديث فلا داعي لذلك.. تصبح بخير.

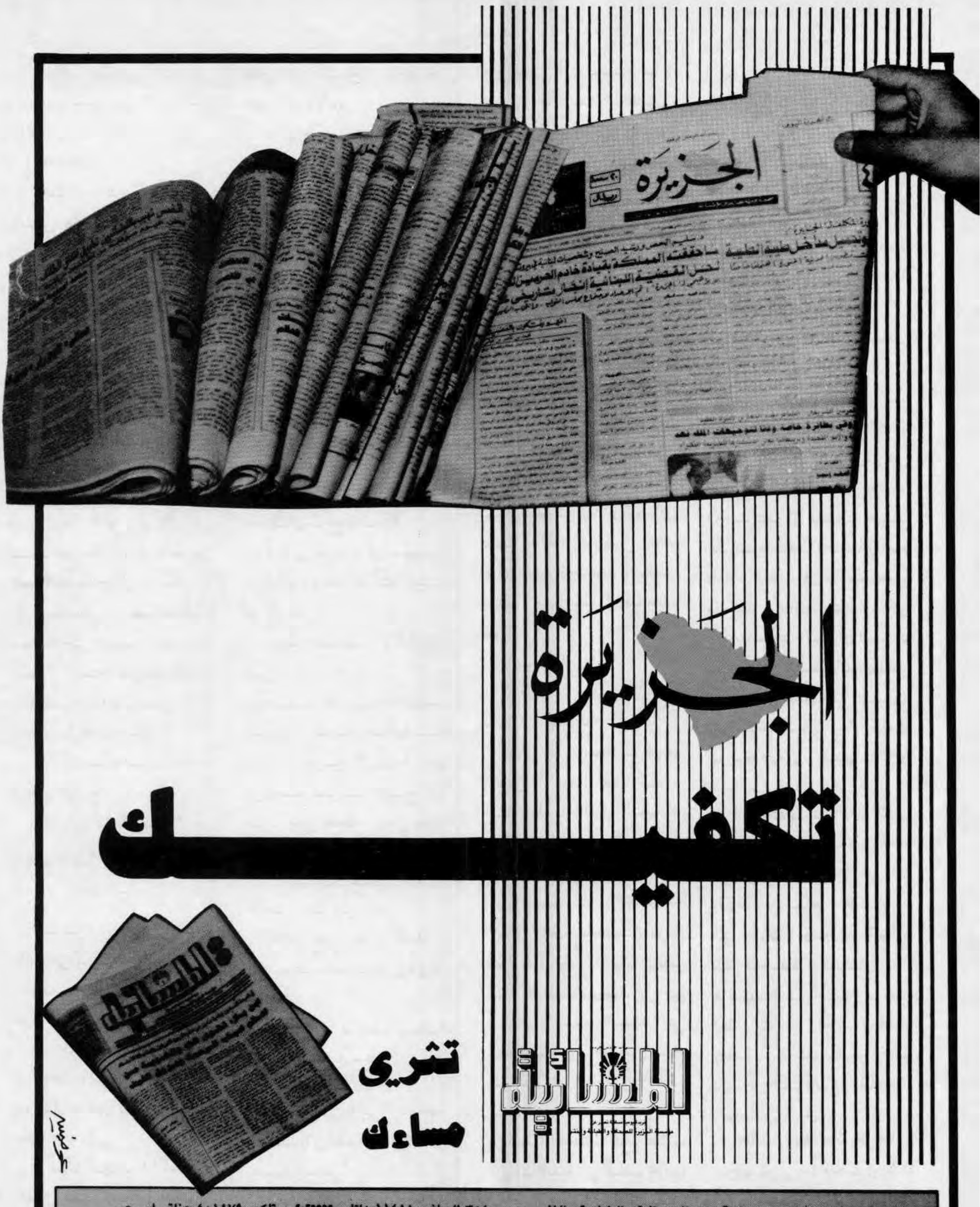
- بل لابدّ أن تقولي.

- لقد أجلى سخطك الأفكار عن رأسي.

- هوّني عليك، لا مبرّر لهذا الحنق. لحاه الله وإياها.. كأن لم يكن في البلدة حديث آخر غير حديثها وإيّاه.

- وما ذنبي أنا؟ إنما أنقل لك ما سرقته أذناي... تعلم أنّي حبيسة البيت.. هل تدري؟!

ـ ماذا؟
ـ زوج عمي هي التي قالت ذلك.
ـ ماذا قالت؟
ـ الفتيات هناك يحملن معهنّ إلى بعولتهنّ الطريف والنفيس من جواهر وثياب، وفراش وأثاث!
ـ ذلك متاع الحياة الدنيا.
وقد ابتاع لها والدها حتى الغسّالة، وآلة الخياطة و...
ـ لا قيمة لكلّ ذلك.. «الخُبْزُ أَنْجَبُهُ أَتْوالِ».
صارت سعديّة الشغل الشاغل.. لكنّ الرّجال ما لبثوا أن عدلوا عن حكمهم بعد أن لمحوها في صورة ظبية.. أملوا أن لو كانت من نصيب صيدهم، وراحوا يعدّون العدّة لاقتناصها في أقرب فرصة.
ـ هكذا إذن، يحسبك الظّمآن شهدًا حتى إذا جاءك وجَدك بصلا.. ماذا أفعل لك الآن.. يالعينة؟ لماذا غررت بي؟ لماذا لم تبعديني من جَناك المحنظَل؟
ـ إنّه الاستعمار الخبيث.. كأنك لا تعرف التّاريخ!
ـ تريدين قتلي قاتلك الله؟! أيّ استعمار تعنين؟ الاستعمار دفنّاه منذ ربع قرن.. سنّك كم؟
ـ سني ٢٠ عشرون ربيعا.. ولكنّ أمي كانت قد حملت بي ثم أجهضت، ثم حملت فأسقطت، ثم.. ثم..
ـ ما هذا الهراء يا فاجرة؟ أي حظ تعيس هذا يا إلهي؟ «إن تسترها يجزك الله، وإن تطلّقها فهو من حقك» هكذا أجابه المفتي.
ـ ماذا أقول لك؟ أنت الآن حامل، لكنّ المهمّة التي أنيطت بي تقضي النأي عنكم لمدة.. سأزوركم ما بين الآنية والأخرى..
ـ أي نبأ سار هذا؟ ستمزّق الفراشة شرنقتها.. يمكن للصيّاد الماهر أن يتمكّن من الشّادن.. هي الآن من دونه..
ـ من دونه؟.. وأبوه.. وأمّه؟.. وأخوته؟
ـ كلّ ذلك لا قيمة له.. العجوز (طامّة) تدبّر الأمر؟
لم يعد سرّا ما يجري بينهما من تناحر يوميّ ومناقشة حادّة ترفع فيها صوتها وتُعلي عقيرتها.. في كلّ مرّة يرفع يده ليصفعها، لكنه يمسك نفسه ويردّد الآية الكريمة ﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾.
آبت إلى بلدتها كما ذهبت.. رحّبت بها والدتها، طمأنتها وربّتت على ظهرها:
ـ مثله العشرات.. لا تخافي ولا تحزني.
صار لها المئات وليس العشرات.. سكنت وحدها شقّة صغيرة.. كلّ يوم كان ولدها ينام على وجه غريب، ويصبح على آخر.. يحمل محفظته.. يظلّ شاردًا عن دروسه.. لا علم له بعد بالسرّ:
ـ هذا عمك سعيد، وهذا الأخضر، وهذا الميلود، وهذا...
ما عاد يحصي العد ولا الأسماء..
بنتها غدت تُرسَل في مهمات مشبوهة..
ـ أو بلغك ما تفعله أمّ سليم؟ ويقهقه أصحابه هازئين به في الأساسية.
ـ ماذا تفعلين يا أمي؟! سمعتهم يضحكون ورأيتهم يتغامزون كأنهم يتعمّدون إسماعي.
ـ لا تهتمّ للأمر يا بنيّ.. إنما هي الغيرة منك.. أنت ترتدي ما لا يلبسون، وتأكل ما لا يأكلون، وتملك ما لا يملكون.. وقريبا سأبتاع سيارة!
ـ ولكن.. من أين لك كلّ ذلك؟
ـ إنما هو حقي من النفقة الشهرية يا ولدي.. اعتن بدروسك.
تعود الفتاة إليها ثائرة: لن أقوم لك بمهمّة بعد الآن! أفهمت؟ لقد همّ بي ذلك الوحش الذي أرسلتني إليه.
ـ ماذا تقولين يا أختي؟
ـ لا شيء يا سليم.. لا شيء يا بنيّ.. سأريه من أين تؤكل الكتف.. الخبّاز الشرير.. أبعثك لشراء الخبز فيحاول التعدّي عليك.. ما هذا؟ انعدمت المروءة..
ـ ليس الخبّاز.. إنّما..
ـ قلت لك سأهينه، سأسبّه، سألعنه.. (وتغمزها)
انتشر النّبأ.. سعديّة طريحة الفراش.. إيه.. بعد الشّباب الفائر، والبهاء الخارق، لم تعد إلاّ تمثالا شوّهته الأيدي بلمسها، ودمية من عجين جلدي مهترئ أصابته الحرارة فشوهته.. تسوست الأسنان، تجعّدت الخدود.. كل ما فيها يزهد في الحديث إليها، في الدّنوّ منها.. في انتشاق ريحها، بل حتّى في رؤيتها! صارت السعلاة التي تخيف المشاهدين، الطاعون الذي يفرّ منه الناس اتقاء بلواه.. الشرّ المستطير الذي يعزف عنه البشر حذرًا من عواقبه الوخيمة! كيف تلاشت كلّ تلك النعمة التي كانت تحوطها من كل الأكناف إلى درجة أن رفضت أن يكون لها زوج.. وما قيمة الزوج بالنسبة لها؟ إن يذهب «محمد يجيء محمود».. لكنّ اليوم لا محمد ولا محمود، بل عيش ضنك وحظ تعيس!
تفشى مرض «الحضارة»...
العدد مهول: مليون إصابة في العالم بالسّيدا.. لا.. بل مليون وواحدة! هل نسيتها هي؟
ذاك ما أُخبرت به بعد أن استعصت حالتها على الأطبّاء..
ماتت أكثر من عشر ميتات، احتضرت مرّات ومرّات.. انكشط الجلد عن اللّحم، وحلّ الوهن محلّ القوى، ضاق جسمها حتى بجلده، وراحت تنظر إلى مصيرها المجهول نظرات ملؤها الصّمت والإبهام والهذيان، وتحدّق إلى ما اقتَنَتْه بحسرة وكمد.. تحاول أن تتكلّم، لكنّ العبرات تسبقها، تريد أن تتحدّث لكنّ الشفتين تلتصقان بعضهما على بعض فتعضّ عليهما حتى تدميهما وهي مسندة رأسها إلى وسادة ضاقت بها وضجرت منها، حسبتها شوكا أو حجرا..
أدارت محجريها ذات اليمين وذات الشّمال في زوايا غرفتها باحثة عن رفيق فإذا لا شيء، إلا الخيال، والوهم، والأشباح.. طال ليلها حتى أخافها، وضجّت بالنّهار، ولكن لا حيلة لها في الانتظار.. قال لها الطيف الذي اعتاد زيارتها: «عليك بمنجل». أجابته في هذيان ودهشة: «ماذا أفعل بالمنجل في غرفة نائية عن النّبت والزرع؟» فأجابها: «لتحصدي ما زرعت».
حملت منجلا حادًا وهي تذرع غرفتها لتجني ما أفلحت في الأيام الخالية


الجزيرة
الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن: مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب:٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف: ٤٠٢٥٥٥٥ .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

إعداد : أحمد دوغان

أديبات عربيات معاصرات "١"

أ

أسمى طوبي

ولدت الشاعرة أسمى طوبي في مدينة الناصرة عام ١٩٠٥ م، وفي المدرسة الإنجليزية تلقّت تعليمها، ممّا ساعدها على إتقان اللغتين الإنجليزية واليونانية إلى جانب اللغة العربية. وكان لنشأتها في بيئة أدبية أثر في ملكتها الثقافية، فبدأت الكتابة ــ شعرًا ونثرًا ـ وهي في الرابعة عشرة من عمرها، وأخذت تنشر نتاجها الأدبي في جريدة «فلسطين» قبل نكبة ١٩٤٨ م.

كان لها نشاط إذاعي من خلال الأحاديث التي ألقتها من محطة الإذاعة الفلسطينية «هنا القدس» ومحطة «الشرق الأدنى للإذاعة العربية الإنجليزية» بيافا، وفي عام ١٩٤٨ م بدأت تذيع أحاديثها من إذاعة «بيروت» بعد نزوحها من فلسطين في العام نفسه وإقامتها في منطقة «الرابية» التابعة للعاصمة اللبنانية.

أخذت تكتب الصفحة النسائية في جريدة «كل شيء»، وتنشر نتاجها الأدبي في مجلة «الأحد» الدمشقية، ومجلة «الأديب» البيروتية.

توفيت أسمى طوبي عام ١٩٨٣ م وكانت تردد في فترة مرضها الأخير «متى نعود؟»، ولها أكثر من قصيدة تحت هذا العنوان.

من مؤلفاتها ديوان «حبّي الكبير» الصادر عام ١٩٧٢ م، وعدد من المسرحيات: «أصل شجرة الميلاد» و«صبر وفرج» ١٩٤٣ م، و«نساء وأسرار». وفي البحث والدراسة صدر لها كتاب «عبير ومجد» في الصوت النسائي الفلسطيني عام ١٩٦٦ م، و«نفحات عطر» ١٩٦٧ م و«أحاديث من القلب» ١٩٥٥ م، ولها كتب مترجمة عدّة منها «الابن الضال» ١٩٤٦ م، و«الدنيا حكايات» و«في الطريق معه» ١٩٦٠ م، وكلها عن الإنجليزية.

انتصار العقيل

أديبة سعودية، ولدت في جدة عام ١٣٧٠ هـ ــ ١٩٥١ م. حاصلة على شهادة الثانوية العامة من لبنان، كاتبة مقالة في الدوريات السعودية، لها إسهام بارز في النشاط الاجتماعي من خلال عضويتها في الجمعيات الخيرية.

من أهم أعمالها: «موانئ بلا أرصفة» ١٩٨٩ م، «فيروس الحب» ١٩٨٩ م، «أنا.. والحمد لله» ١٩٩١ م، «هجرة القوارير» ١٩٩٣ م، «تحت الرماد» ١٩٩٣ م.

ث

ثريّا البقصمي

من مواليد الكويت عام ١٩٥٢ م، وفيها تلقّت تعليمها الثانوي، ثم التحقت بكلية «الفنون الجميلة» بالقاهرة (١٩٧٢ ـ ١٩٧٤ م)، وسافرت بعد ذلك إلى موسكو في بعثة لدراسة الفنون متخصصة في الملصقات ورسوم الكتب (١٩٧٤ ــ ١٩٨١ م)، ونالت درجة «الماجستير» من أكاديمية الفنون سيركوف.

بدأت كتابتها في الستينيات، وحصلت على جائزتين، حيث فازت عام ١٩٦٨ م بالمركز الأول في مسابقة القصة القصيرة، التي أقامتها وزارة التربية في الكويت، عن قصتها «الثوب الأصفر»، وفي عام ١٩٧١ م فازت قصتها «العرق الأسود» بالمهرجان الثقافي للمدارس الثانوية.

أقامت معارض فنية عربية وعالمية، ونالت جوائز وميداليات ذهبية لتفوقها في عدد من هذه المعارض.

صدر لها في القصة ثلاث مجموعات: «العرق الأسود» ١٩٧٧ م و«السدرة» ١٩٨٨ م و«شموع السراديب» ١٩٩٢ م، وكان قد صدر لها في النقد الفني كتاب «المرسم الحرّ ورحلة الـ ٢٥ عامًا» ١٩٨٧ م.

ثريا عبد الفتاح ملحس

من مواليد مدينة نابلس في عشرينيات هذا القرن، تلقت دراستها في مدارس عمّان ثم في كلية بيروت للبنات، ونالت شهادة الماجستير من الجامعة الأمريكية في بيروت. عملت أستاذًا مشاركًا في كلية بيروت الجامعية ثم رئيسًا لدائرة الأدب العربي فيها.

لها إسهامات في القصة والنقد والبحث والشعر.

من أهم دواوينها الشعرية: «النشيد التائه» عام ١٩٤٩ م، «قربان» عام ١٩٥٢ م، «ملحمة الإنسان» عام ١٩٦١ م، «محاجر في الكهوف» عام ١٩٦٨ م، وفي العام نفسه صدر لها ديوان «خبأنا الصواريخ في الهيكل»، وفي عام ١٩٧٠ م صدر لها ديوان «أناشيد ومجامر»، وبالإنجليزية كتبت ديوان «سجناء الزمن» عام ١٩٥٦ م.

من مؤلفاتها النثرية: «أضواء جديدة على المعلقات»، «عظماؤنا اللغويون»، «عشر نفوس قلقة» عام ١٩٥٥ م، «عشر ملحنات» عام ١٩٦٢ م، «أبعاد المعري» عام ١٩٦٢ م، ومجموعة قصصية عنوانها «العقدة السابعة».

من إسهاماتها النقدية: «ألوان: مختارات أدبية شعرية تصف فن الكتابة» عام ١٩٥٩ م، «في الأدب الفلسطيني المعاصر» «في المعركة» عام ١٩٧٠ م، «القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه» عام ١٩٦٤ م، «ميخائيل نعيمه الأديب الصوفي» عام ١٩٧٥ م، كما صدر لها «العصر الأموي» عام ١٩٧٥ م في ثلاثة أجزاء، وعن المرأة صدر لها كتاب «المرأة العربية والروح النضالية» عام ١٩٦٨ م.

ج

جنّة القريني

ولدت الشاعرة الكويتية جنّة عبد الرزاق القريني عام ١٩٥٤ م.

حصلت على الثانوية العامة عام ١٩٧٤ م من الكويت، ثم التحقت بجامعتها لدراسة الفلسفة، وتخرجت فيها عام ١٩٨٠ م.

نشأت يتيمة وحيدة، أرادت جدّتها لوالدتها تسميتها «هموم»؛ لأنها ولدت بعد وفاة والدها بثلاثة أشهر، وهي تعتبر أمّها معلمتها الأولى ورفيقة دربها.

أول قصيدة نشرت لها كانت في مجلة «أسرتي» الكويتية، وهي طالبة في المرحلة الثانوية.

بدأت جنّة القريني بكتابة الخاطرة، فالقصة ثم كان الشعر، وهي عضو رابطة أدباء الكويت، وقد مثّلت الكويت في معظم الأسابيع الثقافية التي أقيمت في عدد من الدول العربية منها: اليمن ١٩٨٣ م، والأردن ١٩٨٤ م، والجزائر ١٩٨٦ م، والقاهرة ١٩٩٠ م، ودمشق ١٩٩١ م.

صدر لها مجموعتان شعريتان: «من حدائق اللهب» ١٩٨٨ و«الفجيعة» ١٩٩١ م.

ح

حميدة نعنع

ولدت في مدينة إدلب بسورية عام ١٩٤٦ م، وفيها أتمت دراستها الثانوية عام ١٩٦٧ م، ثم تابعت دراستها في جامعة دمشق (كلية الآداب والعلوم الإنسانية) قسم اللغة العربية وآدابها، وتخرجت فيها.

عملت في الصحافة السورية، ثم انتقلت إلى بيروت، بعدها غادرت إلى باريس لتعمل هناك مراسلة لصحيفة «السفير» اللبنانية.

بدأت حياتها الأدبية بكتابة القصة القصيرة، إلاّ أنها عرفت فيما بعد بالشعر، لكنها تحولت إلى الرواية.

في باريس التقت عددًا من المفكرين والأدباء وأجرت معهم حوارات عدة أمثال: ماركيز، أوكتافيوباث، رجاء جارودي، رولان بارت، سيمون دي بوفوار، سنجور، دوبريه.

صدر لها مجموعة شعرية «أناشيد امرأة لا تعرف الفرح» ١٩٧٠ م، ورواية «الوطن في العينين» ١٩٧٩ م، وفي المقالة «من دفاتر امرأة» ١٩٩٢ م.

حنان الشيخ

قاصة وروائية لبنانية. لها عدد من الأعمال الروائية والقصصية، منها: «انتحار رجل ميت» ١٩٧٠ م، «فرس الشيطان» ١٩٧٦ م، «حكاية زهرة» ١٩٨٠ م، «ورد الصحراء» ١٩٨٢ م.

خ

خناثة بنونة

ولدت الأديبة المغربية خناثة بنونة في مدينة فاس ١٩٣٧ م، وفيها تلقّت تعليمها.

اشتغلت فترة بالتعليم الابتدائي، ثم انتقلت إلى التعليم الثانوي مدرّسة لمادتي التاريخ والجغرافيا.

تعمل حاليًا مديرة لإحدى الثانويات في مدينة الدار البيضاء، وكانت من مؤسسات أول مجلة نسوية في المغرب بعنوان «شروق».

صدر لها في الرواية: «النار والاختيار» ١٩٦٨ م، و«الغد والغضب» ١٩٨١ م، وفي القصة: «ليسقط الصمت» ١٩٦٥ م، و«الصورة والصوت» ١٩٧٥ م، و«العاصفة» ١٩٧٩ م، و«الكتابة خارج النص» ١٩٨٤ م.

خيرية السقاف

ولدت في مكة المكرمة عام ١٣٦٩ هـ، حصلت على البكالوريوس في الأدب واللغة العربية من كلية الآداب، جامعة الرياض عام ١٣٩٤ هـ، والماجستير من جامعة ميسوري بكولومبيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وكانت أطروحتها عن «تخصص المناهج وطرق التدريس في اللغة والأدب»، نالت

درجة الدكتوراه، وكان موضوعها «مناهج دراسة الأدب العربي في الجامعات ـ دراسة مقارنة ـ مع التركيز على الجامعات السعودية».

أديبة وصحفية وإذاعية تكتب القصة القصيرة والمقالة، وعلى مدى عامين أعدت مجلة أدبية إذاعية.

تولت الإشراف على صفحات المرأة والأسرة في الصحف والمجلات السعودية التالية: اليمامة، والرياض، والمدينة، والبلاد، والدعوة، ومجلة هي.

تعد أول مديرة تحرير صحفية في السعودية والخليج العربي، حيث تولت إدارة تحرير في جريدة «الرياض».

لها اهتمامات بقضايا المرأة والأسرة، وهي عضو في جمعية النهضة النسائية الخيرية، وجمعية الوفاء الخيرية، وتعمل الآن عميدة لمركز الدراسات الجامعية التابع لجامعة الملك سعود بالرياض.

من أهم أعمالها مجموعة قصصية عنوانها «أن تُبحر نحو الأبعاد» ١٩٨٢ م.

ذ

ذهب نافلة

أديبة تونسية من مواليد تونس العاصمة في ١٩٤٧ م.

زاولت تعليمها الابتدائي والثانوي بمدرسة «نهج الباشا» للفتيات، وحصلت على الشهادة الثانوية ـ شعبة الفلسفة ـ ثم واصلت تعلمها العالي بكلية الحقوق والعلوم السياسية بتونس، ونالت إجازة في الحقوق عام ١٩٧٠ م، لتلتحق بمعهد الصحافة وعلوم الأخبار، وتحرز شهادته.

عملت رئيس مصلحة بشركة عجين الحَلْفَاء والورق بتونس، ثم التحقت بوزارة الشؤون الثقافية حيث شغلت وظيفة مستشارة قانونية في ديوان الوزير. عادت بعد ذلك إلى الشركة التي كانت تعمل بها، وهي الآن مديرة لها.

بدأت الكتابة سنة ١٩٦٦ م، ونشرت أول قصة في مجلة «قصص» التونسية عام ١٩٦٧ م، ونالت الجائزة الأولى على مدى ثلاث سنوات في برنامج «هواة الأدب» في الإذاعة التونسية، ثم أخذت تنشر نتاجها في الدوريات التونسية والعربية.

شاركت في عدة ندوات وملتقيات أدبية على المستويين التونسي والعربي، وهي عضو بنادي القصة واتحاد الكتاب التونسيين، وكانت أول أديبة تنتخب ضمن أعضاء الهيئة الإدارية لاتحاد الكتاب التونسيين في عامي ١٩٨٨ و١٩٨٩ م.

عرفت بكتابتها للقصة القصيرة، وقصة الأطفال، ومن مؤلفاتها: «أعمدة من دخان» ١٩٧٩ م، و«الشمس والإسمنت» ١٩٨٣ م و«رحلة بوسة.. النجمة سنا» للأطفال ١٩٨٠ م، و«مغامرات مخاخ في البلاد التونسية» للأطفال ١٩٨٦ م و«أحلامنا» ديوان للأطفال ١٩٧٩ م، و«ست قصص مقتبسة» من سلسلة القصص العالمية ١٩٨٧ م.

ر

رقية حمود الشبيب

أديبة سعودية من مواليد حائل شمال المملكة العربية السعودية، إلا أنها غادرت هذه المدينة مبكرة، لذا تعتبر ميلادها الحقيقي في عرعر.

حصلت على إجازة في العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. تعمل موجهة تربوية في منطقة الرياض.

بدأت الكتابة في سنّ مبكرة منذ مراحل الدراسة الأولى، وكان أول من شجعها ونشر لها الأديبة السعودية خيرية السقاف.

إلى جانب تميّزها بكتابة القصة، لها مقالات أدبية واجتماعية في مجلة «اليمامة» وجريدتي «الرياض» و«الجزيرة».

صدر لها ثلاث مجموعات قصصية: «حلم» و«الحزن الرمادي» الرياض ١٩٨٥ م، و«أحلام قصيرة».

ز

زكية مال الله

شاعرة قطرية ولدت في عام ١٩٥٩ م. حاصلة على دكتوراه في الصيدلة من جامعة القاهرة عام ١٩٩٠ م، عضو في عدد من المنظمات الثقافية الدولية، فهي عضو في الأكاديمية العالمية للثقافة والفنون في الولايات المتحدة الأمريكية، وعضو في الجمعية العالمية للشعراء في الهند، إلى جانب عضويتها في الاتحاد النسائي في باريس.

صدر لها عدد من الدواوين الشعرية أهمها: «في معبد الأشواق» القاهرة ١٩٨٥ م، «ألوان من الحب» الدوحة ١٩٨٧ م، «من أجلك أغني» القاهرة ١٩٨٩ م، «في عينيك يورق البنفسج» القاهرة ١٩٩٠ م، «من أسفار الذات» بيروت ١٩٩١ م. كما صدر لها: «كتاب الورد» (شعر عامي)، و«قصائد حوارية»، و«كنايات نثرية»، وقد تُرجمت بعض قصائدها إلى اللغتين الإنجليزية والتركية.

زهور ونيسي

أديبة جزائرية من مواليد ١٩٣٦ م بمدينة قسنطينة في الشرق الجزائري.

حصلت على إجازة في الآداب وإجازة في الفلسفة، ودراسة عليا في علم الاجتماع من جامعة الجزائر.

عملت مدرّسة، ثم صحفية، وشغلت منصب كاتبة الدولة للشؤون الاجتماعية، فوزيرة للتربية، وبعدها وزيرة للشؤون الاجتماعية، وهي نائبة في البرلمان الجزائري، و(مجاهدة) في ثورة التحرير.

تحمل وسام المقاومة، ووسام الاستحقاق الوطني، وجائزة الدولة التقديرية للإبداع، إلى جانب كونها عضو اتحاد الكتاب الجزائريين، وفي الهيئة المديرة منذ سنة ١٩٧٤ م. تقاعدت في الفترة الأخيرة وتفرّغت للكتابة والإبداع.

أسست مجلة «الجزائرية» التابعة للاتحاد الوطني للنساء الجزائريات وكانت رئيسة تحرير لها إلى أن أصبحت كاتبة الدولة للشؤون الاجتماعية ١٩٨٢ م.

تجربتها الأدبية مبكرة، فقد نشرت في جريدة «البصائر» قبل الاستقلال، وتميزت بالقصة القصيرة، إلاّ أنها كتبت المقالة والرواية. كتب عن نتاجها الأدبي عدد من الدارسين العرب والأجانب منهم: د. سهير القلماوي، د. عبد الله ركيبي، د. عمر بن قينة، د. محمد مصايف، أحمد دوغان، أندير أوفير من بلجيكا، نينا قوينتي من إيطاليا.

صدر لها في القصة: «الرصيف النائم» القاهرة ١٩٦٧ م، و«على الشاطئ الآخر» الجزائر ١٩٧٤ م، و«الظلال الممتدّة» الجزائر ١٩٨٥ م، و«عجائز القمر» الجزائر ١٩٩٢ م، وروايتان «من يوميات مدرسة حرّة» الجزائر ١٩٧٩ م، و«لونجة والغول» ١٩٩٣ م.

س

سحر خليفة

أديبة فلسطينية ولدت في نابلس عام ١٩٥٠ م، وتلقت فيها تعليمها ما قبل الجامعي، ثم حصلت على شهادة البكالوريوس في اللغة الإنجليزية من جامعة بيروت، والدكتوراه من الولايات المتحدة الأمريكية. لها اهتمامات بالنشاطات النسائية بحكم عملها في مركز الدراسات النسوية في عمّان.

إنتاجها الأدبي يتركز في الرواية، إذ صدرت لها روايات: «لم نعد جواري لكم» ١٩٧٥ م، «الصبار» ١٩٧٨ م، «عَبّاد الشمس» ١٩٨٠ م، «باب الساحة» ١٩٩١ م، ولها كتاب «مذكرات امرأة واقعية» ١٩٨٨ م.

سعاد الصباح

شاعرة كويتية من مواليد مدينة البصرة العراقية في عام ١٩٤٢ م.

حاصلة على الدكتوراه في التخطيط والتنمية من جامعة ساري الإنجليزية عام ١٩٨١ م، وتعمل حاليًا محاضرة في الاقتصاد والتنمية والنفط بجامعة الكويت.

من أهم الأعمال التي صدرت لها: «أمينة»، «إليك يا ولدي»، «فتافيت امرأة»، «في البدء كانت الأنثى»، «حوار الورد والبنادق»، كما أن لها كتبًا في مجال الاقتصاد ودور المرأة فيه.

سلمى الخضراء الجيوسي

أديبة فلسطينية من مواليد عكا عام ١٩٢٩ م.

أول عهدها بنظم الشعر وهي تلميذة صغيرة في المدرسة، وقد تنبأ لها يومئذ بالشاعرية الفيلسوف التركيّ رضا توفيق.

جرفتها شواغل الحياة من اهتمام بالدرس إلى زواج وإنجاب أطفال؛ حتى إذا ما كبروا عادت إلى متابعة الدراسة.

خرجت من فلسطين إثر نكبة ١٩٤٨ م، واتخذت من الكويت مسكنا حيث يعمل زوجها.

تخرجت في الجامعة الأمريكية ببيروت، ونالت إجازة في الآداب منها، ثم حصلت على درجة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة لندن عام ١٩٧٠ م عن رسالتها «الحركات والاتجاهات في الشعر الحديث».

عملتْ بجامعة الخرطوم بين عامي ١٩٧٠ و١٩٧٣ م، كما عملت بجامعة الجزائر بين عامي ١٩٧٣ و١٩٧٥ م، ودرّست في الجامعات الأمريكية (يوتا، واشنطن، ميتشيجان، تكساس) في الفترة ما بين ١٩٧٦ و١٩٨٠ م، وتعمل الآن في جامعة ميتشيجان محاضرة في الأدب العربي.

أسست سلمى الخضراء الجيوسي مشروع «بروتا» PROTA بمساعدة جامعة كولومبيا في مدينة نيويورك عام ١٩٨٠ م لترجمة الأدب العربي الحديث إلى الآداب الأجنبية. وتقيم الآن في الولايات المتحدة الأمريكية.

من مؤلفاتها: ديوان «العودة من النبع الحالم» ١٩٦٠ م، و«اتجاهات الشعر العربي الحديث» بالإنجليزية، هولندا ١٩٧٠ م، و«أنثولوجيا الشعر العربي الحديث» مختارات ودراسة لـ ٩٣ شاعرًا عربيًا بالإنجليزية، و«شؤون المرأة» بالاشتراك، عمّان ١٩٩١ م. وترجمت العديد من الكتب منها «موسوعة رباعية الإسكندرية ـ داريل» بيروت ١٩٦١ م، و«إنسانية الإنسان ــ بارتون باري» بيروت ١٩٦١ م، و«الشعر الأمريكي الحديث ــ لويز بوكان» بيروت ١٩٦١ م.

ش

شريفة الشملان

أديبة سعودية ولدت في الزبير عـام ١٣٦٧ هـ، حصلت على بكالوريوس الأداب ـ قسم صحافة ـ من جامعة بغداد.

تكتب القصة القصيرة والمقالة الصحفية. من أهم أعمالها مجموعة قصصية عنوانها «منتهى الهدوء» صـدرت عام ١٩٨٩ م، ولها مقـالات تتناول الجوانب الاجتماعية تُنشر في العديد من الصحف والمجـلات المحلية والخليجية منذ عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧ م).

شريفة عرباوي

أديبة تونسية من مواليد تالة في ١٩٣٩ م.

زاولت تعليمهـا الابتدائي والثـانـوي بمسقط رأسها، ثم واصلت تعلمهـا العالي بمعهد بورقيبة للغات الحية بتونس العاصمة، فرع اللغة العربية وتخرجت فيه ١٩٦٤ م.

نشرت نتاجها في الصحف والمجلات التـونسية والعربية، وحضرت عددًا من الندوات الخاصة بالقصة على المستوى الوطني التونسي.

وهي عضو بنـادي القصة، وبـاتحاد الكتاب التونسيين، وقـد صدرت لها مجموعة قصصية بعنوان «الصعب» عن دار الأخلاء بتونس ١٩٨٣ م.

ص

صوفي عبد الله (أم هانئ)

أديبة مصرية من مـواليد الفيوم. تميّزت بـالقصة على الرغم من أنها كتبت المسرحية والـرواية، وترجمت العـديد من الـروايات والقصص العالميـة إلى اللغة العربية.

بدأت تجربتها الأدبية عام ١٩٤١ م، ونالت جائزة في مسابقة «دار الهلال» للقصـة القصيرة عـام ١٩٤٨ م عن قصتهـا «الـروشتـة الأولى» التي نُشرت في العدد الأول من مجلة «المصور» بعد تجديد شكلها في العام المذكور.

يعود الفضـل في الكشف عن موهبتهـا وتكوينها الأدبي إلى زوجهـا نظمي لـوقـا، وإلى المفكر عبـاس محمـود العقـاد، وكانـت تحضر مع زوجها نـدوتـه الأسبوعية في صالونه بين عامي ١٩٤٨ و١٩٥٢ م.

وصـوفي عبـد الله عضو نقـابـة الصحفيين ونـادي القصة وجمعيـة الأدبـاء بمصر.

عملت محرّرة بمجلات «دار الهلال»، ومـازالت تحرر باب «مشكلتك» في مجلـة «حـواء» بتوقيع «أم هـانئ» منـذ عـام ١٩٥٥ م، إلى جانب كتـابتهـا في الصحافة المصرية، والعربية أيضًا.

من مؤلفـاتها: مسرحية «كسبنـا البريمو» ١٩٥١ م، وأربع عشرة مجمـوعة قصصية منها «نفرتيتي» ١٩٥٢ م، «وكلهنّ عيوشه» ١٩٥٦ م، و«ثمن الحب» ١٩٥٧ م، وثـلاث روايات: «لعنـة الجسـد» ١٩٥٨ م و«دمـــوع التوبـــة» ١٩٥٩ م، و«عاصفة في قلب» ١٩٦٢ م. وفي المقالـة الاجتماعية كتاب «نساء محاربات» ١٩٥١ م، وترجمت أكثر من خمسين رواية من الأدب العالمي صدرت في دوريات «كتاب اليوم» وروايات الهلال.

ض

ضياء قصبجي

أديبـة سوريـة من مواليـد ١٩٣٩ م في حي الجلوم بمـدينة حلب. وفيهـا تلقت تعليمهـا حتى نهاية المرحلـة الثانـويـة، ثم انتسبت إلى كلية الحقـوق في حلب، بعدهـا انتقلت هذه الكليـة إلى دمشق، وتابعت دراستهـا حتى السنة الثالثة.

عملت في حقل التعليم في حلب والسعودية والجزائر، وعملت بالوكالة في مـديريـة الشؤون الاجتماعيـة والعمل في مدينـة حلب، ثم تعينت في مؤسسـة تسويق الأقطان في المدينة نفسها حتى استقـالتها في ١٩٩١ م، متفرغة للكتابة والإبداع.

عُرفت ضياء قصبجي بالقصـة، إلاّ أنها تكتب المقالة الأدبية، والخاطرة، والنقـد الفني، والروايـة، إلى جانب كـونها فنـانة تشكيليـة، أقامت أكثـر من معرض للوحاتها. وتنشر نتاجها في العديد من الصحف والدوريات العربية، ونالت أكثر من جائزة أدبية، كجائزة «أحسن قصة لعيد الأم» عام ١٩٥٧ م في المسـابقة التي أجـرتها دائرة الشؤون الاجتماعيـة والعمل عن قصة «عيـد الأم»، وجائزة اتحاد الكتاب العرب بدمشـق في مسابقة للقصة القصيرة عام ١٩٨٠ م عن قصتهـا «موت المسـافة بين نقطتين»، وجـائزة مجلـة «الحسناء» بلبنـان عن قصتهـا «التـوغل في عمق الغابة». وحولت روايتهـا «امرأة في دائرة الخوف» إلى سباعية أذيعت مـن إذاعة دمشق ١٩٨٥ م، وإلى سباعية تلفزيـونية في دمشق ١٩٩٣ م.

كتب عن أدبها عدد كبير من النقاد والأدباء منهم: فاضل السباعي، محمد كمال، عبد القادر عنداني، وليد مشوّح، عبد الله أبو هيف من سورية، حسن فتح البـــاب، حسني سيد لبيب، محمد الـراوي، رستم كيـلاني من مصر، عبد القادر الدردري من تونس.

صـدر لها في القصة المجمـوعات التـاليـة: «العالـم بين قـوسين» دمشق ١٩٧٢ م، و«القـادمة من سـاحات الظل» حلب ١٩٧٩ م، و«جسـد يحضن الحب ويبتعـد» دمشـق ١٩٨١ م و«أنتم يـا مـن أحبّكم» بيروت ١٩٨١ م، و«التوغل في عمق الغابة» دمشق ١٩٨٤ م، و«ثلوج دافئة» دمشق ١٩٩٢ م.

وفي الروايـة: «امرأة في دائرة الخـوف» ليبيا ١٩٨٥، و«طائـــر الجلـــوم» ١٩٩٣ م، وفي المذكـــرات: «مذكـرات لـؤلؤة» مجلـة المرأة العربيـــة، دمشق ١٩٨٥ م.

ردود خاصة

● **الأخ كمال بو عكاز - سكيكدة - الجزائر:**

الاقتراح الذي ذكرته في رسالتك لا يتناسب مع اهتمامات «الفيصل»، لهذا لا يمكن الأخذ به، وشكرا لك.

● **الأخت ضحى الإسلام أحمد الحيدري - حلب - سورية:**

شكرا على مشاعرك الكريمة، واقتراحاتك مأخوذة بعين الاعتبار والاهتمام.

● **الأخ محمد أبْكَر محمد يوسف - الخرطوم - السودان:**

نرجو الكتابة على أحد وجهي الورقة عند مراسلتنا بقصد النشر، وشكرا.

● **الأخت نوال جلول معمري - تيبازة - الجزائر:**

كتابتك على ورق غير مخصص للكتابة جعلت قراءتنا لها أمراً صعبا للغاية، فنرجو مراعاة ذلك عند أي مراسلة قادمة، المطبوعات التي سألت عنها في طريقها إليك، أما عناوين المراكز الإسلامية فهي غير متوافرة لدينا.

● **الأخ خالد محمد - عنيزة:**

لا تتوافر لدينا معلومات عن الموضوع الذي تسأل عنه، وبإمكانك مراسلة كاتب المقالة لعله يفيدك بما تريد، والكاتب هو: خالد محمد عزب، وعنوانه: مصر - مطوبس - محل مصوغات ومجوهرات الحاج صلاح.

● **الأخ شفيق البشير غربال - صفاقس - تونس:**

نرحب بأي مشاركات تود إرسالها إلينا، فأهلا بك.

● **الأخ إياد عبد المجيد الحسون - جبل الزاوية - المنارة - سورية:**

الباب الذي ذكرته أوقف في إطار المراجعة الشاملة التي تجريها أسرة التحرير لموضوعات المجلة المختلفة، وإعادة هذا الباب من عدمه سيحسم في إطار خطة التطوير التي يجري إعدادها حاليًا. أما العدد الذي طلبته فهو في طريقه إليك.

● **الأخ بوعيطة شعيب - العيون - الصحراء - المغرب:**

المخطوطة التي تسأل عنها هي من مقتنيات قسم المخطوطات في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض. والنسخة التي تتوافر لدينا من الجدول المأخوذ من تلك المخطوطة هي التي نشرناها من قبل. وإذا أردت أكثر من ذلك فبإمكانك مراسلة قسم المخطوطات بالجامعة المذكورة لعله يلبي لك ما طلبت.

أما مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض فخدماته شاملة لا تقتصر على المملكة العربية السعودية وحدها.

● **الأخ بشيري بلقاسم - الجلفة - الجزائر:**

لم يتضح لنا المقصود من قولك إن الهدف من مراسلتك هو «التزود بمعلومات نافعة». عموما أوعزنا إلى قسم التوزيع بإرسال بعض الأعداد السابقة إليك مفترضين أن المقصود هو الحصول على أعداد من «الفيصل».

● **الأخ محمد سليمان النفيسي - الصفاة - الكويت:**

العدد الذي ذكرته لا تتوافر لدينا منه نسخ للتوزيع أو التداول لقدمه، غير أننا أرسلنا لك نسخة مصورة للموضوع المنشور في ذلك العدد، الذي طلبته من أجله.

● **الأخ محمد ضو بن موسى - مدنين - تونس:**

شكرا على رسالتك والمشاعر الرقيقة التي تضمنتها، ونأمل أن تكون إسهاماتك القادمة أفضل في مستواها من القصيدة التي أرسلتها، وأهلا بك.

● **الأخ فحليل أحمد - العيون - الصحراء - المغرب:**

رسالتك وصلت، وشكرا على مشاعرك.

● **الأخ عماد الدين حمدي غرايبه - إربد - الأردن:**

شكرا على رسالتك ومشاعرك الأخوية الكريمة، ونتمنى لك ولولديك منيف وصهيب كل توفيق ونجاح، ونأمل أن يكونا من قراء «الفيصل» الدائمين أسوة بأبيهما.

● **الأخ حمد مجول السعيدي - مكة المكرمة:**

رسالتك أحيلت إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بحكم الاختصاص، وشكرا

● **الإخوة: شاربي بلقاسم - الجلفة، محمد مودانه - قالمة، عبدالسلام خربان - سطيف - الجزائر:**

يستحسن أن توجهوا استفساراتكم إلى الملحق التعليمي أو الثقافي في السفارة السعودية بالجزائر للرد عليها، وشكرا.

● **الإخوة: عاصم عبد المجيد عبد الله - المدينة المنورة، أقشل مولاي الصديق - مراكش - المغرب، شماخي محمد وبوعلام عبد القادر - غرداية، محمد علي -**

تبسة، معطي الله نسيمة وخواني زين العابدين ـ تلمسان، العيد كمال ـ الجلفة، مهاه الوردي ـ خنشلة، حنيش خالد ـ بوزربعة، بكار المجذوب ـ النعامة، نور الدين بوهوشان ـ سطيف، حناية أحمد ـ الوادي، مولود مكموش ـ قالمة ـ الجزائر:

طلباتكم أحيلت إلى قسم الاشتراكات الذي سيوافيكم بمعلومات حول كيفية الاشتراك في المجلة، وأهلا بكم.

● **الأخ شنوف عيسى بن الزروق ـ الجلفة ـ الجزائر :**

نعتذر من عدم نشر الصورة المرسلة لعدم وجود مجال لذلك، وأهلا بك صديقا للمجلة.

● **الأخ كاظم الصالحي ـ قم ـ إيران :**

العدد المطلوب والمعلومات التي تخص الاشتراك في طريقها إليك، وشكرا.

● **الأخ محمد خير الطرشان ـ دمشق ـ سورية :**

نطمئنك بأن مقالات الأستاذ الدكتور حسن ظاظا مستمرة، وهو من كتّاب «الفيصل» الدائمين، وتعد «الفيصل» المجلة العربية الوحيدة التي ينشر فيها مقالاته وبحوثه على حد علمنا.

وبالنسبة للأعداد التي استفسرت عنها فسيصلك رد خاص من قسم التوزيع بالمجلة.

● **الأخ ميلود حنفي ـ معسكر ـ الجزائر:**

خطابك أحيل إلى مؤسسة الملك فيصل الخيرية بحكم الاختصاص، ونأمل أن يستجيبوا لما ورد فيه ويردوا على استفسارك، وشكرا.

● **الأخ يوسف بن لاغة ـ بئر مراد رايس ـ الجزائر:**

العناوين التي طلبتها غير متوافرة لدينا، ولعل السفارة السعودية في الجزائر يمكن أن تساعدك في هذا الشأن. وشكرا.

● **الأخ ناشر العبسي ـ صنعاء ـ اليمن :**

شكرا على مشاعرك الطيبة واهتمامك بالمجلة وتوزيعها في بلدك. نرحب بتعاونك معنا، فأهلا بك.

● **الأخ صحراوي عبد الكريم ـ المسيلة ـ الجزائر:**

المطبوعات في طريقها إليك، أما بقية الطلبات فيؤسفنا عدم إمكان تلبيتها، وأهلا بك.

● **الأخ صالح بن عبد الجليل ـ تونس :**

العدد الذي طلبته في طريقه إليك، أما المعلومات التي تخص مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، فسوف تصل إليك عن طريقه حيث أحلنا رسالتك إلى القسم المختص في المركز.

● **الأخ عبد اللاوي قدور مالك ـ الأغواط ـ الجزائر:**

رسالتك أحيلت إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بحكم الاختصاص، ونأمل أن تتلقى ردا منه في أقرب فرصة إن شاء الله.

● **الأخ بدر عبد الله الشمرين ـ سكاكا ـ الجوف :**

ملاحظتك بشأن قسيمة المسابقة في محلها، وسنأخذ باقتراحك في أقرب فرصة حيث إنه في بالنا منذ فترة. وشكرا لك.

● **الأخ محمد تيلولوت ـ بولمان ـ المغرب :**

نرحب بأي إسهامات أدبية تود إرسالها إلينا، فأهلا بك.

● **الأخ ناصر السيد الوحش ـ كفر سنباط ـ زفتى ـ مصر:**

رددنا كثيرا على الاقتراحات الخاصة بجوائز المسابقة، فنأمل أن تكون قد اطلعت على ما سبق أن ذكرناه في الأعداد السابقة بشأنها، وشكرا.

● **الأخ صالح تواتي ـ الجلفة ـ الجزائر:**

المعلومات التي طلبتها في طريقها إليك، وشكرا.

● **الأخت فاطمة غلام غازي خان ـ المدينة المنورة :**

شكرا لك على مشاعرك التي تضمنتها كلماتك الرقيقة عن المجلة، راجين منك دوام المتابعة والمواصلة. وأهلا بك.

● **الأخ فهمي علي شعث ـ جامعة القاهرة ـ القاهرة ـ مصر:**

بإمكانك عرض المصحف على قسم المخطوطات في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية لإبداء الرأي العلمي والفني فيه.

● **الأخ محمد أيمن النعمة ـ حلب ـ سورية :**

سؤالك أحيل إلى الشيخ صالح بن سعد اللحيدان وسيجيب عليه في باب «طريق الهدى» في أحد الأعداد المقبلة إن شاء الله.

● **الأخ بشير أحمد البحراني ـ القطيف :**

نرحب بمشاركتك معنا في إعداد بعض أبواب المجلة، غير أننا نفضل أن تحيطنا مسبقا بالموضوعات التي تود الكتابة عنها في الباب الذي ذكرته في رسالتك، تفاديا لتكرار الجهد، وأهلا بك.



حول "ذكريات ومشاهدات أندلسية":
زفرة العربي الأخيرة

أثناء مطالعتي صفحات «الفيصل» العدد ١٩٨، قرأت بإعجاب وشجون مقال الأخ **محمد حامد منصور** تحت عنوان **«ذكريات ومشاهدات أندلسية»**، وقد أثار بحديثه جروحًا وأوجاعًا.

فقليلة هي الأقلام التي تتناول تاريخ تلك القرون الثمانية التي وُجِدَ فيها العرب بالأندلس، وأقل منها الأقلام التي تتناول لحظة الوداع: زفرة العربي الأخيرة.

إلاّ أنني كلما تذكرت أو ذُكّرت بالأندلس حدثتني نفسي كيف يتسنى لهذا الأمير، **أبي عبد الله محمد**، أن يطعن **غرناطة** آخر حواضر الإسلام بالأندلس دون أن يجابه أحدا من فرسان العرب، فقد وقعت المفاوضة بين **فرناندو** وممثلي **أبي عبد الله**، وتم الاتفاق أن تُسلم **غرناطة**، وجمع **أبو عبد الله** الفقهاء وأكابر الجماعة في بهو الحمراء الكبير «بهو قمارش»، وبعد مناقشات طويلة عاصفة تمت الموافقة على معاهدة التسليم.



ذكريات ومشاهدات أندلسية

محمد حامد منصور

في العام الميلادي الماضي ١٩٩٢م احتفلت أسبانيا بمرور خمسة قرون على خروج العرب من الأندلس، بعد أن أمضوا فيها ثمانية قرون (من سنة ٩٢هـ ـ ٨٩٧هـ ٧١١م ـ ١٤٩٢م). ولا زلت أذكر تلك الأيام السعيدة التي قضيتها في ربوع الأندلس حيث أتيحت لي الفرصة عندما كنت أعمل أستاذا بجامعة ابن يوسف بمراكش بالمغرب ـ لزيارة أسبانيا عدة مرات.

ولا شك أنها ذكريات حبيبة غالية عاشها العرب، ويجدّ خلدهم، وعزة وشجاعة لا زالت إلى اليوم مضرب الأمثال، حيث قضى العرب أجل أيامهم، وخلّد علماؤهم وشعراؤهم وفنانوهم أجمل ما تفتق عنه الذهن البشري وأروعه، وجادت به القرائح الإنسانية. فالأندلس بجمالها ... العرب ـ كانت مصدر وحي وإلهام لا حد له.

إلاّ أن التاريخ يذكر لنا كيف وقف الفارس العربي المعارض لهذه المعاهدة، وهو قائد فرسان غرناطة **موسى بن أبي الغسان**، فقد قاد حملة دفاعية ضد العدو وحث أميره ومواطنيه على الدفاع حتى الموت، **وحذرهم من خداع ملك قشتالة وغدره قائلا: «لا تخدعوا أنفسكم ولا تظنوا أن النصارى سوف يوفون بوعدهم ولا تركنوا إلى شهامة ملكهم، إن الموت أقل ما نخشى، فأمامنا نهب مدننا وتدميرها وتدنيس مساجدنا وتخريب بيوتنا وهتك نسائنا وبناتنا، أمامنا الجور الفاحش والتعصب الوحشي والسياط والأغلال. أمامنا السجون والأنطاع والمحارق. هذا ما سوف تراه على الأقل تلك النفوس الوضيعة التي تخشى الآن الموت الشريف»**. ثم غادر المجلس واخترق بهو الأسود «كورة السباع» عابسا حزينا، ثم ذهب إلى داره فغطى نفسه بسلاحه وامتطى جواده واخترق شوارع غرناطة مغادرًا إياها، حتى وصل إلى ضفة نهر شنيل حيث التقى بثلة من الفرسان النصارى فاشتبك معهم في قتال عنيف وقَتَلَ عددًا منهم وجَرَحَ آخرين، وخشي أن يقع في أيديهم فألقى بنفسه في النهر فابتلعته الأمواج، ولم يره إنسان أو يسمع به بعد ذلك قط.

وتقول الرواية أيضا: **إن أبا عبد الله أشرف أثناء مسيره إلى مقره الجديد في شُعَب البذول على مناظر غرناطة، فوقف يسرح النظر لآخر مرة في هاتيك الربوع العزيزة التي ترعرع فيها وشهدت مواطن عزه وسلطان آبائه وأجداده، فانهمرت في الحال دمعة وأجهش بالبكاء، فصاحت به أمه الأميرة عائشة: «أجل ابك كالنساء، ملكا لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال»**. وتعرف هذه الرواية الإسبانية تلك الأكمة التي كانت مسرحا لذلك المنظر المحزن باسم «زفرة العربي الأخيرة».

وأختم بهذه الأبيات الرائعة للشاعر عمر أبو ريشة من قصيدة له بعنوان **«في طائرة» حيث يصدّر قصيدته بالكلمات الآتية:**

«كان في رحلة إلى الشيلي وكانت إلى جانبه حسناء إسبانيولية تحدثه عن أمجاد أجدادها القدامى العرب، دون أن تعرف جنسية من تحدث».

قلت يا حسناء من أنت؛ ومن ... أي دوح أفرع الغصن وطالا
فرنت شامخة أحسبها ... فوق أنساب البرايا تتعالى
وأجابت أنا من أندلسٍ ... جنة الدنيا سهولا وجبالا
وجُدودٍ ألمح الدهر على ... ذكرهم يطوي جناحيهِ جلالا
بوركت صحراؤهم إذْ زحزحت ... بالمروءات رياحًا ورمالا
حملوا الشرق سناءً وسنى ... وتخطوا ملعب الغرب نضالا
فنما المجد على آثارهم ... وتحدّى، بعد مازالوا، الزوالا
هؤلاء الصِّيدُ قومي فانتسب ... إن تجد أكرم من قومي رجالا

صلاح عبد الستار الشهاوي

مصر

لـم يتنـاولـه ملف "الفيصل":

تأثّر إقبال بالأدب العربيّ



في تعليق لي بشأن ملف الشاعر الفيلسوف **محمد إقبال ـ رحمه الله ـ الذي نشرته «الفيصل» في عددها رقم ١٧٤، أود أن أعرض نقطتين في الملف القيم**:

الأولى: تتعلق بتاريخ ولادة الشاعر، والذي ذكر في كل مقالات الملف أنه ٢٤ من ذي الحجة ١٢٨٩ هـ (٢٢ شباط ١٨٧٣م)، في مقال د. **نـاول عبد الهادي**، وكذلك في مقالة **محمد** منور الذي يعد من المتخصصين في دراسة إقبال.

وللإنصاف نقول: إنه ثار جدل واسع حول تاريخ ولادة شاعرنا الكبير واختلفت الأقوال، وتفرقت بين الأعوام من ١٨٧٠ إلى ١٨٨٠م. وقد انحصر التحقيق في القضية بين تاريخين: ٩ نوفمبر ١٨٧٧م، و٢٩ ديسمبر ١٨٧٣م. والمختار من هذين التاريخين هو الأول (٩ نوفمبر ١٨٧٧)، إذ هو التاريخ الرسمي **الذي أقرته اللجنة المشكلة من الدولة للتحقيق في هذا الأمر، وهو الذي رجحه نجل الشاعر، الدكتور ـ جاويد إقبال (وهو الآن من القضاة في باكستان) في كتابه عن والده «زنده رود» باللغة الأوردية**.

والثانية: تتعلق بتأثر **إقبال** بالأدب العربي، وهو ما غفل عنه الملف، ولم يتطرق إليه أحد كُتّابه.

وأحب أن أشير إلى أنني كتبت مقالاً في هذا المجال في مجلة **«الجندي المسلم»** (العدد ٥٦ جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ ـ كانون الثاني ١٩٩٠م) بعنوان: **«الشاعر الإسلامي محمد إقبال والشعر العربي»**، بينت فيه تأثر الشاعر **إقبال** بالشعر العربي في عصريه الجاهلي والإسلامي، واستدللت بورود شعر من العصر الجاهلي في شعر **إقبال**، وصور شعرية من العصرين الجاهلي والإسلامي يقتبسها **إقبال** ويضمنها شعره، ويوظفها لخدمة الفكر الإسلامي، الذي يؤمن به.

ففي قصيدة لإقبال في ديوان أرمغان حجاز (**هدية الحجاز**) يبدأ فيها ببيت من معلقة عمرو بن كلثوم:

صـددت الكأس عنـا أم عمـرو ... وكـان الكـأس مجراهـا اليمينـا

ويأتي **إقبال** بصورة يستخدمها **امرؤ القيس** في معلقته، صورة قنديل الراهب، يقول امرؤ القيس:

تضيء الظـلام بـالعشـاء كـأنـه ... منـارة ممسي راهـب متبتـل

فيقول **محمد إقبال** في ديوان **«أرمغان حجاز»** أيضًا (حسب ترجمة د. سمير عبد الحميد إبراهيم):

إن ليل هذا الجبل والوادي صدر مظلم
ليس فيه طائر ولا موج ماء
صار مضيئًا من قنديل الراهب..

وصورة الذود عن الحوض في شعر زهير بن أبي سلمى في المعلقة أيضاً:

ومن لا يـذد عن حـوضـه بسـلاحـه ... يُهدّم ومن لا يظلـم النـاس يُظْلَمِ

يأخذها إقبال فيقول في ديوانه: «**ما ينبغي أن نعمل يا أمم الشرق**»، ينصح العرب بالتخلص من عبودية الإفرنج:

لـو أردت النجـاة من خـداعـه ... فأبعـد جمالـه عن حـوضك

وقصيدة «**بانت سعاد» لكعب بن زهير** في مدح الرسول ﷺ، يذكرها **إقبال** في ديوانه: «**الأسرار والرموز**» (حسب ترجمة عزام):

كعب الشـاعـر في خير العبـاد ... أنشـد المدحـة من بـانت سعـاد
نظـم الـدر منيرًا في ثنـاه ... من سيـوف الهنـد سيفًا قـد دعـاه



وصور كثيرة أخرى تأثر فيها **إقبال** بالشعر العربي والإسلامي ـ وبخاصة من قصيدة **البردة للبوصيري، وقصائد قيس بن الملوح في ابنة عمه ليلى** ـ تحتاج إلى مقال مطول، لا مجال لذكرها في هذه العجالة. وأكتفي بذكر أبيات لإقبال يمدح الأدب العربي، ويدعو إلى التمسك بالإسلام فيقول: في ديوانه «**الأسرار والرموز**» حسب ترجمة **عبد الوهاب عزام** رحمه الله.

من بفكـر صـالـح في الأدب ... ارجعن يـا صـاح شطـر العـرب
سُليمى العـرب يـا صـاح اعشقـا ... لترى صبح الحجـاز ائتلقـا
من حـرور البيـد فـاشرب يـا رفيق ... واشربن من تمرهـا الـراح العتيق

هذا وأتمنى لمجلتنا **«الفيصل»** كل تقدم وازدهار لخدمة الفكر الإسلامي الأصيل واللغة العربية المعطاءة.

وأدعو الله بالتوفيق للعاملين فيها، والحمد لله رب العالمين.

فهمي قطب الدين نجار
الرياض



مجلاتُ الأطفال: المشكلةُ والحلّ

طالعت **العـدد ١٩٧** من **مجلـة الفيصل** الموقرة، ولفت انتبـاهي المقالات المهمة، وبخاصة **إطلالة د. زيـد الحسين**: «**الأطفال قلبي**» ومقالة **د. مرعي مدكور**: «**إعلام عن الأطفال وليس لهم**». ويبدو أن الأستاذين الكريمين طرحا موضوعين مهمين باتا يؤرقان المربين والآباء والمسؤولين.

وقديمًا تنبه الشاعر العربي المسلم **حِطَّان بن المعلى** إلى أهمية التربية والحرص على أولادنا في قصيدة جاء فيها:

وإنما أولادنـــــا بيننـــــا أكبـــادنـــا تمشي على الأرض
لـــو هبَّت الـــريـح على بعضهم لامتنعـت عينـــي مـــن الغمـــض

فماذا لو كـان الشاعر حيًّا بين ظهرانينـا ورأى الرياح المسمـومة تهب على أولادنا من كل حدب وصوب؟!

الأخطار المحـدقة كثيرة، وقـد تطرق الكاتبـان إلى أهمها، وسأتنـاول قضية «**مجلات الأطفال**» من بينها مناقشًا ومعلقًا، تاركًا الأخطار الأخرى لمرة ثانية.

ذكر د. مرعي في حديثه عن مجلات الأطفال أن هناك عددًا محدودًا منها لم يتعدّ ست عشرة مجلـة، وأن أغلبها قد توقـف إثر كارثة الخليج، وهـذا الكلام صحيح، من حيث الندرة، لكننا نجـد أن مجلات الأطفال قد تجاوزت ضعف هذا العدد، ووددتُ لو أشار الدكتور إلى ما هو مفيد منها وإلى ما هو ضار، إلا أنه ذكـر أنها لا تمت لواقعنا بصلـة، ولا تفيد في تنشئة أطفـالنا تنشئة إسـلامية عربية من قريب أوبعيد.

وهذا التعميم أرى فيه إجحافًا، فهناك مجلات عديدة تحاول أن تقدم ما هو مفيد ونافع لأطفـالنا، إلا أنها تقف عاجزة أحيانًـا عن الانتشار أو الاستمرار، وهناك مجلات لا تمت إلى واقعنا بصلة، تخاطب عقول الأطفال وتلعب بخيالهم وعواطفهـم، وتحاول أن تجعل منهم جيلاً لا يعـرف إلا المغامـرات والإرهاب.

وأغلب هذه المجلات تصدرها شركـات أجنبية، ويقوم بترجمتها بعض المهنيين الذين آثـروا الربح المادي على التربيـة والأخلاق، وبعض هذه المجـلات عربي المصدر هدفه كهدف النموذج السابق.

كما تطرق **د. مرعي**: إلى ندرة هذه المجلات قياسًا بما تقدمه وسائل الإعلام العـربية، وأنـا أوافق الكـاتب فيما ذهب إليه، لكني أرى أن النـدرة ليست في الكم فقط بل في الكيف أيضـا، فليس المهم كم مجلـة تصـدر؟ بل المهم كم نسخة من هذه المجلـة تطبع وما حدود انتشارها وتفاعل أبنـائنا مع صفحاتها؟ وأرى أن القليل النـافع خير من الكثير الضـار، وحسبنـا بأشهـر الصحف الأمريكيـة والأوربية التي تطبع ملايين النسخ وتوزع على نطـاق واسع. وبرغم التقصير الواضح في مجلات الأطفـال الهادفة، إلا أنني أرى أن السبب في ذلك هو طفلنـا الذي قلما يقبل على شراء مثل هذه المطبـوعات وقراءتها والكتـابة لها لعدة أسباب، نتيجة قصور بعضها وكذلك لعدم تشجيع أبنائنا على القراءة.

من أين تبدأ المشكلة؟

لابد أن نقرَّ أولاً بأن الطفل جزء منا ومتأثر بما حوله، وإن معظمنا ـ كما هو معروف ـ لا يهتم بالقراءة، بشهادتنا وشهادة أعدائنا وأصدقائنا، وهذه المشكلة



الأطفال قلبي!

«الأطفال قلبي» عنـوان كتـاب في تـربيـة الطفل لمربٍّ روسيّ. أطل عليّ عنـوان هـذا الكتـاب ونحن نتابع مهـرجان الجنـادرية الثـامن كمؤشر لحركـة واعية نحـو مستقبل فاعل، في هذا الوقت الذي تداخلت فيـه الأحداث وتشابكت، ووصلت في العديد منها إلى التأزم في أماكن شتى من عالمنا، وبلغت الصراعـات مداها بين أيديولوجيات متباينة متنافرة، بعضها في أشكال حروب دامية، والأخرى في صور صراعات فكرية قد تكون أشد وأقسى.

فجاءت إيحاءات هذا العنوان مواكبة لمهرجان هـذا العام، الذي حمل معه مسؤولية مستقبل الأمة بكل أبعادها في صورة جذورها «الأطفال»، فاتحًا باب الحوار من أجل تأثيل هذه الجذور.

والحديث عن الطفل يـدفعنـا إلى الحديث عن أزمتـه، أزمـة الطفـولـة في أمتنـا، والتي نسجت خيوطها قـوى متعددة متعدّدة ـ بقصد منهـا أو دون قصد ـ لأفكار حاقـدة، يقف وراءها منْ يحقدون على تاريخنا وأمجاده، ويخشون من مستقبلنا وتطلعاته.

وللإجابة عن تساؤل يطرحه أحد هؤلاء الأعـداء الحاقدين ـ وهو موشي دايان ـ فإن الجمود والنظر في مرآة الماضي دون الإسهام الجاد لتوجيه الحاضر وتحديد معالم المستقبل سيحقـق ـ لا قدّر الله ـ مايريد أعداؤنا؛ إذ يقول موشي دايان:

يميل العرب إلى خداع أنفسـهم وخداع غيرهم، وهو يقـومون بذلك عن غير عمد. فهم ... ث عن أمجاد الأجداد، عن صلاح الـدين، عن معارك حطين واليرموك، و... يرون أنفسـهم في مرآة أمجاد الماضي، أما نحن فـنراهم في مرآة ... دائمًا عن عظماء ماضيهم ولا يجدون في حا...



إعلام عن الأطفال وليس ...

الفيلسوف الذي قـال ـ ذات يوم ـ لأميره الحاكم: «سلّمني يا مولاي التربية؛ أغيّر لك وجه الأرض في جيل واحـد من الزمان» ... الفيلسوف لو عاش زماننا لاختصر زمن التغيير الذي يتطلع إليه اختصارًا كبيرًا؛ بشرط ... هو: توجيه وسائل الإعلام على النحو ـ التربوي ـ الذي يريد، خاصة وأن التلاحق التقني أغرقنا بوسـائل اتصالية، جعلت الدنيا تحت أصابعنا بلمسـة بسيطة إلى قرص ليزر، أو إدارة «هوائي» تلفاز، أو تصفح مطبوعات متلاحقة.

فلم تعد زرقاء اليمامة عين أهلها، ولا الطفلة الأمريكية جرس تنبيه القبيلة، وحتى الستار الحديدي المفروض بفعل الأيديولوجية قد انهار ـ من داخله ـ على أصحابه، وأصبح الروسي فريسة لعشرات المحطات التلفازية والإذاعية التي تمطر عليه من الفضاء، مثل حالنا وحال أطفالنا بالتمام والكمال!

فماذا أعددنا لأطفالنا وسط هذه العاصفة المتداخلة الوسائل والغايات؟ وماذا قدمنا لهم لنحصّنهم ضد هذا السيل الجارف عبر وسائل الإعلام؟

عدد محدود

المسألة تحتاج دراسات وتفصيلًا، وربما تكون ...

هكذا أصلاً إذا وجدت تلك الكتابة النوعية التي؛ في عناوينها؛ تخاطب الأطفال.

أما التقصير الإعلامي في نقل مضامين وأفكار تناسب الأطفال؛ فحدث ولا حرج:

صفحات الأطفال في الصحف العامة والمجلات غير المتخصصة في دولنا العربية ـ ... استثناء ـ تكـاد تقترب من الصفر، وإن وجـ... بعض أركان أو زوايا باهتة ولا تكاد تذكر ... من أن تؤثـر أو تصنع تيارًا مع أو ... الأطفال، وبالتالي فتأثيرها ... المدى البعيد؛ يكاد يقترب ...

خطرة ومهمة، وربما تحدد مسيرة مستقبلنا إذا عزمنا على معالجتها.

لقد قام أستاذ العلاقات الاجتماعية بجامعة هارفرد «ماكليلاند» بدراسة عن التطور الحضاري عند أية أمة، واكتشف أن أسباب التطور أو الخمول يرجع إلى المادة الدراسية التي كان يطالعها الناشؤون قبل عشرين سنة. وللأستاذ **أبي الحسن الندوي** رسالة صغيرة عن نهضة اليابان، وجد أن نهضتها بدأت من المدرسة الابتدائية، إذ جعلت الطفل محور اهتمامها. في حين تخلو أكثر مدارسنا من مكتبات للطفل، وإن وجدت فهي صغيرة ومهملة في أكثر الأحيان، أو أن القائم عليها ممن تقدمت به السن وكوفئ من إدارة المدرسة لينال الراحة «كأمين للمكتبة»!

أوجه دعوة حارة إلى المسؤولين عن المؤسسات التعليمية للاهتمام بالمكتبة لجعلها تسير في الطريق الصحيح المرسوم لها، علمًا بأن وزارة المعارف السعودية أقرت حصة مكتبية كل أسبوعين للمراحل التعليمية كافة. ولكن هل التطبيق جاد وفعلي؟

المساجد ودورها الثقافي:

لا شك أن المسجد أهم مكان للتربية والعبادة، لكننا نجد أن أغلب المساجد في العالم الإسلامي قاطبة لا تحتوي على مكتبات، وإن احتوت فنصيب الطفل منها قريب من الصفر.

تاريخنا يشهد بأن أكثر المساجد كانت مكتباتها مفخرة للعلم وللعلماء، فلماذا لا نضع في كل مسجد من مساجد الأحياء ما يجذب أطفالنا إليه من كتب وقصص ومجلات هادفة؟ ألم يجعل رسول الله ﷺ تعليم عشرة صبيان من المسلمين فداء لمشركي قريش من الأسرى في بدر؟

مكتبة الأطفال والتجربة الرائدة: لعل مكتبة الأطفال التابعة لمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض من المكتبات النادرة في عالمنا الإسلامي. إنها تفتح أبوابها صباح مساء ليرتادها أولادنا ليجدوا كل متعة نافعة من قراءة وألعاب مسلية ومفيدة وبرامج تلفازية هادفة. أرجو أن ينتبه المسؤولون إلى ضرورة إيجاد مثل هذا النوع من المكتبات المهمة.

اقتراح:

بالإضافة إلى ما ذكرته عن دور مكتبات المدارس والمساجد وضرورة إيجادها ووضع الرجل المناسب لإدارتها، اقترح على وزارات التعليم في كل البلدان العربية والإسلامية التعاون فيما بينها لإيجاد مطبوعة تربوية للأطفال تفتح صفحاتها لهم ليعبروا بأنفسهم عما يجول بخواطرهم، وكما قال د. **مرعي مدكور**، أن نترك مساحة كبيرة لهؤلاء الأطفال يعبرون فيها عن أنفسهم باعتبارهم عيوننا الناقدة، وأن توزع هذه المجلة على جميع مدارسنا لاقتنائها في المكتبات، ولتعريف الطلاب عليها لشرائها من الأسواق، أو أن يتم توزيعها في المدارس نظير اشتراك رمزي يدفعه أولياء الأمور في مطلع العام الدراسي.

ربما بعد ذلك ننظر إلى أطفالنا بعين الاطمئنان والرضا، علّنا نجدهم بعد عشرين سنة يعيشون في مجتمع حضاري رائع كما عاش أسلافنا المبدعون.

خليل محمود الصمادي

الرياض

انطباع قارئ

لا أعرف أحدًا تربطني به علاقة شخصية في هذه المجلة العامرة التي يعدونها إعدادًا متقنًا، فاستحقوا منا ـ نحن القراء ـ تقديرًا نزيهًا لبعده عن المجاملة المبالغ فيها.

ولا نجزل المديح لمن يُعدّ ويُخرج هذه المجلة كي ينشروا موضوعاتنا. وموضوعاتنا ـ نحن القراء ـ قد لا تكون كلها صالحة للنشر، وما لا يتناسب وخط المجلة من حق المجلة ألا تنشره، وقد تكون كلمتي هذه غير مناسبة للنشر فمن شأنها ألا تنشرها بل ومن حقها.

لقد قدّر لي الاطلاع على الأعداد ١٩٦ و ١٩٨ و ١٩٩، ومن خلال متابعتي لتلك الأعداد ولغيرها رأيت من محاسنها التي تتفرد بها ما يلي:

أولًا: ملاءمة الغلاف لمناسبة العدد، ومثال ذلك صورة غلاف العدد ١٩٨ لشهر ذي الحجة ١٤١٣ هـ يونية ١٩٩٣ م، فضلًا عما تتسم به الصورة من تعبير هادف وإخراج رائع. والحقيقة أن الغلاف ليس ببريقه وإنما بالهدف المرجو منه. وغلاف المجلة موظّف توظيفا يحقق الهدف من تصميمه والعناية به.

ثانيًا: التنويع:

تنفرد مجلة «الفيصل» بهذه السمة، حتى وإن كانت هذه السمة سائدة، غير أن التنويع في هذه المجلة له كيفيته الخاصة.

ثالثًا: الشمولية:

ليست الشمولية كما يرى بعضهم بأنها مجرد الإسهاب والسرد والحشو الفادح في العرض والتقديم. وإنما الأخذ من المعارف أو الثقافات ـ إن صح التعبير ـ بِقَدْر يراعي الفروق ويتناسب معها ولا يبعث على الملل.

وبالنسبة لما تعرضه وتقدمه لنا مجلة «الفيصل» نجده يتفق حقيقة مع ما يأمله القارئ، مع علمها بأن إرضاء الناس غاية لا تدرك.

وكنت قد رأيت أن أقوم بإعداد بحث متكامل عن هذا الصرح الإعلامي الكبير، ولكن عدلت عن ذلك لأسباب منها:

(١) إيماني العميق بأن هناك مَنْ هو أقدر مني معرفة وعلمًا. فقد يوفي ويعطي في وريقات ما لم أُوفِّ في بحث كامل (وهذا أقوى سبب).

(٢) عدم توافر مواد البحث كأعداد قديمة وما شابه ذلك.

(٣) عدم وصول بعض الأعداد الجديدة.

ولكن مع هذا وذاك فمجلة **«الفيصل»** غنية عن التعريف بها من قبلي، بيد أننا في حاجة إلى معرفة ما يتعلق بماضيها وشيء عن حاضرها. فلعل هناك من هو أعرف وأقدر مني يمكن أن يوافي القراء بدراسة مستفيضة عنها.

فهي تستحق وللقائمين عليها منا الشكر والتقدير.

عبد الله حسن حنش الرزقي

القنفذة ـ العرضية الجنوبية ـ ثريبان بني رزق

استراحة العدد

العواتك الثلاث

ثلاث عواتك يفخر الرسول ﷺ بانتسابه إليهن، هن: عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان أم عبد مناف بن قصي، وعاتكة بنت مرّة بن هلال بن فالج بن هاشم بن عبد مناف، وعاتكة بنت الأوقص بن مرّة ابن هلال أم وهب بن عبد مناف.

إحسانان

قال أعرابي يومًا لأولاده: والله لقد أحسنتُ إليكم صغارًا وكبارًا وقبل أن تولدوا!

قالوا: لقد عرفنا أنك أحسنت إلينا صغارًا وكبارًا، فكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد؟!

قال: تخيرت لكم من الأمهات مَنْ لا تعيرون بهن.

«بيج بن»

تعد ساعة «بيج بن» الموجودة على مبنى البرلمان البريطاني في لندن أشهر وأقدم ساعة ما تزال في الخدمة، حيث وضعت عام ١٨٥٩م.

وقد سُميت بهذا الاسم نسبة إلى الوزير الذي أمر بصنعها ويدعى «بنامين هول» واختصاره «بن» وكان يتميز بطول فارع.

وتسمع دقات ساعة «بيج بن» في جميع أنحاء العالم بواسطة المذياع، وقد نُقلت دقاتها ــ للمرة الأولى ــ مواشئ على الهواء في ديسمبر ١٩٢٢م، ويبلغ طول كل عقرب على موانئ الساعة الأربعة نحو ١٤ قدمًا، ويقفز سبع بوصات كل نصف دقيقة.

ويأتيك بالأمثال

لَا أُعَلِّقُ الْجُلْجُلَ مِنْ عُنُقِي

المعنى: لا أشهر نفسي ولا أخاطر بها بين القوم. قال أبو النجم يصف فحلاً:

يُرْعِدُ إذْ يَرْعُدُ قَلْبُ الأَعْزَلِ ... إلاَّ امْرَأً يَعْقِدُ خَيْطَ الْجُلْجُلِ

قيل في معنى البيت السابق: إنه كان في بني عِجْلٍ رجل يحمَّق، وكان الأسد يغشى بيوت بني عجل فيفترس منها الناقة بعد الناقة، والبعير بعد البعير، فقالت بنو عجل: كيف لنا بهذا الأسد فقد أضرَّ بأموالنا؟ فقال الذي كان يحمَّق فيهم: علِّقوا في عنق هذا الأسد جلجلاً، فإذا جاء على غفلة منكم وغرّة تحرك الجلجل في عنقه فنذرتم به، فضرب به أبو النجم مثلاً.

قانون

في عام ١٩٠٠م كانت السيارات في بداية طور النشأة تزعج المارة وتخيف الجياد إلى الحد الذي دفع بولاية تينسي الأمريكية إلى إصدار قانون يحتم على كل صاحب سيارة أن يعلن في الصحف عن موعد خروجه بها قبل ذلك بأسبوع على الأقل!

ملك مفلس

كان الملك البريطاني إدوارد الثالث أول ملك في التاريخ يُحكم عليه قضائيا بالإفلاس.

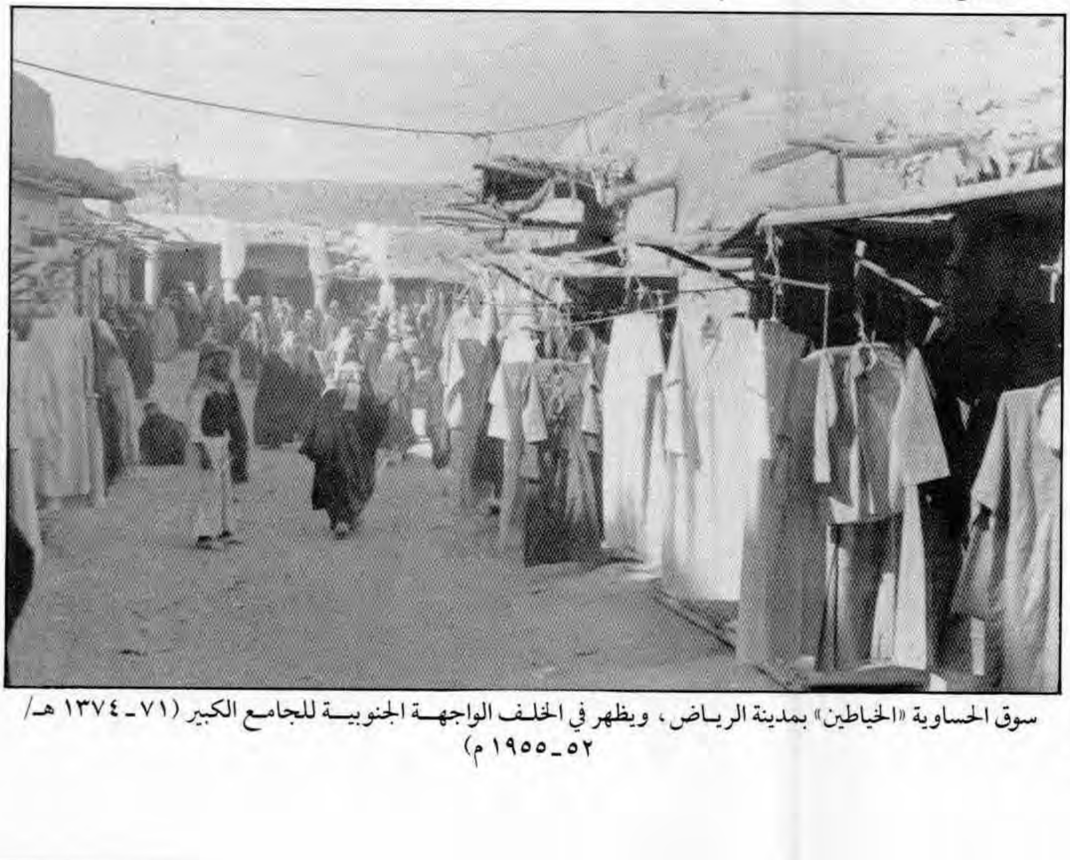
ففي عام ١٣٣٩م صدرت في حقه عريضة إفلاس حين أعلن عجزه عن سداد قرض بمبلغ ٦ ملايين و٦٧٥ ألف جنيه إسترليني.

حافظ ومطران

يُروى أن شاعر النيل حافظ إبراهيم وشاعر القطرين خليل مطران كانا معًا في فندق، وافتقد حافظ زر قبة قميصه ولم يجده، فقدم له خليل مطران زرًا عوضًا عن الضائع قائلا: احتفظ به فعندي غيره. فأجابه حافظ: سأرده إليك اليوم بالذات. قال مطران: وعلام السرعة في رده؟ أجاب حافظ: لأني لا أطيق جميلك في عنقي.

قبيح وأقبح

قال بعض الحكماء: أربعة قبيح، لكن أربعة منها أقبح: الذنب من الشاب قبيح ومن الشيخ أقبح، والاشتغال بالدنيا من الجاهل قبيح ومن العالم أقبح، والتكسّل في الطاعة من جميع الناس قبيح ومن العلماء وطلاب العلم أقبح، والتكبّر من الأغنياء قبيح ومن الفقير أقبح.



سوق الحساوية «الخياطين» بمدينة الرياض، ويظهر في الخلف الواجهة الجنوبية للجامع الكبير (٧١ ـ ١٣٧٤ هـ/ ٥٢ ـ ١٩٥٥ م)

من أسرار اللغة

قيل لأبي عمرو بن العلاء : لم كانت العرب تطيل ؟ قال : ليسمع منها . فقيل : فلم توجز ؟ قال : ليحفظ عنها .

وقال جعفر بن يحيى : إذا كان الإيجاز كافيًا كان الإكثار هزرًا، وإذا كان التطويل واجبًا صار التقصير عجزًا .

أعور شمال

الأديب الشيخ عبد العزيز البشري كان من أظرف أدباء عصره، واشتهر بفكاهاته وتعليقاته الساخرة .

مما يُروىٰ عنه أنه التقى يومًا بصديق له، فاشتكى البشري من ألم شديد في المصران الأعور، (الزائدة الدودية) وأشار إلى مكان الألم في الجانب الأيسر من بطنه، فهدأ الصديق من روعه مؤكدًا أن المصران الأعور لا يوجد إلا في الناحية اليمنى، فرد البشري في همّ شديد : يمكن أنا أعور شِمَال!

الدنيا تتكلم

هي الدنيا تقول بملء فيها ... حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي

فلا يغرركم مني ابتسام ... فَقَوْلي مضحك والفعل مُبكي

من طباع الحيوان

الكُمُون : من طباع السبع والفأرة

الثبات : من طباع الذئب

التحرز : من طباع الجاموس .

الحذر : من طباع الخنزير والغراب .

التقدم : من طباع الفيل .

الحراسة : من طباع الكلب والكركي .

السخاء : من طباع الديك ،

التحنُّن : من طباع الدجاجة

الرَّوغان : من طباع الثعلب .

خطأ شائع

من الأخطاء الشائعة القول : إن قص الشعر يزيد من نموه، والواقع أنّ الذي يزيد نمو الشعر هي عملية التدليك التي يقوم بها المزين (الحلاق) أثناء قص الشعر، حيث تنشط الدورة الدموية في فروة الرأس .

ويذكر أن الشعرة العادية تنمو بمعدل ٩ مليمترات في الشهر الواحد .

قانون الراية الحمراء

في بدايات عصر السيارات في بريطانيا، استنت الحكومة البريطانية قانونًا أسموه «قانون الراية الحمراء» يحظر بموجبه على السيارات السير بسرعة تتجاوز أربعة أميال في الساعة . وألزم القانون صاحب السيارة بتوظيف شخص يسير أمامه حاملاً راية حمراء؛ لينذر الناس في الحقول والشوارع بأن العربة الخطيرة ذات المحرك توشك على الوصول .

ألفباء الوعي



بعض النصارى يزعمون أنه لا ينبغي لمسيحي أن يعتنق الإسلام، ولماذا يعتنق الإسلام والمسلمون يدرسون ثلثي دينهم في مسائل «غسيل . . .»، كما يشيعون .

الان اصبحت مسالة النظافة في غاية الأهمية عند جميع دول العالم، وهي زعيمة عصرنا وتعتنق دينًا غير ديننا . وقد كانت من قبل لا تعبأ بالطهارة ولا بالنظافة، والقصص في ذلك كثيرة . منها سقوط عروس مغمى عليها عندما اقتربت من عريسها أحد ملوك أوربا الذين ما كانوا يغتسلون عقودًا من السنين . ولما أفاقت أوربا من مخاوفها من الطهارة بدأت إحدى الممثلات تغتسل بالحليب، ثم يباع هذا الحليب بسعر رخيص، فقامت محلات أخرى بالبحث عن سبب بيع منافسها بسعر لا ينافس، فوجدت السر . مخلوطًا بعرق النجمة .

فقهاؤنا، مثلاً، قالوا إنه لا يجوز الاغتسال بأي سائل . وقالوا إنه إذا توضأ إنسان بالمرق، مثلا، فذلك لا يجوز .

فالنظافة في ديننا خُلُق كبير عظيم، وعذاب القبر يأتي من النميمة ومن البول .

الشعب النظيف هو الذي يتمسك بالإسلام، والإسلام يدعو إلى التوازن؛ فلا يجوز الإهدار أو الإسراف أو التبذير .

نحن أهل البيئة : لا ضرر ولا ضرار، والدين المعاملة، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، تيمموا صعيدًا طيبا، مَنْ أكل من هذه النبتة الخبيثة فلا يقربنّ مسجدنا، مكة حماها إبراهيم عليه السلام والمدينة حماها محمد ﷺ .

إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه . الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .

نظافة، وتوازن، ورحمة، وسلام مادي وروحي، واعتدال، كل ذلك يعني باختصار أننا إذا أطعنا الله وأطعنا الرسول، فإن الحفاظ على البيئة وصيانتها يتم في أفضل الطرق، ويضمن أكمل حياة للبشر وللشجر وللطير وللحيوان وللأسماك وحتى للحجارة .

البيئة تحرسها وزارة الزراعة، ووزارة البلديات، ومصلحة حماية البيئة، والهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية، وغيرها كثير من الدوائر والجهات .

خلاصة ذلك أن الإسلام هو الحضارة الحقيقة . ولسنا نطلب كثيرًا سوى أن يقرأ المرء ماذا قرر فقهاء الحسبة في الإسلام، لكي يدرك أن الحضارة هي عندنا، لا عند غيرنا .

لكن الوعي ضروري من جانبنا، فكما أن الإسلام ضد العدوان على خَلْقِ الله، فإنه يدعو أول ما يدعو إلى القراءة . وهي ألفباء الوعي .

قال تعالى : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ العلق ١ .

محمد علي الجفري

كتب وردت إلى المجلة

مواقف بطولية سجلها التاريخ



كتاب من جمع وإعداد إبراهيم بن عبد العزيز الشثري. بدأه بتقديم للشيخ عبد المحسن بن ناصر العبيكان، ويضم مواقف وقفها العديد من رجال الرعيل الأول، ومن جاء بعدهم بشجاعة شهد بها التاريخ، تناول في مجمله عشرة مواقف؛ من بينها موقف لكل من الصحابيين مصعب بن عمير وأسيد ابن الحضير، وكيف استطاع مصعب بلطفه وحكمته أن يخمد غضب أسيد ويقنعه بالاستماع إلى الذكر الحكيم، وهو سيد بني عبد الأشهل، حتى تجلى له النور وشرح الله قلبه للإيمان.

كما عرض ضمن المواقف البطولية سلاح سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - الخفي الذي اقترن بإقدامه وشجاعته، فقد دعا له الرسول - ﷺ - باستجابة دعائه، كما افتخر به يومًا إذ قال: «هذا خالي فليرني امرؤ خاله»، ولم يكن سعد ليستغل استجابة دعائه في مصالحه الخاصة، بل سخّرها لوجه الله تعالى والدفاع عن حرماته، وكيف انتصر لأحد أصحاب رسول الله بدعائه على أحد المنافقين حتى أهلكه دعاء سعد بأن تخطته ناقة حتى هلك.

والكتاب من إصدار دار الصميعي للنشر والتوزيع عام ١٤١٢ هـ، في خمسين صفحة من القطع الصغير.

أغنية بلا وطن



مجموعة شعرية للشاعر يس الفيل. احتوت على سبع وعشرين قصيدة تضمنت، قصائد إخوانية ووطنية ووجدانية وقصائد تحث على العدل والتفاؤل والسلام، وأخرى تذم الجهل وتدفع للتعلم والاستزادة من الثقافات والعلوم.

المجموعة من إصدار الهيئة العامة لقصور الثقافة ضمن سلسلة «أصوات أدبية» عام ١٩٩٣ م في مائة وست وثلاثين صفحة من القطع الصغير.

جذور الفكر الإنساني



من تأليف إبراهيم فاضل. بأسلوب حوار فلسفي صامت، تناول «السيبرنية» التي جاءت نتيجة دراسات عميقة في عدة مجالات قدمها العالم الأمريكي «دو نوربت فينز» أسفرت عن تشابه بين عمليات التحكم في الأنظمة الآلية والأنظمة الحياتية «التكنولوجيا البيولوجية» برعاية التقدم الشامل للعلوم الرياضية والحياتية وعلم الصغائر «الإلكترونيات» واللاسلكي، كما بحث الرقم في اللغة العربية والكنعانية واللاتينية وأصوله الهندسية ومذاهب الديانات في تأويله ومدى انحدار الحرف اللاتيني من الحرف العربي رسمًا ودلالة، كما تناول ضمن ذلك فلسفة الضد والنقيض واعتماد الكينونة عليهما وتحجيم حركة الكلمة وأساسها ودلالة الحرف ووظائفه وأدواته.

واختتم الكتاب بصور من البلاغة العربية ومقابلها من الإنجليزية في علوم البلاغة المختلفة.

الكتاب من إصدار مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر في ست وخمسين صفحة من القطع المتوسط، عام ١٩٨٧ م.

في الوفاء



من إعداد عبد الرحمن بن صالح آل عبد اللطيف. تناول فيه قيم الوفاء ومكارم الأخلاق في الجزيرة العربية منذ الجاهلية حتى العصر السعودي الزاهر. بدأ بتقديم للشيخ عثمان الصالح، أثنى فيه على الكاتب وأسرته وعلى الكتاب الذي تضمن معالم الوفاء في السيرة النبوية الشريفة، وفي خُلُقِ الصحابة رضوان الله عليهم، والوفاء في التاريخ العربي الزاخر بالخلق النبيل، من ذلك الوفاء في أمثال العرب، والشعر، واختيارات من قصص الوفاء في الماضي والحاضر، ومعالم الوفاء في مواقف الحكومة السعودية مع شعبها وجاراتها العربية والدول الإسلامية وشعوب العالم المنكوبة. كما أوجز من سيرة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه أبرز معالم الوفاء في حياته الزاخرة، وخصص فصلاً عن الوفاء بأقلام عدد من الأساتذة والأدباء والشخصيات الاجتماعية بالمملكة العربية السعودية تناولوا فيه بعضًا من تجاربهم وشهاداتهم فيه.

الكتاب من طباعة مطابع الفرزدق التجارية عام ١٤١٤ هـ في مائة وأربع وستين صفحة من القطع المتوسط.

الإعلام الإسلامي



كتاب من جمع وتصنيف محمد خير يوسف. يتضمن في مجمله عرضا ببليوجرافيًا للكتب والرسائل والبحوث الجامعية التي تناولت الإعلام الإسلامي من حيث دوره وأهميته وجوانبه، بدأه المؤلف بتعريف الإعلام الإسلامي وهدفه الذي يتجلى في بعث الفكر الإسلامي ونشر الأخلاق الإسلامية والتصدي للغزو الفكري والشائعات وبث المعلومات والحقائق الإسلامية، كما تناول تاريخ الكتابة في الإعلام الإسلامي من حيث الأسبقية وتوضيحات أورد من خلالها

ما يقصد بالإعلام الإسلامي وأهميته التي تكمن في بيان حقيقة ما يتميز به الدين الإسلامي من جوانب إعلامية لها قواعدها وخصائصها ومقوماتها الخاصة .

قسّم الدليل إلى قسمين : قسم الكتب العربية ، وقسم الرسائل والبحوث الجامعية التي ، في معظمها ، قُدِّمت بالمملكة العربية السعودية ومصر ، كما ضم عناوين البحوث المقدمة إلى بعض الندوات الدينية والإعلامية ، ورغبةً في التسهيل وضع كشافًا بموضوعات الدليل التي بلغت مائتين واثنين وأربعين عنوانًا وكشافًا بالسلاسل الواردة بالدليل وآخر بأسماء المؤلفين .

الكتاب من إصدار دار طويق للنشر والتوزيع عام ١٤١٤ هـ في مائة وسبع عشرة صفحة من القطع المتوسط .

الوجازة في مخالفات الناس في الجنازة



من تأليف إسماعيل الرميح . اشتمل على بعض الأخطاء الشائعة في الجنائز؛ كالمناحة على الميت وتأذيه من ذلك وتحريم نشر الشعر وضرب الخد والازدحام على النعش وكشف وجه الميت ورفع القبر والكتابة عليه .

كما تضمن بعض أحكام الجنازة والمستحب فيها ، كسرعة تجهيز الميت وأهميّة وفاء الدَّيْن عنه وتوضئته عند الغسل وكيفية الصلاة عليه وأحكامها ، واستند المؤلف في إيضاح ذلك إلى ذكر المسائل الفقهية وأدلتها وتخريجها من كتب الحديث وأقوال العلماء في ذلك .

الكتاب من إصدار دار طويق للنشر والتوزيع في ست وسبعين صفحة من القطع الصغير.

أربعون عامًا من عمر التعليم في وزارة المعارف

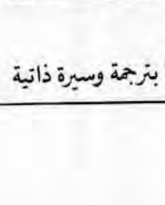


كتاب توثيقي من إصدار مركز المعلومات الاحصائية والتوثيق التربوي عام ١٤١٤ هـ . استهل بتوقيعات لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز حول اهتمامه - حفظه الله - بالتعليم منذ توليه وزارة المعارف . وتناول النهضة العلمية بالمملكة في سبعة فصول بدءًا بالخصائص الأساسية ؛ للتعليم ومراحل تطوره من التأسيس والإنشاء إلى التنفيذ والتقدم ، وتناول عهد التخطيط والتنمية الذي دام قرابة أربعين عامًا من الجهد والمثابرة في التخطيط التعليمي والتطوير التربوي والتطور الكمي في مراحل التعليم المختلفة ، والتباين في أعداد الطلبة والمعلمين والمدارس والإدارات في جميع مجالات التعليم العام والخاص وتعليم الكبار ومحو الأمية ، كما يستقرئ ملامح التجديد المصاحب للنمو الكمي للتعليم من مبادئ وأهداف وغايات وتنظيمات ، والتطور في مجالات التعليم المختلفة والتعاون الدولي والإقليمي وتمويل المشروعات .

يقدم الكتاب صورة إحصائية عامة للوضع التعليمي الراهن ، ونبذة عن مركز المعلومات الإحصائية والتوثيق التربوي ودوره في توفير أنظمة المعلومات الكمية والكيفية التعليمية و إعداد التقارير والبحوث الاستثنائية وتحليل البيانات الإحصائية المتعلقة بالعناصر الأساسية للتعليم ، إضافة إلى كونه مرجعًا أساسيًا للمسؤولين عن التخطيط التربوي والباحثين والدارسين في المجالات التعليمية .

واشتمل الإصدار على العديد من الجداول والبيانات الإحصائية والصور لبعض المنشآت الحديثة والقديمة في المجال التعليمي ، في مائة وثلاثين صفحة من القطع الكبير.

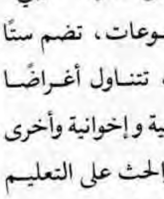
مؤلفات الشيخ محمد بن صالح العثيمين



ببليوجرافيا موثقة من جمع وتصنيف محمد خير يوسف لمؤلفات الشيخ ابن عثيمين . بدأها بترجمة وسيرة ذاتية للشيخ ، تضمنت الببليوجرافيا عنوان الكتاب والناشر وسنة النشر وعدد الصفحات وبيان طبعتها ، وشمل الكتاب مؤلفات الشيخ حتى عام ١٤١٣ هـ التي في معظمها فتاوى متفرقة ودروس ومحاضرات وخطب متنوعة ورسائل صغيرة ومختصرات لبعض المقررات الدراسية التي تمكن المؤلف من جمعها وترتيبها حسب الحروف الهجائية .

يشتمل الكتاب على مائة وخمسة وتسعين عنوانًا في خمس وتسعين صفحة من القطع الصغير، من إصدار دار طويق للنشر والتوزيع عام ١٤١٤هـ .

قطرات من بحيرة العشق



ديوان للشاعر يوسف عبد اللطيف أبو سعد ، من إصدار مطابع الجواد بالأحساء عام ١٤١٢ هـ . قدم له الأديب خالد بن سعود الحليبي ، وحوى ثلاث مجموعات ، تضم ستًا وأربعين قصيدة ، تتناول أغراضًا شعرية شتى : وطنية و إخوانية وأخرى في التربية والحث على التعليم وتشجيعه ، إضافة إلى قصائد في المديح والرثاء والذكرى والشجن وغزو النظام العراقي للكويت وشجب ذلك العدوان .

يقع الكتاب في ١٧٦ صفحة من القطع الصغير.

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي :

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح ثلاثة فائزين بين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً).

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض، قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًّا أو رباعيًّا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص. ب. ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

● أجوبة مسابقة العدد (٢٠٣) ●

ج ١ : اتفق المفسرون على أن المقصود بالقريتين : مكة والطائف. واختُلف في الرجلين؛ فمن قائل : إنهما الوليد ابن المغيرة بمكة، وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف، وقال مجاهد : يعنون عتبة بن ربيعة بمكة، وابن عبد ياليل بالطائف، وقال السّدي : عنوا بذلك الوليد بن المغيرة، وكنانة بن عمرو الثقفي. والظاهر أن مراد المشركين ـ الذين استنكروا نزول القرآن على محمد ﷺ ـ رجل كبير من أي البلدتين كان. قال تعالى ردًا عليهم في هذا الاعتراض : ﴿**أهم يقسمون رحمة ربك**﴾ الزخرف ـ ٣٢، أي أن الأمر ليس مردودًا إليهم، بل إلى الله ـ عز وجل ـ والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فإنه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلبًا ونفسًا، وأشرفهم بيتًا، وأطهرهم أصلاً.

□ □ □

ج ٢ : الوشم : غرز إبرة ونحوها في الجلد حتى يسيل الدم، ويُذرّ عليه كحل ونحوه حتى يخضرّ. والواشمة هي التي تفعل ذلك في نفسها وفي غيرها، أما المستوشمة، فالتي تطلب فعل الوشم في نفسها. والنامصة، هي التي تنتف شعرها من وجهها بالنماص (الملقاط)، وتزيل شعر حاجبها أو تُرقّقه، والمتنمصة هي التي تطلب أن يُفعل فيها ذلك. أما المتفلجات للحسن، فاللائي يفرّقن بين الثنايا والرباعيات، أو يرققن أسنانهن بالمبرد رغبة في الجمال، ويقال له الوشر. وهذا الحديث دليل على أنه لا يجوز تغيير شيء مما خلق الله المرأة عليه من خلقة بزيادة أو نقص. واستُثني من ذلك إذا كان لداءٍ أو لعلَّة فإنه ليس بمحرّم.

□ □ □

ج ٣ : أول مدينة بناها المسلمون خارج الجزيرة العربية، هي البصرة. بناها الصحابي الجليل عتبة بن غزوان سنة ١٦ هجرية، بعد إذْن من الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ثم بعد ذلك قام سعد بن أبي وقاص ببناء مدينة الكوفة ـ بأمر من عمر أيضًا ـ سنة ١٨ هـ. أما الفسطاط، فقد اختطها عمرو بن العاص ـ في عهد عمر كذلك ـ سنة ٢١ هـ.

□ □ □

ج ٤ : صاحب الخطبة «البتراء»، زياد بن أبيه (١ ـ ٥٣ هـ). قالها حين قدم البصرة عاملاً لمعاوية بن أبي سفيان عليها، بعد أن ساءت فيها الأحوال، وفشت فيها المعاصي والمنكرات، وغلب عليها السفهاء، واضطرب حبل الأمن فيها. فأراد معاوية أن يعيد إليها ما افتقده الناس من أمن عن طريق والٍ حازم، فاختار لها زيادًا بعد أن استلحقه بأبي سفيان، فصار يدعى زياد بن أبي سفيان. قدم زياد البصرة سنة ٤٥ هـ، وجمع الناس في مسجدها، ثم خطب فيهم خطبته المشهورة المعروفة بالبتراء، قال في أولها : «أما بعد، فإن الجهالة الجهلاء، والضلالة العمياء، والغيّ الموفي بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم، ويشتمل عليه حلماؤكم...». استطاع زياد أن يصلح ما اعوجّ من أمر البصرة، فَلَمَّ الشعث، واشتد في العقوبة، فأخذ بالظنّة، وعاقب على الشبهة، وقتل المعلن، واستصلح المسِرّ، وخافه الناس خوفًا شديدًا، حتى قال فيه الحسن البصري : «تشبّه زياد بعمر فأفرط، وتشبّه الحجاج بزياد فأهلك الناس». سميت خطبته بالبتراء؛ لأنه لم يحمد الله فيها على عادة الخطباء.

□ □ □

ج ٥ : أصل المثل «حال الجريض دون القريض»، أن النعمان بن المنذر كان له يومان : يوم بؤس ويوم نعمة، فمن لقيه في يوم بؤسه قتله، ومن لقيه في يوم نعماه أغناه وأكرمه، فلقيه في يوم بؤسه، الشاعر عبيد بن الأبرص ـ وكان من خاصته ـ فقال له النعمان : ما جاء بك يا عبيد؟ قال : أتتك بحائنٍ رجلاهُ، فقال النعمان : هلاّ كان هذا غيرك؟ قال : البلايا على الحوايا، فقال النعمان : وددت لو لقيتنا غير اليوم، فتمنَّ ما شئت غير نفسك، قال : لا أعز عليّ من نفسي. فقال النعمان : لا سبيل إلى ذلك فأنشدني من شعرك، قال : حال الجريض دون القريض، فذهبت كل ردود عبيد على النعمان أمثالاً.

وقيل إن أصل المثل، أن جوشن بن منقذ الكلابي قاله حين منعه أبوه من قول الشعر، فجاش الشعر في صدره، فمرض منه حزنًا، فرقّ له أبوه ـ وقد أشرف على الموت ـ فقال : يا بني، انطق بما أحببت، فقال : «حال الجريض دون القريض». والجريض : الغُصَّة، من الجرَض وهو الرِّيق يُغَصّ به، يقال : جَرِض بريقه يَجْرَضُ، أي ابتلع ريقه على همٍّ وحزن. يقال : مات فلان جريضًا، أي مغمومًا. والقريض : الشِّعْر. يضرب المثل للأمر يُقْدَرُ عليه أخيرًا حين لا ينفع.



● نتائج مسابقة العدد (٢٠٣) ●

أ ـ فاز بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريال سعودي، **عبد العزيز بن صالح الدعيلج**، الرياض ـ **المملكة العربية السعودية**.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريالاً سعوديًا، **عبد السلام بن الطيب شفيرة**، طنجة ـ **المغرب**.

وفازت بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا، **ضحى الإسلام الأحمد الحيدري**، حلب ـ **سورية**.

□ □ □

ب ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١ ـ **منى محمد حسن إبراهيم**، الشرقية ـ **مصر**.
٢ ـ **محمود نديم عزو**، أثينا ـ **اليونان**.
٣ ـ عادل أحمد محمد عثمان، واد مدني ـ **السودان**.
٤ ـ **نبيهة بنت أحمد بن محمد الطوزي**، المنستير ـ **تونس**.
٥ ـ **عبد الخالق محمد حميد مقطري**، تعز ـ **اليمن**.

□ □ □

ج ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١ ـ **نورة بنت صالح بن عبد العزيز**، الرياض ـ **المملكة العربية السعودية**.
٢ ـ **محمود يوسف العجارمة**، عمّان ـ **الأردن**.
٣ ـ **الشريفة للاّ خديجة البقالي**، فاس ـ **المغرب**.
٤ ـ **سهير محمد الهنداوي**، الغربية ـ **مصر**.
٥ ـ **دحدة بن عبد الله بن الجود**، نواكشوط ـ **موريتانيا**.
٦ ـ **عبدو أحمد إبراهيم**، حلب ـ **سورية**.
٧ ـ **نوفل ميلي بن الزبير**، المسيلة ـ **الجزائر**.
٨ ـ **محمد بن محمد بن محمد البواب**، المنستير ـ **تونس**.
٩ ـ **نادية خالد حسن**، الدوحة ـ **قطر**.
١٠ ـ **إلهام محمد عبد الرحيم الأحمدي**، المدينة المنورة ـ **المملكة العربية السعودية**.

□ □ □

د ـ كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، كل من:

١ ـ **فتحية مراد محمد رفعت**، المنوفية ـ **مصر**.
٢ ـ **سكينة غلام غازي خان**، المدينة المنورة ـ **المملكة العربية السعودية**.
٣ ـ **مصطفى محمد إبراهيم**، الخرطوم ـ **السودان**.
٤ ـ **عبد السلام ديلمي**، المسيلة ـ **الجزائر**.
٥ ـ **أيوب موسى إبراهيم أبو ريّاش**، الزرقاء ـ **الأردن**.

● أسئلة مسابقة العدد (٢٠٦) ●

السؤال الأول:

حثَّ الإسلام على صلاة الجماعة، وشدَّد النكير على المتخلفين عنها. لكنه رخَّص؛ في بعض الحالات؛ التخلّف عنها. اذكر ثلاثًا منها؟

□ □ □

السؤال الثاني:

هل يحلّ للحاج أن يتاجر ويتكسّب وهو يؤدي شعائر الحج، أم يحرم عليه ذلك؟

□ □ □

السؤال الثالث:

بنو الأثير، لَقَبٌ عَلَمٌ على إخوة ثلاثة لهم في التاريخ والأدب ذكر وشرف. صنّفوا مؤلفات نافعة لها قيمتها في التراث الإسلامي. مَن منهم صاحب كتاب: «النهاية في غريب الحديث»؟

□ □ □

السؤال الرابع:

منذ أن بزغت شمس الصحافة العربية، عرف العالم العربي العديد من الصحف المختلفة الاتجاهات والأساليب، ما أول صحيفة صدرت بالعربية، ومن أول صحافي عربي أصدر صحيفة (أهلية)؟

□ □ □

السؤال الخامس:

بعض المدن التي كانت معمورة في العالم القديم لا تزال باقية حتى الآن. ما أقدم مدينة باقية في هذه المدن؟

الحركة الثقافية في شهر

- □ جـائزة دوليـة لأبـرز الأعمال في الأمـومـة والطفـولـة .
- □ «زبيـد» اليمنيـة تُضم لقـائمـة المدن التراثيـة .
- □ خمسة قرون على وفاة السيوطي .
- □ معـارض متجولـة للـوحات الفـائزة في مسـابقـة ابن البـواب .
- □ مـوسـوعـة لعلـوم فن الكتابـة
- □ فـايمار الألمانيـة عـاصمـة أوربـا ١٩٩٩ م .

السعودية

افتتاح مبنى مؤسسة اليمامة الصحفية

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير **سلمان بن عبد العزيز** أمير منطقة الرياض في الخامس من شهر رجب الماضي المبنى الجديد **لمؤسسة اليمامة الصحفية**، بحضور عدد من الأمراء والوزراء وكبار المسؤولين والدبلوماسيين ورجال الفكر والأدب والإعلام ووجوه المجتمع.

كما افتتح سموه معرضا للفنون التشكيلية والصور، أقيم بهذه المناسبة، شارك فيه نحو ٤٠ رساما ورسامة، قدموا أكثر من **مائة عمل** تشكيلي، فضلاً عن الصور الفوتوغرافية المعبرة عن البيئة السعودية، وقسم المعرض إلى ثلاثة أجنحة ضم أولها: الفنون التشكيلية، والثاني: الصور، والثالث: الكاريكاتير.

حملت المناسبة أيضا صدور العدد الأول من سلسلة «**كتاب الرياض**» الشهرية، حيث اختيرت مجموعة من مقالات الكاتب الراحل **فوزان الصالح الدبيبي** ــ وهو أحد كتّاب جريدة «الرياض» ــ لتكون باكورة الإصدار بعد أن جُمعت تحت عنوان «**امرؤ القيس العربي**».

جائزة جمعية رعاية الأطفال المعاقين

تستعد الجمعية السعودية الخيرية لرعاية الأطفال المعاقين للإعلان عن فتح باب الترشيح **لجائزة الجمعية للبحث العلمي**.

تمنح الجائزة كل ثلاث سنوات لمن أسهم بفاعلية في مجال الوقاية من الإعاقة أو أوجد لها علاجًا، أو طوّر وسائل أو أجهزة غير مسبوقة لمساعدة الأطفال المعاقين.

تتكون الجائزة من ميدالية ذهبية تحمل اسم الجمعية وشعارها، إضافة إلى شهادة تقدير تتضمن مبررات منح الجائزة، ومنحة بحثية تصرف للبحث العلمي في مجال الإعاقة. ويجوز منح الجائزة للأشخاص الطبيعيين والاعتباريين داخل المملكة وخارجها بعد موافقة الجهات ذات الصلاحية.

جائزة دولية لأبرز الأعمال في الأمومة والطفولة



الأمير طلال بن عبد العزيز

بناء على اقتراح صاحب السمو الملكي الأمير **طلال ابن عبد العزيز** رئيس برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية، قرر البرنامج تخصيص جائزة دولية لأبرز الأعمال في مجالي الأمومة والطفولة.

يعلن قريبًا عن شروط الجائزة التي تقدر قيمتها بمائتي ألف دولار بواقع مائة ألف للجائزة الأولى، وستين ألفًا للجائزة الثانية، وأربعين ألفًا للثالثة. إلى جانب ميداليات ذهبية وفضية وبرونزية وشهادات تقديرية.

اعتماد مجالات جائزة أبها للنشاط الجامعي



الأمير خالد الفيصل

اعتمد صاحب السمو الملكي الأمير **خالد الفيصل** أمير منطقة عسير مبلغ مائتي ألف ريال لمجالات جائزة أبها للنشاط الجامعي لعام ١٤١٤هـ.

تشمل الجائزة مجالات: **حفظ القرآن الكريم وعلومه ، الحديث الشريف وعلومه**، وتحدد موعدهما يوم التاسع من شهر رمضان المقبل.

كما تشمل الجائزة مجالات: **الشعر ، القصة القصيرة، البحوث والدراسات** وموضوعها تطوير أنظمة الدولة في عهد **خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز**، والابتكار. وتحدد يوم الحادي والعشرين من شهر شوال المقبل ١٤١٤ هـ ــ موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات في المجالات الأربعة السابقة، أما مسابقة المسرح (**كتابة المسرحية**) فتحدد موعدها يوم السبت الخامس من شهر ذي القعدة ١٤١٤هـ.

الأميـر سلمـان يفتتـح المعـرض الـدولي السابــع للكتــاب

افتَتح صاحب السمو الملكي الأمير **سلمان بن عبد العـزيز** أمير منطقـة الـرياض في غـرة رجب الماضي ١٤١٤ هـــ **معرض الرياض الدولي السـابع للكتاب** الذي نظمتـه جامعة الملك سعود بمشـاركة خمسمائة ناشر من داخل المملكة وخارجها.

وأكد سموه في تصريحات صحافية عقب افتتاحه المعرض، أن دور النشر السعـوديـة أصبح لها نشاط واضح وجليّ، وهـذا دليل صحـة وعافية، وأضــاف قائلًا: «إننا لا نخشى على شبابنـا أن ينهلوا من كل العلوم: غـربية أو شرقيـة أو محلية، ولكن **لا بـد أن يكون الإنسـان متبصرًا في كل علم يطرقـه أو يقرؤه أو يسمع عنه** حتى يختار ما يلائم ثقافته الإسلامية والعربية ويغنيها بعلوم العالم أجمع».

وقد استمر المعرض عشرة أيام، خصص منها يومان للنساء، وبلغ عدد العنـاوين الجديدة خمسين ألف عنوان، وغلبت الكتب الإسـلامية على المعروضات الأخرى.



سمو أمير منطقة الرياض يتجول في معرض الكتاب

مـدينــة ثقـافيــة اجتماعيـة ريــاضيـــة في القطيف

وقّع صاحب السمو الملكي الأميـر **فيصـل ابن فهد بن عبد العزيز** الـرئيس العـام لرعـايـة الشباب عقـدًا مع إحدى الشركـات المتخصصـة لتنفيـذ مـدينـة ثقـافيـة اجتماعية رياضية متكاملة في القطيف.



الأمير فيصل بن فهد

تضم المدينـة في مخططهـا مسجـدًا يتسع لخمسمائة مصلٍ، وحـدائق ومـرافـق عـامـة للمـواطنين، وبيوت شبـاب تتسع لمائتي شـاب، وحدائق خـاصـة لـلأطفال، وملعبًـا لكرة القـدم، ومـلاعـب رديفـة لتمارين الشبــاب، وصـالات للنشـاطـات الثقـافيـة والاجتماعيـة، ومـلاعب مكشوفة، إضافة إلى المرافق المساندة.

المســابقـــة الـــدوليـــة لتـــلاوة القـــرآن الكـــريم

تفتتح في الحادي عشر من شهـر شعبـان الجاري ١٤١٤ هــ نشـاطات المسابقة السنـوية الـدولية السـادسة عشرة لتـلاوة القرآن الكـريم وتجويده وتفسيره في مكة المكرمة.

تنظم المسـابقة وزارة الشـؤون الإسلاميـة والأوقـاف والـدعوة والإرشـاد، ويشـارك فيهـا ممثلون للدول والجمعيات والمنظمات الإسلامية من مختلف أنحاء العالم.

الظاهري يستدرك على الجاسر

يقـوم الشيـخ أبـو عبـد الـرحمن بن عقيل الظاهري ـ حاليًا ـ بإنجاز موسوعتين: الأولى عن **«منازل القبـائل العربيـة القديمـة بالجبلين وأخبارها»**والثانية عن **«المعجم الجغرافي لبلاد الجبلين»**.

وحول ما إذا كان هذا العمـل هو ذاته ما قام بـــه الشيخ **حمد الجاسر** قـال الظاهـري: إن موسوعتيه ليستا تكرارًا لجهد الشيخ أو تعارضًا مع هذا الجهد، ذلك أن معجم **الجاسر** عن شمال المملكة فيما تختص موسوعته بحائل فقط.

وأوضح أنـه سيستفيد مـن أي تكرار لجهـد **الجاسر**، حيث سيتيح له الإحالة إليه وتلخيص ما تقصّـاه أو عمل استـدراكـات وتـوسع لما أورده الجاسر، وتحقيق وإيـراد ما لم يـذكـره حيث إن هنـاك مواقع ذات أسماء قـديمـة اكتفى الجاسر بإيراد أقوال القدماء فيها دون التحقق من صحة مواقعها، وتلك ستكون لب المعجم.

الشيخ **ابن عقيـل** انتقل ـــ تمهيدًا لإنجـاز الموسوعتين ـ للإقامة في حائل لمدة سنتين لزيارة المواقع على الطبيعة، وهو محل رعاية أمير المنطقة صاحـــب السمو الملكـي الأميـــر **مقــرن بن عبد العزيز** الذي وجه الجهـات المعنيّة بتسهيل مهمته لإنجاز الموسوعتين.

المعــرض الثــاني لــرســوم الأطفـــال بـــدول الخليج

افتتح صـــاحب السمـــو الملكي الأمير **سلطان بن فهـد بن عبد العزيـز** نائب الـرئيس العام لرعـاية الشباب في نهـايـة شهـر جمادى الآخـرة الماضي **المعرض الثاني لرسوم الأطفال بدول الخليج العربية**.



الأمير سلطان بن فهد

احتـوى المعرض على ١٣٠ لـوحة منهـا ٢٥ لـوحة قـدمهـا أطفـال المملكة. وتـراوحت أعمار المشاركين بين ٦ و١٥ عامًـا، وعبرت اللوحات عن البيئة الخليجية.

يذكر أن ٢٤ جائزة مالية رصدت للأطفال الفائزين بجوائز المسابقة إلى جانب الشهادات التقديرية والميداليات الذهبية.

مسابقتان في الترجمة لرابطة الأدب الإسلامي

قررت رابطة الأدب الإسلامي العالمية تنظيم **مسابقتين عالميتين في مجال الترجمة، أولاهما لترجمة الأعمال الإبداعية في آداب الشعوب الإسلامية إلى اللغة العربية، والثانية لترجمة الأعمال الأدبية، المنتمية إلى الأدب الإسلامي، المكتوبة باللغة العربية إلى لغات الشعوب الإسلامية.**

اشترطت الرابطة في الأعمال المشاركة أن يكون الهدف العام للنص المترجم معززًا للقيم الإسلامية في أي جانب من جوانب الحياة، وأن يكون النص مصحوبًا بإذن الترجمة ممن يملك حق النشر، وأن تكون الترجمة غير منشورة، وتحددت **غرة شهر محرم ١٤١٥ هـ** موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات بمكاتب الرابطة أو فروعها.

تقرر أن تكون الجائزة الأولى ١٥٠٠ دولار، والثانية ١٠٠٠ دولار والثالثة ٥٠٠ دولار.

من ناحية أخرى يقام يوم الخميس السادس عشر من شهر شعبان الجاري في القاهرة **حفل توزيع جوائز مسابقة القصة القصيرة والرواية** التي نظمها مكتب الرابطة بالبلاد العربية.

ويتم في هذا الحفل تكريم الأديب الإسلامي **د. نجيب الكيلاني**، أحد رواد القصة الإسلامية المعاصرة.

انطباعات عن الجزيرة العربية

نظم المركز الاجتماعي الإنمائي للأمم المتحدة بالرياض ــ مؤخرًا ــ معرضًا فنيًا بعنوان **«انطباعات عن الجزيرة العربية»**..

تضمن المعرض لوحات تعكس البيئة السعودية وتراثها، وتراث الخليج بصفة عامة قدمتها الفنانات: **إنجي روز جراس** (ألمانية)، **ناديا المطلق** (روسية)، **جياشري راي** (هندية)، **وكارين نيوبياك** (نمساوية).

المسابقة السنوية لنادي جيزان الأدبي

أعلن نادي جيزان الأدبي عن فتح باب تلقي المشاركات لمسابقته السنوية لعام ١٤١٤ هـ في مجالات: **الشعر والقصة القصيرة والدراسات الأدبية.**

محاضرات وندوات

● **«أخلاقيات التطور التقني»** عنوان محاضرة ألقاها بالإنجليزية بدعوة من **مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية** في الرياض **د. شاه منظور عالم**، وترجمت فوريا إلى العربية.

● **«الكتاب وأثره»** عنوان محاضرة ألقاها **د. محمد موسى رزق**.

● **«علاقة أدب الأطفال بالتربية»** عنوان محاضرة ألقاها **د. محمد شاكر سعيد**.

● **المسلمون والتحدي الحضاري»** عنوان محاضرة ألقاها **د. عبد الكريم بكار**.

ألقيت المحاضرات الثلاث السابقة في نادي أبها الأدبي.

● **«الأزهر: تاريخ ودور»** عنوان ندوة شارك فيها الشيخ **محمد الراوي**.

● **«صورة مصر في العالم العربي ودور الإعلام المصري في تكوينها»**، عنوان محاضرة ألقاها **د. حمدي حسن**.

نظم الندوة والمحاضرة السابقتين المركز الثقافي في السفارة المصرية في الرياض.

● **«شاب يبحث عن السعادة»** عنوان محاضرة ألقاها في جامع صلاح الدين في الثقبة بالمنطقة الشرقية الشيخ **عادل محمد العبد العالي**.

● **«نزيف القناة الهضمية»** عنوان ندوة أقيمت في مستشفى بريدة المركزي شارك فيها عدد من اختصاصيي الجهاز الهضمي.

● **«مصر الأمن والإيمان»** عنوان محاضرة ألقاها في مدينة البعوث الإسلامية في القاهرة **عبد العاطي الشافعي**.

● **«اتجاهات التحضر في المجتمع العربي»** عنوان محاضرة ألقاها في نادي القصيم الأدبي في بريدة **د. حمدي طلبة**.

● **«الوسطية والإرهاب الإعلامي»** عنوان محاضرة ألقاها **د. محمد الحبيب التجكاني**.

● **«الإسلام والديموقراطية»** عنوان محاضرة ألقاها **د. أحمد الريسوني**.

● **«الحرية والديموقراطية»** عنوان محاضرة ألقاها **عبد الواحد معاش**.

ألقيت المحاضرات الثلاث السابقة في الملتقى الثقافي السنوي الثاني لشباب المغرب العربي في مدينة مرتيل المغربية.

● **«النظام العالمي الجديد»** موضوع محاضرة ألقاها في كلية الآداب بجامعة البحرين السيد **طارق المؤيد**.

● **«الاتجاهات الراهنة لقانون الشركات الفرنسي»** عنوان ندوة أقيمت في نقابة المحامين اللبنانيين في بيروت، شارك فيها كل من: **فيليب ميرل وأنطون عين وندى نصار**.

● **«ثقافتنا الإسلامية بين الأصالة والتغريب»** عنوان محاضرة

اشترط النادي في مسابقة الشعر أن يكون النص معبرًا عن فكرة جيدة، وفي مسابقة القصة القصيرة تقديم ثلاث قصص موجهة للطفل، وتحدد موضوع الدراسات الأدبية بدراسة عنوانها «**محمد زارع عقيل قاصًا**».

قرر النادي استمرار باب المشاركات مفتوحًا حتى نهاية شهر شوال المقبل ١٤١٤ هـ.

مسابقتان للشعر والقصة بالمركز الثقافي المصري

ينظم المركز الثقافي في سفارة جمهورية مصر العربية بالرياض مسابقة للقصة القصيرة وأخرى للشعر موضوعهما المشترك هو «الوطن».

واشترط المركز أن لا يتجاوز عدد صفحات القصة القصيرة عشرين صفحة فولسكاب، وألا يكون المشارك في أي من المسابقتين قد سبق له الفوز بجائزة عن العمل المشارك به، وله أن يتقدم في كل مسابقة بمشاركتين إلا أنه لا يحق له الفوز بأكثر من جائزة واحدة.

تقدم المشاركات للمركز الثقافي في السفارة المصرية في موعد غايته منتصف شهر فبراير ١٤١٤ هـ.

كتب جديدة

● **الأدوار المطلوبة من جامعات دول الخليج في مجال خدمة المجتمع**، دراسة أعدها: **د. عبد العزيز عبد الله السنبل، ود. نور الدين محمد عبد الجواد.**

● **المسرح المدرسي في دول الخليج العربية: الواقع وسبل التطوير**، دراسة أعدها: **عبد العزيز محمد السريع، وتحسين إبراهيم بدير.**

● **التخطيط للتعليم في ضوء اتجاهات النمو السكاني واحتياجات التنمية في دول الخليج العربية**: وقائع ندوة أقيمت بهذا العنوان.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن مكتب التربية العربي لدول الخليج في الرياض.

● **الشيخ عبد الله محمد القرعاوي** ودعوته في جنوب المملكة العربية السعودية، تأليف **موسى ابن جاسر بن أحمد السهلي**، قدم له سماحة **الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز وفضيلة الشيخ محمد بن أحمد الحكمي.**

● **سنن القرّاء ومناهج المجوِّدين**، تأليف **د. أبي مجاهد عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ** صدر عن مكتبة الدار.

● **إعانة الناهض إلى علم الفرائض**، من رسائل العلامة **علوي طاهر الحداد**، صدرت عن دار حافظ في جدة.

● **تهذيب التفسير وتجريد التأويل مما ألحق به من الأباطيل ورديء الأقاويل**، خمسة أجزاء، تأليف الشيخ **عبد القادر شيبة الحمد**، صدر عن مطبوعات مكتبة المعارف في الرياض.

● **الاستدلال عند الأصوليين: معناه وحقيقته، الاحتجاج به، أنواعه**، تأليف **د. علي**

ألقاها في نادي مكة الأدبي **د. عبد القادر طاش.**

● «**سياسات التعليم الخاص**» عنوان محاضرة ألقاها **د. سعيد سلمان.**

● «**مستقبل الصحافة العربية: العلاقة بين الصحافة والمال العربي**» عنوان محاضرة ألقاها **عثمان العمير.**



عثمان العمير



د. عبد القادر طاش



د. يوسف القرضاوي

● «**المثقف المسلم بين الأصالة والمعاصرة**» عنوان محاضرة ألقاها الشيخ **د. يوسف القرضاوي.**

● «**الدولة والثقافة: وجهة نظر من خلال التجربة**» عنوان محاضرة ألقاها **د. ثروت عكاشة.**

ألقيت المحاضرات الأربع السابقة في ندوة الثقافة والعلوم في دبي.

● «**رعاية الشباب في المملكة العربية السعودية**» موضوع محاضرة ألقاها في أكاديمية الملك فهد في لندن **عثمان السعد.**

● «**حياة الأدب بتهامة وعسير في ظلال الدولة السعودية الأولى**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي المنطقة الشرقية الأدبي **د. عبد الله محمد أبو داهش.**

● «**أثر التراث في الشعر العربي الحديث**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي المدينة المنورة الأدبي **د. جابر قميحة.**

● «**أسلمة المثاقفة**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي القصيم الأدبي **د. حسن بن فهد الهويمل.**

● «**آليات العرقيات في صراع البوسنة والهرسك**» عنوان محاضرة ألقاها في قسم الاجتماع بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض **د. السيد حنفي.**

● «**الأدب الإسلامي والجيل**» عنوان محاضرة ألقاها في كلية المعلمين بأبها **د. محمد عادل الهاشمي.**

● «**دور الجامعات العربية في عصر الهزيمة**» عنوان محاضرة ألقاها في مبنى اتحاد الكتَّاب العرب في دمشق **د. محمد نوري شفيق.**

● «**الحداثة الشعرية**» عنوان محاضرة ألقاها في فرع اتحاد الكتَّاب العرب في حماة **غسان لافي طعمة.**

● «**الشريعة الإسلامية طريق النور**» عنوان ندوة نظمتها كلية الدراسات التكنولوجية في الكويت وشارك فيها كل من **د. خالد المذكور، د. أيوب الأيوب**، وأدارها **د. وائل الحساوي.**

الحركة الثقافية

ابن عبد العزيز العميريني، صدر عن مكتبة التوبة في الرياض.

● **كتب نادرة من التراث الإسلامي**، تأليف **محمد خير يوسف**، صدر عن دار طويق للنشر والتوزيع والخدمات الإعلامية في الرياض.



عبد القدوس الأنصاري

● **التاريخ المفصل للكعبة المشرفة قبل الإسلام**، تأليف **عبد القدوس الأنصاري**، صدر عن نادي مكة الثقافي الأدبي في طبعة جديدة.

● **بدائع الزهور المختارة من حكم ومأثورات تاريخية في تجارب الحياة العامة**، إعداد **الشريف مجيد شرف عدنان آل غالب**، صدر عن الدار السعودية للنشر والتوزيع.

● **استراتيجية تطوير قطاع الأعمال العربي**، تأليف **د. إبراهيم عبد الله المنيف**، صدر عن دار العلوم للطباعة والنشر في الرياض.



د. عاصم الحمدان

● **حارة المناخة**، تأليف **د. عاصم الحمدان**، صدر عن دار القبلة للثقافة الإسلامية.

● **سيد قطب والنقد الأدبي**، تأليف **د. محمد الأول أبو بكر**، صدر عن دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع.

● **تقريب المعاني في شرح حرز الأماني في القراءات السبع**، شرح لـلامية «حرز الأماني» للإمام **أبي القاسم الشاطبي** قام به **سيد لاشين أبو الفرج وخالد محمد الحافظ**، وصدر عن مكتبة دار الزمان في المدينة المنورة.

الإمارات: معرض الكتب والمقتنيات السمعبصرية

نظمت دار الكتب الوطنية بالمجمع الثقافي بمناسبة الذكرى الثانية والعشرين لقيام دولة الإمارات **معرضًا للكتب والمقتنيات السمعبصرية التي تتناول دول الاتحاد**.

استمر المعرض أسبوعًا، واشتمل على الإصدارات التي تتناول مختلف مجالات العلم والمعرفة في الدولة منذ عام ١٩٩٠ م وحتى اليوم.

مركز ثقافي جديد

أسست المواطنة الإماراتية **د. موزة غباش** مركزًا ثقافيًا يحمل اسم والدتها تحت مسمى «رواق **عوشة بنت حسين** الثقافي» في دبي.

يهتم المركز بتشجيع البحوث العلمية وتقديم المنح للدارسين وتوفير الفرص لمن يرغبون في إجراء الدراسات والاستشارات، كما ينظم ندوات ثقافية ودينية وعلمية ومؤتمرات متنوعة وبرامج لتحفيظ القرآن الكريم وتفسيره، ويرعى الأطفال الموهوبين.

إصدارات حديثة

● **منهاج السلوك في معارج الملوك**، تأليف **محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف بن صالح ابن خميس بن مخزوم الخطي المقابي البحراني** تحقيق **د. وليد خالص**، قدم له **د. حسين علي محفوظ**، وصدر ضمن سلسلة الدراسات التاريخية والتراثية عن مركز بحوث

موسم الجوائز الثقافية في الإمارات

دبي - مراسل «الفيصل»:

في تتابع فريد، قلما يتكرر في مثل هذا الوقت القصير، شهدت دولة الإمارات العربية المتحدة في الفترة من منتصف نوفمبر وحتى نهاية الاسبوع الأول من ديسمبر **إعلان نتائج ثلاث جوائز**، تقف شاهدًا على الاهتمام برعاية العلم والثقافة.

كانت البداية مع إعلان نتائج **جائزة راشد بن حميد**، التي تعد الجائزة الرائدة في الإمارات، حيث احتفلت باكتمال العقد الأول على انطلاقتها، برعاية سمو حاكم عجمان وحضور ولي عهدها في حفل كبير أقامته جمعية أم المؤمنين بعجمان للاحتفال بيوم العلم وبتوزيع الجائزة على من نالوها في مختلف المجالات.



الأمين العام لمؤسسة سلطان العويس الثقافية يعلن في مؤتمر صحفي أسماء الفائزين بجائزة العويس للدورة الحالية

وجاءت المناسبة الثانية في ٢٤ نوفمبر في دبي، حيث تم تحت رعاية الشيخ **مكتوم بن راشد آل مكتوم** نائب رئيس دولة الإمارات، رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، تكريم حملة الشهادات العليا والمتفوقين علميًا من أبناء الإمارات في حفل شهده سمو الشيخ الفريق أول **محمد ابن راشد آل مكتوم** وزير الدفاع، ونظمته ندوة «الثقافة والعلوم» بقاعة راشد في المنطقة العسكرية الوسطى.

التاريخ والتراث الشعبي في كلية الآداب بجامعة الإمارات.

● **الألبوم العربي: المشيخات الشمالية الشرقية**، ألبوم لصور التقطها الرحالة البريطاني **رونالد كودري** صدر برقم ٣ ضمن سلسلة كتب «الألبوم العربي» النادرة عن دار موتيف إيت في دبي.


رونالد كودري

البحرين: قاعة للتاريخ الطبيعي ومعرض للفن التشكيلي

افتتح وزير المواصلات الشيخ **علي ابن خليفة آل خليفة** في مطلع شهر رجب الماضي **قاعة التاريخ الطبيعي ومعرض الفنون التشكيلية** لعام ١٩٩٣ م الذي يقام بمناسبة احتفالات اليوم الوطني لدولة البحرين وذكرى تولي أميرها حكم البلاد.

تتناول قاعة التاريخ الطبيعي الحياة الفطرية في البحرين بمختلف بيئاتها الصحراوية والزراعية من خلال وسائل إيضاح حديثة.

أما معرض الفنون التشكيلية، فقد وضح فيه تأثر فناني البحرين بالبيئة المحلية مع استلهامهم الاتجاهات الفنية في الحركة التشكيلية العالمية.

مؤتمر لجمعية المكتبات المتخصصة

يبدأ في غرة شهر شعبان الجاري الاجتماع السنوي لجمعية المكتبات المتخصصة في الخليج العربي، الذي يعقد تحت شعار «**استخدام التقنية المعلوماتية لإدارة أفضل للمعلومات**».

يشارك في الاجتماع، الذي يستمر ثلاثة أيام، باحثون من دول الخليج العربي والولايات المتحدة وبريطانيا، ويقام على هامشه معرض للأنظمة المكتبية ولموزعي الأجهزة الإلكترونية للمعلومات.

كشف أثري

اكتشفت بعثة آثارية ألمانية في موقع **«سار»** الأثري هيكل لرجل في أحد المدافن معه أدوات لصنع الجلود، يعتقد أنه صانع أحذية.

عثرت البعثة في مدفن آخر على قطع خشبية طويلة وقطع من الأقمشة لم تتحلل، يعتقد أنها استخدمت كفنًا لحماية جسد الميت.

يذكر أن موقع «سار» حافل بالعديد من الكشوفات الأثرية.

من الكتب الجديدة

● **طيور البحرين والخليج العربي**، تأليف **د. سعيد عبد الله محمد**، صدر في المنامة.

سلطنة عمان: ١٩٩٤ م عام التراث العماني

تنفذ حاليًا في سلطنة عمان خطوات عملية مدروسة لإحياء الموروث العلمي والثقافي العماني، والمحافظة على التراث المعماري للسلطنة.

تجئ هذه الخطوات تنفيذًا لإعلان العاهل العماني السلطان **قابوس ابن سعيد** عام ١٩٩٤ م عامًا للتراث العماني، وهو الإعلان الذي تم خلال احتفال السلطنة


السلطان قابوس


الاحتفال بتوزيع جائزة راشد بن حميد في عجمان

وتوج موسم الجوائز الثقافية في الإمارات بالإعلان في ٧ ديسمبر عن نتائج **جائزة العويس الثقافية**، حيث أعلن **عبد الحميد أحمد** الأمين العام لمؤسسة سلطان العويس الثقافية فوز الشاعر **نزار قباني** بجائزة الإنجاز الثقافي، وقيمتها مائة ألف دولار من بين ٤٥ مرشحًا تقدموا لها، بعد أن كانت قد منحت في الدورة السابقة للشاعر الكبير **محمد مهدي الجواهري**.

كما أعلن الأمين العام للمؤسسة فوز الشاعر **عبد الله البردوني** بجائزة الشعر، وتقاسم **صنع الله إبراهيم وسليمان فياض** الجائزة في حقل الرواية والقصة والمسرحية، وفوز الدكتورة **يمنى العيد وفاروق عبد القادر** بالجائزة مناصفة في حقل الدراسات الأدبية والنقد، وفوز الدكتور **عبد الله عبد الدايم** بالجائزة في حقل الدراسات الإنسانية والمستقبلية.

وذكر **عبد الحميد أحمد** أن الحفل الختامي لتوزيع الجوائز سوف يقام في الرابع والعشرين من مارس ١٩٩٤ م، وستتم دعوة عدد كبير من الشخصيات العربية والدولية لحضوره، من بينها **فريدريكو مايور رئيس منظمة اليونسكو العالمية**.

جدير بالذكر أن قيمة جوائز العويس نصف مليون درهم، بواقع مائة ألف درهم لكل حقل من حقولها الخمسة، وهي توزع مرة كل عامين.

الحركة الثقافية

في الثامن عشر من شهر نوفمبر الماضي ١٩٩٣ م باليوم الوطني الثالث والعشرين.

أقيم في الاسبوع الثاني من ديسمبر معرض أدباء اللغة الفرنسية وعمان، بمشاركة كل من المصورين الفرنسيين **آرثر تيفيتار وفيليب مونج**.

ضم المعرض أكثر من **خمسين لوحة** اقترنت بكتابات لكتّاب فرنسيين زاروا سلطنة عمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ومعروضات من الأزياء العمانية والفرنسية، وبعض المخطوطات التاريخية النادرة، والأدوات الملاحية المستخدمة في السفن الفرنسية، فضلاً عن إحصاء شامل ودقيق للأدباء والكتّاب الفرنسيين الذين كتبوا عن السلطنة أو أتوا على ذكرها في مؤلفاتهم، ومنهم **جان باتيست تافرنييه وجان شاران وإدجار جاكوبس** وغيرهم.

من الكتب الجديدة

● **قراءات في فكر الخليلي**، إعداد **محمد الصليبي**، وإشراف **سالم محمد الغيلاني**، صدر عن المنتدى الأدبي في مسقط وضم خلاصة الندوة التي أقامها المنتدى تكريمًا للشيخ خلفان الخليلي.

الكويت ▼ معرض وثائقي

أقامت دار الآثار الإسلامية بالتعاون مع السفارة الهولندية في الكويت معرضًا عن **«الحركة التجارية الهولندية عبر التاريخ»**.

ضم المعرض وثائق وصورًا فوتوغرافية لتطور حركة التجارة الهولندية منذ القرن السابع عشر الميلادي، وكيف استثمرت كوسيلة للتبادل الحضاري والثقافي والفني بين هولندا وغيرها من البلدان.

كتاب تذكاري عن د. أبي ريدة

كرمت كلية الآداب بجامعة الكويت الفيلسوف المصري الراحل **د. محمد عبد الهادي أبو ريدة** بإصدار كتاب تذكاري عنه بمناسبة مرور عامين على وفاته.

استغرق **إعداد الكتاب عامًا كاملاً**، ويقع في ٦١٠ صفحات من القطع الوسط، شارك في تحرير مادته **٢٦ باحثًا**.

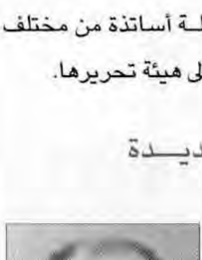
صدر الكتاب بمبادرة من عميدة الكلية **د. سهام الفريح** تلميذة **د. أبي ريدة** تكريمًا لذكرى أستاذها واعترافًا بفضله على مسيرة جامعة الكويت التي خدمها أكثر من ٢١ عامًا.

مجلة علمية جديدة

أصدر مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت العدد الأول من **«المجلة العربية للعلوم الإدارية»**.

يشارك في تحرير المجلة أساتذة من مختلف الجامعات العربية إضافة إلى هيئة تحريرها.

كتب جديدة



د. شكري عياد

● **المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين**، تأليف **د. شكري محمد عياد**.

● **الصداقة من منظور علم النفس**، تأليف **أسامة أبو سريع**.

صدر الكتابان السابقان ضمن سلسلة «عالم المعرفة» عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت.

اليمن ▼ «زبيد» مدينة تراثية

انضمت مدينة **«زبيد»** الواقعة في سهل تهامة إلى قائمة المدن التاريخية التراثية التي ينبغي الحفاظ عليها.

وكانت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) قد قررت اعتماد «زبيد» ضمن المدن التراثية التي يجب الحفاظ على آثارها وصيانة معالمها التاريخية، وتنظيم حملات محلية ودولية لتمويل مشروعات في هذا المجال.

يذكر أن **«زبيد»** تعد المدينة الثالثة في اليمن بعد **صنعاء القديمة وشبام** في محافظة حضرموت التي تدخل هذه القائمة.

مصر ▼ المؤتمر الدولي الثاني عن تحديات العالم العربي



د. عصمت عبد المجيد

تحت رعاية الأمين العام لجامعة الدول العربية، الرئيس الفخري لمركز الدراسات العربي - الأوربي **د. عصمت عبد المجيد** ينظم المركز في القاهرة خلال الفترة من ١٤ إلى ١٦ شعبان الجاري المؤتمر الدولي الثاني حول **«تحديات العالم العربي في ظل المتغيرات الدولية»**.

يدور المؤتمر حول عدة محاور أهمها: دور الجامعة العربية والمنظمات الإقليمية في مواجهة التحديات بأنواعها، بهدف تشخيص أنواع التحديات التي تواجه العالم العربي مع وضع تصور لحلول موضوعية للتغلب على معوقاتها.

ينتظر أن يشارك في المؤتمر مجموعة من الشخصيات العربية والأوربية.

خمسة قرون على وفاة السيوطي

أقامت إدارة الأزهر بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ندوة، بمركز الاقتصاد الإسلامي في الجامعة الأزهرية، عن العالم الحافظ **جلال الدين السيوطي** بمناسبة مرور خمسمائة عام على وفاته.

شارك في الندوة عدد كبير من العلماء، في مقدمتهم شيخ الجامع الأزهر الشيخ **جاد الحق علي جاد الحق**، وقدمت عدة بحوث تناولت جهود الإمام السيوطي في خدمة الثقافة والمعارف الإسلامية، وأثره في علوم القرآن الكريم والفقه والحديث وعلم الأصول، فضلاً عن سيرته، ومؤلفاته التي تجاوزت **خمسمائة مؤلف**.

أصدرت الندوة عدة توصيات، منها توصية بحصر مؤلفات السيوطي وفهرستها، وحصر مؤلفاته الموجودة في المكتبات التركية وتصويرها، وترجمة بعض أعماله إلى اللغات الأجنبية، وانتقاء بعضها لضمها إلى مناهج التعليم الثانوي مع إقامة مسابقة حول العطاء الفكري للسيوطي يشارك فيها طلاب المرحلة الثانوية والجامعات، وإعداد شريط وثائقي تسجيلي عن حياته.

مركز دولي لبحوث أدب الطفل

تجرى حاليًا دراسات مكثفة من أجل تطوير **مركز توثيق وبحوث أدب الطفل** التابع للهيئة المصرية العامة للكتاب.

تستهدف الدراسات تحويل المركز إلى مركز دولي، يتبادل مع نظائره من المراكز العالمية الأخرى الخبرة والدراسات البحثية.

ترعى هذه الدراسات حرم الرئيس المصري **محمد حسني مبارك**.

تكملة ما فات على صاحب «القاموس»

أصدر مجمع اللغة العربية في القاهرة - مؤخرًا - ستة أجزاء من كتاب «**التكملة والذيل والصّلة لما فات صاحب القاموس من اللغة**» لمؤلفه **محمد مرتضى الحسيني الزبيدي**، حققه وقدم له **مصطفى حجازي**.

الكتاب استدراكات قام **الزبيدي** بتسجيلها من شرحه لـ «القاموس» **للفيروز آبادي**، ولأهميته أشرف على مراجعته مجموعة من ألمع علماء اللغة العربية، منهم **د. محمد مهدي علام**، الأستاذ **عبد السلام هارون** - يرحمهما الله - والدكتور **أحمد السعيد سليمان**.

مؤتمر عن رفاعة الطهطاوي


رفاعة الطهطاوي

نظمت الهيئة العامة لقصور الثقافة بالاشتراك مع محافظة سوهاج في منتصف شهر رجب الماضي مؤتمرًا عن **رفاعة الطهطاوي** ودوره في تحديث الحياة الثقافية والنهوض بها.

دارت مناقشات المؤتمر الذي استمر ثلاثة أيام حول رفاعة وعصره وأبرز إنجازاته وبخاصة في مجالات الترجمة والتعليم والصحافة، كما أقيمت على هامشه أمسيات شعرية ومسرحية.

ملتقى فكري لمناقشة كتاب «الإسلام كبديل»

نظم مركز الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر ملتقى فكريًا لمناقشة كتاب المفكر والدبلوماسي الألماني المسلم **مراد هوفمان** «**الإسلام كبديل**».

أكد العلماء أن الحملة الظالمة التي تعرض لها الكتاب ومؤلفه في الغرب تعكس عدم فهم صحيح لحقيقة الإسلام الذي لا يعادي حضارة الغرب المادية أو يرفض التعددية العقدية والثقافية.

وأكدوا على أن **الإسلام يدعو إلى التواصل الحضاري بين الشعوب** ويحترم عقائد الآخرين وثقافاتهم، ويأبى أن تتخذ الدعوة إليه أسلوب العنف والإكراه. لكنه يطرح نفسه إزاء غيره باعتباره منظومة عقائدية وحضارية ومنهجا للحياة يحقق التوازن بين حاجتي الإنسان المادية والروحية.

الانتهاء من إنشاءات متحف آثار النوبة

انتهى العمل - مؤخرًا - في الإنشاءات الأساسية **لمتحف آثار النوبة بمدينة أسوان**.

يقع المتحف في مدخل مدينة أسوان على مساحة ٢٥٠٠ متر مربع، وروعي في تصميمه استخدام الزخارف النوبية في واجهاته مع مراعاة الظروف المناخية للمنطقة المعروفة بحرارتها الشديدة، وتميز تصميمه الداخلي باستغلال ضوء الشمس الطبيعي في صالات العرض.

ينتظر أن يضم المتحف أكثر من **خمسة آلاف قطعة أثرية**، جرى جمعها خلال الحملة الدولية لإنقاذ آثار النوبة من الغرق تحت مياه بحيرة السد العالي، إضافة إلى **مركز للدراسات النوبية** يعد لتزويده بمكتبة ميكر وفيلمية وموسوعة ثقافية تحتوي على كل ما يحتاج الباحث لمعرفته عن آثار النوبة قديمًا وحديثًا، إلى جانب الأفلام الوثائقية والكتب والمجلات الدورية والسجلات الخاصة بحملة اليونسكو لإنقاذ آثار النوبة.

مجلة اقتصادية جديدة

أصدرت دار المجموعة العربية للصحافة والإعلام العدد الأول من مجلتها «**فكر ومال**» التي تصدر شهريًا بصفة مؤقتة.


زكريا نيل

تهتم «فكر ومال» بقضايا العرب الاقتصادية، ويرأس مجلس إدارتها **يحيى زيدان**، فيما يتولى **زكريا نيل** رئاسة التحرير.

يذكر أن المجلة تعد الإصدار الثاني للمجموعة بعد مجلة «**كاريكاتير**».

كتب جديدة

- **رواد أدب الطفل العربي**، تأليف **د. أحمد زلط**، صدر عن دار الأرقم في الزقازيق.
- **دراسات في الأدب السعودي**، تأليف **د. محمد الصادق عفيفي**، صدر عن مكتبة الخانجي في القاهرة.
- **القادة يتحدثون**، تأليف **منال نور الدين**.
- **بستان الأزبكية**، مجموعة قصصية

الحركة الثقافية

لمحمد عبد السلام العمري، صدرت ضمن «مختارات فصول».

● **التفكير واللغة**، تأليف **جوديث جرين**، ترجمه إلى اللغة العربية عبد الرحيم جبر.

صدرت الكتب الثلاثة السابقة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● **الالتزام عند الكتّاب المصريين**، تأليف **سهام هاشم**، صدر عن دار مصر العربية للنشر والتوزيع.

● **حوار الشرق والغرب**، تأليف **د. زهيرة البيلي**.

● **الأدب السياحي**، تأليف **جمال بدران**.

صدر الكتابان السابقان ضمن سلسلة «اقرأ» عن دار المعارف في القاهرة.

● **أخطاء اللغة العربية عند الكتّاب والإذاعيين** تأليف **د. أحمد مختار عمر**، صدر عن عالم الكتب في القاهرة.

لبنان — معرض الكتاب العربي

نظم النادي الثقافي العربي في بيروت - مؤخرًا - المعرض السابع والثلاثين للكتاب العربي

كانت المشاركة العربية في هذا المعرض محدودة، ذلك أن من بين ١٥٧ دارًا للنشر وجامعة شاركت هناك ١٢ دار نشر عربية فقط، والباقي جميعه من لبنان.

شمل المعرض بمناسبة الاحتفال باليوبيل الذهبي لاستقلال لبنان جناحًا خاصًا بصحافة الاستقلال، عرضت فيه مجموعات قديمة من الصحف التي غطت تلك المرحلة. كما رافقت المعرض عدة نشاطات ثقافية ما بين أمسيات شعرية وموسيقية، ومُنحت الكاتبة **نازك خريس** الجائزة الأولى لأدب الأطفال عن كتابها **«السمكة والبحر»** ونالت الكاتبة **سميرة الصايغ** الجائزة الثانية عن كتابها **«شوشو النشيط»**، وتحصلت **«دار الشروق»** على الجائزة الأولى **لأفضل إخراج** عن كتاب «فن الواسطي»، وجاءت «دار النهار» في المركز الثاني عن كتاب **«مخزون الذاكرة»**، فيما حُجبت **جائزتا أفضل كتاب تاريخي وأفضل كتاب سياسي**، وقدم النائب **محمد قباني** رئيس النادي ميدالية ذهبية إلى الرئيس **عادل عسيران** «بطل الاستقلال».

وفاة رشيد وهبي

فقدت الحركة الفنية التشكيلية في لبنان أحد رموز رعيلها الأول بوفاة الفنان **رشيد وهبي** عن عمر يناهز ٧٦ عامًا.

وُلد وهبي عام ١٩١٧ م في بيروت وتلقى تعليمه الثانوي في كلية المقاصد، وتعرف عام ١٩٣٢ م على الفنان **حبيب سرور**، وتردد على مرسمه لمدة أربع سنوات، أنجز خلالها رسومات توضيحية وتزيينية وإعلامية، ثم التحق عام ١٩٤٢ م بالمدرسة العليا للفنون الجميلة في القاهرة وتخرج فيها عام ١٩٤٦ م. كما سافر للاطلاع والدراسة في بلدان عدة منها فرنسا، أسبانيا، هولندا، اليونان، إيطاليا، إنجلترا، النمسا، والاتحاد السوفييتي.

وهو فنان انطباعي، واقعي، محافظ في رؤيته وتقنياته، وأحد مؤسسي **«جمعية الفنانين اللبنانيين للرسم والنحت»**، ومعارضه التي

رسائل جامعية

● **«الفكر المادي المعاصر في البلاد العربية وموقف الفكر الإسلامي منه»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الشريعة بالرياض تقدم بها **سعود بن سلمان بن محمد آل سعود**.

● **«تاريخ كتابة الحديث النبوي في مصر ومراحل تطوره منذ الفتح الإسلامي عام ٢٠ هـ وحتى قيام الدولة الفاطمية بها عام ٣٥٨ هـ»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة القاهرة، تقدمت بها **سامية محمد علي**.

● **«مسند أبي داود الطيالسي من بداية ما رواه عبد الله بن رباح عن أبي هريرة إلى نهاية الكتاب: تحقيقًا ودراسة»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية في الرياض تقدم بها **عادل محمد السبيعي**.

● **«المهدي المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها **جلال الدين محمد صالح**.

● **«دور الإعلام في تكوين الصورة الذهنية للعالم الثالث لدى الشباب المصري»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدم بها **أشرف عبد المغيث**.

● **«دراسات على المكونات الكيميائية لنبات الشبرم»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية العلوم بجامعة الملك عبد العزيز في جدة تقدمت بها **رحاب فؤاد عنقاوي**.

● **«تقوية أساليب الإعلام التليفزيوني في مصر»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدم بها **محمد رضا الجمّال**.

● **«الطرق الصوفية المعاصرة في المغرب الأقصى»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإعلام وأصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها **عبد الله بن سعيد أعياش**.

● **«المشروع الحضاري عند محمد عابد الجابري»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الفلسفة بجامعة الجزائر، تقدم بها **عبد العزيز بن يوسف**.

بدأها عام ١٩٣٠ م أقيمت في أكثر من دولة، ويصعب حصرها، وقد حصل على وسام المعارف من الدرجة الأولى عام ١٩٥٥ م وجائزة وزارة التربية والتعليم في مجال التصوير ١٩٧١ م، وأوسمة وجوائز أخرى.

مجلة «لبنان المواطن»

صدر - مؤخرًا - العدد صفر من مجلة «لبنان المواطن» وهي مجلة فصلية جديدة حملت شعار **«من المواطن إلى كل مواطن»**.

تتكون أسرة تحرير المجلة من: **كريم قبيسي، نقولا صحناوي، عمار علبي، ومبليا جبور.** وللمجلة هيئة استشارية تضم كلًا من: **برهان علوبة، جورج قرم، غسان مخيبر، وداد مراد، وإبراهيم ناصر الدين.**

معرض فني فرنسي

أقيم في متحف نيقولا سرسق في بيروت معرض تشكيلي بعنوان **«الفن الفرنسي المعاصر في بيروت»**.

ضم المعرض أعمالًا فنية قدمها **٥٦ فنانًا** تشكيليًا فرنسيًا.

سورية

العلايلي عضوًا في مجمع اللغة العربية



د. عبدالله العلايلي

انتخب الشيخ د. **عبد الله العلايلي** عضوًا في المجمع اللغوي في دمشق.

عُرف الشيخ العلايلي بدعوته الدائمة إلى الأخذ بشعار «ليس التقليد مع الخطأ محافظة، وليس التصحيح الذي يحقق المعرفة خروجًا»، وقد طبق هذا الشعار عمليًا في كتابه **«مقدمة لدرس لغة العرب»** الذي صدر في القاهرة عام ١٩٣٨ م وضم أفكارًا وآراء جديدة في فقه اللغة تستهدف تيسير اللغة العربية، وتعرض الكتاب وصاحبه - آنذاك - لانتقادات شديدة.

ورقة بردي باللغتين اليونانية والتدمرية

اكتشفت في **مدينة تدمر الأثرية** قطعة من ورق البردي مكتوب عليها باللغتين اليونانية والتدمرية.

أكدت الدراسات التي أجريت على القطعة وجود علاقات تجارية وطيدة بين مصر وتدمر في عصر الملكة الشهيرة زنوبيا تمثلت في وجود مراكز تجارية تدمرية في مدينتي الإسكندرية وقفط الواقعة بالقرب من أسوان.

معرض تشكيلي

أقيم في صالة أتاسي في دمشق معرض للفنان التشكيلي اللبناني **حسين ماضي**.

ضم المعرض أكثر من ثلاثين عملًا فنيًا للفنان الذي يعد من رواد فن التصوير المعاصر في لبنان.

الأردن

معرض الانتفاضة

استضافت **مؤسسة عبد الحميد شومان** معرضًا أقامته لجنة المصورين الصحافيين في الأرض المحتلة تحت عنوان **«الانتفاضة في قلب القدس»**.

● **«التلعثم عند الأطفال كحالة مرضية»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الطب بجامعة عين شمس تقدم بها **د. أحمد محمد رشاد.**

● **«منهج سيد قطب في ظلال القرآن»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أم القرى تقدمت بها **أسماء محمد فدعق.**

● **«مقدمة المفسرين لمحمد البيركوي: تحقيق ودراسة»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تقدم بها **عبد الرحمن صالح الدهش.**

● **«أثر نظام المشاركة الزمنية على إنعاش حركة السياحة في مصر»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية السياحة والفنادق في القاهرة، تقدمت بها **وصال محمد أبو علم.**

● **الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ودوره في بناء الدولة السعودية الأولى ١١٥٧ - ١٢١٨ هـ / ١٧٤٤ - ١٨٠٢ م»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية البنات بالرياض، تقدمت بها **الجوهرة بنت عبد الرحمن المنيع.**

● **«ما سكت عنه الإمام أبو داود مما في إسناده ضعف»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة تقدم بها **محمد هادي علي المدخلي.**

● **«توحيد الألوهية والفرق الضالة فيه: دراسة نقدية»** عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية للبنات بمكة المكرمة تقدمت بها **سارة فرج العقلا.**

● **«نشر واستخدام الآلات الزراعية بين الزرّاع المصريين»** موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الزراعة بجامعة القاهرة، تقدمت بها **نيللي نصيف فرج.**

● **«أنماط العمران في منطقة حلوان: دراسة جغرافية»** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدمت بها **أميمة فهمي مهدي.**

● **«المعالجة الصحفية لمشكلة تلوث مياه النيل في الصحافة المصرية: دراسة تحليلية»** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة عين شمس، تقدم بها **جمال الدين السيد علي.**

○ ○

الحركة الثقافية

ضم المعرض **١٣٧ صورة** بأحجام كبيرة وصغيرة توضح ما تعرض له أطفال الحجارة من عنف عمليات القمع الصهيوني ويقدم صورًا لمختلف أجيال الانتفاضة.

يذكر أن المعرض سبق أن أقيم في أكثر من دولة أوربية وهذه المرة الأولى التي يقام في دولة عربية.

فلسطين — هيكل عظمي من العصر الكنعاني

اكتشف آثاريون في منطقة البحر الميت هيكلًا عظميًا لجندي في الأربعينيات يعود إلى بداية العصر الكنعاني أي ما قبل ٢٢٠٠ عام.

وُجد الهيكل في حالة جيدة داخل كيس في قبر وإلى جانبه قوس وسهم.

يذكر أن عمليات التنقيب بهذه المنطقة تجري بحثًا عن مزيد من مخطوطات البحر الميت التي يعود عمرها إلى ما قبل خمسة آلاف سنة.

المغرب — اختتام مؤتمر اللغة العربية

اختتمت في الدار البيضاء، في نهاية شهر جمادى الآخرة الماضي، أعمال المؤتمر الدولي الثاني حول اللغة العربية والتقنيات المعلوماتية المتقدمة، الذي نظمته **مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية**.

استمر المؤتمر ستة أيام، وتضمنت جلسته الختامية مجموعة عروض حول موضوعه، الذي هدف إلى التعريف بالوسائل الكفيلة بخدمة لغة الضاد عن طريق التقنيات المتطورة.

وأعرب المشاركون في ختام الاجتماعات عن شكرهم وتقديرهم لصاحب السمو الملكي الأمير **عبد الله بن عبد العزيز آل سعود** لرعاية المؤسسة والنشاطات التي تقوم بها في مجالي الدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية.

يذكر أن المؤتمر الأول عقد في الرياض بإشراف مكتبة الملك عبد العزيز العامة.

كتب جديدة

- **ما الذي نفعله؟** مجموعة قصصية تأليف **لطيفة باقا**، صدرت عن دار المعارف الجديدة في الرباط.
- **الفرس**، أول رواية مغربية مكتوبة بالإسبانية تأليف **محمد الصيباري**، صدرت عن دار النشر العالمية في طنجة.

تونس — «المؤامرة» تفوز بجائزة الشابي



أبو القاسم الشابي

مُنح الأديب فراج الحوار جائزة أبي القاسم الشابي في مجال الرواية عن روايته **«المؤامرة»**.

قام وزير الثقافة التونسي **المنجي بوسنينة** بتسليم الجائزة للفائز في حفل أقيم بهذه المناسبة بحضور مجموعة من أبرز الأدباء والنقاد.

تركيا — معارض متجولة للوحات الفائزة بمسابقة ابن البواب

قررت الأمانة العامة للجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضاري الإسلامي ممثلة في مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في اسطنبول تنظيم **معارض متجولة للوحات الفائزة في المسابقة الدولية الثالثة لفن الخط العربي** التي أقيمت عام ١٩٩٣ م المنصرم باسم الخطاط العربي المشهور «**ابن البواب**» تكريمًا له بمناسبة مرور ألف عام على وفاته.

ينتظر أن تقام هذه المعارض في الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، مع كتيب يشتمل على اللوحات الفائزة وترجمة مختصرة لسير كاتبيها.

إيطاليا — معرض للفن الإسلامي

تستضيف مدينة البندقية حاليًا، وإلى العشرين من شهر ذي القعدة المقبل (١/٥/١٩٩٤ م)، معرض «**وراثة الإسلام: الفن الإسلامي في إيطاليا**».

يضم المعرض أروع ما في إيطاليا من المجموعات الفنية الإسلامية: المعدنية، الحريرية، الخزفية، المنمنمات، الزجاجيات، والمخطوطات، حيث تحكي المعروضات تطور الفن الإسلامي عبر القرون.

مينا يفوز بجائزة أفضل رواية مترجمة



حنا مينا

منح الروائي السوري **حنا مينا** جائزة **أفضل رواية مترجمة إلى اللغة الإيطالية** لعام ١٩٩٣ م عن روايته **«الشراع والعاصفة»**.

تسلم مدير دار جوفانس للنشر التي قامت بترجمة الرواية الجائزة والميدالية الذهبية نيابة عن مينا.

أسبانيا — الملتقى الثقافي العربي ـ الإسباني الثاني

نظمت بلدية مدينة طليطلة بالتعاون مع وزارة الخارجية الإسبانية وجامعة الدول العربية وعدد من الجامعات العربية والإسبانية ـ مؤخرًا ـ **الملتقى الثاني للثقافات العربية والإسبانية**.

شارك في الملتقى الذي استمر أربعة أيام مجموعة من الباحثين والسياسيين والصحافيين وأساتذة الجامعات.

دليبيس يفوز بجائزة سيرفانتس

فاز القاص **ميجيل دليبيس بجائزة سيرفانتس** الأدبية، أكبر جائزة أسبانية في مجالها.

يبلغ دليبيس من العمر ٧٣ عامًا، وقد سبق له الفوز بجوائز عدة أولها في مستهل حياته الأدبية عام ١٩٤٨ م، حيث نال جائزة **«ندال للقصة»**، توالت بعدها جوائزه المحلية، حتى نال عام ١٩٨٢ م «جائزة **أمير استوريـاس**» ثاني أكبر جائزة أدبية إسبانية.

ودليبيس عضو في أكاديمية اللغة، له العديد من القصص والروايات من أبرزها رواياته: **«الطريق»**، **«يوميات صياد»**، **«خمس ساعات مع مارينو»**، **«ظلال شجرة السرو مستطيله»**، و**«الورقة»** وغيرها، وقد طبعت بعض رواياته أكثر من أربعين طبعة.

النمسا: معرض كتاب للجالية العربية الإسلامية

أقيم في مقر **النادي المصري** في فيينا **معرض الكتاب الأول للجالية العربية والإسلامية** في النمسا.

تضمن المعرض عددًا من الكتب والمطبوعات باللغتين العربية والألمانية، تتضمن قضايا مختلفة إلى جانب الموضوعات الدينية والتربوية التي تهدف إلى تعريف أبناء الجالية بتراثهم الفكري والثقافي والحضاري، وربطهم به بما يدعم هويتهم الخاصة.

ألمانيا: فايمار عاصمة أوربا ١٩٩٩ م

اختار وزراء ثقافة دول المجموعة الأوربية مدينة **فايمار** الألمانية لتكون **عاصمة أوروبا الثقافية** لعام ١٩٩٩ م.


شيللر


جوته

تقع مدينة فايمار في ولاية تورينجين شرقي ألمانيا، وهي مدينة لا يتجاوز عدد سكانها ٦٠ ألف نسمة، من أبرز أبنائها الأديبان الكبيران **فولفجانج فون جوته وفريدريش شيللر**، والموسيقيان **سباستيان باخ وريتشارد شتراوس**، والمعماري **فالترجروبيوس**.

وقد اختيرت بعد منافسة حادة مع مدن أوربية أخرى أكبر منها مثل **براغ** و**اسطنبول** و**كولونيا** و**جراتس**.

جائزة لأديب سوري


رياض عصمت

منح الأديب السوري **رياض عصمت** جائزة إذاعة كولونيا العالمية لأفضل إنتاج أدبي عن قصته **«الواحة والطير غير المرغوب فيه»**.

يمنح الجائزة القسم العربي بالإذاعة، وشارك فيها هذا العام أكثر من ألف ومائة متسابق من مختلف أنحاء الوطن العربي.

يذكر أن لرياض عصمت ١٦ **كتابًا**، وثلاث مجموعات قصصية هي: **«غابة الخنازير السرية»** **«الذروة البعيدة»**، و**«الثلج الأسود»** وقصة للأطفال بعنوان **«حكايات ذلك الصيف»**.

مهرجان ثقافي ـ فني نرويجي

أقيم في برلين ـ مؤخرًا ـ مهرجان ثقافي فني نرويجي في إطار التعاون بين البلدين.

ضم المهرجان نشاطات أدبية ومسرحية وموسيقية وتشكيلية متنوعة.

مجلة جديدة



صدر ـ مؤخرًا ـ العدد الأول من مجلة «دويتشلاند» (ألمانيا) وهي **مجلة ثقافية سياسية اقتصادية علمية، تصدر مرة كل شهرين باللغات: الألمانية والعربية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية والبرتغالية واليابانية والعبرية**.

ومجلة «دويتشلاند» هي الطبعة الجديدة التي تخلف مجلتي «سكالا» و«اللقاء» اللتين كانتا تصدران حتى الآن.

صدر العدد الأول من **«دويتشلاند»** في ٦٨ صفحة، وتوزع في ١٦٢ بلدًا، وتضمن القسم الخاص بالعالم العربي في العدد الأول ستة موضوعات عناوينها كالتالي: «غذاء من الصحراء»، «الحجارون في مصر القديمة»، «ألمان يتعلمون العربية»، «حكواتي من معلولا» (عن الأديب السوري رفيق شامي الذي يعيش في ألمانيا منذ عشرين عامًا) «استغلال طاقة الرياح في استخراج مياه الشرب» و«يوسف وأخناتون».

فرنسا: موسوعة: علوم فن الكتابة

شارك أكثر من **مائتي خبير عالمي** في إعداد موسوعة جديدة صدرت ـ مؤخرًا ـ في باريس بعنوان **«علوم فن الكتابة»**.

تقع الموسوعة في **ستمائة صفحة**، وتعالج أهم النظريات المستخدمة في مجال فن الكتابة وأصولها، وكيفية التطبيقات السليمة للكتابة والتأليف.

وفاة جي دي كار

توفي في السابع من شهر رجب الماضي في باريس إثر إلتهاب رئوي الكاتب الفرنسي **جي دي كار** عن عمر يناهز ٨٣ عامًا.

ينتمي دي كار إلى أسرة نبيلة ويحمل لقب

الحركة الثقافية

«كونت»، وقـد بدأ حياتـه صحافيًا، وله مـؤلفات كثيرة أشهرهـا مـا نشره في سلسلتـه الشعبيـة **«قرأت»** التي بيع منهـا أكثـر من ٣٢ مليـون نسخة.

كما تُرجمت قصصه إلى **٢١ لغة**، ومن أشهر مؤلفـاته: **«الضـابط الـذي لا يحمل اسمًا»**، **«الدنسة»**، **«قصر اليهودية»**، و**«الوحش»**.

جـائزة لـوفـان لـ«لعنـة» ميمـوني



رشيد ميموني

مُنح الـروائي الجـزائـري **رشيـد ميموني «جائزة لوفان الأدبيـة»** عن روايتـه **«اللعنة»**.

يـذكـر أن الجائزة مخصصة لمبدعي الدول الـواقعـة على الشـاطئ الشرقي للبحـر الأبيض المتـوسط، وتبلـغ قيمتهـا ثـلاثمائة ألف فـرنك فرنسي.

جائزة لأسوأ رواية!

منح الفرنسي ميشيل برودو جائزة فيمينا الأدبية لأسوأ عمل عن روايته **«صديقتي بيبرو»**.

قـالت لجنـة التحكيم في قـرارهـا أن **برودو** استحق الجائزة عن جدارة؛ لأن مـوضوع روايته سبق أن تنـاولـه جميع فـاقـدي الخيـال من الروائيين، ناهيك عن أن أسلوبه تحت العادي!.

أحدث الكتب

● **فندق بربيس**، روايـة **لمحمد بوجدرة**، صدرت بالفرنسية عن دار نشر لاروشيه.

● **حوميسق أو مجرى العـلامات**، رواية للأديبة الجزائرية **فتيحة بنت رزاق**، صدرت عن دار نشر لارماتان في باريس.

بريطانيا مجلـة «الكـاتبـة»

انضمت إلى ركب الصحافة العـربية في لندن مجلـة ثقـافيـة شـهـريـة جـديـدة تحمل اسم **«الكاتبة»** التي صدر العدد الأول منها مؤخرًا.

تهتم المجلة ـ كما يتضح من اسمهـا ـ بنتاج الكـاتبـات بصفة خـاصـة، وإن كـانت لا تغفل المبدعين من الرجال، وتفسح صفحاتها لهم أيضا.

يرأس تحرير المجلة الجديـدة الشاعر **نوري الجراح**.

وفاة بيرجيس

توفي ـ مؤخـرًا ـ في أحـد مستشفيات لنـدن متأثـرًا بمـرض السرطـان الكـاتب البريطـاني **أنطوني بيرجيس** عن عمر يناهز ٧٦ عامًا.

وُلـد بيرجيس في مـانشستر عـام ١٩١٧ م، واسمه الحقيقي جاك ويلسـون، وقد قام بتأليف أكثر من خمسين كتـابًا أشهرها روايتـه الخيالية **«الساعة البرتقـالية»**، إضـافـة إلى تـرجماتـه وكتابته السير الذاتية لكبار الأدباء والفنانين مثل **شكسبير، موزار، وهمنجواي**.

الغريب أن بيرجيس أصيب بسرطـان الدماغ عام ١٩٥٩ م، ووقتها قـال الأطباء إنه لن يعيش أكثر من عام، إلا أنه عاش بعد ذلك ٣٤ عامًا حتى حان أجله.

أحدث الكتب



د. غازي القصيبي

● **شقة الحريـة**، الروايـة الأولى للشاعر **د. غـازي القصيبـي**، صدرت بـاللغة العـربية عن دار رياض الريس.

● **دنج هسياو بنج وصنـاعـة الصين المعاصرة**، تأليف **ريتشارد إيفانز**، صدر عن دار هـ. هاملتون في لندن.

● **أبحاث في التسويق**، تأليف **مايكل بيكر**، صدر عن دار ماكميلان ليمتد.

● **شاهد على الإبادة الجماعية** (أول شهادة من الداخل عن رعب التطهير العرقي في البوسنة)، تأليف **روي جوتمان**، صـدر عـن دار إيليمنت بوكسي ليمتد في لندن.

● **محاكمة النوعية**، تأليـف **مجموعة من خبراء الإدارة والتسـويق**، صـدر عن دار نشر هيل بوك كومبني في لندن.

● **في حلبـات «سـاتـورن»**، تـأليـف **جو شيرمان**، صـدر عن أوكسفورد يـونيفـرسيتي برس في لندن.

● **سكارجيل: السيدة غير الرسمية**، تأليف **بول روتليدج**، صدر عن دار نشر هاربر وكولينز في لندن.

● **جيرونيمو**، تأليف **إنجي ديبو**، صدر عن دار نشر بيمليكو.

● **الـثـلاثينيات: سجـل تاريخي للعقـد**، كتاب وثائقي بالصور أعده **ديفيد هولواي**، صدر عن دار نشر ستيليجراف بوكس.

● **السيـدة: حياة وأيـام ويني مـانديـلا**، تأليف **ريما جيلباي**، صـدر عن دار نشر كيب في لندن.

● **لـورنس : الحقيقـة والأكـذوبـة**، تأليف **صبحي العمري**.

● **الفترة الحرجـة : نقد في أدب الستينيات**، تأليف **رياض نجيب الريس**.

صـدر الكتـابـان السـابقـان عن دار ريـاض الريس للكتب والنشر.

● **صناعـة الفيلم العربي والأفـريقي**، تأليف **إليزابيث مالكموس وروي ارمز**، صدر عن دار زد.

● **جـورج كيوكـور : حيـاة مزدوجـة**، تأليف **باتريك ماكجيليان**، صدر عن منشورات فايد في لندن.

● **فنون الرايخ الثالث**، تأليف **بيتر آدم**، صدر عن دار تامز وهدسون.

● **مـارينارد كينـز قصـة حياة رجل اقتصـاد**، تأليف **د. أ. موجريدج**، صدر عـن دار روتلدج في لندن.

الولايات المتحدة — معرض لأعمال ديكنز ومخطوطاته


تشارلز ديكنز

نظمت مكتبة بيير مورجاي معرضًا في نيويورك لأعمال الروائي والقاص البريطاني الشهير **تشارلز ديكنز** بمناسبة مرور قرن ونصف على صدور روايته «**أنشودة الميلاد**».

ضم المعرض – إلى جانب المخطوطات التي تركها ديكنز – طبعات جديدة من أبرز أعماله مثل «**ديفيد كوبر فيلد**» و«**أوليفر تويست**».

يذكر أن ديكنز وُلد عام ١٨١٢ م وتوفي عام ١٨٧٠ م.

صحيفة حسب الطلب!

طرحت إحدى شركات الحاسب الآلي برنامجًا خاصًا اسمته «**الصحافي**» يتيح لمستخدمه اختيار الموضوعات التي يريدها من صحيفته وترتيبها حسب أهميتها، بل يمكّنه أيضا من تصميم الصحيفة بالشكل الذي يروق له كأن يجعل الصفحة الأولى مخصصة للأدب أو الرياضة أو الاقتصاد، بل له أن يختار حجم الحروف أيضا.

يمكن لأي شخص يملك جهاز حاسوب شخصي آي. بي. إم أو جهازًا متوافقًا معه أن يستفيد من البرنامج الذي يرتبط عبر جهازي هاتف و(موديوم) بخدمة إخبارية إلكترونية تضم ١٨ قناة إخبارية.

أحدث الكتب

● **مواجهة تكاليف الحرب: القوة العسكرية والدولة والمجتمع في مصر وإسرائيل**، تأليف **مايكل بارينت**، صدر عن جامعة برينستون.

● **ليس الموضوع سهلاً كما يبدو: القصة المدهشة لتيد تيرنر**، تأليف **بورتر بيب**، صدر عن دار كراون في نيويورك.

● **الرجال والنساء والنزعة العدوانية**، تأليف **آن ماكبيل**، صدر عن دار نشر بيزيك بوكس في نيويورك.

● **ظروف متطرفة: البترول الكثير والتحول في آلاسكا**، تأليف **جون ستروماير**، صدر عن دار نشر سيمون وشوستر في نيويورك.

● **برج الأسرار**، تأليف الجنرال في المخابرات السوفييتية سابقا **فيكتور شيموف**، صدر عن دار نشر نافال أنستيتيوف.

● **الأمل يموت في النهاية**، السيرة الذاتية للزعيم البلغاري السابق **إلكسندر دوبتشيك**، نقلها إلى اللغة الإنجليزية **جيري هوفمان**، وصدرت عن دار كودانشا الدولية في نيويورك.

● **أمة سامة: الحرب من أجل حماية جماهيرنا من التلوث الكيميائي**، تأليف **فريد سيتير بيرج، وجوني شيفلسون**، صدر عن دار نشر فيلاي.

● **علم رديء: الحياة القصيرة والأوقات المشؤومة للاندماج البارد**، تأليف **جاري توبز**، صدر عن دار نشر راندوم هاوس في نيويورك.

● **قسوة وصمت: الحرب والاستبداد والثورة في العالم العربي**، للكاتب العراقي **كنعان مكية**، صدر عن دار نشر نورتون في نيويورك.

اليونان — الملتقى الأول لشعراء البحر المتوسط

اختتم – مؤخرًا – في مدينة قَوَلَة باليونان الملتقى الشعري الأول لشعراء البحر الأبيض المتوسط.

شارك في الملتقى شعراء من: **مصر، لبنان، سورية، فلسطين، المغرب، تركيا، اليونان، إسبانيا، إيطاليا، وفرنسا**.

المكسيك — رسامو الكاريكاتير في مهرجان الهزل الدولي

يقام قريبًا **مهرجان الهزل الدولي الثاني للكارتون** لرسامي الكاريكاتير حول موضوعين: **المسدس، والهزل العام**.

يحصل الفائز الأول في المهرجان على جائزة مقدارها خمسة آلاف دولار مكسيكي، والثاني ثلاثة آلاف، والثالث ألفان، ومن الرابع حتى العاشر ألف دولار مكسيكي.

الصين — موسوعة لمشاهير علماء العالم ومثقفيه

يعد حاليًا لإصدار موسوعة للتعريف بمشاهير العلماء والمثقفين والمفكرين في العالم وتقديمهم لقراء اللغة الصينية.

تحمل الموسوعة مسمى «**معجم الأشخاص الثقافيين المشاهير المعاصرين في العالم**».

يشرف على الجزء الخاص بالعالم العربي المستعرب المعروف: **عارف الصيني** (لي دونج جيان).

طاجكستان — جهود لاستعادة كنوز الآثار المنهوبة

تجري السلطات المختصة بالآثار مساعي مكثفة من أجل استعادة كنوز نهر جيحون وكنوز أثرية طاجيكية أخرى موجودة في متاحف روسيا وبريطانيا.

كانت هذه الكنوز قد خرجت من طاجكستان عام ١٨٧٧ م في ظروف غامضة، ويقدر الموجود منها في المتحف البريطاني وحده بنحو ألفي قطعة من الذهب والفضة، تمثل مزيجا من فن مقاطعة بقطريان في آسيا الصغرى والفن الإغريقي.

كما يضم متحف هير ميتاج في مدينة بطرسبرج الروسية عددًا من أثمن القطع.

يقول آثاريون من طاجكستان: إن الآثار المنهوبة لا تقتصر على كنوز نهر جيحون وحدها، وإنما تمتد أيضا لتشمل ثروة من المصنوعات اليدوية المحلية تمثل عرضًا لتاريخ آسيا الوسطى، ويوجد نحو ٧٠٪ من هذه المصنوعات خارج البلاد حاليًا.

على موعد

حتى لا ندفع الثمن!

قلت مرة لأحد كبار مسؤولي التربية والتعليم في قطر عربي، وقد أخذت ظاهرة تدني المستوى التعليمي تستشري في مدارس البلدان العربية :

«لا تستقيم عملية التربية والتعليم، ولا يرتفع المستوى التعليمي لأبنائنا إلا بمعلمي الصفوف الابتدائية الأولى الأكفاء» .

ومع الأسف، ما زالت المستويات التعليمية لتلاميذنا تتدنّى يومًا بعد يوم تبعًا لهبوط مستوى المعلم الإبتدائي وكفاءته الفنية ، وما زالت كفاءات التلاميذ وقراءاتهم مجبولة بالأخطاء الشنيعة .

ولقد رسخت في أذهان مديري المدارس الابتدائية فكرة خطيرة، بل ظاهرة تقليدية، هي أنهم يرمون تلاميذ الصفوف الأولى بأسوأ المعلمين، أو أفشلهم، أو أحدثهم تجربة ، ويختارون الأكفاء للصفوف العليا .

فماذا سيصنع هؤلاء المعلمون بعقول صغار التلاميذ ؟! وماذا سينقشون في العجينة الطرية التي هي بين أيديهم ؟!

حتمًا ستجيء نقوشهم غير واضحة، وغير مقروءة، وغير عميقة الأثر على صفحة المادة العجينية التي أوكل إليهم نقشها ووسمها ووشمها بخطوط أيديهم . ولا نعجب مما صنعت أيديهم من رسوم ونقوش؛ لأنهم غير أهل لتلك العملية الفنية الإبداعية .

ولأن التعليم الأولي عملية فنية إبداعية، يشترط في مُعَلِّم الصفوف الأولى، أن يكون فنانًا قادرًا على أن يصنع الشيء الكثير في عقول الصغار : تعبيرًا وتوصيلاً وإيحاءً وتأثيرًا، وقادرًا على أن يترك بصماته الفنية على صفحة أذهانهم ووجدانهم، وأن يرسم بكل عمق وجدارة أصول الكتابة والقراءة واللغة، بمنأى عن الخطأ والاعوجاج، لأنه لا يطبع إلا الصواب، ولا يبني إلا البناء المتماسك القوي .

وكل الأخطاء الشائعة فينا، والمستفحلة في لغتنا وإملائنا، هي من مخلفات معلم فاشل للصفوف الأولى .

وإني لأذكر، يوم كنت طالبًا في دار المعلمين (أهلية التعليم الابتدائي)، كيف كان أستاذ التربية وأصول التدريس، في حصة التطبيقات المسلكية، يقودنا إلى أنجح طالب من زملائنا، لنشاهده كيف يلقي درسه على الصف الأول الابتدائي، وكنا نراه بارعًا في تأديته، وشد تلاميذه بطرق عجيبة، وكأنه ممثل بارع .

ومن هنا نقول : إن العملية التعليمية للصفوف الابتدائية الأولى تستوجب اختيار الأكفاء من المعلمين المتميزين لتمنحهم الوزارة امتيازات عالية، وهذه لها طرق كثيرة؛ كأن تمنحهم حوافز مادية ومعنوية، تميزهم من غيرهم من المعلمين؛ على أن يكون ذلك الاختيار من خلال مسابقات واختبار، وتطبيقات ميدانية بين الصفوف، ورؤية انطباع فنهم على نفوس الصغار، ومن ثم الحكم على تلك المقدرة الإبداعية الفنية . . حيث إن تلك القدرات لا يمكن للكليات والمعاهد أن تُعدّ مثل هؤلاء المعلمين؛ لأنها غير قادرة على إعداد المواهب والقدرات الإبداعية الفطرية؛ وإن كانت تقوى على تلمّسها وكشفها .

وسوف نرى، بعد أن تميّز معلم الصفوف الأولى من غيره، إقبالاً كبيرًا على تلك المسابقات الاختيارية، والتي يحدد لها شروط عديدة وقاسية، لا تتحقق إلا للندرة .

وهكذا نكون قد هيأنا، من خلال هذا الاختيار، معلمين أكفاء، ذوي موهبة وخبرة وتجربة ومهارة للصفوف الأولى، وسيكون كل معلم من أولئك المختارين عرضة للتنحية عن مهمته إن لم تثمر عملياته الفنية في عقول الصغار، ليفسح المجال لمتفوق موهوب غيره، وقدير على تحقيق الأهداف المرجوة .

وسيدفع ذلك المعلمين إلى روح التنافس ونيل شرف التميز ، وإنه لتميُّز تقرّه الشريعة والمصلحة الوطنية والعربية، لأنه لا يمكن أن يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

محمود رداوي